

**TEXT FLY WITHIN  
THE BOOK ONLY**



١٨٠٢١

٨٩٢٥٤١٠٩ / ق - و

قنادي، عبد العظيم علي  
الوصف في الشعر العربي الجليل

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٩٠٢٣٤١٠٩ / ق-٩ Accession No. ٤٨٠٤١

Author فتاوى عبد الحليم على

Title الوصف في الشعر العربي المجلد الأول

This book should be returned on or before the date last marked below.

|  |  |  |  |
|--|--|--|--|
|  |  |  |  |
|--|--|--|--|



# الوصف في الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

تأليف

عبد العظيم علي قنّاوي

---

الجزء الأول

الوصف في العصر الجاهلي

---

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

جميع الحقوق محفوظة لل المؤلف

# الإهداء

إلى التَّهْنِئَةِ الْأَدَبِيَّةِ ، وإلى العُلُومِ الْعِلْمِيَّةِ

إلى مَنْ أَلْهَمَنِي الْإِسْنَهَامَ فِي عَرْضِ مُرَافٍ مِنْ  
تُرَاتِيماً الْأَدَبِيِّ الْخَالِدِ ، وإلى مَنْ أَوْلَانِي الْقُدْرَةَ عَلَى إِرْزَازِ  
ذَلِكَ التُّرَاثِ شَائِقاً جَذَاباً فِي تَوْبٍ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالنَّقْدِ  
رَاقٍ رَائِعٍ .

إلى هَذَا وَذَلِكَ أَهْدِي ذَلِكَ الْكِتَابَ الَّذِي أَرْجُو  
أَنْ يَأْخُذَ مَكَانَهُ مِنْ مَكْتَبَةِ الْأَدَبِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْ  
يَنَالَ عِنَايَةً وَتَقْدِيرًا مِنْ أَدْبَاءِ الْجِيلِ ، وَأَنْ يَكُونَ  
بَاكُورَةً لِحُجَّةٍ أَدَبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، أَقْدُمُهُ لِلْأَدْبَاءِ وَالْمُسَادِّينِ  
مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَمَانِلِ ، مُطْمَئِنِّناً لَهُ ، مُعْتَزِّاً بِهِ ،  
مُعْتَمِداً عَلَى اللَّهِ فِيهِ .

المؤلف





## تقديم

### بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

وبعد : فهذا هو الجزء الأول من كتاب «الوصف في الشعر العربي» وهو كتاب تضم أجزائه الأربعة التي ستصدر تباعا إن شاء الله فن الوصف ، ناطمة شتات هذا الفن ، جامعة أطرافه من العصر الجاهلي إلى هذا العصر ، فالجزء الأول يبحث الوصف في العصر الجاهلي ، ويناقش بعض نظريات الأدب نقاشا مدعوما بالحجة ، والثاني يبحث الوصف في العصر الإسلامي والأموي ، والثالث يبحث في العصر العباسي والأندلسي ، والرابع يبحث في العصر الحاضر . ولا أزم أني سأستقصى كل ما قيل في الوصف ، فذلك غاية لا تبلغ ، على أن جدواها لا تتجاوز ما رسمناه لأنفسنا من عرض صور كاملة لأجزاء هذا الفن ، ثم تحليل هذه الصور تحليلًا دقيقًا وانيا ، وبيان ما انتظمه من اتفاق في النظرة أو اختلاف ، ورسم خطوط واضحة لما نراه فيها من طرافة وجدة وابتداع ، أو لما نلمحه فيها من تقليد ومحاكاة واتباع .

وإنما اخترت هذا الضرب من ضروب الشعر ؛ لأنه أغناها ببنائهم الجمال ، وأحفلها بأسباب الحسن ، ولأنه ينبعث حين تنفجر به قرائع الشعراء عن صادق الشعور ، ووحى الإحساس .

والحق أن الوصف هو الشعر ، وبقية الأبواب الأخرى على جلال بعضها ، وانصراف الشعراء إليها في بعض عصور الأدب تحيى . تابعة له ، متفرعة عنه ، نابعة من منابه ، وإن بدا الأمر غير ذلك

والشاعر الحق هو الذى يملكه ماقى الكون من مناظر تنهر النواظر، فيستطيع وصفها، وتصوير أثرها فى نفسه، وهو الذى يهره ماقى الحياة من ظواهر تملك الحواس، فيستطيع رسمها، ووصف ما يتخالف الأفكار عند سراها، فهو يعبر عما لا يستطيع غيره التعبير عنه من وصف لمضى من معانى الجمال، ولا يقف هذا التعبير عند ناحية بذاتها من نواحي الجمال، وإنما تختلف هذه الناحى، وتتعدد الزوايا التى ينظر منها الشعراء، فتتعدد عناصر الجمال.

يرى شاعر البدر فيصور استدارته فى القبة الزرقاء، ويصور آخر وضائه بين سواطع النجوم التى يذهب بسطوعها، ويصور ثالث أثره فى المحبين، وأنه عون العاذلين والرقباء، وفى كل من هذه الفكر حسن وروعة وجمال، يرضى عنه شاعر، ولا يرضى عنه آخر، وكلاهما يصف شعوره، فيجيد التعبير عن وصف ذلك الشعور.

وكما اشدت الشاعر تأثرا بهذا للنظر أو بذلك وجد عناصر الإجابة لديه موانية مدانية، واستطاع أن يصوره على حقيقته دون مبالغة أو تزيد؛ لأن المبالغة يُأجأ إليها عند ما يريد الأديب أن يزبد على الحقيقة؛ ليلبسها ثوبا غير ثوبها، ويكسوها إهابا أضنى من إهابها، وهذا منناه أن قصا يتورها يريد أن يعطيه، لكنه إذا أضب ذلك للنظر حسه، وملأ نفسه، تصوره كاملا لا يحتاج إلى تزيد أو مفالاة.

وبعد - فإن نهجنا فى هذا الكتاب نهج يذيع لم نسبق إليه فى أى فن من فنون الشعر، ولم يعالجه أديب كما تعالجه نحن، ولم نقتبسه من سوانا. ولا اعتمدنا فى أحكامنا على غيرنا من شيوخ الأدب، قد نتفق معهم؛ لأننا ننظر مثل نظرتهم، وقد نختلف معهم؛ لأننا رأينا نقيم الدليل على سداذه، ونسوق الحجة على صوابه، ولا يضيرنا الخلاف؛ بل إتنا به نسعد، لأنه رأى الحر.

نهجنا فى هذا الكتاب نهج شاق عفيف؛ لأنه جمع لهذا الفن من جميع مظاهره، وتحليله من الأغراض الأخرى التى تتصل به، ثم تفسير مفردات النماذج حتى تزود القارى بالزاد الذى يمينه على متابعة السير فى هذه الدارة التى لا يقدر على السير فيها إلا من تزود بذلك الزاد، ثم تحليل هذه النماذج تحليللا يكشف دقائق معانيها، وطراف جزئياتها،

وإبراز محاسنها . ثم النظر في معاني هؤلاء الشعراء الذين اتفقوا في الموضوع ؛ لتبين عناصر الحسن ومعاني الجمال ، ولتحصى الطريف البديع ، ولتنسب كل معنى إلى صاحبه ؛ إذا كان هذا المعنى طريقاً بديعاً ، وسبيلنا في هذا هو الترجمة الموجزة الوافية لكل شاعر ، ونسبته إلى إقليمه وقبيله ؛ ليظهر أثر هذين في اتجاهه وتفكيره ، وفي أسلوبه وألفاظه ، وفي حياته : بداوتها أو حضارتها .

وقد ساءرتُ المصور الأدبية ؛ لأن المعاني تتطور بتطورها ؛ ولأن الأدب يختلف باختلاف عوامل الحياة فيها ، فرأيت أن من الخطير أن أربط كل عصر بأدبه ، أو كل أدب بعصره ؛ فالتأنيب إذ يصف الليل ليس مثله ابن خفاجة ، والحطينة إذ يصور البخيل ليس مثله بشار .

ثم إن هناك شيئاً آخر دفنى إلى مراعاة ذلك الترتيب هو ربط الشعراء المتعاصرين بعضهم ببعض ، ووزنهم بميزان واحد ؛ لأنهم يحيون حياة واحدة ، ويعيشون في عصر واحد .

هذا ، وقد قدمت بين يدي الوصف فصلاً لا بد منها : هي وصف جزيرة العرب لأنها المعين الذي يستقى منه أولئك الشعراء ، ثم عرض حقائق أدبية جليتها تجلية تدفع عنها شبهات المشككين ، ثم عرضنا لتقسيم الشعر عند الإفرنج وعند العرب ، وأثبتنا أن العرب في عصورهم السحيقة كان لهم شعر قصصى ، ثم انتقلت إلى تقسيم الشعر الفنتائى عند العرب ، ثم عرضت للوصف قسمته ، ثم أبرزت قيمته العالية في الآداب العالمية ، وأرجو أن أكون بلغت بعض ما إليه قصدت ، فلي الله قصد السبيل ؟

المؤلف



## الفصل الأول

### بلاد العرب

بلاد العرب أو الجزيرة العربية كما كان القدماء من أهلها يسمونها تقع في الجنوب الشرقى من القارة الآسيوية ، وهي تحد شمالا بالبحر الأبيض و جبال طرسوس ، وجنوبا ببحر اليمن ، وشرقا بالخليج الفارسى وبحر عمان ، وغربا بالبحر الأحمر .

وإذا كانت بلاد العرب تضم شعبا واحدا ، فإنها ليست ذات طبيعة واحدة ؛ إذ أنها تختلف اختلافا عظيما في كثير من الظواهر الطبيعية ، فهذا الجزء حار الجو ، وذلك قاريه ، وذلك بارده ، وهذا إقليم خصب غنى بأسباب الحياة ، وذلك جدد قاحل تبسط الصحارى عليه أجنحتها ، وغيرهما ساحلى يشتمل أهله بالنفوس على القؤلؤ والرجان ، وعليهما يشدون في حياتهم .

واختلاف الظواهر الطبيعية في بلاد العرب جعلهم يختلفون طبائع وصناعات ومهن ؛ كما يختلفون حضارة وبداءة ، وهؤلاء هادئون إلى حد ، وأولئك ثائرون إلى غير حد ، وهؤلاء يصطنون التجارة ، وأولئك يزاولون الزراعة ، وقد تجد منهم من له حظ من الصناعة ، وكل هذا التباين كان له أثره في أدبهم بوجه عام ، وفي شعرهم بوجه خاص .

لذلك كان لزاما علينا أن نتناول وصفها بالتفصيل ؛ حتى تكون الأحكام التى نصدرها على شعرهم قائمة على أساس من العلم قوى سليم .

ونستطيع أن نقسمها إلى سبعة أقسام هى أم أنظارها في العصر القديم ، وأعظم أقاليمها في الأيام الأولى ، وإلى هذه الأقاليم ينسب الشعراء جميعا ، وفيها الأماكن والعيون ، والجبال والصحارى ، والقرى والمدن التى ترد أسماءها في أشعارهم ؛ كما أن فيها أسماء الحيوانات والنباتات التى تفيض بها أشعارهم في أوصافهم أو تشبيهاتهم « انظر المصور » .

وتلك الأقاليم هي : الحجاز ، واليمن ، وحضرموت ، وعُمان ، والبحرين ،  
والصحاري ، ونجد .

وأعظم هذه الأقسام في القديم والحديث الحجاز واليمن ونجد .

١ — فأما الحجاز فيقتبس مكانته الرفيعة ، ومنزلته الشاه ، من قدسيته ومقامه الديني ؛  
ففيه مكة المكرمة أم القرى ، وبها بيت الله الحرام الذي قام على بناءه نبيان كريمان :  
إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام في واد ضيق ، وصفه الله سبحانه على لسان رسوله  
إبراهيم داعياً ضارعاً : « رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ  
الْمَحْرَمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْتَمِعْ أَهْلُكَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ  
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » .

وقد جعل الله سبحانه هذا البيت مجتمعا للحبيج ، وأما لللاذين : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ  
مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمَأْكُوفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ  
هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ، مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، قَالَ وَمَنْ  
كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ أَصِيرٌ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ  
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وفيه يثرب التي سميت بعد الإسلام مدينة الرسول ، وهي حاضرة الإسلام في عهد  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعهد خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان .

وفيه الطائف ، وهي مدينة حصينة منيعة ، كانت مصيف السراة . قال النخعي يتحدث  
عن فاطمة أخت الحجاج ، ويصفها بالرأفة والتعاضد :

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وقد ضرب بمناعتها المثل ، فقال الشاعر :

٢ : تمننا أرضنا من كل حي كما امتنمت بطائفتها ثقيف

وفها خير ، وهي مدينة حصينة كذلك ، كان يسكنها اليهود قبل الإسلام ، ولقي

السلون من كيدهم وحربهم عنا ، وهى على عكس الطائف ؛ إذ كانت وخة الهواء ، كثيرة الوباء ، قال الشاعر :

٣ : وقت بها أبكى ، وأشعر سخنة كما اعتاد محوما بخير صالب

والهجاز كما ترى يختلف فى هوائه ، وينباين فى جوه ؛ فكة مشق لأن جوها أميل إلى الحرارة ، والطائف مصيف ؛ لأن جوه جميل ، وهواءه عليل ، وخير ويثة وخيمة .  
وبيش أهله على بعض مايزرعون وما يستوردون من الأقاليم الأخرى ، وشرابهم من الميون اللبثقة ، والسيول للنهرة ، ومن حيوانه الخيل الكرائم ، والإبل الميجان ، ومن وحوشه النزلان والدئاب ، والأسود والضباع ، ومن طيوره العقبان والغربان ، والنعام والحمام . ومن زروعه النخيل والأعناب .

٢ — أما اليمن فيستمد مجده من عظمتة الثالثة ، ويقتبس عظمتة من مجده الخالد ، قد كان مقرا الملك عظيم ، وموطنا لسلطان كبير ، وعاصمته صنعاء ، وكان فى ظاهرها قصر غدان ، ومن مدنها ظفار التى اتخذها بعض ملوك حير حاضرة لدولته ، ومن مراقنها عدن ، كانت — ولا تزال — من أهم الموانئ على المحيط الهندى .

وهذا الإقليم ينقسم طبيعيا إلى ثلاثة أقسام :

( أ ) السهل الساحلى ويعرف بتهامة .

( ب ) المرتفعات الجبلية ، وهى موازية للساحل . ( ح ) الصحراء الشرقية .

وستقرأ فى الفصل الثالث من هذا الكتاب الكثير من مظاهر مجد اليمن وعزته فى العصور الجاهلية الأولى .

٣ — وفى الجنوب الشرقى لليمن إقليم حضرموت ، وكان فى العصور الأولى إقليبا قويا ذا مملكة عظيمة ، بلغ من قوته أن حاصر مملكة مملكة سبا ، فارتفع نجم ذلك الإقليم ، وكان ذا صلات تجارية مع جاراته .

٤ — وعمان فى الجنوب الشرقى لحضرموت ، وهى ذات ساحل طويل على الخليج الفارسى ، ويستمد أهلها ثروتهم من النوص على اللآلى واستخراجها ، والتجارة فيها .



٥ — وإقليم البحرين ، ويمتد من عمان إلى حدود العراق ، ومن بلاده هجر وقطر ، وأهل كاهل عمان ينوصون على اللآلى\* ، ثم يتجرون فيها .

وجوزء الساحلى مشتل جميل الهواء ، أما الجزء الداخلى غار\* ، ومن محصولاته البلح والتمر ؛ حتى ضرب المثل بهجر فى جودة التمر ، فقيل « كناقل التمر إلى هجر » والبن والحبوب والقواكه ، ومن حيوانه الخيل والإبل والبقر ، والحير والبغال ، ومن وحوشه الأسود والذئاب والضباع ، والزراف والقرود ، والتعام .

٦ — أما وسط الجزيرة فصحارى مترامية الأطراف ، لا يكاد النظر يدرشها ياتها ، ولا يوشك الطرف أن يبلغ غاياتها ، يمرى فيها السراب ، جريان الماء فى الأنهار ، وتظهر فيها الوحوش الكاسرة ظهور الحيوانات الآنة فى الحقول الناضرة .

فن هذه الصحارى : « صحراء الدهناء ، والنفود ، والأحفاف » وبعض أجزاء هذه الصحارى خصب ، وإن تكن رملية ، فإنها تصير بسقوط الأمطار من أجود المرمى ، وليست التربة فى الدهناء والنفود متجانسة ، فهناك بعض جهات لا يرى فيها غير آكام الرمال ؛ تكاد تبطلع السابلة لنعومتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها الجوارى ابتغاء السلامة لأرواحهم وأرزاقهم .

وتألف فى بعض أجزائها دارات يكثر فيها النخيل ، كما أن بها مناطق خصبة كجبل شمر فى جنوب النفود ، إذ تنحدر إليه المياه من جبل طي\* « أجا وسلمى » المتدين من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، ولهذا الصحارى فى الشمر الغربى ، وفى الوصف بالذات الأثر العظيم .

٧ — أما نجد فيقع فى الشمال لهذه الصحارى ، وهو قطر خصب ، والمناطق الخصبه منه تطوقها الدهناء شرقا وجنوبا ، كما تطوقه النفود من الشمال ، وتتسع للمنطقة الخصبه على الجانب الشاطئ للبحر الأحمر .

وحاضرة نجد الآن هى « الرياض » وتقع فى إيالة المارض ، وهى للمروفة قديما بالجو والروض والعيامة ، وتقع بين سدير شمالا ، وانطرق والحريق جنوبا .

ومن مدن نجد الصغيرة الآن اليمامة ، وتقع على مجرى عين فرزان ، وكانت قديما تطلق على منطقة واسعة .

وقد تنقش الشراء قديما بجو نجد ، وبجمال هوائها ، حتى من لم يسكن نجدا ، ولا عرف جوها ، ولا استنشق هوائها ، وليس كل الإقليم مستدل الهواء ، لكنه يختلف باختلاف المنطقة ، فالخريق ووادي النواصر حاران مثلا .

وبنجد من الحيوان الجبارى والنعام ، وابن آوى وبر الوحش وحماره .  
ويطول بنا مجال القول لو حاولنا حصر جميع البلاد التى ورد ذكرها فى الشعر العربى ، على أننا سنحدد فى تفسير الأبيات كل مدينة ، أو قرية ، أو جبل ، أو بركة ، أو عين ترد فيها تقدمه من نماذج ، وحسبنا هذا الذى قدمناه فى تخطيط جزيرة العرب .

## جـوّ بلاد العرب وأثره فى شعرهم

هذا المرض للموجز لأهم أجزاء بلاد العرب ، ولطبيعتها يهيب لنا أن نحكم حكما صالحا مبسوطا على جوها ، فجوها له أثر عظيم فى شاعرية أهلها ، ففى فى أكبر مناطقتها قارية الجو ، ماعدا بعض المناطق الساحلية ، وقد أجلنا ذلك قبل ، ففصل هنا هذا الإجمال :

١ — تظهر الحرارة النطوية على « الرطوبة » فى السهول الساحلية ، وبخاصة فى نهاية بلاد اليمن وإمارة البحرين ، ومن القبائل التى كانت تسكنها بكر وأسد وتميم وأزد وغيرها .

٢ — تشد الحرارة الخالصة فى الرهاد التى تتوسط الجزيرة ، وفى الوديان الواطئة ، ويمتد الهواء فى المرتفعات والتجاد .

ومن القبائل التى كانت تسكن هذه الأقاليم : بنو حنيفة وبنو قشير ، وجمدة وبربرع ونمير وكلاب ، وغيرها .

٣ — ويتميز البحر الأحمر بمجوه الحار ، فيمد الأقاليم الناحية له بالدفء فى الشتاء ، ويلطف من رمضاء الصحارى التى على شاطئيه صيفا .

ع — ونجد — كما قلنا — من أجل بلاد العرب جوا ، لذلك تنفى بصباها الشراء ،  
وقالوا عنها : إنها تهب من مطلع الشمس ، كما قال ابن اليمينة :  
ألا يا صبا نجد متى هبت من نجد ؟ لقد زادنى مسراك وجدا على وجد  
وتقابل هذه الريح الجميلة ريح الدبور ، وهى تهب من مغرب الشمس ، ومن ذكر  
الأعشى لها واصفا سير ناقته قوله :

لها زجل كخفيف الحصا صاف بالليل ريحا دبورا  
وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فى حديث ، فقال : « نصرت بالصبا ،  
وأهلك عاد بالدبور » وما زال الشراء يتحدثون بمرارها ، ويلهجون برياها ، فيقول قائلهم :  
تتبع من شميم عرار نجد فابعد العشية من عرار  
ألا يا حبذا فحات نجد ورياروضه بعد القطار  
وقال غيره :

فقاودعا نجدا ومن حل بالحيى وقل لنجد عندنا أن يودعا  
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمترجا !  
ولم تكن بلادهم تجرى من تحتها الأنهار ، أو تسعد جميع أقسامها بالمطار ، فأحبوا  
المطر وعشقوه ، فعملوا منه دعاء لأحبائهم ، وأمانى لأعزائهم ، بل دعوا بالسقيا للأيام ،  
وقدمهم شمراء ؛ الأنهار من طرقهم ؛ والماء بفض سبلهم ، قال ابن زيدون الأندلسى :  
يسق عهدهم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رايحينا  
وقال أحمد بك شوقي :

١١ : سقيا لهد كأ كفاف الربا رقة أى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا

ولنقرم إلى الماء ، كانت غلاتهم محدودة ، ومحصولاتهم محصورة ، فلا تكاد تجد  
من هذه الثلات غير ما قدمنا شيئا ، والذى قدمناه لا يستغنى به شئ ، لذلك كانت لهم  
رحلتان تجاريتان : إحداهما إلى اليمن زمن الشتاء ، والأخرى إلى الشام زمن الصيف ،  
وكأنهم بهاتين الرحلتين كانوا يتقون الأجواء عند اجتلاب الأرزاق .

## تقسيم القبائل العربية على أجزاء بلاد العرب

١ — كانت قبيلة قريش « واسمه فهر » تسكن مكة ، وقد تفرع إلى بطون كثيرة ، منها : الحارث ، ومهارب ، وتيم ، وعامر ، وخزيمة ، وسعد ، وعدى ، ونخزوم ؛ وكانت لقريش و بطونها الزعامة الدينية في العصر الجاهلي ، ثم ثبتت بيعة الرسول الكريم من قريش ، وبسط في رقعتها ، فجعلها تشمل العالم الإنساني .

٢ — وكانت قبيلة ثقيف وهي حى من هوازن تسكن الطائف ، ولها به حصانة ومناعة ، وغنى وثروة ، وكان يسكن الطائف مع ثقيف بنو عدوان وبنو الحارث وبنو سعيد .

٣ — وكانت المدينة وطنا لقبيلتي الأوس والخزرج القحطانيتين ، وهما على ما بينهما من صلات الرحم كانتا متعاديتين ، فالمدواة مستحكة ، والحرب بينهما متصلة ؛ حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام .

٤ — وكانت هذيل تسكن جبالا بين مكة والطائف ، وقد اشتهر الهذليون بشعرهم الرقيق ، ونسبهم المذهب الجليل .

٥ — وعذرة إحدى القبائل الحيرية النازحة إلى بادية الحجاز ، وقد اشتهر أهلؤها بالنزل العفيف ، ونفيتها بالجمال الرائع .

٦ — وكان يسكن اليمن أبناء مغطان ، وهؤلاء كان لهم فرعان : فرع كهلان وفرع حير ، وقد تمددت رحلات أولئك وهؤلاء ؛ حتى سكن بعض القحطانيين من أبناء كهلان الحجاز ، كالأوس والخزرج ؛ ومن فروع كهلان : طي\* ونظم وجذام و مراد وكندة ومهدان ومذحج والأرد .

٧ — وكان يسكن حضرموت بطون من كندة تسمى نجيب ، وفي حدودها من الشمال الأحقاف ، وكانت مسكنا لعاد قوم هود عليه السلام .

٨ — وكان يسكن عمان بعض قوم طي\* ، ومن أشهرهم بنو نهبان ، كما كان يسكن البحرين قبائل من تميم ، وهم عدنانيون مضررون .

## أثر البيئة في الشعر العربي

البيئة أعظم العوامل المؤثرة في الأدب ، بل هي في واقع أمرها ، وقوة وقها تعتبر الخالقة لبعض ضوئه ، السكونة لأكثر عناصره ، فإنها تخلع عليه جميع ألوانها ، وتهب له كل مظاهرها ، بل هي تحرمه ما حرمته ؛ وتمنحه ما مننته ؛ ليس ذلك شأنها مع الأديب أو مع الإنسان غلب ؛ بل هو شأنها مع الحيوان ؛ فالحيوان يتلون بلون يشته التي يعيش فيها ؛ ويتكون شكلها ؛ فيبدو مثلا أصفر اللون ؛ صلب الأعضاء ؛ ضامر الجسم ؛ شرس الطبع ؛ إذا كان يعيش في الصحراء ؛ فعي التي خلعت عليه صفة رملها ؛ وصلابة صخرها ؛ وقلة الغذاء فيها ؛ طعاما وشرابا جعلته ضامر الجسم ؛ وقلة انخراطها جعلته شرس الطبع ؛ فإذا تركت الصحراء إلى إقليم ساحلي خصب وجدت لونا أبيض ؛ وجسا ريان ممثلا ؛ وطعما لنا هادئا ؛ وإذا كان هذا هو تأثير البيئة في الحيوان ؛ فما بالنا بتأثيرها في الإنسان ؟

إنها نعلمه بطائها ، ونسمه بسبتها ؛ فالرجل الذي يعيش في الصحراء يألف مناظرها ؛ ويأس إلى كواصرها ، وقد يشق بعض حيوانها ، فيتخذ منها أصدقاء ، يستدنيها بصوته الذي يشبه أصواتها ، ويتألفها لونه الذي يقارب ألوانها ، ويجد فيها سلواته ، ويلقى فيها هويته ؛

١٢ : عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أظلم  
لذلك نجد الشعراء الذين يعيشون في الصحاري أجزل لفظا ، وأوضح معنى ، جزالة ألفاظهم قوامها حسم لكل صلب ، وشغفهم بكل غليظ ، ووضاعة معانيهم أساسها تلك السماء الصافية التي منحت قلوبهم صفاءها ، وأخيلتهم بساطتها ، فإذا جاوزت الصحراء إلى إقليم حضري يكسو الخصب حقوله ثيابا من الأشجار الباسقة ، والأزهار الناضرة والأثمار البايضة رأيت في ألفاظهم رقة ، وفي معانيهم خيالا مركبا ، فمن ذلك الذي يستطيع أن يحكم أن هذه الأبيات لشاعر جاهل دون أن يكون عالما ذلك من قبل ؟

قال للنخل البشكرى ندم النمان ومجير ، والنمان كان ملكا على الحيرة من  
قبل القرس :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في يوم مطير  
الكاعب الحناء ترمل في الدمقس وفي الحرير  
فدفتها فتدافت مشى القطة إلى الندير  
ولتمتها فتفتت كتفها الطلي القير

إن الحضارة التي كان يحيا فيها ، والبيئة التي عاش بها هي التي رقت شعره ؛ حتى  
لكأنه الماء القراح سلاسة وعدوبة ، وهي التي أوحى إليه بتلك المعاني الرائعة الفزلة ، ثم من  
يحكم بعد ذلك بأن قائل الأبيات السابقة كان يعيش في عصر واحد مع قائل هذه الأبيات ؟

مهتفة بيضاء غير مفاضة تراثها مصقولة كالسججل  
تصد وتبدي عن أسيل وتنفق بناظرة من وحش وجرة مقل  
وجيد كجيد الرم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمطل  
وفرع يزين للثمن أسود فاحم أثيث كقنو النحلة المتعكل

غداؤه مستشزرات إلى العلا نضل القاص في مشى ومرسل : ٢١

إنه يستند غرابته حين يعلم أن قائل هذه الأبيات ملك ابن ملك ، ولكنه سيزول  
عجبه حين يعلم أن البيئة التي عاش فيها كل منهما هي الموحية إليه : لفاظته ومما يه .

## الفصل الثاني حقائق أدبية

شاعرية الأسم :

الشعر في جميع الآداب العالمية هو سفير الشعور ، ورسول الوجدان ، ومرجان العاطفة ، ذلك شأنه في جميع الشعوب ، لا ينفرد بهذا شعب دون شعب ، ولا يتميز به أمة دون أمة ، وإنما تتفاضل الشعوب بمقادير ما وهب لها من رقة في العاطفة ، وتوفز في الحس ، وتتمايز كذلك بيقظ الوجدان ، وانفساح الخيال ، فتقو وهب الله للأمة من هذه المعاني قسطا أو فر بلفت في الشاعرية درجة أعلى ، وإذن فمن الغلو في التعبير أن تقول :  
« في الأم الشاعرة وغير الشاعرة ، وللطبوعة على القن والآخذة فيه بضروب المحاكاة والتقليد » .

وإنما القصد في التعبير أن تقول : في الأم من أوتيت استعداداً طبيعياً للشاعرية على مدى واسع ، ومن أوتيت من هذا الاستعداد حظاً ضئيلاً ، لا يقوم بشيء إلى جانب تلك ، ومن هنا تفاوتت القوى الأدبية بين الأمم ، واختلفت للمايير ، فرجحت في هذا الشعب ، وشالت في ذاك ، وكانت بينَ بينَ في ثالثهما .

وهذا ملحوظ مشاهد في القديم والحديث ، فإننا لا نستطيع أن نحكم على شعب بموت الحس ، وخمود العاطفة ، فكل الأم فنون ، الشعر أحدها ، كان للأمة الرومانية أدب وشعر ، ولا ينبغي هذا الكون أنه أقل من الأدب اليوناني والشعر اليوناني درجة ، وما يقال عن الرومان يقال عن الفرس ، ويحكم به على غير الرومان والفرس .

استموت مصرى الشاعرية في الشعب الواحد :

بل قد يختلف الشعب الواحد في مدى استعداده الطبيعي ، وتهيشه النظري ، ولعل

أبناء جنوب مصر أو فر استمداداً للشاعرية من أهل شماله ، وإن كانا جميعاً ذوي استمداد ، يبدو لنا هذا في غير المتفقين من أبناء الوادي ، إذ تكثر الأغاني الشعبية في صعيد مصر ، وتقل في دالها ، وهذا الفناء الشعبي هو البيئة الأولى في الأدب الرفيع ، والنن الجليل . وهذا هو الشأن في الأمة العربية ، فإننا نرى القحطانيين أقل حظاً في نظم الشعر وإنشائه من المدنايين ، وأولئك الذين نبغوا فيه منهم لم ينبغوا إلا في أحضان المدنايين ، وبين أبنائهم .

### أثر البيئة في الاستمداد الطبيعي :

والاستمداد الطبيعي - فيما نرى - أثر من آثار البيئة في الشعوب ، وعنصر من عناصر تأثير الأجواء والأحياء ، يعلو على جميع الآثار ، ويسمو على كل العناصر ذات الأثر في رقى الشعر بخاصة ، والأدب بعامه ، وفي انحطاطه ؛ فالقطرة الإنسانية من أقوى مكوناتها الجو الذي يحيا فيه صاحبها ، والطبيعة الجغرافية التي تخلق ذلك الجو .

وعلى أي فالإنسان ابن بيئته ، وهو في بداءته وبدأوته أسير عائلته ، تبسط عليه ظلالها ، وتنشر فوقه لواءها ، تتحكم فيه فيثور ويفور ، أو يسكن ويهدأ ، وينبسط وينشرح ، أو ينقبض وينكس ، يفضل ذلك للتوافة من الأمور ، والصنائع من الشئون ، فكلم من كلمة عابرة أثار حرباً ضرورياً ، وكلم من نظرة عابرة استولت على قلب جاد صارم .

شأن الإنسان في فطرته وسداجته كشأن الطفل في نشأته وطفولته سواء بسواء ، ولم لا ؟ إنه في معرفة كنه الحياة ، والبصر بأحوالها ، والتفكير في أسرارها ومعانيها ما يزال طفلاً ، وإن جاوز طور الكهولة ، بل وإن بلغ مرحلة الشيخوخة .

فإذا ما أخذ من الحضارة بموامل التفكير والتأمل ، والتقليد والحاكاة بدأ يحكم عقله في بعض الأمور ، ويرسل فكره وراء القليل من الشئون ، وهكذا يتدرج في التأمل والتدبر ، حتى يصل إلى مستوى من الدنية والحضارة يتيح له أن يتفكر وينشئ ، وأن يتخذ من هذا الذي يتفكره وينشئه أسباباً للكتابة .



### اهتمام الشر على العقل :

يصبح العقل حينئذ الهادى إلى الإنشاء والاختراع ، وعليه يعتمد النثر فى تسجيل ما ينشئ\* ، فى حين ينبعث الشر كما قدمنا من نمة بعيدة كل البعد عن هذه السبيل ، تلك النعمة هى الماطقة ، وهى الشعور .

ولذلك نجد الشر الفلسفى أو العمد على الشئ متأخرا فى نشأته عن الشر العاطفى ، لأنه يتخذ العقل رائداً له ، ولا يعول على العقل ذلك التعويل إلا الشعب المتدين ، انظر إلى الشر الجاهلى تجده خاليا من المانى الفلسفية ومن النظرات السيقة ؛ إلا للقليل من الشعراء الذين نظروا فى الكون ، وتأملوا فى الوجود ، فجاءوا بمعان لا يقيم لها وزن إذا قيست إلى معانى شاعر عاش فى حضارة ، هى إحدى آثار العقول والأفكار .

### سبب الشر للنشر :

وعلى هذا نقول : إن الشر يسبق النثر فى الوجود سبق تحكم الماطقة فى الإنسان دون العقل ؛ ونحن لا نقصد بالشر الشر الكامل فى جميع عناصره ، وإنما نقصد المحاولات الأولى لقوله ، دون نظر إلى نشأته وطريقة هذه النشأة فيما عدا أنه مصور للمواطف ، معبر عن الإحساسات ، مثير للذة تقدير الجمال .

وإذا كان قد ورد عن العرب غير هذا فلأنهم عَنَتُوا بالنثر نحواً غير الذى نعتيه نحن الآن ، عَنَتُوا به نثر الحديث فى شئون الحياة الهينة التى لا يحتاج المتحدث فيها إلى إعمال الفكر ، وإيمان النظر ، أليس هذا هو ما يدل عليه قول قائلهم :

« وكان الكلام كله منشورا ، فاحتاجت العرب إلى الفناء بمكلام أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأجماد ، وسمحاتها الأجواد ؛ تهب نفوسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهوا أعاريض ، فصلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به » .

فصوق أن فى هذا التصوير وهما كثيرا ؛ إذ ظنوا علم الأوزان سابقا لقول الشر ، فإنهم

لم يقصدوا إلى النثر الفني ، وإنما قصدوا إلى النثر الخطابي الذى يتناول مختلف شئون الحياة اليومية من بيع وشراء ، وطعام وشراب ، وصيد ورمى ، ونوم ويقظة ؛ إلى غير هذه الأمور التى تقوم عليها الحياة الإنسانية الساذجة .

أما النثر الفنى الذى يعبرون به عن رأى خطير ، أو يرمون من ورائه إلى أمر عظيم ، أو يعبرون به عن فكرة عميقة يمدون إلى تصويرها به ؛ لتفتتح بها العقول ، وتؤمن بها الأفكار ، فهم يريدون فرض الرأى ، أو الإقناع بالفكرة ، فلم يسعدوا بالوصول إليه .

وها نحن أولاء نرى فى ريفنا شعراء ، لا ينقص شعرهم خيال ، ولا تعوزه عاطفة ، ولا يحتاج إلى حسن تصور ، وإنما ينقصه اللفظ الصحيح ، ويعوزه لليزان السليم ، ويحتاج إلى دقة التصوير ، وليس كل ذلك بسالب إياه معنى الشاعرية ، فذره أنه ينطق هذه اللغة ، ولوعرف غيرها لنطق بها ، وأن موازينه وإن لم تكن سليمة فمى أقرب إلى السلامة ، ودقة تصويره طريقها التأمل والتأنيق ، وكَم من الشعراء اللطوعين تنقصهم دقة التصوير .

### الشعر بذرة النثر الجاهلى :

والنثر الفنى الجاهلى الذى يثير اللذة ، ويبعث على الإعجاب نادر ، وهو فى مقداره إذا قيس إلى الشعر ليس شيئاً مذكوراً ، وإذا نظرنا إليه على اعتبار أنه معبر عن العقل لم نجد له وجوداً ، وإذا أغفلنا ناحية الوزن حق لنا أن نقول : إن الشعر هو البذرة الأولى فنثر ؛ لأنه كله أوجه خطب ، والخطب قوامها الماطنة ؛ على أنها فيما نقد قليل لا تكاد تذكر ، وما وصل إلينا من النثر غير الخطب لا يبدو أن يكون حكماً متفرقة ، أو أمثالا منتشرة أمثلتها مناسباتها ، وخلقتها أسبابها ، يتورها من الشك فى نسبتها إلى قائلها ما يعتبر الخطب والقصص .

### أطال للمضريين شرأى ؟

إني أخالف جبهة من زعماء الأدب عربون : « أن تاريخ الأدب العربي يدل على أن قد كان للمضريين نثر ما ، بل يدل على أن قد كان لهم قبل الإسلام نثر وصل إلى حد الرق لا بأس به » فإن النثر يحتاج - أول ما يحتاج - إلى الحضارة ، ومن مظاهرها الكتابة ، وقل فيهم الكتاب ، أو قل انعدم فيهم الكتاب ، ولم تكن لهم حضارة تستأهل استخدام العقل في تصوير مظاهرها ، أو وصف آثارها ، وإن تكن قد كانت تصور شعراً لسهولة ، وجمال نغمه ، وإذا قلنا مع أولئك القائلين : إن العرب كان لهم في الجاهلية نثر فني ، فإننا سنفترض أنه نثر عاطفي ، وهو ما اتفق على تسميته في المصور الأدبية المتأخرة بالشعر للشور .

### زُول القرآن شرأى :

فإذا قيل : لماذا إذن نزل القرآن نثراً ولم ينزل شعراً ليكون التحدى به أقوى ؟ قلنا : إنه جاء نثراً ليكون التحدى أقوى وأقوى ، فدرجة النثر أقل من درجة الشعر عندهم ، فإذا جاء نثر أقوى من الشعر كان ذلك برهاناً قوياً على أنه أرق من أي نثر آخر .

وحينما وصف العرب القرآن الكريم بأنه شعر ، ووصفوا الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه شاعر كانوا على يقين بأن القرآن ليس شعراً ، وبأن الرسول ليس شاعراً ، فليست لقرآن سمة واحدة من سمات الشعر ليست له معانيه القائمة على الخيال المحض ؛ وليست له أغراضه المتعارفة بينهم ؛ وليست له أوزانه للرسومة عندهم ، فالقرآن لا يشارك الشعر في غير اللفظ ؛ وهي شركة محضمة في كل كلام .

ولم يقل الرسول - وقد عاش بين ظهرانيهم ؛ وعرفوا جميع أطوار حياته كل المعرفة - بيتاً من الشعر ، وإن جاء بعض كلامه منقولاً كما قلنى روى عنه :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وإنما ادعوا هذه الدعوى ؛ لأنه أرق من النثر ، فيجوز أن يعد من الشعر ، أو يجب ألا يعتبر من النثر .

## التوسع في معنى الشعر :

وإذا صح لنا أن تتوسع في معنى الشعر ولم نقيده بما قيده به العرب من أنه الكلام اللوزون اللقي ، وجعلناه الكلام للنبث عن الماطقة ، والذي يقصد به صاحبه إثارة لذة السامع استطعنا أن نحكم بأنه أقدم من النثر دون أن يخالفنا في هذا الحكم من يزعم أن النثر أقدم ، لأننا سندخل في نطاق الشعر عندئذ الخطبة والقصة ، وهما تعهدان على إثارة الشعور ، وتوافر الخيال ، على أن من العرب من وصف الشعر بأنه « شيء يجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنا » .

## صفوة القول في سبب الشعر للنثر :

بعد كل هذا البسط نستطيع أن نقول : إن الشعر أسبق من النثر بجميع فنونه ، أسبق من القصة والخطبة ، والحكمة والثلث والمقالة ، فقد اتخذ الناس منذ إدراكهم لمعنى الحياة المبر عما يكونون ، والتاطق بما يحسون ، والمصور لما يجيش به قلوبهم من انفعالات ، وما تختلج به أفئدتهم من خواطر وإحساسات ، فولجوا بابه ، واستخلصوا لبابه ، في حين أحكم النثر الفنى دونهم رتاجه ، وبالنسبة إلى إحصاء مقالاته ؛ لأن هذا - كما سبق - عماده العقل والتأمل ، وميانه الفهم والتفهم .

وأنى للألم في بدايتها وبدواتها كل أولئك ؟ إن أبناءها - ولا نسقتى - يتيهون في مجاهل من الجهالة ، ويسبحون في صحارى من البداوة ، ولن يكون علم مكتسب مع جهالة مطبقة ، ولن يتفق فهم دقيق مع بدلاوة مفرقة ، وهام أولاء بعض سكان المجاهل الإفريقية ممن لم تفرم الحضارة ، ولم تفتح عقولهم للدنية لهم أغانيهم المبررة عن آمالهم ، وأناسيدهم المصورة لأشجانهم ، وهى دون شك شعر بمعناه الأعم الأفصح .

فلا علينا أن نقول بعد هذا الرض الراضح ، والبسط الضافي : إن الشعر ليس أسبق من النثر لغب ، بل هو أسبق منه بآماد بييدة ، تستوى في هذا الحكم جميع الآداب العالمية ،

ولا يضيرنا في حكمنا أن يكون الشر سطحي الخيال أو عميقه ، ضيق الآفاق أو واسعها ، متعدد الأغراض أو محصورها ، ضيف الأسلوب أو قوته ، غنط التركيب أو منسقه ، مختل الوزن أو مستقيم ، فكل تلك تقبلور مع الزمن ، وتستقيم مع الحياة ؛ فإن كل موجود في هذا الوجود تنوره أطوار الحياة المتعاقبة ، وتتداوله تقلبات الزمن وتنيراته ، كل موجود ينجم ثم يحبو ، ثم يدرج ... حتى يشارف السكال ، ولا نقول حتى يصل إلى قة السكال ، ثم تدول دولته ، وتحبو شعلته ، فيعود كما كان .

### حال الشر الأولى :

ليس أسر النثر منازيراً لأسر الشر ، فلا بد أنه كان في أول أمره سقيم الفكرة ، وإن يكن وليدها ، قليل الجدوى ، وإن يكن صادراً عن عقل يتدبر ، والتاظر في النثر الجاهلي لا يستطيع أن يحكم دون أن يرى بالهوى بأنه رفيع السكانة خطير النزلة : من الناحية التفكيرية أو الأسلوبية أو الموضوعية ، مع أن ما وصل إلينا - على فرض صحته - هو أفضل ما قيل ، وأبلغ ما ارتجل ، وأحكم ما سجل ، وإلا لما حفظته الحوافظ ، وتحدث بحاله الرواة ، واعتنى بنسجه المؤدون والشداة .

على أي أكاد أوقن أن هذا النثر الذي يروى بعضه شيوخ الأدب - كصاحب الأغاني وصاحب الأمالي وأضرابهما - وهو منسوب إلى بعض الجاهليين ، وفي بعضه قصص وجمال تصوير ، وأوحكة وتأنق في التعبير - من وضع الرواة والمحدثين الذين رغبوا في أن يرضوا عن الخلفاء ، أو أن يشيدوا بقول القدماء ، وحسبنا هذا القى قدمناه .

### فضل الشر على النثر :

اتفق الأدباء - إلا القلة الضئيلة - على أن الشر جملة أفضل من النثر جملة ، ونحن ممن ترى هذا الرأي ، ونقيم الأدلة على سداحه وصوابه فنقول :

## ١ - فضل القرآن على الشعر :

إن العرب طرا حينما بهرم القرآن ، وأخذتهم بلاغته زعموه شعرا إيمانا منهم بأن الشعر أفضل من النثر ، وهذا الكلام الذى يحاجهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله أجود من ثرم ، وإذن فلا عليهم أن يدعوا أنه شعر ، وإن فقد مقوماته من خيال ووزن وقافية وموضوع وأسلوب .

## ٢ - فضل الشعر على الفنون الجميلة :

الشعر أحد الفنون الجميلة ، ولكنه منها واسطة عقدتها ، وبدر فراقدها ، فأين منه النقش والتصوير ، والنحت والموسيقا ؟ إن فيه إلى نظمه ورصفه صوراً تبهر هرة للصوريين ، وجمالاً يسحر نوابغ الرسامين ، والموسيقا لاتسمو إلا به ، والغناء لا يخلو إلا فيه . إنه يتألق بين الفنون فيفيض عليها حسناً ، ويمدحها وضاعة ولألاء ، فأى فن جميل ليس للشعر فيه الأثر الرائع الجميل ؟

## ٣ - سمو موضوعات الشعر :

موضوع الشعر أعلق بالقلب ، وأقرب إلى النفس من موضوع النثر ، بل من موضوعات الفنون الجميلة التى لاتمتد عليه ، والنثر إذا تجاوز موضوعه ، وحل فى غير أفعه ، واعتدى على موضوعات الشعر عد متطعلاً ، وقيل عنه إعلاء لشأنه مع هذا التطفل : إنه شعر منشور ؛ لأنه يحمل موضوع الشعر وأخيلته ، ويقتبس ألفاظه وموسيقاه ، وإن لم تسم إلى موسيقا الشعر .

## ٤ - رأى ابن رشيق القيروانى :

ولا غلباً فى حججنا إلى ما ذكره ابن رشيق فى كتاب العدة من أن الشعر يفضل النثر لأسباب فنية ، « وأن كلام العرب نوعان : منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ومتوسطة ورديئة ، وأنه إذا انتقت الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة ( ٢ )

ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشر ظاهرهما في التسمية ؛ لأن كل منظر  
أحسن من كل منشور من جنسه ؛ فالشر وبه يشبه اللفظ إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ،  
ولم ينفع به في الباب الذي كسب له ، وانتخب من أجله ، وكذلك اللفظ إذا كان منشوراً  
تبدد في الأسماع ، فإذا أخذ سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده .  
فن أدبائنا من يصف هذا القول بأنه كلام ضعيف ، وإن يكن بيان ذلك الأديب  
أضعف من بيان ابن رشيق ، وليس هذا مجال تفصيل نقده .

### • - خطر موضوعات الشعر :

وأولئك الذين يقولون إن موضوعات النثر أخطر من موضوعات الشعر جد وإهمين ؛  
فالشر يتناول الكون بأجمه ، وموضوعه كما قال غيرنا : الله والإنسان والطبيعة ، فهو  
كل مافي هذا الوجود ، على أنه يستطيع أن يتناول جميع موضوعات النثر ، بل هو الآن  
يتناول أعنف موضوعاته كالمباحث الفلسفية ، ويعتبر الشاعر الذي لا فلسفة في شعره  
شاعراً سطحياً ، لا ؛ بل قد يبلغ به إذا فلسفه ما لا يبلغه بالنثر ، وهذه لزوميات أبي العلام  
تجمع بين قوة العقل واللفظ ؛ وبين قوة التصوير وحسن التنبؤ ، والشعر السياسي كان  
- ولا يزال - أقوى دعائم الدعاية السياسية ، ويكفي للدلالة على ذلك أن معاوية حين  
أراد أن يعمد للبيعة لابنه يزيد استعان لها بشعر مسكين الدارمي ، ذلك الذي يقول فيه :

ألا ليت شعري مايقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سيد ؟

بني خلفاء الله مهلاً فإنما يبوئها الرحمن حيث يريد

إذا النسر الغربي خلّاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد

وأن بيت مروان بن أبي حفصة في الاحتجاج للعباسيين على العلويين ، وهو :

٢٤ : أنى يكون - وليس ذاك بكائن - لبني البنات وراثه الأعمام ؟

كان أشد على آل علي رضي الله عنه من غلبات السيوف ، وأسفة الرماح ، بل كان هذا  
البيت دعامة من دعائم الدولة العباسية

وإنك لتجد الحكمة وحققها أن يكون النثر معينا مسجلا شعرا ونثرا ، فتحكم لأول وهلة بأنها شعراً أفضل منها نثراً ، وما هو ذا المثال الذي تؤيد به رأينا .

### موازنة بين شعر ونثر :

( ١ ) قال عبد الله بن الزبير حينما قتل عبد الملك بن مروان أخاه مصعباً من خطبة يبنى فيها أخاه ويؤنبه ، وتكاد هذه الخطبة تكون أروع خطبه ، والخطبة أقرب النثر إلى الشعر : « إنما التجلد والسوة لحزماء الرجال ، وإن الملح والجزع لربات الحجال » .  
وتناول أبو تمام الطائي هذا المعنى في تمزيته مالك بن طوق عن أخيه القاسم ، فقال :

٢٥ : خلقنا رجالاً للتجلد والأسى وتلك الفواى للبكا والمآثم

فكان البيت خيراً من الفقرة لأسباب كثيرة منها :

١ - نظمه وجرسه للوسيقى ، وهذا فضل لا يتكره إلا معاند مكابر ، وإلا من لا تطربه للموسيقا ، ولا يملك ممحيه الجرس والفناء .

٢ - لقلة كلماته عن كلمات النثر مع أن الشاعر مقيد بالوزن الذي قد يستدعى منه أن يزيد ألفاظاً ، حتى يبنى للمعنى حقه ، وحتى لا يوصف شعره بالتموض والتقصيد ، فلو وزن من الأحكام ما ليس للنثر ، فهذا الحرية المطلقة ، ولذلك التقيد المحكم .

٣ - لدقة المعنى ، فقد وصف الشاعر قومه ونفسه بأنهم خلقوا رجالاً ، وفي الجملة قصر جميل ملحوظ ، فكان أعداءهم ليست لهم هذه الصفة ، وفيها نغز نبيل واضح في حين ترك الخطيب هذا المعنى ، وقال إن التجلد والصبر والأسى المكتوم خليق بالرجال ، أو خليق به الرجال ، فجمع بين الصفتين الجديرتين بمخلق الرجال عند فداحة الخطيب وجلال الرزة ، أما الخطيب فجمع بين التجلد والسوة ، وما أدري كيف يساو الأئمة أخاه ، وبخاصة إذا كان هذا الأئمة هو البطل العظيم ، والرجل الكامل مصعب بن الزبير ؟ والفرق عظيم بين الأسى والبكاء ، فالأسى للرجال ، والبكاء للنساء ، أما السوة التي قرنها عبد الله بالتجلد فلا موقع لها هنا ، في حين أن المآثم وقد عطلت على البكاء أدت للمعنى أسد أداء ؛ فالمآثم تقام للنساء يبكين فيها ويندبن ، ليثمن الرجال للأخذ بالتأثر ، ولنسل



العار ، وخص الشاعر النوانى باليكاء ليدل على فداحة النازلة ، وشدة الكارثة ، ومن تبيكه النوانى خليف أن يبكيه غيره .

أما قرة عبد الله فلا تشتمل على قليل من ذلك الكثير من المعنى ، كما أن النقرة على الرغم من أنها مسجوعة لم تتم نغمة وجرسا وموسيقا ، وقول الخطيب ربات المجال كناية دفعه إليها التكلف والسجع ، وأجل منها دون ريب النوانى ، والملمع والمزج معانها واحد ، فلم يأت الخطيب بمجديد سوى التطويل الذى لا يدعو إليه داع غير رصف الجملة ، وإقامة السجعة .

٤ - وهناك فوق ما قدمنا فروق نحس بها وتذكرها دون أن نستطيع لها تملیلا ، ففى الإشارة إلى النوانى بتلك جمال ، ولكن كيف نطه ؟ أنقول : إنه أراد تعظيمهن بالإشارة البعيدة إليهن ؟ ولم لا ؟ ألسن غوانى ؟ أم نقول : إن للآتم كانت منه قريبة بعيدة ؟ أم نقول : إنه كان بين صنيين من الرجال والنساء ، تحدث الرجال بقوله : خلقنا رجالا ... والتفت إلى النساء فأشار إليهن قائلا : وتلك النوانى ... ؟

### (ب) مواءمة أخرى :

وهذا مثل اختلف فيه النقاد ، فهناك من فضل التثر ، وهناك من فضل الشعر ، وإتا من أصحاب رأى الأخير ، وسنورد رأى الأول ، ثم نرد عليه ونفنده ، وللقارىء الحكم بمدتذ .

قال عمر المتنبى : العقل عقلان عقل تفرد الله بصنمه وهو الأصل ، وعقل يستفیده للره بأدبه وهو الترع ، فإذا اجتماع قوى كل منهما صاحبه تقوية النار فى الظلمة للبصر وقال أحد الشعراء :

رأيت العقل عقلين فطبع ومصنوع  
ولا ينفع مصنوع إذا لم يك مطبوع  
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

زعم صاحب الرأى الأول أن الشاعر « كرر كلمتي مصنوع ومطبوع على غير داع ، وقد سلت الأولى من ذلك التكرار ، وكلمة مصنوع في الشعر تقابل كلمة مكتسب في النثر ، ومكتسب أليق بموضعا ، وأدق في الدلالة على ما يراد منها ؛ فالتعب أدق عبارة ، وأحكم تأليفا ، وأسلم من التكرار » ثم قال : « قسم كل منهما العقل قسمين ، وفاضل بينهما ، ولكنهما اختلفا في طريق الفاضلة ، فالأول ذكر أن القسمين يتعاونان إذا اجتمعا ، ومثل لهما بضوء النار يقوى البصر في الظلمة ، وذكر الآخر أنها إذا اختلفتا لم يفن المكتسب شيئا ، ومثل بنور الشمس لمن لا يبصر ، فقد اختلفا في أجزاء المعنى ، والأول بين حالة اجتماع العقلين ، والآخر بين حالة افتراقهما ، والحالة التي ذكرها المعنى أقرب إلى الواقع ، وآلف عند الناس ، فإنهم يتفنون دائما تقوية العقل للوهوب بما يكتسب من تجارب ويستفاد من علم ، ولا يطمع أحد أن يفيد غير الماقل بالعلم شيئا » فإذا ناقشنا هذا الرأى لتبين ضلعه قلنا :

١ — كان الشاعر أقدر من ناحية التأليف والصياغة من الكاتب ، فقد أوجز دون إخلال بالمعنى في حين أورد الأول في عبارته ما يمكن أن يسمى حشا ؛ إذ يقول : « عقل نرد الله بصنمه » كأن هناك عقلا اشترك فيه مع الله سواء ، هذا إلى أن الفرع جزء من الأصل وليس قسما له كما يقول .

٢ — عندى أن تكرار مصنوع ومطبوع فوق أنه أكسب البيت جرسا جميلا ، وموسيقا عذبة ، ومطابقة مستساغة فيه معنى التوكيد ، وإذن فليس من التكرار المصيب .

٣ — تشبيه الشاعر أدق وأظهر في بيان فضل العقل المطبوع على المصنوع ، على أن الأول وقع في خطأ فكري ، فالتأثير لا يزيد قوة البصر ، وإنما تخفف شدة الخلقة ، وتدفع إسراف الظلام .

٤ — كلمة مصنوع أفضل من مكتسب التي يطلبها صاحب الرأى الأول ؛ أفضل ليطابق بها كلمة مطبوع ، على أنها من ألقاظ الأدب والشعر ، فيقال : شاعر مطبوع ، وشاعر مصنوع .

٥ — هذا إلى أن ألقاظ الشعر أقل من كلمات النثر ، وإلى أن لموسيقا الشعر رنينيا يسمع الأذن رنين الجلال .

### أسباب رجاء الشعر للنثر :

وبعد فليس كل شعر خيرا من كل نثر ، بل لابد من اجتماع عدة عوامل مرجحة للشعر فوق الخيال والوزن ، فأوجه الموازنة كثيرة متنوعة منها : الأسلوب ، ومطابقة الكلام الواقع ، واختلاف الألفاظ واتساقها ، ومناسبتها للموضوع ، والإقلال من الزخارف بجميع أنواعها ، فإنها قد تعجب للعنى ، أو تسيء إلى الفكرة ؛ فالجمال فى الفاضلة فسيح ، وعناصر الموازنة كثيرة .

### نثر بفضل الشعر :

من النثر الذى يفضل الشعر تلك الحكمة الجاهلية : « المرء بأصغريه » وأكتفى بهذا الجزء منها ، فهي أفضل من قول الشاعر :

٢٩ : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم  
أما أوجه التفضيل فكثيرة منها : الإيجاز ، والحكمة كثنان ، والشعر الأول من البيت ، — وهو فى الحق موطن للفاضلة — خمس كلمات ، والحكمة أكثر صدقا ؛ لأن المرء يظهر علمه أو جهله ، وحلمه أو حمقه بأصغريه ، وإن لم يكونا نصفيه ، وتلك الكناية اللطيفة الدالة على علم بأعضاء الإنسان ، فأصغر الأعضاء القلب واللسان ، ولعدم التكرار كما ترى فى الشعر إذ كرر كلمة « نصف » وكدقة كلمة المرء ؛ لأنها أشمل من كلمة الفتى ، ولعدم الغلو فى اللبالة التى زادها الشاعر بروزا بشطره الأخير .

## لفصل الثالث

### في تقسيم الشعر

#### أقسام الشعر عند الإفرنج :

يقسم الإفرنج الشعر إلى ثلاثة أقسام : الشعر القصصى والتشبيلى والفنائى ، والقصصى كان فى غالب أمره دينيا ، يتعلق بالآلهة وأنصاف الآلهة ، وما قدموا لبنى الإنسان من أباد وصنائع ، وما حكموا لبعضهم على بعض من ظفر وانتصار ، وما أصاب غير هؤلاء من ويلات وهزائم ، ثم أثر هذه الأحكام فى حياة الناس ، كما ترى فى الإلياذة والأوديسة اللسوبيتين إلى هوميروس الشاعر اليونانى .

ولم يكن الشعر القصصى مستقيم الأوزان دائما ، بل قد يستمعى الوزن على الشاعر فلا يابه له ، وإنما الواجب الحتم هو أن يظهر فيه أثر الخيال ، فإن الشاعر وإن لم يكن فى ملحسته معبرا عن أحاسيسه ، ناطقا بما يختلج به قلبه ، وتضطرم فيه عواطفه ، فإنه معبر عن إحساسات الناس ، ناطق بما تحتلج به قلوبهم ، وتضطرم فيه عواطفهم ، فليبه أن يتصور كل هذا ، ويصوره لقارئيه أو سامعيه كأنه حقيقة واقعة ، فبشه لذلك ثقل ، وفى مثله تظهر البراعة الفنية ، فليس كل شاعر بمستطيع تخيل ما تجول به خواطر الناس وأوهامهم ، ولا بمقتدر على تصور ما تصوره لهم نفوسهم من أمان وآمال .

#### الشعر التمثيلى :

أما الشعر التمثيلى فيخالف القصصى من وجوه ، فهو يؤثر فى القلوب من نواح : فاحية السمع حينما ينطق للمثل به ، وناحية البصر حينما يرى للمثل أمامه يبرع ما يريد التصوير عنه ، لا لبسانه فحسب ، بل بحواسه الأخرى وبأعضاء من جسمه إذا استدعى التمثيل ذلك ، ثم

ناحية التصوير الدقيق الذى يحاول به أن ينسج جمهرة الرائيين والسامعين أنه أمام تمثيل ،  
ثم تصوير الجول الهوى لتخييل التمثيل حقيقة لا ريب فيها .

والشر التمثيل قوامه الفن هو الشر القصصى الدينى ، فنه نشأ ، وعليه اعتمد ،  
ثم أخذ بخطو نحو الكمال ، ويستقل عن أصله الذى منه نشأ وعليه اعتمد ؛ حتى بلغ  
الغاية ، مسار ذا أساسين : الشر القصصى والفنائى ، ثم تطور بعدئذ من الشر إلى الشر ،  
ومن الخيال إلى الحقيقة ، ومن الغرض الدينى إلى أغراض أخر .

اعتمد التمثيل على الشر ؛ لأن هذا أداة طيعة سهلة للتمثيل والحوار ، فالحوار بالشر  
أيسر من الحوار بالشر ، والتمثيل أغلب أمره حوار ومحادثة ، والأغراض الأخر التى عنها  
التمثيل سواء أكانت أغراضا اجتماعية أم سياسية أم فكاهية لا يفتى فيها الشر القائم على  
الخيال ؟ وإنما يجدى فيها الشر للتمسك على الفكرة السديدة والرأى الرشيد .

### الشر الفنائى :

أما الشر الفنائى فهو الشر الذاتى ، المبر عن عواطف قائله ، والمصور لمشاعره ، وقد  
سمى بهذا الاسم لأن قائله كانوا يتفننون به فى جميع الأمم ، وبجميع فنونه ، فهو ينشئه  
رائيا ، ويشدو به مفتخرا ، ويرجيه ناسيا ، كما كان ذلك شأن الشر القصصى  
فى أول عهده .

### أقسام الشر الفنائى :

كل شر ذاتى فهو من الفنائى ، فالشاعر الذى يأخذ جمال الزهرة أو عطرها ،  
أو تكوينها ، فيصنها ، كان هذا الوصف صادرا عن ذاته ، والشاعر الذى يستثيره إنسان ،  
فيتمسح ويفخر عليه ، ويمد مناقبه . . . كان هذا القصر صادرا عن ذاته ، وهكذا  
يقال عن جميع الأغراض المعروفة فى الشعر العربى القديم : كالنزل والثناء والمجاء  
والدح والحكمة .

### العرب وتقسيم الشعر عند الفرجة :

يقول الباحثون في الآداب العربية : إن العرب لم يكن لهم حظ من الشعر القصصى والتمثيل ، ويكادون يتفقون على هذا رأى ، وإن اختلفوا في أوجه الاتفاق ، ومن تردد منهم اعتبر بعض مقطوعات النثر التصويرى من الشعر القصصى كملقة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة من الشعر القصصى القصير ، ولنا في هذا الحكم نقاش طويل نرجو منه أن نزعزع أسسه ، ونزول أركانه ، فينتفض أولئك الباحثون حكمهم الذى أبرموه ، وليس يعيننا أن ننسب إلى العرب فناً لم يطرقوه ، أو أن ندعى لهم أدباً لم يتناولوه ، ولكنه الرأى فتتبع به ، فتدافع عنه .

### قول مؤررخى الأدب عن الشعر اليونانى :

يقولون : إن الشعر اليونانى القديم كان في أول أمره مقصوراً على القصص القصير ، ثم ضم هذا القصص بعضه إلى بعض بعد أن خطت الأمة اليونانية في الحضارة خطوات ، وصعدت في سلم اللدنية درجات ، واستطاع من قام بهذا الجمع والضم أن ينظر فيه ؛ ليجعل منه وحدة متماسكة الحلقات ؛ لأنه لا يمكن روايته وهو آلاف الأبيات إلا إذا تماسك بعضه مع بعض ، واثقلت حوادثه تمام الاختلاف .

### الكتابة والشعر القصصى :

ومما لاشك فيه أن الكتابة - وإن تكن قد عرفت - لم يكن قد يسر أمرها ، وسهلت وسائلها ، وهان على الناس استخدامها في تسجيل هذه القصص الطويلة . وعلى هذا فالإلياذة والأوديسة لم تظهر في ثوبهما التضاض الضافى إلا بعد أن نالت الأمة اليونانية من الحضارة واللدنية حظاً أقدرها على أن تحافظ على هذا التراث المجيد تلك الأجيال الطويلة من حقب التاريخ الأولى .

وما يقال عن الإلياذة والأوديسة يقال عن المهابارات والرامايانا الهنديتين ، وعن سنوسى والبحار الثرىق للصريتين ، وعن غير هذه وتلك من قصص الأولين .

لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ؟

وبعد هذا أليس من حقنا أن نسأل ؟ لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ، وقد آمن الجميع بأنهم ذوو فطرة أدبية سليمة ، وذوق فنى قويم ، وأنهم يُسامون اليونانيين فى تلك الفطرة ، وفى ذلك النوق ؟ أليس الشعر القصصى ينبع من النبعة التى ينبع منها الشعر الفنائى ؟ ولا يثير هذا الحكم اختلاف الزمان والمكان ، ثم أليس مقولا أن الشعر القصصى - ودافاه الدين والحرب ، ولكليهما عند العرب المكانة التى هى لهما عند غيرهم إن لم تنقها - قد ظهر قصصا قصيرا عند العرب ، ثم ضم بعضه إلى بعض ، أو لم يتح له من يفكر فى ضمه حتى طواه الزمان فيما طوى من أخبار وآثار ؟ أما أنا فأقول : بلى . لقد كان لهم شعر قصصى لما مضى ولما بلى .

أدلتنا على أنه العرب أنه لهم شعر قصصى :

١ - اعتدى العلماء المتقبون من الأوربيين عن أطلال الدولة السبئية فى اليمن إلى بعض الآثار ، وذكروا أن دولة سبأ بدأت فى نحو القرن الثامن قبل الميلاد ( أى حين ظهور هوميروس ) وأن أسماء ملوكهم التى سجلوها على آثارهم قد بلغت أكثر من ثلاثين ملكا .

٢ - من المؤرخين من ذكر أن سيل العرم الذى اجتاح هذا الملك الطويل الرريض : الطويل فى أمده ، الرريض فى سلطانه كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو قرن من الزمان .

٣ - تحدث المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » كما تحدث غيره من ثقاة المؤرخين « أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأترها وأغدقها ، وأكثرها جنانا وغياضا ، وأفسحها مروجاً مع بنيان حسن وشجر مصفوف ، ومساكب للماء متكاثفة ، وأنهار وأزهار متفرقة ، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحالة ، وفى المرض مثل ذلك .

وأن الركب وللاركان يسير في تلك البلاد من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لا تواجه الشمس ولا تعارضه ، لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية ، واستيلائها عليها ، وإحاطتها بها ، وكان أهلها في أطيب عيش وأرفه حال ، وأرغد قرى ، وفي نهاية الخصب وطيب الهواء ، وصفاء الفضاء ، وتدفق الماء ، وقوة الشوكة ، واجتماع الكلمة ، ونهاية المملكة ، وكانت بلادهم في الأرض مثلاً ، وكانوا على صفة حسنة من اتباع شرف الأخلاق ، وطلاب الإفضال على القاصد ، والسفر بحسب المكان ، وما توجهه القدرة من الحال ، فكثروا على ذلك ماشاء الله من الأعصار ، لايماندم ملك إلا قصصوه ، ولا يوافيهم جبار في جيش إلا كسروه ، فذلك لهم البلاد ، فصاروا تاج الأرض »

ثم هو يروى بعد ذلك شعرا ينسبه إلى ملك سبا عندما أغرقهم سيل العرم ، ويزعم أن اسمه الملك الشاعر عمرو بن عامر ، وهذا الشعر جزء من أسطورة زعموها هي أن الجرذ سُلط عليهم قلب برجليه صخرة لا يقلبها خمسون رجلا ، فنقب بنعله هذا السد الذي كان نقبه سبب غرقهم ، فقال :

أبصرت أمرا عادلى منه ألم      وهاج لى من هوله برج السقم  
من جرد كفحل خنزير الأجمل      أو تيس صرم من أفاويق الغم<sup>(١)</sup>  
يسحب صخرنا من جلاميد العرم      له مخالب وأنياب قضم  
٣٣ : مافاته سحلا<sup>(٢)</sup> من الصخر قضم      كأنه يرعى حصيراً من سلم

ومع يقيننا بأن هذا الشعر مخترع مع هذه الأسطورة ؛ إذ لم تكن لغة قوم سبا هي لغة قريش ، ولم يكن سبب انجبار السد جرذا كما تزعم الأسطورة ، فإنها تبين لنا أن ذلك انطباع الساذج الذى تخيل الأسطورة وشعرها يعترف بأن الأمة العربية القديمة كان لها شعر ، وكان بعض هذا الشعر قصصياً ، وكان من بحر الرجز أيسر بحور الشعر نظماً ، وأسهلها على الشعراء قافية .

(١) الصرم : الجماعة ، والأفاويق : الخيل . (٢) سحلا : نحتا .



وليس طعنا في هذه القصة بدافع سوانا إلى أن يظن في وصف بلاد اليمن اعتادا على أن مصدرها واحد ، فحاضرة اليمن تحدث عنها غير للسودى من مؤرخى العرب ، بل تحدث عنها غير مؤرخى العرب .

٤ — قد قيل إن الدولة التي قامت باليمن نالت من بسطة الحياة ونغمة اللذنية حداً أدى بمعاصريهم من اليونانيين إلى أن يسموا هذه البلاد ببلاد العرب السعيدة ، وناهيك بمن بلغ من المرفة الهندسية حداً يستطيع به أن يرسم سد مأرب ، وأن يشيد بناءه ، وهو بعد من أعظم ما أقامه البشر

وقصور اليمن التي تتحدث عنها كتب التاريخ تنطق بملهم الواسع ، وفنهم الزاخر ، فمن قصورها قصر غمدان الذى قيل عنه : « إنه كان ربما : أحد أركانه مبنى بالرخام الأبيض ، والثانى بالرخام الأصفر ، والثالث بالرخام الأخضر ، والرابع بالرخام الأحمر ، وفيه سبعة صفوف طباقا ، ما بين السقف والآخر خمسون ذراعاً ، وعلى كل ركن تمثال أسد . من نحاس ، إذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فمه ، فيسمع له صوت يشبه زئير الأسد » .

وإذا كان في وصف القصر مبالغة ، فإنها تؤيد رأينا ؛ لأن المبالغة دليل على إيمان المؤرخين بمحاربتهم العظيمة ، وأنهم بلغوا منها الحد الذى يقدرّون معه على إثبات أمثال تلك المجائب .

### الدولة اليمنية والدولة المحورية :

٥ — ما قيل عن دولة اليمن يمكن أن يقال مثله عن الدولة المحورية التي بهرت العالم بحضارتها ، والتي تحدث للؤرخون عنها « بأنها أول دولة أنشأت الشرائع ، وجعلتها أساس معاملة أفرادها بعضهم مع بعض ، وليس كونها دولة تشريع يمنع أن تكون دولة فنّ ، فقد كانت الدولة الرومانية دولة تشريع وضون مما ، وإذن فلماذا نحرمها حق الشاعرية في ذلك الزمن الحقيق ؟ .

## رأى الأستاذ جرجى زيدان :

٦ - يرى العالم الباحث جرجى زيدان « أن الشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره كان غنائيا ، وليس فيه من الشعر القصصى إلا نصف قليلة ، أما التمثيل فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب » .

وسرى أنه موجود فيها على صورة ساذجة تشبه إلى حد كبير الصورة التي نشأ بها الشعر التمثيلي عند اليونان ، وإن لم يسه العرب بهذا الاسم ، ولم يمثله غير قائله ، ثم يقول : « وما يمد من قبيل آداب العرب في ذلك المصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر في التوراة عربى الأصل نظم ذلك الكتاب شعرا عربيا في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح المحوريين من بين التهرين ، ثم ترجم إلى العبرانية ، وهد من الأسفار المقدسة ، وضاع أصله العربى ، كاضاع أصل كليلة ودمنة الفارسية ، فإذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الأمم إلى فرض الشعر ؛ لأنه نظم قبل إلياذة هوميروس بألف سنة ، ومهابها راتا الهند بعدة قرون » .

## خاتمة المقال فى الشعر القصصى والتمثيلى :

وبعد ، فإننا وقد بينا أن عوامل الشعر القصصى كانت متوافرة عند العرب فى عصورهم السحيقة ، فلماذا لا تؤمن بوجوده ؟ بل لماذا ننكر - دون سند - وجود الشعر التمثيلى ، وقد كان أول ما عرف أسبوريا ؟

إن هذه المدينة التى وصفنا بعض مظاهرها ، وعرضنا بعض آثارها لابد أن يكون قد تبها تقدم عظيم فى الفنون ، ومن بينها الشعر ؛ فالمقول أن يصفوا حروبهم ، ويصوروا انتصاراتهم ، ويمثلوا أبطالهم ، ويرسموا أعمالهم بالشعر القصصى والتمثيلى والغنائى ، وليس من الحتم اللازم أن يكون شعر جميع الأمم متحد الصورة متماثل اللون ، فإنه حتى الآن ليس متحد الصورة ، ولا متماثل اللون ، ولا جاريا على نمط مستقيم لا عوج فيه ، ولو أننا

قلنا غير هذا لجاز لنا أن نقول : إن الله خلق العالم كله ذا لون واحد ، ولسان واحد ، وعقل واحد ، وشعور واحد ، وليس شيء من ذلك حادثا .

### مناقشة رأي ابن الأثير في أقدمية الشعر العربي :

قلنا : إن المقول أن العرب كان لهم شعر متنوع فيه القصصى والتشبيلى والفنائى ، وأن هذا الشعر بأنواعه الثلاثة قد طواه الزمان فيما طوى ، وعفته الأيام فيما عفت ، ودع عنك رأى ابن الأثير فى المثل السائر ، إذ يقول : « والذى نقلته الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يمنها من الحاجات ، ولم تزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائدا لا ناقصا ، فقصده القصائد . . . » فإن ابن الأثير بقوله هذا إنما يقصد الشعر المنظوم بلغة عدنان ، ومع ذلك فإنه من غير المقول أن يكون الشعر قد ولد كاملا فى معانيه وفى أسلوبه وفى أوزانه ، فطبيعة الأشياء أن تنشأ ناقصة ، وتقوم شيئا فشيئا حتى تبلغ درجة أدنى إلى الكمال .

وها نحن أولاء نرى أن بدء القصائد بىكاه الديار مثلا تتابع عليه الشعراء جيلا بعد جيل ، وعصر بعد عصر ، فكيف أمكن ذلك التغير الشامل فى الشعر من المقاطيع إلى القصائد فى عهد شاعر واحد ، وفى جيل واحد ، مع أن هذا لا بد أن يستلزم تغيرا فى المعانى بالزيادة أو بالنقص ، وتنقلا للأفكار ، وتنوعا فى الخيال ، كما يستلزم حتما تغيرا فى الأسلوب ليجارى تلك المعانى ؟

### الشعر الجورابى والمعنى طام بغير اللغة العرنانية :

ولا ريب أن الشعر الجورابى ، والبنى كان بشير لغة عدنان ، كان بلطتين نحالان فى أصولهما وقواعدهما اللغة الدنانية مخالقة لابد أن تكون عظيمة ، حتى ليصعب على القارى فهمها ، وهاك ما يزيد ما نقول فضلا عن كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرى زيدان ، قال :

« قس مقدار الفرق بين لثة مضر ولثة عاتقة العراق بالفرق الذى وجدوه بين لثة عرب الشام فى أوائل القرن الرابع لليلاد بما قرءوه على قبر امرى\* القيس بن عمرو ملك الحيرة ، وبين لثة مضر عند ظهور الإسلام ، وذلك أنهم عثروا فى أطلال التجارة فى حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطى نقش فى أوائل القرن الرابع لليلاد ، أى قبل ظهور الإسلام بثلاثة قرون » .

ثم أورد المؤلف صورة الكتابة ، وقال :

« وإليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

١ — فى نفس سر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج .

٢ — وملك الأسدين وزار وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجاء .

٣ — يزجود ؟ فى جيح نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

٤ — الشعوب ووكله لفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ١٧ بكسلول بلسد ذو ولده .

ثم يقول : « هذا لسان عربى تشوبه صيغة آرامية يحتاج تفهيمها إلى إيضاح ، وهاك تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى ، وهو :

١ — هذا قبر امرى\* القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى تقلد التاج .

٢ — وأخضع قبيلتى أسد وزار وملوكهم ، وهزم مذحج إلى اليوم وقاد .

٣ — الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر ، وأخضع معدا ، واستعمل بنيه .

٤ — على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — إلى اليوم توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ١٧ أيلول ( سبتمبر ) وفق بنوه السعادة .

ثم يقول : « انظر إلى الفرق بين الأصل وتفسيره ، واللدة بين هذين المصرين ثلاثة قرون ، فكيف تكون و بينهما بضعة وعشرون قرنا » .

هوذا رأى ابن الأثير :

ذلك رأى الذى يقول به ابن الأثير هو رأى أئمة الأدب القدماء ، وقد علمناه وأظهرناه

أن أساسه الذى بنى عليه هو مآرؤه من الشر ، ولكنهم لم يُمَلِّوا فكرا ، ولا أجالوا نظرا فيها بُد من عصور التاريخ ، ولو قد فكروا لما وصموا الأمة العربية بموت المواطف ، ونضوب القرائح تلك الأحقاب العلوية .

لو قد فكروا لعرفوا أن امرأ القيس وخاله عدى بن ربيعة الذى قالوا عنه : إنه هليل الشر وغيرهما ممن جاء قبلهم وجدوا شعرا كامل العناصر تام الأجزاء فساروا على النهج الذى وجدوه ، ومتحوا من العين التى عرفوها ، إذ من الحال أن يولد الطفل رجلا ، وأن يظهر الناقص كاملا .

لو نظروا لرأوا امرأ القيس نفسه يقول :

عوجا على الطلل الخليل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام

ولا نجد بين أيدينا من كتب الأدب واللغة عن ابن خذام هذا الذى يتخذ أمير الشعراء فى العصر الجاهلى قدوة يقتدى بها ، وقبسا يقبس من معانيه ما ينفع غلة أو يبل صدق كل ما قيل عنه : إنه رجل جاهل كان يقول الشر ، وهذا هو مفهوم البيت لا غير ، أما ماذا قال من شر ؟ وفى أى زمان ومكان قاله ؟ فلا نجد شيئا .

لو تأمل القدماء فى النزول اليسير الذى وصل إلينا من شعر العصر الجاهلى لرأوا هؤلاء الشعراء يصفون أنفسهم بالقصور ، ويعترفون فى شعرهم بأنهم ينهلون من مناهل استنبطها لهم أسلافهم ، ويردون موارد هدام إليها أجدادهم ، فزهير بن أبى سلمى يقول :

٣٥ : ما أرانا نقول إلا معارا أو معادا من لفظنا مكرورا

إنه ينسب إلى نفسه - وهو من هو صفاء قريض وسناء معان - ينسب إلى نفسه وإلى غيره الاستمارة والاستعادة والتكرار مما قاله القدماء ، ولما قالوه دون أن يجد من مدى الاستمارة والاستعادة والتكرار مما يدل على أنه يريد بها جامعة شاملة جميع ما يمكن أن يجمع .

وهذا شاعر آخر يقرر أن الأول لم يترك للآخر شيئا ، وينفى فى صيغة الاستفهام أن يكون الشعراء السابقون تركوا معنى لم يتركوه ، أو متردما من الشر لم يصلحوه ، فيقول عنقزة :

هل غادر الشعراء من مرقم أم هل عرفت الدار بعد نوم ؟  
ومن أولئك الذين يقررون ويؤكدون أنهم مقتبسون ومستمرون ، ومستفيدون ومكثرون  
ومقلدون ؟ إنهم ثلاثة من أصحاب المقلات ، ومن زعماء الشر في العصر الجاهلي ، وهم  
لا يرون في ذلك غضا من عليائهم ، ولا توهنيا لكبريائهم .

الشعر العربي المفقود لابد بحسابه فخطاه :

وإذن فإن لنا أن نحكم بأن قمر التوطين في الدهر شعرا لم يصلنا منه شيء كان  
بلسان قسطن ، لم يصلنا لأنه اندثر فيا اندثر من آثار ، وبأن هذا الشعر لم يكن غنائيا  
خالصا ، وإنما هو مزيج من التناثي والقصص والتشبي ، ولكنه ساذج لم يتم بناؤه ، ولم  
تستحصد أجزاؤه ، فلم يوصف بأنه قصص أو تشبي .

الحوار هو الشعر التشبي :

إن تلك المحاورات التي تروى عن امرئ القيس وعبيد بن الأبرص ، وعنه وعن  
التوهم البشكري - مع أننا نظن أنها موضوعة - تصلح لأن تعطينا صورة للحوار الذي يمكن  
أن يعتمد عليه السرح .

وها هو ذا الحوار الذي زعم أنه دار بين امرئ القيس والتوهم :

قيل إن امرأ القيس نازع التوهم البشكري جد قتادة بن الحارث ، فقال : إن كنت  
شاعرا فأجز ما أقول : قال التوهم : قل ما شئت ، فقال امرؤ القيس :

امرؤ القيس : أصاح ترى بريقا هب وهنا .<sup>(١)</sup>

قال التوهم : كفار مجوس تسر استمارا .

قال امرؤ القيس : أرقط له ونام أبو شريح .

٣٨ : قال التوهم : إذا ما قلت قد هذا استطارا .<sup>(٢)</sup>

(١) البريق : تصغير برق ، والتصغير هنا للتعظيم ، ووهنا : منتصف الليل .

(٢) استطار : انتشر .

فقال امرؤ القيس : كأن هزبه بوراء غيب .

فقال التوهم : عشار ولله لاقث عشارا .

فقال امرؤ القيس : فلما أن علا كنفى أضاحر<sup>(١)</sup>

فقال التوهم : وهت أجهاز ريقه خارا .

فقال امرؤ القيس : فلم يترك بذات السر طيبا .

٤٩ : فقال التوهم : ولم يترك بجلتها حمارا .

فلما رأى امرؤ القيس أن التوهم قد ماتته ، ولم يكن في الزمن الأول شاعر بماتته آلى

ألا ينازع الشعر أحدا بعده

### أعيب العرب أن يكونوا لهم شعر قصصى ونسبى

و بعد ضياعهم لم يقولوا شعرا قصصيا ولا تمثيليا فإن ذلك لا يهن من براعتهم ، ولا ينفض من فنهم ، إذ لا يعيبهم أن يعرضوا عن منهل لم يستعذبوه ، أو ألا يردوا موردا لم يعرفوه ، ولو أرادوه لعرفوه ، فليس الشعر المسرحى بمعجز من كان له طبع سليم ، وخيال فسيح ، وكانا متوافرين عند العرب .

وقد يكون من أسباب انحرافهم عنه - إن كانوا قد انصرفوا - أو عدم انجذابهم إليه إن سلمنا بأنهم لم يتجهوا - أنهم كانوا ذوى بديهة وارتجال ، لأنهم - كما يرميهم بعض اللغتين - ضيقوا المجال ، مقفروا الخيال ، فشرهم التناؤى يشعروا بنور ذلك ، فقد منحتهم طبيعتهم عناصر الإبداع ، ووهبت لهم يبتهم أسباب نزع القول .

## الشعر الغنائى

### انبعاث الشعر الغنائى :

ينبث الشعر الغنائى عن عاطفة صادقة ، ويتدفق من وجدان سليم ؛ إذ هو يصور ما يهيج بخاطر الشاعر دون غيره ، ويرسم ما يخالط مشاعره لا مشاعر سواه ، فهو أقرب ما يكون موطناً من الفناء ، وأدنى ما يكون صلة به ، فالمرءى الذى يحذو إبله ، والراعى الذى يرعى غنمه ، والحبيب الذى يتأذى حبيبته ، والعاشق الذى يسهر النجوم ، والمحارب الذى يصلو فى حومة الرعى ، والمكلم الذى يشكو الجوى ويرسل الأمسى ، وغير أولئك وهؤلاء من تحفزهم إلى إنشاء القريض دوافعه تفتتح صدورهم لإنشاده ، وتطرب آذانهم لتلحينه ، فإذا الشاعر منن ، وإذا اللحن شاعر .

### الشعر القصصى والتنبئى لىبا صالحين للفناء وأما :

أما القسمان الآخران : القصصى والتنبئى فلا يصلحان فى جميع الأحوال للفناء ، إذ ليست جميع اللواقف وللشاهد تستأهل التلحين ، وحتى إن كانا صالحين ، فإنهما يصدران عن باعث ليس قويا قوة انبعاث الشعر الغنائى ، هذا إلى أنهما أقرب إلى الدين والأخلاق منها إلى الآداب والفنون ، وهما يحتاجان إلى القروية والتأمل ، وهذا ما لم يكن يحتمله المرءى الجاهل القريب العهد بالإسلام ، غيائه البدوية البحت لا تلائم هذه القيود ، وطبيعة النفور من الأسر لا تتحمل هذه الأصفاة ؛ تلك التى تقف دون انطلاق لسانه بما يشاء ويريد ، لا بما يراوده .

### الشعر القصصى والتنبئى يحتاجان إلى ترويض .

ثم إن الشعر القصصى والتنبئى يحتاج كلاهما إلى تدوين وتسجيل حتى يقتدر ناظمه على تتبع ما نظم ، والمودة إلى مراجعة ما قرأ ؛ لتفسير اللحمة أو التنبئية على نمط منسق ،



ونظام متصل، وهذا هو ما صرف الشاعر في العصر الجاهلي الحديث عن هذين الفئتين، لا ما زعمه بعض رجال الأدب من أنه ضيق الأفق، أو قيد القافية، فليس المرعى القيد يعيش بين الصحراء والسماء - لا يجيب هذه الآفاق عنه حجاب - ولا يمترض النظر في كائناتهما حائل - بالذي يقال عنه إنه ضيق الأفق، وأما القافية فهو غرضها، ولو رأى أنها تستصده عن طريق يريد لهاد عنها، وإذا كان الرجز أول ما قال من الشعر وقد ألزم فيه بناء البيت على الشطر الواحد، فالقافية ملتزمة في كل شطر، ثم توسع في استعمالها؛ إذا كان الأمر كذلك، فإنه يتحول عنها إلى ما يسر عليه النظم، فهو مطلق الحرية في ذلك الحين، وهو الخالق للأسس والقواعد.

ومع هذا فبحر الرجز يبيح له ما لا يباح في بحر سواه، وسهولة النظم به تتيح للشاعر القدرة على الإطالة، وهذه أرجوزة أبي العتاهية الشاعر العباسي تؤكد أن تكون ملحمة، مع أنها في الحكمة، والحكمة أضيق معاني من اللاحم.

وها هو ذا أحمد شوقي بك استطاع أن ينظم القصة القصيرة، والتمثيلية الجميلة دون أن يقف في سبيل نظمه قيد البحر أو القافية.

### أول منه فكر في تقسيم الشعر الفنائى :

أول من فكر في تقسيم الشعر الفنائى عند العرب تقسيما فيه دقة نظر، واستقصاء. أغراض هو الشاعر العباسي هو أبو تمام الطائي، فقد اختار من شعر الشعراء الجاهليين في الجاهلية وصدر الإسلام، والعصر الأموي وصدر العباسي أجود ما قاله أولئك الشعراء، وصمى كتابه: «ديوان الحاسة»، ووهب لهذا الغرض ثلث كتابه.

وإذا كان لنا ما نأخذ عليه فهو أنه أكثر للقطوعات القصيرة على للقطوعات الطويلة والقصائد الكاملة، وكأنه أراد بذلك أن يمرض علينا من شعر النحول أكثر ما يمكن أن يجمع في كتاب؛ فيكتفى بالبيتين أو الأبيات دليلا على جمال الشعر وروعته، وعلى قدرة

الشاعر وبراعته ، مثله كمثل البستاني ينسق الطاقة ، فيقطف من كل نوع زهرة ، ليظهر غنى بستانه بأزهاره .

### تقسيم أبي تمام ورأينا فيه :

وقد قسم ما اختاره إلى عشرة أقسام : الحاسة والمراني ، والأدب والتسيب ، والهجاء والأضياف واللدبح ، والصفات والسير ، والملح ومذمة النساء .

ومن عجب أن أبا تمام غض من قدر الوصف مع أنه كان من البارعين فيه ؛ إلا إذا أبجنا لأنفسنا ألا تنقيد بالتسمية التي سماها لأقسامه ، وأورد تحتها الأبيات التي اختارها . على أنه أورد في باب الصفات سبعة عشر بيتا ليس فيها بيت لشاعر من شعراء الوصف المجيدين ، فعلى للبعث الخفي ، ولعترة بن الأخرس ، وللملحة الجرمي ، وهذه أبياته يصف فيها السحاب :

|                                   |  |
|-----------------------------------|--|
| أرقت وطال الليل للبارق الومض      | حييا سرى مجتأب أرض إلى أرض <sup>(١)</sup>      |
| نشاوى من الإدلاج كدري مرته        | يُقمى مجذب الأرض مالم يكذب يقضى <sup>(٢)</sup> |
| نحن بأجـــــــــواز القضا قُطراته | كما حنَّ نيب بضمهن إلى بعض <sup>(٣)</sup>      |
| كأنَّ الثمار يخ العلام من صبيره   | شمار يخ من لبنان بالطول والعرض <sup>(٤)</sup>  |
| يبارى الرياح الحضرميات مرته       | بمنهمر الأوراق ذى قزع رفض <sup>(٥)</sup>       |
| يفادر محض للماء ذو هو محضه        | على إثره إن كان للماء من محض <sup>(٦)</sup>    |
| يروى العروق الهامدات من البلى     | من العرفج التجدى ذو باد والحض <sup>(٧)</sup>   |

- (١) حييا : سحابا ممترضا الأفق . (٢) الإدلاج : سير أول الليل . كدري : في لونه كدرة وسواد . (٣) الأجواز : الأوسط . قطراته : نواحيه . النيب : الإبل للسنة . (٤) الثمار يخ : أعلى الجبال ، واستمارها للسحاب . الصير : السحاب فيه سواد ورياض . (٥) الحضرميات : الهابة من حضرموت . الأوراق : جمع روق للياه الصافية . القزع : قطع السحاب . الرفض : الإبل تترك في الرعى ، ويريد متفرقا . (٦) ذو : بمعنى الذى . (٧) العرفج : اسم نبات . ذوباد : الذى هلك . الحض : للرمن النبات

وبات الحبي الجون ينهض مقدما كنهض اللدائى قيده للوعث النفض<sup>(١)</sup>  
وهى أبيات بالثقة الإحسان فى وصف السحاب ، والقطنان الأخرى إن أحدهما فى وصف  
الثاقة ، والأخرى فى وصف الثعبان .

إذا لم تنقيد بهذه التسمية وجدنا فى جميع الأبواب قطعا تصلح لأن تكون فى باب  
الصفات ، كأبيات أمية بن أبى الصلت التى يصف فيها شأنه وولده إذ يقول :

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| غذوتك مولوداً وعلتك ياها     | تل بما أدنى إليك وتنهل    |
| إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت | لشكوك إلا ساهرا أتعلم     |
| كأنى أما نظروق دونك بالذى    | طرقت به دونى ، وعينى تهمل |
| تخف الردى نفسى عليك، وإننى   | لأعلم أن الموت حتم مؤجل   |
| فلما بلغت السن والثاية التى  | إليها مدى ما كنت فيه أوئل |
| جملت جزائى منك جيبها وغلظة   | كانك أنت النعم المنفضل    |

إلى آخر هذه القطعة التى فى أبياتها الكثير مما يدخل فى الوصف المحكى وتندرج تحته ،  
بما تنتظمه من صور كاملة ، ومعان سامية ، وكقول الأخنس التغلبى الجاهلى فى الأطلال  
والثاقة والسيف :

|                               |  |
|-------------------------------|--|
| فن يك أسمى فى بلادٍ مقامة     | يسائل أطلالا بها لا تجاوب                  |
| فلاينة حطان بن قيس منازل      | كما نحق العنوان فى الرق كاتب               |
| تمشى بها حورُ النعام كأنها    | إماء تزجى بالشئى حواطب <sup>(٢)</sup>      |
| ٥٩ : وقتت بها أبكى وأشمر سخنة | كما اعتاد محموماً بغير صالب <sup>(٣)</sup> |

(١) الجون : السحاب الأسود أو الأبيض ، والأول هو الراد . اللدائى : للقارب الخطأ .  
الوعث : السائر فى الأرض اللينة . النفض : الهزول الضعيف .

(٢) إماء : جمع أمة البنت الزقيقة . تزجى : تساق سوقا لنا . حواطب : ضالة تحيط  
خيط عشواء ، أو جامعات الحطب . (٣) أشمر : ألبس الشعر ، وهو الثوب على الجسد .  
سخنة : حرارة . صالب : حى مصحوة بصداع .

خليلى عوجا من نجاء شملة عليها فتى كالسيف أروع شاحب<sup>(١)</sup>

خليلاى هوجاء النجاء شملة وذو شطب لا يجتويه المصاحب<sup>(٢)</sup>

وهي آيات تبدو فيها الروعة والحسن والافتنان ، فهذا التشبيه لرسوم الديار « كما نغنى العنوان ... » لا يفضلُه قول طرفة في المعنى نفسه : « تلوح ككباقي الوشم في ظاهِر اليد » وتشبيهه التمام الحائل في أماكن تلك الديار يضرب فيها ، ويخبط في جنباتها بالإمضاء تخبط خبط عشواء ، أو بهنّ إذ ينتقلن في جهمن الحطب من مكان إلى مكان تصوير جميل . وإذن فإن أبا تمام وإن يكن قد وضع الوصف في غير مكانه ، فقد ملأ به كتابه ، فنض منه من ناحية ، وعنى به من ناحية أخرى ، قل أن تجد قطعة لا يبهرك الوصف فيها .

### تقسيم المعترى ورأينا فيه :

ثم جاء بعده أبو عيادة البحرى ، فوضع كتابه : « الحاسة » على غرار كتاب أستاذه أبى تمام في الاسم فقط ، وخالفه فيما عدا ذلك ، إذ قسمه إلى أربعة وسبعين ومائة قسم ، نظر فيها لا إلى فنون الشعر ، بل نظر إلى جزئيات المعانى ، فيقول مثلا :

« الباب السادس عشر » فيما قيل في حمد عاقبة ركوب المسكروه عند الحرب :

قال النابغة الذبياني :

سرنا إليهم وفيهم كارهون لهم وقد يصادف في المسكروه الرشدُ

وقال الجمل البدي :

إذا خفت في أمر عليك صوبة فأصعب به حتى تذلل مراكبه  
٦٤ : وأمر على مسكروه قد ركبت فمكان بحمد الله خيرا عواقبه

(١) عوجا : ميلا . النجاء : السرعة . الشملة : الدقة السريعة . الأروع : الجليل . شاحب :

متغير من السفر .

(٢) خليلاى مبتدأ خبره : هوجاء النجاء ، وذو شطب . الهوجاء : الناقلة في سيرها هوج

ونشاط . وذو شطب : وصف للسيف به طرائق مترجة . يجتويه : يكرهه ويحمله .

وقال الأخروز بن جرين :

وأركب الكره أحيانا وأحده      وربما نال في الكره الفتى الرُعبا  
لا تميز عن لكره أنت راكبه      واجسر عليه ولا تظهر له رُعبا

وقال بشامة بن حصين القزاري :

٦٧ : ونركب الكره أحيانا فيفرجه      عنا الحفاظ وأسيف تؤاسينا

ثم ينتقل بعد هذه الآيات الستة إلى الباب السابع عشر فيها قيل في الاعتذار من الفرار ، وهكذا يسير في تقيسه ، فيجمع المعاني الثلاثة ، والأفكار المتقاربة في إطار واحد ، وهو لا يبدو فيها يعرضه البيت والبيتين والثلاثة ، فيتيح للناتر في الشعر ، تبين أصحاب المعاني المبتدعة ، ومعرفة من اقتبس منهم . وأخذ عنهم ، ويجمع الكتاب نحو أربعة آلاف بيت كلها من جيد الشعر ومصطفاه .

تقسيم قدامة بن جعفر :

ولقدامة بن جعفر كتابان في النقد ، أحدهما : نقد التثر ، والآخر نقد الشعر ، قال في أولهما : « عن تقسيم الشعر : » وللشراء فنون كثيرة تجمعها في الأصل أصناف أربعة ، وهي : المديح والمجاء ، والحكمة والهو ، ثم يفرع من كل صنف من ذلك فنون ، فيكون من المديح للرأي والافتخار ، والشكر واللفظ في المسألة ، وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ويكون من المجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب ، وما أشبه ذلك وجانسه ، ويكون من الحكمة الأمثال والنهيد والمواعظ ، وما شاكل ذلك وكان من نوعه ، ويكون من الهو التزل والطرد وصفة الغر والجون وما أشبه ذلك وقاربه ، ثم يورد بعد ذلك أمثلة لهذه الفنون الأصلية والفرعية ، وهو تقسيم تظهر عليه ريمة العلماء وأهل اللطق . وقال في نقد الشعر تحت عنوان : « باب المعاني الدال عليها الشعر » .

« ... ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لانهاية لعدده ... ، رأيت أن أذكر منه صدرا ينفي عن نفسه ، ويكون مثالا لنهيه ، وعبرة لما لم أذكره ، وأن أجعل ذلك في الإعلام عن أغراض الشراء ، وما هم عليه أكثر حوما ، وعليه أشد روما ، وهو المديح والمجاء ، والنسب والرأي والوصف والتشبيه » .

ولو أنه استغنى عن التشبيه بالوصف لكان تقسيمه أقرب إلى ماعارف عليه الشعراء .

### تقسيمات أخرى :

جاء أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في أعقاب قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فصار على نهجه ، وأخذ عنه مذهبه ؛ إذ قال : « وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : للديح والمجاء والوصف والتشبيب والرأى حتى زاد الثابتة فيها قسما سادسا ، وهو الاعتذار فأحسن فيه » .

ومن بعدهم جاء ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فعدل في تقسيم من سبقوه تمديلا طفيفا ؛ إذ جعله تسعة أقسام : النسيب والمدح ، والافتخار والزناء ، والاقتضاء والاستعجاز ، والعتاب والوعيد والإنذار ، والمجاء والاعتذار .

ويقول عبد العزيز بن أبي الإصبع : « والذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا : غزل ووصف ، وغر ومديح ، وهجاء وعتاب ، واعتذار وأدب ، وزهد وخمرات ، وراث وبشارة وتهان ، ووعيد وتحذير وتحريض وملح ، وباب مفرد للسؤال والجواب » .

وهو تقسيم ليس بذي قيمة فنية ، فلا هو راعى دقات الماني كالبحتري ، ولا هو لاحظ خصائص الماني ، فنحن نستطيع أن نجتمع بين المجاء والعتاب والوعيد والتحذير والتحريض في باب واحد ؛ لأنها تصدر عن غاية واحدة ، وكذلك للدح والبشارة والتهان ، ثم الأدب والزهد .

وقسم البارودي في مختاراته إلى سبعة أقسام : الأدب والمدح والزناء ، والوصف والنسيب والمجاء والزهد ، ومع أنه أيضا من زعماء الوصف في عصره ، فإنه لم يعرف له قيمته ، ولم يضمه في فلكه ، فلم يقدر له بابا خاصا .

وبعد ، فأقرب هذه التقسيمات إلى الدقة تقسيم أبي تمام والبارودي ، فقسيمهما تقسيم الشاعر لا تقسيم العالم .

## الفصل الرابع

### في الوصف وتقسيمه

معنى الوصف :

الوصف بمعناه اللغوي : هو التحلية والتجميل ، يقال : وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاه وجهه ، وللصديق أوصاف حسنة وصفات جميلة، وتواصفوا الكرم إذا وصف بعضهم بعضا به ، وقد اتصف جاره بالخلق الحميد إذا صار ممنوتا متواصفا بين القوم به . وهو عند التحويين يخالف معناه عند اللغويين بعض الحائفة ، فهو عند أولئك أعم وأشمل ، إذ جلوه يتناول للدخ والدم ، والحسن والقبيح ، فيقال : هذا فتى وسيم، وذاك رجل دميم ، وفلان له أصل كريم ، والآخر له نسب لثيم . ونحن لانعنى هذا المعنى ولا ذاك ، وإنما نعنى معناه عند الأدباء ، وهو عندهم : تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الإنسانية بألوان كاشفة عن الجمال ، وتحليل الشاعر الإنسانية تحليلا يصل بك إلى الأعماق ، إلى غير هاتيك العناصر التي قد يحتاج وصفها إلى ذوق فني ، وتتطلب الإحاطة بنواحيها ، والسو إلى آفاقها وجدانها شاعرا ، وإحساسا مرهفا ، وذوقا سليما ، ككل ما يملك على الإنسان المرفه الحس إحساسه ، ويثير فيه شعوره ووجدانه ، وكتلك الناظر التي تحلب لب التأمل وتمسكه ، وتأمر بفتنتها المتمن وتسحره ، فيطيل في قسبتها التأمل ، ويدمن في أجزائها التمعن ، ثم يصوره بمدد في الصورة التي يرتضيها ذوقه ، ويقبلها فنه ، وقد يكون الفن في أول الأمر ساذجا نظريا ، يعوزه الصقل والتقويم ، وتنقصه الدقة والعمق ، ولكنه مايلتب بعد حين أن يصقل ويكمل ويرقى على التمام .

قيمة الوصف في الشعر العالمي :

والوصف — في حقيقة الأمر — هو عمود الشعر وعماده ، بل إن كل أغراض الشعر

وصف ، فالمدح وصف نبيل الرجل وفضله ، والنسيب وصف النساء والحنين إليهن ، والشوق إلى لقاءهن ، والثناء هو وصف محاسن الميت ، وتصوير آثاره وأياديه ، والمجاء وصف سموات المهجور ، وتصوير نقائمه ومعائبه ، وهكذا نستطيع أن ندخل جميع فنون الشعر تحت الوصف ، فهو على هذا الوضع كالمدح للثقة الأغصان ، القارعة الأفتان ، التزامية الظلال ، ولكتنا نريده مستقلاً بذاته ، محدود المالم عن سواء ، وهو ما ستفصله في هذا الكتاب .

### الموصف أول ما نطو به الشعراء :

أرى أن فن الوصف هو أول ما نطو به الشعراء ، لا ما يرى البعض من أن الشعر الحماسي هو أول ضروب الشعر ، وحتى إن رضينا بهذا الذي يقال ، فإننا نرجع الشعر الحماسي إليه ؛ لأنه وصف لضروب من الشجاعة والقوة ، وعرض لصور من البطولة والقوة .

إنى أرى أن الشعراء حيناً تدقت ألسنتهم بالشعر ، بعد أن أفضت به قرائعهم تدفقوا واصفين شعورهم ووجدانهم ، أو أساهم ووجدهم ، أو مصورين بحوارهم وشكواهم ، أو نعيمهم وملهامهم ، وعلى الجملة معبرين عن كل ما يحرك كوامنهم ، ويشير هواجسهم ، ويوقظ ، أحاسيسهم ، ويستبد بمشاعرهم من مناظر أو أحداث ، أو مظاهر أو آثار .

نعم نطق الشعراء بالشعر واصفين — لا مفتخرين ولا راثنين — فالشعر كان بلغة الشعب إلا إذا اقتضته المحافل الجليلة أو الأسواق الحاشدة ، ولغة الشعب في الأمم البادية هي القوس والسهم ، والسيف والرمح ، والثناء كان بلغة القلوب والعيون . القلوب تنفطر ، والعيون تهمر . أما وصف أثر الطبيعة في النفس ، وتصوير فعل الظواهر في الخاطر ، فلا بد أن يكون بلغة أرقى ، وبأسلوب أكثر اتساقاً ، وأعظم انسجاماً من سواء ، وهو الشعر .

ودع رأى من يقول : « إن أبواب الشعر اليوم تعد بالشعرات لم يكن منها في الجاهلية إلا القفر والحاسة ، والتشبيب والمدح والمجاء ، وتفرع من المدح الرثاء وهو مدح الميت » . فذلك رأى لا تؤيده الطبيعة الإنسانية ، ولا يشبهه المروى من الشعر الجاهلي ، ولعل القائل فاته أن الوصف يمكن أن يندرج تحته كما قدمنا — القفر بالقبيلة لأنه وصف لما أثرها ، وعد لآثارها ومناقبها ، وعلى النمط بقية الأغراض التي تناولنا الحديث عنها .



### كثرة الوصف وطفائه على الأفراسه الأخرى :

وبين يدينا الكثير من الشر الجاهل تتأمله فتجده يبدأ بالوصف دائماً ؛ وصف الأطلال أو وصف الظنن ، أو وصف الحبيبة ، أو وصف الحر أحيانا ، ثم يقتل الشاعر من وصف إلى وصف مستطردا متتابعاً ؛ حتى تكاد القصيدة تنتهى ، فإذا جُلّها وصف ، وإذا القليل منها ليس كذلك .

وهذه — مثلاً — معلقة امرئ القيس نثبها فتجدها جميعاً وصفاً ، فقد بدأها بوصف منازل حبيبته ، وتأثير الشمال والجنوب فيها ، فترى في عرصاتنا وقيمتها بحر الآرام كأنه حب طفل ، ثم يصف وقوفه وصحبه عند ما تحمل أحبابه ، وهم يعيشون فيه التجمل ، ويصور ما يشقى نفسه ، ويطلق لوعة قلبه بأنها عبء مهراقة ، وإن لم يكن من ورائها طائل ، فهل عند رسم دراس من مول ؟ وهكذا ينتقل في الوصف ، فيصف عمر مطيته للمذارى ، ويعجب من كورها المتحمل ، ويصور كيف ظل المذارى يرتعش بلحمها « وشحم كهذاب الدمقس المنفل » ثم يصف دخوله خدر عزيزة وأنها عبثت به فدعت عليه ؛ لأنه سيرجلها بركوبه منها ، إذ لن يستطيع البعير أن يحملها جميعاً ، وأى عبث كقولها :

« لك الولايات إنك مرجلي » .

ويسير على هذا النهج الوصفي القصصى المتمدد على الحوار الهادى حينا ، والتأثر حينا كقولها :

« عثرت بيمرى يا امرأ القيس فانزل » فيقول :

٦٨ : « قلت لها سيري وأرخى زمامه ولا تبعدينا من جنائك المثل

ثم ينتقل إلى وصف بيضة الخدر التي لا يرام خباؤها ، ويصف الثريا في السماء ، وقد تعرضت له :

« تعرض أثناء الوشاح للفصل » .

ويصف بعد ذلك صورة لما يجري بين الماشقين ، لا يتقص الصورة تلوين أو تظليل ، بل هي كاملة التكوين والتجوير ، وأى صورة أكمل من قوله :

هصرت بفودي رأسها فتأملت      على هضم الكشح ريا المخلخل  
 مهتفة بيضاء غير مفاضة      تراثبها مصقولة كالسجنجل  
 تصد وتبدي عن أسيل وتنتقى      بناظرة من وحش وجرة مغلغل  
 وجيد بكيد الرثم ليس بفاحش      إذا هي نصته ولا بمطل  
 وفرع يزين اللثن أسود فاحم      أثيث كقنو النخلة المتشكل

وينقل من وصف عتيزته ذلك الوصف الذي يستطيع المصور أن يخلق منه ملكا  
 جمال في هذا العصر بعد أن يتأمل دقائقه ، ويتصور جزئياته ،

ثم ينتقل إلى وصف الليل وطوله ، وثبات نجومه حتى لكأنها :  
 « بكل مغار القتل شدت ييذهل » .

ومن الليل ينتقل إلى وصف واد :

وَوَادٍ كَجَوْفِ المِيرِ قَرَّ قَطْعَتُهُ      به الذئب يموى كالظليح لليل

ثم يدير الحديث بينه وبين ذلك الذئب ، ومن ثم ينتقل إلى وصف فرسه ، وسنعره  
 عرضا مبسوطا بعد حين ، وإذ يبلغ غايته من وصف فرسه يصف سربا من البقر الوحشي .  
 وهنا ترى صورة من الصيد والطرد ، كأنها لوح في معرض من معارض التصوير ، أو قطعة  
 فنية في متحف من متاحف الآثار ، وينقل من مركته مع صيده إلى وصف البرق ،  
 وأن وميضه .

« كلع اليدين في حبي مكلل » وبعد أن يأخذ حظه من وصفه يصف ثييرا في عرائن  
 وبه كأنه : « كبير أناس في بحار مزمل » حتى يحتم القصيدة بقوله :

كأن مكاكي الجواء غدية      صبعن سلافا من رحيق مغلغل  
 ٧٦ : كأن السباع فيه غرق عشية      بأرجائه القصوى أنايش عنصل

فهذه قصيدة تجاوزت أبيتها الثمانين ليس فيها بيت واحد يمكن أن يقال عنه : إنه  
 ليس من فن الوصف ، مع أنها لشاعر يتسع له مجال الشعر والحاسة ؛ لأنه ملك وسليل

ملوك ، ولكن الوصف غلب عليه ؛ لأن من حقه أن يطلب عند ذوى النفوس الجياشة ،  
وهم الشعراء قبل جميع الناس .

وهذه قصيدة سويد بن أبي كاهل البشكري تجاوزت أيتها المائة تكاد تكون وصفا  
خالصا ، فهو يصف في أولها خليلته وصفا لا غش فيه ولا فسوق ، بل هو تشبيه وتصوير  
كقوله :

تمنح المرأة وجها واضحا      مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع  
صافي اللون وطرفا ساجيا      أكل البنين ما فيه قم

ثم ينتقل إلى وصف زيارة طيف المحبوبة ، وسهاد الليل في سبيل الإمام به ، وأنه  
قطع في رحيله إليه : « عصب القاب طروقا لم يرع » لأنه :

آنس كان إذا ما اعتادني      حال دون الصوم متى فامتنع

ثم يصف رحلته إليها ، وقطعه للماز في سبيلها ، فيصف الزمان والمكان والسكان ،  
فيقول :

كم قطعنا دون سلمى مهما      نازح القور إذا الآل لمع  
في حرور ينضج اللحم بها      يأخذ السائر فيها كالصقع  
وتخطيت إليها من عدى      بزماح الأمر والهمل الكنع  
وفلاة واضح أفرابها      باليات مثل صرف الترع  
يسبح الآل على أعلامها      وعلى اليد إذا اليوم متع  
فركنها على مجهولها      بصلاب الأرض فيهن شجع  
كالغالي عارقات للسرى      مستغلات لم توشم بالنسع

ثم يسير في هذا الوصف حتى يبلغ منه غايته ، فيرجع على قبيلته يصفها ، ويفخر بكرمها  
وخلقها ، ثم ما لبث أن يعود إلى تصوير أثر بعد الحبيبة عنه فيقول :

٨٧ : حل أهلى حيث لا أطلبها      جانب الحضر وحلت بالترع

لا ألقيا وقلبي عندها غير إلما إذا الطرف هـ

ومن ثم يصف الثور الوحشي وصفا فيه دقة للمرفة ، وفيه سذاجة الفطرة ؛ فهو يصف  
شياته وأجزاءه ، ثم يصف روعته وفزعه من صياد طلي\* وكلابه ، فيصور لك حربا ناشبة  
بين الكلاب وبينه ، مما ستعرضه لك فيما بعد .

وما يزال ذلك شأنه ينتقل بين وصف الطبيعة الساكنة والمتحركة ، أو بين التضرع  
والحككة ، وللوصف في هذين أثر حتى يبلغ النفاذ بوصف شيطان شعره ، فيختم به قصيدته  
فيقول :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| وأناي صاحب ذو غيث         | زفياث عند إنفاد القرع    |
| قال : لييك ! وما استصرخته | حاقرا للناس ، قوال القذع |
| ذو عباب زيد آذيه          | خط التيار يرمي بالقلع    |
| زغري مستز بحره            | ليس للماهر فيه مطلع      |
| هل سويد غير ليث خادر      | ثدث أرض عليه فانتجع ؟    |

هاتان قصيدتان من أطول قصائد الشعر الجاهلي لانتكاد تجد فيهما من أغراض الشعر  
بعد الوصف إلا القليل الذي لا يعتد به ، بل لانتكاد تجد فيهما شيئا غير الوصف إذا نظرنا  
إلى ما فيهما من غزل أو نثر أو حكمة نظرة واسعة ، سويد يقول في نثره ، ووصف حربه مع  
عدوه :

|                        |                            |
|------------------------|----------------------------|
| وعدو جاهد ناضلكه       | في تراخي الدهر عنكم والجمع |
| نفاقينا بمر ناقع       | في مقام ليس يثنيه الورع    |
| وارتمينا والأعدى شهد   | بنبال ذات سم قد نفع        |
| بنبال كلها مذروبة      | لم يعلق صنمها إلا صنم      |
| ٩٨ : خرجت عن بنضة بيته | في شباب الدهر والدهر جذع   |

فهل بعد هذا يصح لقائل أن يقول : إن شعر الحماسة في العصر الجاهلي غلب

على الشعر العربي ، أو أن نستمع إلى من يقول : « إن الوصف كان متخفا عن أكثر أبواب الشعر العربي » ؟ اللهم لا ، وقد قدما الحجة والدليل .

### الشاعر هو الوصف :

إن الشاعر الوصف يعبر عن خلجات النفوس ، وخفقات القلوب ، وومضات العيون ، وبسات الشفاء ، وأسارير الجباه ، مينة في وصفه السماء ، والأرض ، والصحراء ، والسماء ، والبدو ، والحضر ، والشمس ، والقمر ، والإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والجماد ، وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق كما يقول المتنبي . يتخذ منه مادته ، ويجعله ينبع عاطفته ، فهو يصور الليل إذا سجا ، والنجم إذا هوى ، واللوح حين يتلاطم ، والرمل وهو متراكم ، والبدر عندما يتألق ، والصبح حينما يشرق ، بل هو يصف ما لا يدركه البصر ، ويصور ما لا يعرف كنهه النظر ، فيصف الحس ، ويصور الخاطر ، ويخرج من هذه للمنويات صوراً فتانة يدركها الحس ، ويتأملها الشعور ، فكأنك ترى الكبد القروحة ، أو القلب الخفاق ، أو النفس الماحجة ، أو الطيف الزائر ، أو الخيال العابر ، مما لا تدركه إلا النفوس الجياشة بالشعور . ويصور لك الشوق نارا تتأجج ، والسرور نسيا يتأرج ، وغير هذا وذاك ، مما ستقرأ منه الكثير ، فتجد فيه روح المير .

### أثر البيئة العربية في أهلها

إذا تأملنا مصور شبه جزيرة العرب أدركنا لأول وهلة أنها وحى صادق لشاعرية ، ونبع غزير للوصف ، إنها تكاد تكون صحراء ، لا أنهار تجري بينها ، فضتق مكثونها ، وتخرج مكثوزها ؛ فالتحط يشملها من كل جانب ، والجذب يحتلها من كل قطر ، فهم لذلك ينتظرون الوسى انتظار الحب رجع الرسول ، ويؤمنون من النوم أن يمر أهديا على البطحاء ، ويسعون في طلب الكلال سحيا يجمع بين الضحك والبكاء ، وينتجعون المشب في الصبح أو في الليلة الظلماء ، لا يشغلهم عن طيبة بلادهم السافرة ، ومناظرها الساحرة

إلا أن يجدوا من العيش شظفاً ، ومن الماء رشفاً ، ثم انصرفوا إلى ذلك الطيبى يتأملونه  
فيمضونه ، ويستنبثونه سره وبعثونه :

إن الذى حرم الصحارى منظرًا      ألقي عليها للجلال شعرا  
روحية صدف من الدنيا وما      فيها وأضحت قشور مثارا  
لذا عرفوا جيمًا - لا فرق بين طفل وشيخ ، ولا بين رجل وامرأة ، ولا بين أعمى ومبصر  
دقائق ظواهرها ، وحقائق مناظرها .

أهراقى ضرير يستبى ثم يعلن حكمه :

حدثوا أن أعرايا ضريراً خرج مع ابنة عم له يرعيان غنًا ، فأحص نسة تؤذن بمطر ،  
وأراد أن يتعرف من ابنة عمه حال السماء ، فقال : إني أجد ربح التسيم قد دنا ، فأرفى  
رأسك فانظري ، فقالت : تريد السحب ، كأنها ررب مرمى هزلى ، فلم أن السحب لانزال  
في صفر قطعا ، ووضوح لونها كقطع المزمى الهزيلة ، وأن المطرات ولكن بعد حين ،  
فقال لها : ارعى واحذرى ، وسكت ساعة ، ثم أعاد السؤال ، فقالت : كأنها بنال دهم تجر  
جلالها ، فرف أن السحب قد عظمت وأطبقت ؛ حتى صارت في ضخامة البقال قد سقطت  
عنها الجلال ، فهي تتمثر فيها ، قال : ارعى واحذرى ، وبعد قليل سألهما الثالثة ، فقالت :  
كأنها بطن حمار أحمر .

فرف أن غيرة السماء قد اختلطت بحمرة خفيفة ، وأن السحاب قد تدلى لتقل مائه ،  
وعما قليل سيمطر ، فقال لها : ارعى واحذرى ، ثم سألهما الرابعة ، فأنشدت :

١٠١ : دان مسف فويق الأرض هيدبه      يكاد بمسكه من قام بالراح  
فأيقن أن المطر هامل ، فقال لها : انجى لأهلك ، فأتى كلامه حتى  
عطلت السماء

### عناية العرب بالسحاب والغيث :

وبلغ من عنايتهم به ، ورعايتهم له أن سموه أسماء بترتيب دوائمه ، فقالوا : إنه أول ما ينشأ نش ، فإذا انسحب في السماء فهو السحاب ، فإذا تجمعت له السماء فهو الغمام ، فإذا كان القيم في عرض السماء ولم تبصره وإنما تسمع رعدده فهو المقر ، فإذا أطل وأنزل السماء فهو العارض ، فإذا كان رعد و برق فهو العراض ، فإذا كانت السحابة قطعا صفارا متدانيا بعضها من بعض فهي النمرة ، فإذا كانت متفرقة فهي القزع ، فإذا كانت قطعا متراكمة فهي الكرفي ، فإذا كانت قطعا كأنها قطع الجبال فهي قلع ، فإذا كانت قطعا رافقا فهي الطخارير ، فإذا كان حولها قطع من السحاب فهي مكللة ، فإذا كانت سوداء فهي طخياء ، فإذا حسبتها ماطرة فهي نحيلة . فإذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضا فهو للكفر . . . إلى آخر هذه الأسماء التي تبلغ اثنتين وثلاثين منزلة لكل منزلة اسمها للميز لها عما سواها .

ولفطر أسماء مميزة : منها الوسمى ، ثم الولي ، ثم الزبيع ، ثم الصيف ، ثم الحيم ، وله في آثاره أسماء كذلك ، فالحيا ما يحيا الأرض بعد موت ، والغيث ما يسقط الحبل ، والديمة الدائمة مع سكون إلى غير هذه الأسماء المحددة للعاني ، والتي تبلغ سبعة وعشرين اسما كل اسم يميز أثر اللطيف في الأرض .

ولرياح من الأسماء ما للسحاب والغيث ، فهي النكباء إذا وقعت بين ربحين ، وهي الجر بياء إذا وقعت بين الجنوب والصباء ، وهي للتناوذة إذا هبت من جهات مختلفة إلى آخر هذه الأسماء التي تبلغ أربعة وعشرين اسما .

ونظروا إلى الجبال في ارتفاعها وشهوقها ، فأدنى الجبل الحضيض ، ثم السفح ، ثم السند ، ثم السكيح وهو عرضه ، ثم الحصن ، وهو ما أطاف به إلى غير تلك الأسماء الكثيرة التي تدل على طول تأملهم فيها ، وإدماهم النظر إليها ، فضربوا بها الأمثال .

## احتفالهم بمظاهر الطبيعة :

ولهم في وصف كل هذه الظواهر الرائع من الشعر ، والجيد من النثر ، فهم يحتفلون بها فيصورونها أجل تصوير ، ومن نثره قول أعرابي يصف المطر :

« تدارك ربك خلقه وقد كلبت الأحمال ، وتماصرت الأجال ، وعكف الياس ، وكنمت الأنفاس ، وأصبح للمائي مصرما ، والمترب معدما ، وجفيت الحلالل ، وامتهنت العقائل ، فأنشأ سحابا ركاما ، كسهورا سجالما ، بروقه متألقة ، ورعوده متعقمة ، فسح ساجيا راكدا ثلاثا غير ذى فوق ، ثم أمر ربك الشمال فطحرت ركامة ، وفرت جهامة ، فانفتح محمدا وقد أحيا وأغنى ، وجاد فأروى ، والحمد لله الذى لا تكنت نعمه ، ولا تنفذ قسه ، ولا يخبى سائله ، ولا ينزر نائله . »

ولشغفهم ببيتهم ، وإعجابهم بطبيعتهم : المتحرك منها والساكن استمدوا منها أوصافهم واقتبسوا من مظاهرها صورهم ، في شعرهم ونثرهم ، رجالهم ونساؤهم على السواء ، وهذه قصة مارية امرأة حاتم الطائي تصف سنة أصابها وزوجها فيها القحط ، ثم تصف مع هذا كرم زوجها ، فتقول :

« أصابتنا سنة اقتصرت لها الأرض ، وأغبر أفق السماء ، وراحت الإبل حديا حداير ، وضنت المراضع على أولادها ، فما تبض بقطرة ، وحلقت ألسنة المال ، وأبقنا بالهلاك ، فوالله إنا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين ؛ إذ تضاعى صبيقتنا جوعا : عبد الله وعدى وسفانة ، فقام حاتم إلى الصبيين ، وقت أنا إلى الصبية ، وأقبل يطلنى بالحديث ، فزفرت ما يريد ، فتناومت ، فلما تهورت النجوم إذا شئ قد رفع كسر البيت ، ثم عاد ، فقال حاتم : من هذا ؟ قالت : جارئك فلاة . أنتيك من عند صبية يتصلوون عواء الذئباب ، فما وجدت مولدا إلا عليك يا أبا عدى ، فقال : أتعلمهم ، فقد أشبعك الله وإياهم ، فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى جنباتها أربعة ، كأنها نائمة حولها رثاها ، فقام حاتم إلى فرسه فوجأ لبته بمدية ، فخر ، ثم كشطه عن جلده ، ودفع الدية إلى المرأة ، وقال لها :



شأنك ، فاجتمعنا نشوى اللحم ونأكل ، ثم جل يمشى فى الحى يأتهم بيتا بيتا ، فيقول  
هبوا أيها القوم ، عليكم بالنار ، فاجتمعوا ، والتنع فى ناحية ينظر إلينا ، فوافقه إن ذاق من  
مرقة ، وإنه لأحوج إليه منا ، فأصبحنا وما على ظهر الأرض من الفرس إلا عظم وحافر ،  
هذه القطعة فيها الجميل من الصور ، والبديع من الوصف ، وهو لا يحتاج إلى من  
يكشف عنه ستوره ، أو يبدى مكنونه ، فوصف الأرض بالاقشعرار ، والسماء بالاغبرا ،  
وصف شعر بالقاف ، وبني عن الحاجة ، ووصف الإبل بالحذب والصور ، والمراض  
بالضن والجفاف يدل على اختيار المعاني .

فالمرعى يجمع ليطلع ناقته ، والأم ترضى ليحيا وليدها ، وما أروع وصفها الصبيا  
بأنهم يتعاونون عواء الذئاب ؟ فلصوت الذئاب نكر ووحشة ، وما أجمل تشبيه الأم بالنعامة  
تنطى اثنين من رئالها بمناحيها ، وبلطف من حولها بقية أولئك الرئال .

إنها جميعها صور مستمدة من تلك البيئة الفنية بأسباب الجلال ، السخية بروائع الصور  
والظلال ، قلنا إنهم اتخذوا من هذه البيئة أمثالهم وحكمهم ، فيقولون : أعظم من حية ،  
وأغدر من ذئب . قال الأسدى :

لسمرك لو أوى أخاصم حية إلى فقمس ما أنصفتنى قصص  
إذا قلت : مات الداء بينى وبينها أئى حاطب منهم لآخر يقيس  
فألكم طلسا إلى كأنكم ذئاب النضى ، والذئب بالليل أطلس

وقالوا : « ماء ولا كصدا » وهى ركية عذبة ، قال ضرار السعدى :

وإنى وتهايمى بزئيب كاذبى تطلب من أحواض صداء مشربا

وقالوا : « لقد ذل من بآلت عليه الثعالب » وأصله أن رجلا من العرب كان يبعد صنبا ،  
لجاء ثعلب ، فبال عليه ، فكفر بصنمه ، وقال فى ذلك :

١٠٦ : أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بآلت عليه الثعالب

أثر البيئة فى الوصف :

وبعد فليثمة المربية فى الأدب الأثر القوى ، ولها فى الوصف بصفة أخص الأثر

الأقوى ، منها يستمد معانيه ، ويستنبط أفكاره ، ويتخذ تشبيهاته ، ويستوهبها مادة أوصافه .

وإتنا لنعلم فوق ماقدما عن طبيعتها أن العرب كانوا دائمى التسيار ، مدمنى الأسفار ، لا يكاد الواحد منهم يحط رحله اليوم حتى يشده غدا للارتياح والانتجاع . فهم لا يطمثون فى مكان ولا يسكنون إلى دار ؛ لينالوا رزقهم ، ويبلغوا مايقبلون به ، يخرجون إلى مواطن الكلال ومناهب العشب ، ومساقط النيث ومناجى الماء .

وقد ساق إليهم هذا الحبلُ القفر ، وبث فيهم ذلك الجذبُ القحط ، فاستهانوا بالنفوس ، واستخفوا بالأرواح بزحفونها ويحتطفونها ، فكان اشتعال الحروب ، واصطراع الجيوش ، فرأيتهم يشنون الفارات ، ويؤثنون المصابات ، ويوقدون نار الحرب التى كلى أطفائها غفلاؤهم أوقدها سهاؤهم .

وإذا آمنا بأن الشر المضرى نهض نهضته الفتية قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بمائة سنة ، وأن أول من هلهل الشر هو عدى بن ربيعة جاز لنا أن نقول : إن الحرب بين بكر وتلب هى التى أطلقت لسانه ، وفكت عقاله ، أطلقت بالقتائد الجياد التى سار على نهجها الشعراء من أبناء عصره ، ومن بعد أبناء عصره ، فقد قيل : إن هذه الحرب دامت أربعين عاما تتطاحن فيها القبيلتان باللسان واللسان .

وهكذا نستطيع أن نحكم بأن يشتم قد أثرت فى حياتهم الصاخبة الصارخة التى لا يستقر لها قرار ، ولا ينطقُ للهيها أوار ، فلونت شعرهم بملأثم هذه الحياة ، فوصفوها أجمع وصف ، وصوروها أحكم تصوير ، ولم يتركوا فى القلوات والقازات إذا كانوا من بينها شيئا إلا وصفوه ، فوصفوا وحوشها الضارية ، وذئابها الماوية ، وغلابةها السارحة ، وحرها القارحة ، كما وصفوا جوارح السماء وصوادحها ، وخشاش الأرض وهواها ، ثم وصفوا الرسوم والأطلال ، والسهول والجبال ، والأنواء والأمطار ، والعيون والآبار ، والبرق والرعد ، والأفلاك والكواكب ، ولم ينسوا أن يصفوا حياتهم فى جدم ولحوم ، وظنهم وإقامتهم ، وسلمهم وحربهم ، وأن يصفوا أدوات الحرب كالسيف والرمح والقوس والسهم ، وشأنهم

في الحضر ، هو شأنهم في البادية ؛ توصفوا جميع مظاهره ، وصفوا الثبات والأزهار ، والحدائق والأشجار ، والحجر ومجالس الشرب ، واللهو ومحافل اليسر . وعلى الجملة لم يتركوا في قراهم ومدنهم منظرا إلا رسموه ، ولم يستخدموا عما يقع في محيطهم أو تحت سمعهم وبصرهم حيوانا أو جمادا إلا وصفوه ، ولم ينالوا من متع الحياة شيئا إلا تحدثوا عنه ، وأشادوا به ، ولم يروا من بأسائها ضرا إلا ذكروه وشكوا منه ، تغلدوا بشعرهم يبتهم ، وأبقوه على الدهر صورة لحياتهم هي أصدق سفر للمؤرخين ، وأدق سجل للباحثين ، ولذلك قالوا صادقين :

« الشعر ديوان العرب »

## أقسام الوصف

### الطبيعة في الشعر العربي :

يقسم الأدباء الوصف إلى قسمين : وصف الظواهر الطبيعية التي هي من خلق الله القادر المبدع ، ووصف الآثار الإنسانية التي هي من صنع الإنسان الخالق الخترع ، ومن إخراج اليد الصانع ، ثم هم يتناولون الظواهر الطبيعية فلا يحدونها متاعاة في جميع الخصائص ، فيمقدون بينها موازنة تنتهي إلى تقسيمها قسمين : الظواهر المتحركة ، وهي كل ما يجري فيه ماء الحياة وينبض بالحركة : من حيوان أنيس كالناقة والفرس ، والكلب والعرز والنعيم ، أو حيوان أبد كالأسد والضبع ، والذئب والثعلب ، والحشرات والموام .

والظواهر المتحركة إما خارجية كهذا الذي قدمنا أمثلة له ، ويسميه التريون الوصف الموضوعي ، وإما داخلية ، وهي تلك التي تمثل أحوال قائلها ، فتصف خواطر نفسه ، أو خفقات قلبه ، أو تفرج كبده ، أو تحرق فؤاده ، أو هبات وجدانه ، أو همسات شعوره ، أو لمحات أفكاره ، أو ومضات إنسانه ، إلى آخر ما يصوره من تلك التوججات النفسية ، والاهتزازات الباطنية ، وهو الوصف الذاتي .

والظواهر الساكنة ، وتنصرف إلى كل ما تشتمل السموات والأرض من أجرام وكواكب ، وجبال ومحاري ، ووهاد ونجد ، وبحار وأنهار ، وما ينشأ عن هذه وتلك من مد وجزر ، وبرق ورعد ، وغيث ومطر ، وزلازل وبراكين ، وزعازع وأعاصير .

والشعر العربي في هذه وتلك الآثار الجليلة ، ولا نظن أن آداب أمة ذات شاعرية تداني الأمة العربية في العصر الجاهلي في وصف الظواهر الطبيعية الموضوعية ، وبخاصة الحياة منها ، وسنعرض من جميع ما تقدم مافيه مقتنع لكل شاك في أن العرب في القديم قد فاقوا أضرابهم في أكثر ضروب الوصف .

### غلبة الحس الفردي على الوصف عند العرب :

وبعد ، فالوصف يدور في غالب أمره على الحس الفردي الذي يشعر به صاحبه عندما يكون في حال تماثل حال الشاعر الذي يصور ذلك ، أما الإحساس الجماعي ، فلا يصوره الشعر في العصر الجاهلي ؛ لأن حياة الجماعة لم تكن واضحة المعالم في تلك العصور ، فالشاعر يتحدث عن نفسه أو مايس نفسه ، لا يكاد يتجاوزها بالنظرة البعيدة ، أو الفكرة الشعبية . على أن هذا لا ينقض من قيم الوصف العربي ، فقد فطر الشعب العربي على ثوران النفس ، وتوقر الحس ، لا يطمئن ويبدأ حتى يفكر ويتسقى ، فشعر قائم على البديهة والارتجال أو مايشبه الارتجال ، ومن كان هذا شأنه لا يرضى من شعره إلا بما يرضى عاطفته ؛ ويميز عن شعوره .

على أن من شعرهم ما يستمد على الحس والتخييل معا ، والعاطفة والتصوير والتماثل ، وسنعرض في هذا الكتاب لكثير مما يقوم دليلا على أن ألوانا من الوصف قد امتزج فيه الحس بالتخييل ، وسيان بمدد أن يكون التخييل ماديا أو روحيا

### عوامل الشاعرية :

من الأدباء من يقول : « إن شعراء العرب لم يكونوا ينظرون إلى الكون النظرة الشاملة الواسعة ، ولم يكونوا يشعرون بما فيه من مظاهر الجمال ، وأسرار الحياة إحساس الشعراء الغربيين » وكأني بأولئك قد نسوا أن الطبيعة الشعرية ليست العامل الفردي في الشاعرية ، وإنما هي أحد العوامل التي منها : الثقافة والحضارة والبيئة والمصر والتخلق ؛ فالعرب في عصورهم الأولى لم يكونوا قد بلغوا من قوة التفكير ما بلغه شعراء هذه العصور الذين غرنتهم الثقافة ، وشممتهم الحضارة ، وربعطتهم بنيرهم أسباب .

## نهجنا في التأليف :

هذا وستقسم الشعر الوصفي إلى قسميه المروني : وصف الظواهر الطبيعية المتحركة والساكنة ، ثم وصف الآثار الإنسانية .

والشراء في العصر الجاهلي كانوا أكثر في القسم الأول افتتاناً إلا أنها يتصل بالطبيعة الداخلية ، إذ لم تكن الآثار الإنسانية وفرت - فيها عدا أدوات الحرب - حتى تلفت إليها أنظار الشراء .

سيكون نهجنا أن نجتمع القطع المتحدة الموضوع ، المتقاربة المعاني ، نضعها جميعها في إطار قد وصى بالتفسير والشرح ، والتحليل والنقد ، ونبرز ما قد يكون فيها من صور شعرية ، وما في هذه الصور من دقة في الفن ، وجودة في الوصف .

وعندنا أن التفسير أول واجب على المؤلف ؛ حتى لا يحمل القارئ عبء الانصراف عن القراءة إلى مراجعة المجامع بسألها البيان والإيضاح ، فينبعث في نفسه الليل إلى الانصراف عن هذا الشعر الذي لا يفهم إلا بمسألة القواميس ، وشرح هذه القطع شرحاً تصويرياً يحجب إلى شدة الأدب آثارهم القديمة ، ويزجى إليهم اللذة الفنية .

ولا نريد إحصاء ، فالشعر العربي زاخر بمادة الوصف ، ومكان ذلك الإحصاء إنما هو دواوين الشراء ، وإن كنا سنورد أمثلة للكثرة الغالبة من الشراء ، دون تمييز بين من اشتهر بالوصف ، ومن لم يشتهر به ؛ لتبين أن العرب أجمعين كانوا وصامين ، ولتبدى لكل قارئ أن الوصف في الشعر العربي كان يتطلب جميع ضروب الشعر

هذا ولن نعرض لوصف الناس : رجالاً ونساء ، فهذا باب الملاح أو الفزل أو الهجاء ، حتى ولو كان معبراً عن دراسة نفسية ، كقول أحد الشراء عن أخلاق النساء :

رأيت التواني الشيب لاح يمارض فأعرض عني بالخلود النواضر

١٠٨ : وكن إذا أبصرني أو سمعني سمع فرقم الكوى بالحاجر

لأن ذلك سيخرجنا عن الوصف إلى كل ما يمت إليه ، وما أكثر ما يمت إليه ويتصل به .

### فتحة الوصف في العصر الجاهلي :

كان الوصف في العصر الجاهلي أقوى فنون الشعر ، فكلمنا عن لأحدهم أن ينظم شعراً كان اللوحى به هو الوصف ، سيات في ذلك أن يكون وصفا للطبيعة المتحركة أو الساكنة ، يبدون به قصائدهم التي قد يكون الدافع إليها ضربا سواء ، ولكن الشاعر ينسى هذا الضرب ، وقد لا يلجأ به إلا إلماها ضليلا .

وشغفهم بالوصف دفعهم إلى أن يصفوا بعض التافه من عاداتهم ، فمن ذلك أن غلمانهم كانوا إذا ثفروا رموا أسنانهم في عين الشمس بسباباتهم وأباهيمهم ، وقالوا : أبدينا أحسن منها ، فوصف ذلك طرفة بقوله :

بدلته الشمس من منبتها بردا أبيض مصقول الأشعر

وكانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها المر ، فأخذوا الصحيح فكوهه زال المر عن السقيم ، قال النابغة في وصف تلك العادة :

وكلفتنى ذنب اسرى وتركته كذى المريكوى غيره وهو راتع

ومن ذلك لعبة الفيل حين شبه بها طرفة السفينة في البحر نشقه ، قال :

بشق حباب للاء حيزومها بها كما قسم القرب القابل باليد

وذكروا الوشم الذي كانوا يستوشمون به ، فقال زهير في مطلع مملته :

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالمتنم ؟

ودار لها بالرفقين كأنها سراجع وشم في نواشر معصم

وقال طرفة في للمنى ذاته في أول مملته :

١١٤ : غلوة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباق الوشم في ظاهر اليد

وذكروا أكل المرأة أولادها حبا لها ، وأكل الضب إياها حقوا منه ، فوصفوا به بر

الرجل ، قال السلس بن عقيل لأبيه :

أكلت بنيك أكل الضب حتى وجدت مرارة الكلال الويل  
فلو أن الأئي كانوا شهودا منمت فناء يتك من يجيل

وليس كل ذلك فى حقيقة الأمر من وصف الطبيعة الساكنة أو المتحركة ، وإنما هو وصف للمعادن ، وهو يدلنا على إيمان فى الوصف إيماناً لم يقف عند حد ، وإن أنكر ذلك المنكرون ، فأى وصف للطبيعة الداخلية والنفس المنيرة أقوى من قول علقمة الفصل :

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأحوال النساء طيب  
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له فى ودهن نصيب  
يردن ثراء المرء حيث علمته وشرح الشباب عندهن عجيب

وأى وصف أبدع تصويراً لأخلاق النساء وغيرة حب الاستطلاع من قول المتنقب العبدى :

١٢٠ : ظهرون بكلة وسدلن رقاً وثقبن الوصاوص لليون

وكل هذا وسواه مما سنعرضه فى هذا الجزء يدل على أن الوصف الجاهلى بلغ مبلغاً عظيماً .



## الفصل الخامس

### وصف الطبيعة المتحركة في العصر الجاهلي

عن الشاعر الجاهلي بوصف الطبيعة المتحركة الناية كلها ، ولا سيما وصف الناقة والغرس ، وله ما يبرر هذه الناية بهذين الحيوانين أكثر من عنايته بسواهما ، فإن الناقة أعظم خلق أرضي في نظره ؛ لما يفيد منها ، ولما تسديه إليه من صفاتها ، فهي صديقة له وترحاله ، ورفيقة ظلمته وإقامته ، تحمل له الكل ، وتعينه على نوائب الدهر ، وتصبر معه على لأواء الأيام ، دون أن تشكو نصبا ، أو تحس لنوبا ، وإن أحسته لم تضجر ولم تتلذذ .

إنها تظلم فلا تشكو الصدى ، وتجموع فلا تظهر الأسى ، وتقطع بخيلها الصحارى في الصبر الجميل والوفاء الكريم ، فإذا أقام شرب لبنها ، ونسج وبرها ، وطعم لحم فصالها ، هذا إلى أنها تؤنس وحشته ، وتحفف عليه وحدته ، يحدو لها فتشاركه في عواطفه ، وينبها فتشاطره جميع مشاعره ، تنقاد له أقياد الصديق لا أقياد القليل ، وتطيعه طاعة الرقيق لا طاعة الرقيق ، فوشات لحرمته امتطاءها ، ومنحته وبرها ولبنها وفصالها ، فهي في ضنائمها وجسامتها ، وقوتها ومُنتها تستطيع أن تدفع عن نفسها ، ولكنها تفيخ إذا أراد إناعتها ، وتنفض حينما يطلب نهوضها ، وترقل إن ابتنى منها إرقالا ، وتنفذ إن أحب منها وخدا ، فكيف به بعد كل ذلك لا يحفظ ودعا ، ولا يحسن نصحا ؟

ثم يتبع بوصفها وصف ما يشبهها من بقرة وحشي فيبدع في وصفه ما شاء له الإبداع ؛ لأنه شبيه ما منحه مودته ، ونظير ما أولاه تقديره



وإن الفرس لأجل ما خلق الله في نظره ، وهو إلى هذا الجبال الفتان صديق حربه  
وسلمه ، ولحموه وجده ، وطركه وصيده ، لا يرضن عليه بجهد ، ولا يبخل دونه بشأو ، إذا  
حارب كان له أوفى من سيفه ورمحه ، وأسد من قوسه وسهمه ، وإذا سالم شاركه في خيلاته ،  
وعاونه على بناء مجده وسنائه ، وإذا ابتنى صيدا كان قيد الأوبد ، أو أراد طرداً آلى على  
نفسه أن يلحق للطارد ، وأسهار الفرس ثروته المدخرة ، وكنزه الثمين ، فهي كما قال الشاعر :  
• قليلة كالكرام ، عزيزة لاتضام • وإذا وصف فرسه انتقل منه إلى وصف  
ما يتصل به فأنا يصف الصيد والطرد ، وأنا يصف المعارك والحروب ، وإذن فلا غرابة  
أن ينتن بهما ، فيفتن في وصفهما .



## ( ١ ) وصف الناقة

١ — قال طرفة بن العبد • يصف ناقته في معلقته التي أولها :

نخلة أطلالٌ يرقى تهمةً تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد<sup>(١)</sup>

وإني لأمضي ألمّ عند احتضاره بجواء مرقّالٍ تروح وتنتدي<sup>(٢)</sup>

أمون كالواحر الإيران نسأتها على لاجب كأنه ظهر برّجد<sup>(٣)</sup>

١٢٤ : تباري عتاقا ناجيات وأتبت وظيفا وظيفا فوق مؤر مغبّد<sup>(٤)</sup>

• ترجمه الشاعر : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري ، وطرفة لقبه ، واسمه عمرو ، وهو من أشهر شعراء العصر الجاهلي ، ومعلقته التي منها هذه الأيات من أجود المقات ، ومن أدوع الشعر الوصفي ، فهي جميعها وصف ، وقد اشتملت على معاني لم تشتمل عليها غيرها ، قتل بأمر من عمرو بن هند لأنه هجاء ، ولم تكن سنة بلغت الثلاثين ، فكيف به لو عمر ؟ قتل حوالي سنة ٥٥٢ م

«التفسير المفروق» : (١) نخلة : خولة : قيل : إنها امرأة من كلب . الأطلال : جمع طلال ماشخص من آثار الديار . البرقة : الراية من الرمل والطين . الوشم : غرز الإبر ، ثم يلو عليه السكل فيبقى سواده ظاهرا .

(٢) لأمضي : لأذهب . احتضاره : نزوله . الجواء : الناقة النشيطة لا تستقيم في سرجها . مرقّال : سريعة . تروح وتنتدي : يستوى عندها سير الليل والنهار .

(٣) أمون . مأمونة العثار . الإيران : التابوت . نسأتها : ضربتها بالمنسأة . لاجب : طريق واضح . برجد : كساء عظم .

(٤) تباري : تسابق . عتاقا : جمع عتقة كرائم : ناجيات : جمع ناجية سريعة . الوظيف : عظم الساق . اللور العبد : الطريق المهد .

- تَرَبَّتِ الْقَفَيْنِ بِالشَّوْلِ تَرَبَّى : رعت الربيع : القفین : متى قف ، وهو الأرض للترعة . الشول :  
 تُرْبِعُ إِلَى صَوْتِ الْهَيْبِ وَتَتَّقِي : يذى خُصَلِدَ رَوَاعَاتِ أَكَلَفَ مُلْبِدٌ (٥)  
 كَأَنَّ جَنَاحَهُ مَضْرَجِيحٌ تَكْنُفَا : حَفَافِهِ شُكَا فِي الْمَسِيبِ بِمَسْرَدٍ (٦)  
 مَطُورًا بِهِ خَلْفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً : عَلَى حَشَفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ نَحْدَدُ (٨)  
 مَا نَخِذَانِ أَوْ كَيْلِ النُّخْضِ فِيهِمَا : كَانُهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُرْمَدٍ (٩)  
 وَطَى تَحَالٍ كَانَتْ نَفِي خُلُوفُهُ : وَأَجْرَةٌ لَزَتْ بِدَائِي مُنْضَدٌ (١٠)  
 ١٣١ : كَانَ كِنَانِي ضَالَّةً يَكْنُفَانَا : وَأَطْرَقَنِي تَحْتَ ضَلْبٍ مُؤَيَّدٍ (١١)

(٥) ترعت : رعت الربيع : القفین : متى قف ، وهو الأرض للترعة . الشول : الإبل شالت ضروعها . الشول : اللوى : الله ، نوالى عليه الطير . الأسرة : مفردا سرارة ، بطون الأودية . الأغيد : التامع من كل شيء .

(٦) ترعب : ترعب . الهيب : الرامى يهيب بها ويدعوها . يذى خُصَلِدَ : يذيل كثير الورب . الروعات : الإفراعات . أكلف : أحمر ضارب إلى السواد . اللبد : التلبد وبره .

(٧) الضرحى : العتيق من السدود يضرب إلى اليأس ، وهو طويل الجناحين . تكنفا : صار من حنايه . حفايه : حنايه . شكا : غرزا . المسيب : أصل الدنب . مسرد : يخفض .

(٨) الزميل : الرديف ، ويعصد موضعه . الحشف : الأخلاف جف لبنا . الشن : القرية البالية . النادوى : الدابلي أيايس . المجدد : الفاهب الابن .

(٩) النخض : النخم ، التيف : الماز . وهو وصف لموصوف محذوف أى قصر منيف . مرمد : علس أو مطول ، وهو التصود هنا .

(١٠) الحال : فغار المظهر الواحدة محالة ، وهى خاصة بفقر البعير . الحنى : مفردا حنية النفس . الخلوف : مفردا خلف الأضلاع . الأجرة : جمع جران باطن العنق ، وجمعا حواله لوت : قرن بعضها بعض . الدأى جمع دأية وهى فغار العنق أو الظهر . منضد : منسق منظم .

(١١) الكناس : بيت الظبي عتفزه فى أصل الشجرة كالعرب والجحر . الضالة : شجرة السدر . يكتفانها : يحيطان بها . الأطر : العطف . مؤيد : مقوى مشدد .

- لها مرققان أفلان كأنما نثره يلقى دالج مُتَشَدَّدٌ<sup>(١٢)</sup>  
 كقنطرة الزوي أنتم ربها لتكتفن حتى تشاد بقرمد<sup>(١٣)</sup>  
 صهايبه الثنون موجد القرا بعيدة وقد الرجل موارء اليد<sup>(١٤)</sup>  
 أمرت بداهة قتل شرر وأجنحت لها عضداها في سقيف مسند<sup>(١٥)</sup>  
 جنوح دفاق، عندل، ثم أفرعت لها كتفاها في معالي مصعد<sup>(١٦)</sup>  
 كأن علوب النسع في دأياتها موارد من خنقاء في ظهر فردد<sup>(١٧)</sup>  
 ١٣٨ : تلاق وأحيانا تبين كأنها بنائق غر في قيصر مقدد<sup>(١٨)</sup>

- (١٢) المرققان : مثنى مرقق ، الوصلان بين الساعد والعضد . أفلان : محكان . السلم :  
 الدلوذات عروة واحدة . الدالج : النازح بالهو من البر إلى الخوض .  
 (١٣) لتكتفن : لتؤتين من أطرافها لتبني . تشاد : ترفع . بقرمد : بأجر .  
 (١٤) صهايبه الثنون : حمراء ماتحت لحبيها من الور ، والصهبة ياض تحالطه حمرة .  
 موجد : بحكة . القرا : الظهر . الوخد : ضرب من السير السريع . موارء اليد : دوارة  
 القائمتين الأماميتين .  
 (١٥) أمرت . قتلت . قتل شرر : قتلا إلى أعلى . أجنحت : أميلت . سقيف مسند :  
 سقف مناسك .  
 (١٦) جنوح : مائلة . دفاق : متداققة في السير . عندل : ضخمة الرأس . أفرعت :  
 عولبت . معالي : اسم مفعول من عالي يحالي . مصعد : مرتفع .  
 (١٧) العلوب : مفرداها علب بفتح العين الآتلة . النسع : الحبل من الجلد مضفور .  
 الدأيات : منتهى الأضلاع . للوارد : طروق الياء . الخلقاء : الصخرة للساء . القردد : الأرض  
 للسوية الصلبة .  
 (١٨) تبين : تفرق . البنائق : مفرداها بنيقة قطع القميص من الأجتاب . غر : ييض  
 مفرداها غراء . مقدد : مشقق .

- وَأَتْلَعُ نَهَايْهُ إِذَا صَدَّتْ بِهِ سُكَّانِ بُوَيْصَى يَدِجَلَّةَ مُضَيْدٍ (١٩)  
 وَمُجْمَعَةٌ مِثْلُ التَّلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى لِلتَّلَقَّى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ (٢٠)  
 وَخَذْتُ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍ كَيْفَتِ الْيَابِي قَدَّهُ لَمْ يَحْرَدٍ (٢١)  
 وَمَعِينَانِ كَالْمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكْنَتَا بِكَهْفِي جِجَاجِي صَخْرَةً قَلْتُ مَوْرَدٍ (٢٢)  
 طَاحُورَانِ عَوَارَ الْقَدَى فَرَأَاهَا كَكَحُولَتِي مَذْعُورَةٍ أُمُّ فَرْقَدٍ (٢٣)  
 وَصَادَقَتَا سَمْعَ التَّوْجِسِ لِلشَّرَى مَجْسُ خَسْفٍ أَوْ لَصُوتٍ مُنْدَدٍ (٢٤)  
 ١٤٥: مَوْلَتَانِ تَصَرَّفُ الْعِتَقُ فِيهَا كَسَابَعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مَفْرَدٍ (٢٥)

- (١٩) الأتلع : الطويل العتق . النهاض : القوي للرفع في سيره . صعدت به : أفضتته إلى السماء . السكَّان : الدفعة . البوصى : النوى . دجلة : نهر العراق . « انظر للصور »  
 (٢٠) التللة : السندان . وعى : غاسك . للتقى : مجتمع عظام الرأس . الحرف : الحد .  
 (٢١) القِرطاس : ورق الكتابة . الشامى : الكاتب للندوب إلى الشام . للشفر : للجميل كالشفعة لغيره . السبت : الجلود للذبوغة أو من جلد البقر خاصة . قدده : قطعه . لم يحرد : لم يعوج في تقطيعه .  
 (٢٢) كالمَاوِيَتَيْنِ : كالمَرَّانَيْنِ . الكهف : القار في الجبل . الججاج : العظم للشرف على العين .  
 القلت : النقرة في الصخرة أو للعين . للورد : منهل الماء .  
 (٢٣) طحوران : دفاعتان . العوار : ما يضر العين كالقدى . للذعورة : وصف لموصوف محذوف هو بقرة . أم فرقد : كناية عن البقرة الوحشية ، والفرقد اسم ولها .  
 (٢٤) التوجس : التسمع بخبر السرى : السير لئلا حيث يجب الحذر . المجس : الحركة . مند : مرفوع .  
 (٢٥) مَوْلَتَانِ : محددتان . العتق : الكرم . الشاة : الثور الوحشى . حومل : اسم مكان . مفرد : صفة لشاة ، وجاء اللفظ بلاهاء ، لأنه أراد الثور الوحشى ، وانفراده يصح أحد صفا ؛ إذ ليس هناك ما يشغله .

وَأَرُوعُ نَبَاضٌ أَحَدُ مُنَلَّمٍ كِرْدَاةٍ صَخِرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمَّدٍ (٢٦)  
 وَإِنْ شَتَّ سَامَى وَاسِطَ الْكُورِ رَأْسُهَا وَعَامَتْ بِصَبَبِهَا نَجَاءً أَنْفَقِيدٍ (٢٧)  
 وَإِنْ شَتَّ لَمْ تَرْقُلْ وَإِنْ شَتَّ أَرْقَلَتْ خَافَةً مَلَوِيهِ مِنَ الْقَدِّ مُحَصَّدٍ (٢٨)  
 وَأَعْلَمُ خُرُوتٍ مِنَ الْأَثْبِ مَارْنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمُ بِهِ الْأَرْضَ تَرْدَدٍ (٢٩)  
 ١٥٠ : عَلَى مِثْلِهَا أَمْضَى إِذَا قَالَ صَاحِبِي أَلَا لَيْتَنِي أَفْدَيْكَ مِنْهَا وَأَفْدَيْ (٣٠)



(٢٦) الأروع : صفة لموصوف محنوف هو ، القلب . والأروع : الفزع الخائف . نباض : كثير النضض والخفقان . أحد : أملى ملئم : مجتمع . كِرْدَاة : كصخرة تكسر بها الصخور لصلابتها . الصفيح : العريض من الحجارة . للصد : الصلب لاخور فيه .  
 (٢٧) سامى : على وطاول . واسط الكور : المود بين موركة الرجل ومؤخره ، وموركة الرجل للوضع الذي يضع عليه الراكب رجله . بضجها : بضدبها . نجاء : إسراع .  
 الخنفيد : العظيم .  
 (٢٨) الإرقال : ضرب من السبر السريع . اللوى : وصف للوسط . القد : الجهد . المحصد : المسح .  
 (٢٩) الأعم : وصف للشعر ، واللم : الشق في الشفة العليا ، وضده الفلح ، وهو شق الشفة السفلى . الخرُوت : للشقوق . الثارن الابن . عتيق : كريم . ترجم : تضرب به الأرض . تردد : تضاعف سيرها .  
 (٣٠) منها الضمير يعود على القلاة الوحشة الهنيئة .

### تحليل الأبيات :

هذه قصيدة كاملة في وصف الناقة ، وإن تكن جزءا من مطلقة طرفة ، فقد بلغ وصفه للناقة ثمانية وعشرين بيتا ، وهو قد لم يبلته شاعر سواه ، وكلها تفيض بالمعنى وتزخر بالأفكار ، فليس فيها بيت يمكن أن يقال عنه : إنه انحرف فيه عن موضوعه ، أو حاد عن غرضه ، بل إن الأبيات إلى الإيجاز بنوعيه : إيجاز الحذف وإيجاز القصر أقرب منها إلى الإسهاب والإطناب .

ولو أن رساما نابذة ذائد صناع ، وريشة مطواعة وقف يتأمل الناقة جزءا جزءا ، ثم يرسم ما تأمله ، وما يمكن أن يتخيله ما يبلغ هذا الذى بلته طرفة ، فسيكون الرسم صامتا لا ينبض بحياة ، ساكنا لا يشر بتأمة ، أما الأبيات فتنبض بالحياة وتفيض بالحركة .

في هذه الأبيات صور كثيرة تهر أقدر للصورين ، وتعجز أنيع الرسامين ، ولقد أحج بهذا الوصف القدامى والمحدثون ، ولا نعرف أحدا من أولئك أو هؤلاء جرؤ على القول بأن في الوصف عيبا ، أو أن في التخيال شططا ، فالأخيلة جميعها مستمدة من يشته ، مقتبسة من طبيعة أرضه ، مأخوذة عن المحسوسات ؛ إذ وصف الناقة لا يستقيم بغير المحسوسات .

قال : إني لأزِيلُ هِيَّ وَغِيَّ بامتطاء ناقة نجبية ضامرة ، سريعة مرقال ، تصل بمسير الليل سير النهار ، دون أن يخشى راكبها العثار ، وكيف تعثر وجسمها في صلاته كاللواح التابوت ؟

لقد مستها بالنساء لأستثير همتها في طريق قويم ، لأمت فيه ولاعوج ، كأنه الثوب المستقيم الخطوط .

ومن قديما التقاد من زعم أنه لم يرد في قوله : « على لاحب كأنه ظهر برجد » ظهر الكساء دون بطنه ، وكأنه يقول : إن « ظهر » حشو ، والأمر ليس كذلك ، فظهر الكساء هو الذى تظهر خطوطه واضحة ، أما بطنه فلا تكاد تظهر له خطوط ، وهى دقة تخفى على غير طريقة التأمل للثمن .

ناقتى تلك تبارى فى سيرها كرائم النياق ، ونجائب المئاق ، فتتذ السير ، وتتبع  
الوظائف الوظيف فوق ذلك الطريق المعبد ، وهى الكريمة عندى ، الأثيرة لدى ، فأنا  
أربها نبات الربا ، وأرعبها عشب الحدائق ، وهذا وذاك أجل مانتته الصحراء ، بل من  
أجل مانخرجه الأرض ، أربها نبات الربا وعشب البساتين بين نياق قد جفت ضرورها ،  
ونضبت أخلافها ، فبينهم إلى الطمام نهم ، ولمن على التهامه قدرة ، فيمئن فيها الليل إلى  
التنافس فى الرعى من ذلك المرعى الناعم الأريض الذى يلاحق وصميه وليه ، فهو دائم  
الإعشاب ناعم القرب .

وهى ناقة مدعانة إذا أهاب بها حاديا سمت إليه سراما متقية بذيلها ذى انخصل  
الكثيفة ماقد يمرض طريقها من الفحول الشداد . تلك الفحول المكلف الملبدة خصل  
ذيلها لكثرة ثورانها . ولكنها لاتباليها فى سبيل الإجابة لإهابة داعيها ، ذنبها القليل  
المنبسط الور يشبه جناحى النسر الشيق الطويل الجناحين ، فكأنهما قد غرزا  
فى عظامه ، وهذا تشبيه واسع الدلالة ؛ إذ يدل على أنها قوية كقوة جناحى النسر ، وأن  
ذيلها منبسط انبساط الجناحين ، كما يدل على غزارة وبره ، فعى به معجبة ؛ فعولوا تضرب  
به مكان الرديف لحاديا ، وآخر تضرب به أخلافها ، فهو حيناً إلى أعلى ، وحيناً  
إلى أدنى ، وفى الحالين تبلغه المكان القصى البعيد ، تبلغ به أخلافها التى جف لبنها ،  
فصارت كالتقربة البالية ، والشن الذابل ، ولها خندان مكتنزان باللحم ، كأنهما لضخامتهما  
مصرعا باب لقصر مشيد منيف ، وقمار ظهرها متداخلة متأسكة ، وهى مع الأضلاع  
المتصلة بها كالتقى اقترن بعضها ببعض فى صفوف متراسة ، وما بين مرفقى الناقة منبسط  
نسيح ، كأنه كناسان مخفوران فى أصل شجرة سدر ، وكان قسيما متماطقة تحت أضلاعها  
الصلبة ، فعى لذلك مأمونة المسير .

ولما وصف ما بين مرقعها بالانبساط أراد أن يزيد المعنى إيضاحا فقال :

إن مرقعها المفتولين المتباعين يشبهان دلوين يحملهما سقاء قوى ، إحداهما فى يمينه ،  
والأخرى فى يسراه ، فهو لقوته يبعدهما عن جانبيه ؛ حتى لا يمتكلا بئياه ، وهى  
فى امتدادها وصلابة أجزائها كقنطرة رجل روى حاذق الصناعة ، بحكم البناء ، بصير



بجاذبه وأدواته ، فهو يقسم أن بينها من جوانبها بالآجر ؛ حتى لا يصيبها همن ، وهى من النوق للشكاملة الجلال ، فاستحت لحبيها أحر ، وهى قوية الظهر ، شديدة الأسر ، بييدة انعطو ، دواره اليد ، وفى هذا البيت تقسم رائع فى معنى واقر لا ينض من قيمته أنه تكرر لمدى سبق ، فكأنه أراد أن يجعل بعد تفصيل ، شأن العليم بالفراتز يجمع المتفرق ؛ لينبته فى الأذهان ، وهو إلى هذا من طرق شعراء ذلك العصر ، وأحسب أن شيئاً آخر غير العلم بالفراتز يدعو إلى التكرار هو أنهم فى أمية تحتاج إلى التفرير والتأكيد .

أحككت فأتمتها الأماميتان أيما إحكام ، فكأنهما مفتولتان فتلا شزرا ، وأميلت عضداها تحت جنيها ، فكأنهما سقفان أسند بعضهما إلى بعض ، تفتح فى سيرها لقرط نشاطها ( وليس بين هذا البيت والبيت الثالث . . . أمون كألواح . . . تناقض ؛ لأنه فى البيت الثالث حملها على الاستقامة بمنسأته ) وتتدفق فى طريقها ضخمة الرأس ، مرتفعة الكتفين على ظهر قد علا ونسأى ، وأن آثار النعس فى ظهر هذه الناقة وجنيها موارد ماء ينبس من ناقة ملسا ، فى أرض صلبة غليظة ، وهو تشبيه كامل الحسن ، دقيق العرض ، فقد شبه خطوط الأنساع بموارد الماء فى بياضها وامتدادها ، وشبه جنيها بالصخرة للساء فى الصلابة والتمومة ، وجعل ظهرها صلباً كالأرض الفليظة ؛ إذ فى الظهر السنام ، هذه الموارد تبدو للعين متلاقية متجمعة حيناً ، ومتفرقة متباعدة حيناً ، فتتلاقى تحت إبطها عند ما تربط بينها المرا ، وتتباعد عند ما ترتفع إلى الرجل ، فكأنها بنائق بيض فى قيص شقق ووصل ، وهذا البيت يتم الصورة فى البيت السابق .

ولها عنق سامق ، إزارفته من كسكان النوق يسير بزورقه فى دجلة ، والتشبيه يجمع بين حركتى العنق والسكان فى ارتفاعهما حين تسير الناقة ، وحين تجرى فوق الماء السفينة ، ولها جحمة صلبة كأنها السندان ، فكأنما طرفاها يجتمعان عند ملتقى صلب محدد تحديد البرد ، وهو تشبيه بالغ الحسن ، قال عنه الأصمى : « لم يأت أحد غير طرفة بهذا التشبيه » ولها خد مصقول قد خلا من الشعر الذى يشين الحدود ، فكأنه

لأنصافه قرطاس كاتب شامى ، فهو يختار لما يكتب أرق القراطيس وأبيض الورق ، ينتهى بمشفر طويل لين منتظم ، كأنه مقدود من جلد البقر للدبوغ بالقرط ، واستقامة المشفر دليل فناء الناقة وشبابها ، ولها عيتان صافيتان متألفتان كمرأتين ثبتتا في عظمتين غائرتين ، كأنهما لغورهما وصلابتهما فقرتان في جبل ينبع منه أصفى الماء ، هاتان العيتان تدفبان ما يمكن أن يصيب العيون من عوار أو قذى ، فهما في صفائهما وكلهما كمينى بقرة وحشية مدهورة من صائد تزقبه وتحذره على نفسها وعلى فرقدها ، والبقرة في تلك الحال أبجل ما تكون عينا ، وأحد ما تكون بصرا ، ولها أذنان سماعتان متوجستان في السرى ، سواء عندها أكان ما تسمعه هها خفيا أم صوتا عاليا ، أذنان دقيقتان محدودتان تحديد الحربة ، فكأنهما أذنا نور وحشى في مكان موحش ، فهو لوحده وحشته حديد السمع ، شديد الخدر . ذات قلب عظيم الارتياح ، سريع الخفقان ، خفيف ذكى مجتمع ، كأنه الصحراء العظيمة بين أضلاع كالحجارة المراض ، وذات مشفر ملم ، وأنف متقوب لين ، فإذا أومات به إلى الأرض اندفعت كالسهم لا تأبه ما يعترضها .

وهي مروضة ذلول ، إن أردتها على الإسراع ليت إرادتك ، وإن شئت منها البطء أجايت مشيتك خشية سوط ملوى محكم مقدود من الجلد ، وإن أردتها على أن تطاول برأسها السود في واسط كورها كان لك منها ما تريد ، وجميع ذلك لفرط نشاطها ، وامتلأ كي زمامها ؛ حتى لتشبه إذ تسبح بضديها العظيم الطويل السابقين .

على مثل تلك الناقة التامة التكوين ، الكاملة الأعضاء ، أقطع الغلاة التى تخيف الشجاع الجرى ؛ حتى ليقول صاحبي : ليت لى ما أفتديك به وما أفتدى به نفسى ؛ لتكتب لنا النجاة ، تكون هذه الناقة سبيل الأمان ورائد الحياة .

### التقعر :

وبعد ، فإن المتأمل في هذه الآيات يستنبط منها ما يمكن أن يتخذ حكا عاما على الوصف في الشعر الجاهلي ، هو لا يعنى بالترتيب ، ولا يبالى بمواقع الأعضاء ، فقد وصف أول ما وصف سرعة الناقة ، وانتقل من وصف سيرها إلى وصف أضلاعها ، ولم يسر في هذا طويلا بل رجع إلى وصف منزلتها في نفسه ، وإكباره لها ، ثم عرج على وصف ذيلها ، وهكذا ، لاتراء يسير على نمط ، بل أشد ما يتأثر به هو أول ما يبدأ بوصفه .

وهو يعتمد على التشبيه كل الاعتداد في تصوير ما يشاء تصويره ، ويطلب أن يكون واضحاً كل الوضوح ، فكانه اختار لكل جزء لونه الملائم له ؛ لتكون الصورة كما يقولون « طبق الأصل » فأى جمال في التشبيه يفوق قوله :

أمون كألواح الإيران نساتها على لاحب كأنه ظهر يرجد

وقد عرضنا لدقة التشبيه في تحليل هذا البيت ، وأظهرنا أن أى كلمة لا يغنى عنها غيرها ، فهي مأمونة المسير ؛ لأن أعضاءها صلبة كألواح التابوت ، وهي تطوى طريقا لاحبا ، قد رسم طرفه كثرة المسير فيه فهو يظهر كالسقاء المخطط خطوطا طولية ، أو قوله :

لها غذان أكل النحض فيهما كأنهما باها منيف ممرد

لم يكف أن يشبه غنضيهما بأنهما كبابى القصر في استطالتهما وتقابلهما ، فوصف القصر بأنه شامق أملس ، لأن غنضى الساقين أملسان ، وللأسلحة من آثار السنة ، أو يفوق قوله :

وعينان كالماويتين استسكتتا بكهفي حجاجى صخرة قلت مورد

ولله لاحظ في هذا البيت أكثر من علاقة بين الشبه والشبه به ، فالعينان كالمرأتين المستكنتين في مغارة جبلية ، ولعمان العينين في هاتين الفقرتين كالأواء ينبع من تينك المتارتين ، إلى غير هذه التشبيهات الدقيقة التصوير .

كما أن الكتابة تلى التشبيه في اعتاده عليها ، وعنايته بها ؛ فالأبيات التي لا تشبيه بها تد يكون فيها كناية مستلحة ، كقوله :

تبارى عتاقا ناحيات وأتيمت      وظليفا وظليفا فوق مور معبد  
قد كنى في الشطر الأول عن كرمها ونجابتها بمباراتها للكرائم العتاق ، كما كنى في الشطر الآخر عن سرعتها ونشاطها باتباعها الوظيف الوظيف ، وكقوله :

تربعت القفين بالشول ترتى      حدائق مولى الأسرة أعيد  
كنى عن إعزازه بإياها بأنها تربع نبات الربا ، وترتى حدائق قد أخذت حظها من الماء ، فهي ناضرة ناعمة ، وكقوله :

ترجع إلى صوت الهيب وتنقى      بذى خصل روعات أكلف ملبد  
كنى في الشطر الأول عن يقظتها وطاعتها ، ودائم توجسها وتوقها ، وكنى عن كثافة وبر ذيلها بأنه ذو خصل ، وكنى عن شجاعتها بأنها تفوت القمل الأكلف للبد ، وعنه بأنه أحر ضارب إلى السواد ، وكنى عن قوته بروعائه وبكفله وإبادته .

وقد يستخدم الاستمارة قليلا ، وإذا جاء بها بدت متناسقة الألوان ، كاملة الظلال ، كقوله :

أمدت يداها قتل شرر وأجنحت      لها عضداها في سقيف مسند  
فقد صور استدارة قائمتها الأماميتين بالقتل الشرر ، وظهرها بالسقف المتساند المتناسك الأجزاء ، وكقوله :

طحوران عوار القذى ، فتراما      كسكحولتى مذعورة أم فرقد  
ففى الضمير المحذوف المائد على « وعينان » استمارة ، إذ شبه العينين بإنسانين يدفعان الأذى ، ويطهران الموار .

والشاعر واسع الثروة القنوية ، فالقنة لنته ، ولا يبييه أن يستبدل بلفظ لفظا ، ولا يمجزه أن يعدل عن كلمة إلى أخرى ، وإن لاحظنا أنه إنما يعدل عن القريب إلى

الغريب ، وليس ذلك شأن أكثر شعراء عصره ، فلمل ذلك لأنه كان ما يزال شابا ، وللألفاظ جزالة وخوض تستمدان من قائلها ، أو كأنه يريد أن يظهر أنه فوق براعته في التريض يستطيع التصرف في الألفاظ ، أو أن ذلك مسلك سائر شعراء العصر الجاهلي في الوصف أو في وصف الطبيعة المتحركة بالذات ، وذلك واضح جدا في وصف النابغة وزهير وغيرها .

وطرفة لا يهتم بالأسلوب اهتمامه بالمنى ، فقد نحمد في الأسلوب ما قد يأخذه عليه الناقدون ، وذلك لأن الجاهليين كانوا يؤثرون الناية بالمعنى ، والتصرف فيها على الناية بالأسلوب ومراعاة الجمال فيه ، فما لاستلذ الأذن جرسه لتوالى الإضافات قوله :

وعينان كلما وبين استسكنتا بكهفي عجاجي صخرة قلت مورد

وقوله في البيت التالي للبيت السابق :

ملحوران عوار القذى فتراهما ككحولتي مذعورة أم فرقد

وإننا نشعر بأن طرفة كان رجلا خيرا ببيئته ، عالما بطبيعة بلاده خبرة وعلمًا قل أن يدر كهما علماء وصف البلدان ، ونجده بصيرا حاذقا بطبائع الحيوان ، بصرا وحذقا لا يماريه فيها علماء الحيوان في هذا العصر ، ولا أقصد حيوانا خاصا هو الناقة التي يصفها ، بل أقصد جنس حيوان بلاد العرب .

إنه في كثير من أياته يحدثننا عن البيئة الصحراوية ، وما تشتمل عليه من صخور ملس ، أو منابع روية ، أو أحجار صلبة ، أو كهوف وأغوار ، فاستمع إلى قوله :

كأن كناسي ضالة يكتنفانها وأطرقسي تحت صلب مؤيد

إن هذا البيت قد رسم لنا كناس الظلي ، وحدد مكانه ، فهو يتخذ في أصل شجرة السدر ، وصور لنا القسي في الصورة الدقيقة التي لا تدق عنها صورة .

وأما عن طبيعة الحيوان فقد عرفنا أن طبيعة الناقة ليست هي طبيعة الجمل ، وأن حياة الإبل ليست مثلها حياة غيرها ، وأن ما يستحسن في نوع منه قد لا يستحسن في سواه . هذا

إلى أن الأبيات توحى إلينا أنه واسع المعارف ، عظيم الاطلاع ، فهو يعرف عن الروم  
إحكام الصناعة والمهارة في البناء ، فيقول :

ككفطرة الرومي أقسم ربها لتكتنن حتى تشاد بقرمد

وهو يعلم أن البناء بالآجر أحكم من البناء بالحجر ، وأن الجوانب إذا كانت قوية حفظت  
البناء من التصدع والانهار .

كما أنه يعرف جغرافية الشام واليمن وحال أهليهما ، وما يجيده أولئك وما يحسنه هؤلاء  
فأهل الشام يرمون ويكتبون ، وأهل اليمن يحسنون صناعة الجلد ، فقال في وصف  
خد ناقته :

وخذ كقرطاس الشامي ومشر كسبت الثماني قدده لم يبرد

وفي الأبيات عرض لبعض عادات الجاهليين ، فقد وصف لنا الملاة حين شبه بها الجمجمة  
في قوله :

وججمة مثل الملاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد

وختام القول أن طرفه كان أقدر شعراء عصره على الإطلاق في وصف الناقة ، فقد بذل  
من سبقه من غول الشعراء ، ولم يلحقه من جاء بعده ، مع أنه عبد لهم الطريق ، ومهد  
لخلائهم السبيل ، وأحسب أن طرفه كان شديد الحساسية بفضل ناقته عليه ، فأثنى في وصفها  
بالصور التي لا تدانيها صور لأي شاعر كان .



٢ — وقال بشامة بن الندير \* من قصيدة بدأها بالنزل ، فقال :

جرت أمامة هراً طويلاً وحلكت النأي عيناً قتيلاً<sup>(١)</sup>  
فقرئت الرخل عيرانة عذافرة عتريسا ذمولا<sup>(٢)</sup>  
مداخلة الخلق مضبورة إذا أخذ الحاققات القتيلا<sup>(٣)</sup>  
لها قرد تملك نيثه ترك الولية عنه زليلا<sup>(٤)</sup>  
تطرؤ أطراف عام خصيب ولم يشل عبد إليها نصيلا<sup>(٥)</sup>  
توقر شازرة طرقيها إذا ما ثنيت إليها الجديلا<sup>(٦)</sup>  
١٥٧ : بين كمين مغيض القدا حر إذا ما أراع يُريد الحويل<sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو بشامة بن عمر للقب بالندير بن هلال النطفاني الشاعر الحكيم الوصاف ، عليه تخرج زهير بن أبي سلمى ، وكان مقعدا ذا مال كثير ، ولا ولد له ، فأورث أهله ماله ، وجاء زهير يستورثه ، فقال له : « والله يا بن أخي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، فقال زهير : وما هو ؟ قال : شرى ورثتيه » .

التفسير اللغوي : (١) أمامة : خيلته للتخيلة ، فقد كان مقعدا لأرب له في النساء . النأي : البعد . العبد : المحل .

(٢) العيرانة : الناقة تشبه العير الوحشي لوثاقها . عذافرة : شديدة ضخمة . عتريسا : قوية مثينة . ذمولا : سرعة .

(٣) مداخلة الخلق : بحكمة الجسم . مضبورة : مجموعة الخلق . الحاققات : الطباء تكون في الأحقاف ، والحلقف مالموج من الرمل . القليل : مكان قضاء وقت القيولة .

(٤) القرد : السنام . التملك : للرفع العالي . النى : الضخم . زل : تزلزل . الولية : جلس يوضع تحت الرجل ليحمي الظهر .

(٥) تطرؤ : تتبع . لم يشل : لم يدع . النصيل : ولد الناقة .

(٦) توقر : ترزن وتثقل . شازرة : رافعة . الجديل : الزمام المجدول .

(٧) مغيض القدامح : الذي يقلب قدامح اليسر ، وبه يضرب للث في حدة النظر . أراع : أورد . الحويل : الاحتيال .

وحادرة صنفها السبع تنضح أوبر شتاً غليلاً<sup>(٨)</sup>  
 وصدر لها سبع كالخليف تحال بأن عليه شليلاً<sup>(٩)</sup>  
 فمرت على كشب غدوة وحاذت بجنب أريك أصيلاً<sup>(١٠)</sup>  
 نوطاً اغلظ حزانه كوطه القوي المزير الدليلاً<sup>(١١)</sup>  
 إذا أقبلت قلت مذعورة أطاع لها الرجح قلماً جفولاً<sup>(١٢)</sup>  
 وإن أدبرت قلت مشحونة من الرمد تلحق هيفاً ذمولاً<sup>(١٣)</sup>  
 وإن أعرضت راء فيها البصير مالا يكلفه أن يفيلاً<sup>(١٤)</sup>  
 ١٦٥ : يدا سرحاً حائلاً ضبعها تسوم وتقدم رجلاً زجولاً<sup>(١٥)</sup>

(٨) الحادرة : الضخمة . كنفها : جانبها . السبع : العرق المموج . الأوبر : دو  
 الأوبر . شتا : كثيراً متراكباً . غليلاً : حاراً .

(٩) للهبع : الطريق الواسع الين . الخليف : الطريق أيضاً . الشليل : كساء . أملس  
 بوضع فوق عجز البعير .

(١٠) كشب وأريك : جيلان متباعدان . غدوة : صباحاً . أصيلاً : بعد العصر ،  
 وقيل للترب .

(١١) نوطاً : نطأ . حزانه : جمع حزير، وهو ماغلظ من الأرض .

(١٢) أقبلت : جابت إليك . مذعورة : خائفة . أطاع لها : هيا لها . جفولاً مسرعاً .

(١٣) أدبرت : تحولت إلى الخلف . مشحونة : مملوءة ، وهي وصف لموصوف محذوف  
 هو سفينة . الرمد : جمع أرمد أو رمداء ، وهي النعامة، سميت بذلك لأن لونها يشبه الرماد .  
 الحيق : ذكر النعام . ذمولاً : مسرعاً .

(١٤) أعرضت : تحولت . راء : رأى حصل فيها قلب ، تقدم الألف على الهمزة .  
 يفيلاً : يخطئ\* .

(١٥) يدا سرحاً : يدا منسرحة سهلة . حائلاً ضبعها : مضطرباً عضدها . تسوم : تمر  
 مروراً سهلاً . زجولاً : جيدة الاندفاع .



وَعُوجًا تَنَاطَعْنَ تَحْتَ اللَّطَا      وَتَهْدِي بَيْنَ مُشَاشًا كُهُولًا<sup>(١٦)</sup>  
 تَمُزُّ لِلطَّى جَمَاعَ الطَّرِيقِ إِذَا أَدْلَجَ الْقَوْمُ لَيْلًا طَوِيلًا<sup>(١٧)</sup>  
 كَأَنْ يَدْبِهَا إِذَا أُرْقِلَتْ      وَقَدْ جُرْنَتْ أَمَّاهُ السَّيْلًا<sup>(١٨)</sup>  
 يَدَاعِيهِمْ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ      قَدْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١٩)</sup> : ١٦٩



- 
- (١٦) العوج : جمع عوجاء كناية عن الأضلاع . تناطعن : تداخلن . اللطأ : الظهر  
 تهدي : ترشد . المشاش : رهوس العظام . الكهول : جمع كهل الضخام الطوال .  
 (١٧) تمز : تخطب . للطى جمع مطية الإبل . جماع : طوال . أدلج : سار ليلا .  
 (١٨) أرقلت : أسرعت . جرن : ملن عن الطريق ، والضمير يعود على النياق اللاتي  
 يسفرن بها .  
 (١٩) عام : ساج . خر : سقط . غمرة : ماء كثير .

## تحليل الأبيات :

لم يكن بشامة من رجال الحب ، بل لم يكن ممن يتخيل الحب فيحسن تخيله ، أو يصوره فيجيد تصويره ، فجاء مطلع قصيدته دالاً عليه ، منبثاً عنه ، ناطقاً بأن عاطفته في الغزل ناضبة جامدة ، فقد هجر فؤاده حبيبته هجراً طويلاً ، وكان من حق أمامة أن تكون هي الصادة عنه ، المهاجرة له ؛ إذ شأن المرأة الصد والدلال ، والمجر والإعراض ، وليس ذلك شأن الرجل في لغة المحبين ، وكأنه أحس بأنه أخطأ في حق الحب والجمال ، فقال : « وحلك التأني عينا ثقيلًا » ولكن كيف حمل التأني العبء الثقيل ، وهو صاحب المجر الطويل ؟ ثم يذكر كلاماً في التسبب ليس له من جمال الخيال نصيب يصف بعده الوداع ، وأن عينها استعبرت ، فيقول :

فبادرتاها بمسحجل من الدمع ينضح خذا أسيلاً

ولما درى لماذا لم يصيغ دمه الدامى خده ليسكون الوداع دامعاً دامياً ؟ ثم ينتقل إلى وصف ناقته ، فيقر بها للرحيل . يقر ناقة صلبة قوية كأنها العير الوحشي في وثاقة جسمها ، وصلابة أعضائها ، وهي شديدة ضخمة ، جريئة سريعة ، فأى صفة مستحبة تنقصها ؟ إنها متداخلة الأعضاء ، مدمجة الأجزاء ، يبدو مراحها في أدنى الأوقات إلى الخمول ، ويظهر نشاطها في أحق الساعات بالكلال ولللال ، وهي ساعات الظهيرة ؛ إذ يقبل كل كائن ، ويسكن كل متحرك ، ويبدأ كل حي ، حتى الظباء ، وهي رمز المراح تطلب الراحة والسكون ، وتسكن إلى الهدوء والاطمئنان .

أما الناقة فلا تشر بتغير الجو ، ولا بتوهج الشمس ، فهي لاتسكن إلى الراحة ، لها سنام مرتفع مكتنز ، قد أزال اكتنازه وبره ، فهو أملس ناعم تزل عنه الولية زليلاً ، ويسقط عنه المجلس سقوطاً ، أعززت تلك النجيبة ، ففتحها حق الرعى حيث شاءت ، فهي تغطف أطراف النبات الناعم في الأرض الغضبية دون أن يزجرها راعيها ، وتستمد قوتها من أنها لا فضيل لها يتحصن منها مع امتصاص أخلافاها ، وبرشف دما حين يرشف لبنها ، وهي

وقور رزان لانشور إذا ما شد راكبها زمامها ، ولا تنفر عندما يثنى إليه خطامها ، تنظر بعين حادة كأنها عين مقلب القداح ، قداح اليسر ؛ ليعرف الراجح منها ، ويمتثل ليتين الكاسب فيها . وأذنها ضخمة ينضج على جانبيها العرق غزيرا ، حتى يتجاوزها سائلا إلى الورب في لحبيها ، فيبطل ذلك الورب الكثيف الحار ، ولكنه لا يزيل حرارته لتجمعه وتكافئه ، ولها صدر عريض واسع ؛ كأنه طريق بين لاحب ، يتموج ويضطرب كأنه مغطى بذلك الكساء الذى يوضع فوق أجهاز الدواب ، وهى تقطع المراحل الشاسعة دون أن يدركها الأين أو يحط عليها الكلال ، فتضدو على جبل كشب ، لتمسى فوق جبل أريك ، فسا أقوى احتياها ! إنها لتطأ الأرض النظيفة الحزنة ، فتحيلا لينة ناعمة ، مثلها كمثل السيد القوى العزيز يبطأ بمجروته الرجل الضيف الذليل ، فيطوى صفحته من الوجود ، متى أقبلت عليك فانتهت لنشاطها قد تمسكها الذعر ، واستولى عليها الفزع ، فعلى أسرع من نعمة يطاردها ظلم قوى عدا ، وإذا أدبرت حسبها سفينة موسوفة أطاعت الريح قلعها ، وأذهنت الريح الصرصر اشراعها ، وهى بمن فيها مجفلة متوجسة ، فعلى تمخر العباب بقوتين ، وتجرى فى اليم يارادتين : قوة الريح والشرع ، وإرادة الإجفال والتوجس ، وإذا ظهرت أدرك رائيتها كرمها ونجايتها دون أن يخطئ . فى إدراكه ، أو يفيل فى تقديره ، يرى يدا منسرحة سهلة ، وهى مختلجة المضد ، مضطرة الضيع ، تمر يدها من الريح ، وتندفع قدمها اندفاع الصخرة ، ذات أضلاع تبدو تحت ظهرها عوجاء مقوسة ؛ قد تلاقى بعضها ببعض ، واتصل يمينها بشمالها ، حتى لكأنها تتناطح ، ترشد من يراها أن عظامها ضخام صلاب ، جسام شداد ، تبارى للمطى فتنبه وتعره ، وتسبق الركب جماع الطريق فتسبقه وتبزه ، وذلك القلب والسبق حينما تسرى ليلا ، فتبدو يداها ، وقد أرقلت إرقالا معتدلا هازة رأسها - فى مرح ونشاط ، فتشاركها الأيل المبارية لها فى أول مراحل السير هذا الريح وذلك النشاط ، فيتحرفن عن الطريق كما تنحرف ، ويعلن عن الصراط المستقيم كما تبيل ، فإذا ما أوغلن فى الطريق سرن معتدلات قاصدات لا يجرن ولا ينحرفن ؛ لأنهن قدن تلك القوة الدافعة ، واستنفدن ذلك النشاط الحافز ، لقد أدركن الأين والتصب ، وأصابهن التعب والوصب ، فسرن سواء السبيل حيثنذ تبدو يداها كيدى

ساحج في بحر مجاج متلاطم الأمواج قد كاد يدركه التفريق ، ويطويه في قراره المساء ، وهو يطلب الحياة ، فيعمل يديه كلتيهما بكل ما أوتي من قوة ؛ حتى يبلغ ساحل الأمان ، ويصل إلى شاطئ الاطمئنان .

### النقر :

الناظر في هذه الأبيات يجدها ممتازة بوفرة معانيها ، وتجدد الأفكار فيها ، فإذا نحن تجاوزنا الصفات العامة التي كاد يتفق فيها أغلب الواسفين كصلابة الناقة ، ووثاقة الأعضاء وسرعة السير ، وعظم السنام ، واكتناز الفخذين ، وجفاف الأخلاف ، واتساع الصدر... إذا تجاوزنا هذا وجدنا الشاعر وفقى إلى معان لم يوفق إليها شاعر عداه ممن سندرسهم بعده ، وهي معان تعتمد على الحس حقا ، ولكنها مع هذا بالغة الروعة ، عالية الطيال ، وذلك كقوله في وصف حدة نظرها :

توفر شازرة طرفها إذا ما تقيت إليها الجديلا  
بعين كمين مفيض القداح إذا ما أراغ يريد الخويلد

فحدة نظر الناقة صفة نعتها بها كل واصف إياها ، ولكن أحدا لم يشبهها بمثل هذا التشبيه الذي أوحى إلينا بالتفكير في إحدى عاداتهم ، وبتصور حال الحكم في اليسر ، وفيما يجب أن يكون عليه من حدة النظر ، وحسن الاحتيال ، وكقوله في وصف سرعتها في السير ، وجلدها عليه :

فرت على كشب غدوة وحاذت بحشب أريك أصيلا

فقد صورها لنا تربط بجملدها وقوة صبرها بين المتباعدين ، وتصل بين المتناهين ، وأى قوة كقوتها ، وقد سارت اليوم كله من مطلع الشمس إلى مغربها لم يأخذ منها الكلال ، ثم إن تشبيه وطئها غليظ الحمى ، واستحالاته تحت أقدامها دقيقا ناعما بوطء القوى العزيز الضعيف القليل تشبيه إنساني صادق فيه سمو للمنى ونباله الفرض الذي أوحى به ، فهو رمز إلى أن القوى يكاد يحسب القليل مفعود الحس ، معدوم الشعور بقدان الحمى للحس والشعور ، أو أنه لا يدرك أنه كائن حتى من حقه أن يشعر بالوجود ، كما أن الحمى ليس كائنا

حيا ، فلبس من حقه أن يشر بالوجود ؛ لأبد أن بشامة نظر إلى هذا المعنى الإنساني الرائع  
قد كان إنسانا كريما ، كما كان شاعرا حكيما ، والإنسانية والحكمة تملكان هذا المعنى .

ووصفه تقابل الأعضاء بأنها تتناطح وصف دال على طول التأمل ؛ فالأضلاع والقرون  
كلاهما مقوسان ، والأضلاع متقابلة ، تقابل القرون عندما تتناطح ، فهي صورة تكاد  
تكون كاملة لا ينقص من كمالها سوى أن الأضلاع متعددة ، والقرون محدودة العدد .

وتشبيهه يندى الناقة عند الإرقال يندى السابح في عياب متلاطم يكاد يقضى عليه  
بالغرق ، هو لذلك يبدل قصارى جهده ؛ ليصل إلى النجاة تشبيه قوى مستقيم ، وبخاصة  
إذا ذكرنا أن بلاد العرب غريبة فيها هذه المناظر لانعدام البحر والأنهار فيها .

والحق أن هذه القطعة من خير ما قيل في وصف الناقة ، ولو بلغ عدد أبياتها عدد أبيات  
طرفة لكان أحق منه بزعماء وصف الناقة ، بل لكان أحق منه بزعماء الوصف عامة ،  
وذلك من بواح : أسلوب بشامة أجلس وأعذب ، وتشبيهاته أدق وأقرب إلى الحقيقة ،  
ولعل طول الحياة ، وكثرة التجارب ، وسعة الخبرة هدت بشامة إلى ما لم يهتد إليه طرفة ،  
فقول بشامة في وصف تداخل أعضاء ناقته !

مداخلة الخلق مضبورة إذا أخذ الحافظات للتيلا

أقرب إلى الحقيقة من قول طرفة :

وملى محال كالخلى خلوفا وأجرنة زت بدلى منضد

وينتظم أسلوب بشامة البديع من البديع ، والرائع من جمال اللفظ ، وحق مثله في حياته  
وسنه أن تكون عنايته بجمال اللفظ دون عناية طرفة ، فالشباب دائما باحث عن الجمال  
في كل شيء ، ولكن بشامة كان يبنى الجمال في شعره دون سواه ؛ لأن حياته حرمة النظر  
إلى غير جمال الشعر ، فمن ذلك الجمال قوله :

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا

وإن أدبرت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلما جنولا

وإن أعرضت راء فيها البصير مالا يكلفه أن يقللا  
 ويعجبنا منه ذلك التضمين الذى يعيه واضمو قواعد النظم العربى ؛ يعجبنا لأنه مبعث  
 تشويق ، وشغف للقارى\* ؛ إذ هو ينتظر فى لهفة للشبه به ؛ ليتبين وجه الشبه الذى يربط  
 بينه وبين للشبه ، وذلك فى قوله :

كأن يديها إذا أرقلت      وقد جرن ثم اهتدين السبيلا  
 بدا عائم خرّ فى غمرة      قد أدركه الموت إلا قليلا

وتمعجنا دقته فى اختيار الألفاظ ، وحسبنا شاهدا لبيتان السابقان ، فأختياره الإرفال  
 دون غيره من أنواع السير دقة ؛ لأن السابح يحرك مع يديه رأسه كما تصنع الناقة للرقّة ،  
 وأختياره لفظ « عائم » دون سابح مثلا دقة ؛ لأن السابحة تشعر بالمهارة دون العوم ،  
 وتفضيله « خرّ » على عام مثلا دقة ؛ لأنها تشعر بالسقوط دون عمد .  
 وإذا كان لنا ما نأخذ عليه ، فهو تكرار التافهة ، لقد كان بشامة أستاذنا الزهير فأكرم  
 بالأستاذ والتلميذ .



### ٣ - وقال المثقب البدي \* في قصيدة أولها :

هَلْ عِنْدَ غَانٍ لِفَوَادٍ صَدٍ      مِنْ نَهْلَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي غَدٍ <sup>(١)</sup>

حَتَّى تَلَوْنِيَتْ بِلَكِيَّةٍ      مُعْجَمَةِ الْحَارِكِ وَالْمَوْفِدِ <sup>(٢)</sup>

تُعْطِيكَ مَشِيًّا حَسَنًا مَرَّةً      حَتَّكَ بِالْمِرْوَدِ وَلِلْحَصْدِ <sup>(٣)</sup>

يُنْبِي تَحَالِيدِي وَأَقْتَادَهَا      نَاوِ كِرَاسِ الْقَدَنِ الْمُؤَيَّدِ <sup>(٤)</sup>

عَرَفَاءَ ، وَجَنَاءَ ، جُمَالِيَّةٍ      مُكَرَّبَةٍ أُرْسَافُهَا جَلْمِدِ <sup>(٥)</sup>

تَنْمِي بَهَاضٍ إِلَى حَارِكٍ      ثُمَّ كَرَكْنِي الْحَبِيرِ الْأَمْثَلِ <sup>(٦)</sup> : ١٧٥

\* **رَبِّمَعْرِ السَّاعِر :** هو المائد بن محسن بن ثعلبة بن وائل البدي ، وكنيته أبو عمرو ولقبه

المثقب لقوله : **ظهري بكلة وسدلي رقما وثقبني الوساوص للعيون**  
وهو شاعر مجيد ، قيل عنه : « قد غرد بقصائده كل مفرد ، وأنشدت على كل مورد » . والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجود شعره ، وقد أجاد فيها وصف نائته ، توفي سنة ٥٢٠ م .

**التفسير اللغوي :** (١) الفاني : أصلها الفانية ، ثم رخم ، أو أنه ذهب إلى الإنسان .  
صد : عطشان . التهلة : المرة من النهل . (٢) تلوفيت : تدوركت . بلكية : بناية كثيرة اللحم ، وبلكية صفة لموصوف محذوف ، واللكائك شرائع اللحم . معجمة الحاراك : مكتنزة أعلى الكاهل . للوفد : للشرب . (٣) حتك : حضك ودفعك . المرود : حديدة تدور في اللجام . الحصد : السوط المحكم القتل ، فهو صفة لموصوف محذوف .

(٤) ينبي : يدفع . تحاليدى : جسمي وأعضائه . الأقتاد : جمع قَد ، وهو أداة الرجل . الناولى : سنام الناقة . القدن : القصر العظيم ، أو الصرح الضخم . المؤيد : للوثق للشد . (٥) عرقاء : وصف للناقة صار سنامها كالعرف ، وهو الارتفاع من الرمل . الوجناء : الغليظة ، أو العظيمة الوجنتين . جمالية تشبه الجمل في وثاقة الخلق وعظم الجسم . للكربة : للوثقة الصلبة . الأرساغ : جمع رَسْغ ، وهو الوضع للشدق بين الحف وموصل الوظيف . الجلمد : الغليظ الصلب . (٦) تنمى : ترفع . الهاض : الكثير الهوض ، ويقصد به النقي . للصعد للتسامى . الحاراك : أعلى الكاهل . ثم : هناك . كركني : بكأني . الأمسك : الأملس الصلب .

- كَأَنَّمَا أُوبُ يَدِيهَا إِلَى حَيَزُومِهَا فَوْقَ حَقَمَى الْقَدَقِدِ (٧)  
 تَوَحُّ ابْنَةُ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكِ تَعْدُبُهُ رَافِعَةُ الْجَلْدِ (٨)  
 كَلَفَتْهَا نَهْجِيرَ دَوِيَّةٍ مِنْ بَعْدِ شَاوٍ لَيْلِهَا الْأَبْدِ (٩)  
 فِي لَاحِبٍ تَصْرِفُ جَنَانِهِ مُنْفَهَقِ الْفَقْرَةِ كَالْبَرْجُودِ (١٠)  
 تَكَادُ إِذْ حَرَكَ مِجْذَانَهَا تَذَنُّكَ مِنْ مِثْلَانِهَا وَالْيَدِ (١١)  
 لَا يَرْفَعُ الصَّوْتَ لَهَا رَاكِبٌ إِذَا الْمَاهَرَى جَوْدَةً فِي الْبَدِ (١٢)  
 نَسْعُ تَمَزَافًا لَهُ رَنَةً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَفِي الْقَرْدَدِ (١٣)  
 كَأَنَّهَا أَسْفَعُ ذُو جُودَةٍ يَمُدُّهُ الْوَيْلُ ، وَلَيْلُ سَدَى (١٤) : ١٨٣

(٧) أُوبُ يَدِيهَا : رجوع قائمتها الأماميتين . الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن أو ضلع القواد . القدقد : السكان الفليظ أو القلاة .

(٨) ابنة الجون : امرأة من كندة عرفت بشدة النواح حتى ضرب بها المثل . تعدب : تكيه . الجلد : خرقه سوداء كالتمديد تحملها النادة ، وتشدها بين يديها وفوق رأسها .

(٩) النهجير : السير في ساعات الحجير عند اشتداد الحر . المحوية : الصحراء الشاسعة . شاوى ليلها : ثقية شأو ، كأنه أراد شأو ليلها ونهارها ، والشأو : القاية .

(١٠) اللاحب : الطوق بين الواضع . منفهق : متسع . الفقرة : العلم من جبل أو قلاة . البرجد : الثوب المخطط .

(١١) مجذافها : يربد سوطها ، وهو في الأصل المجداف ، وهو خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسير بها السفن . اللثاة : الزمام .

(١٢) للماهرى : الإبل النسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن ، قالوا عنها : إنه لا يبدل بها شيء في سرعة جرياتها . الجودة : كالتمجود ضرب من السير . البد : الابتداء ، يقال بدأت بالشيء ، وبدت به .

(١٣) التمزاف : أصوات الحجارة التي تقذف بها الناقة إذا سارت ، وهو في الأصل العزف على ناي أو عود أو غيرها . الرنة : الصوت . والصلصة . القردد : الأرض الفليظة .

(١٤) الأسفع : الثور الوحش في وجهه سفح ، وهو السواد الثريب بالحرارة . الجلد : خطة في ظهره تخالف لونه . يمد . يطويه يقال : ممدود الحناق ومصوبه . الويل : للطر الكثير . السدى : الندى . يقال سدى الأرض ندى .



## تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته كأكثر شعراء عصره بالنزل المتمنى ، فهو يتنى على غائبته أن يجد عندها رية لفؤاده الصادى من رحيق ريقها المذبذبة في يومه ، فإن تمرر عليها في غده ، ثم يسير في غزل قصير يعتمد فيه على الأمانى العذاب ، وإذ لم يجد من ينيله متمناه انتقل إلى وصف الناقة فقال :

لقد تداركني الأمر بناقة موفورة اللحم ، كثيرة الشحم ، مكتنزة الكاهل ، سمينة العنق ؛ إذا ما امتطيتها سارت بك سيرا جيلا ؛ جيلا في لينة وهودنه ، جيلا في إرقاله ومجويده ، فكأنك تستحبها — دون أن يكون منك حظ أو استحثاث — بمروء لجام ، أو بمحكم سوط ، وهى — إذ يعتمد على سنامها جسمى ورحلى ، ذلك السنام العظيم الضخم الذى يشبه قبة القصر التخم — تدفنى من أرض إلى أرض ، وتقلنى من بلد إلى بلد ، هى ناقة عرفاء ، فسنامها فى اكتنازه وارتفاعه كدعص الرمل متبسط من أذناه ، مجتمع فى أعلاه ، ووجنتها بمثلثان ينطيهما لحم كثير ، ويكسوها جلد نحين ، وأعضاؤها فى وثاقها وإحكامها ، وتداخلها وتساندها كأعضاء الجمل ، وأرسانها فى ملاستها وصلابتها كالبحر الصلب ، ووظيفها فى غلافه وشدته كالجلد النليظ من الأرض .

إذا سارت صمدت بعنقها حتى تسمى به كاهلها السامق الرقيق الذى هو كجانب الحصن للنبيع ، وكأن صوت قائمتيها الأماميتين ، وهى تمود بهما فى سيرها إلى وسط بطنها ، وضلع فؤادها فوق حصى القفد ، كأنه نواح ابنة الجلون على هالك عزيز عليها ، وفقيد كريم لديها ؛ فهى ترجع فى نواحها ، وتندب رافعة بين يديها مجلدها ، تشير به إلى الأمام وإلى الوراء .

كلت تلك الناقة الجالية العرفاء أن تقطع بى فى ساعة القيولة وإبان التليل ، وحين التهاب الرمضاء صحراء واسعة ، دون أن يكون هذا الذى كلقتها إياه أول مسيرها ، بل كان بد أن قطعت شوطا بعيدا فى يوم أيوم ، وليل أليل ، فسارت فى تلك للفازة فى طريق

واضة ، وسبيل لاحية ، قد قطعتها وعرقها ، فإنى بها جواب آفاق ، وجوال صحارى ،  
ففى تعرف جنتها ، فسير فى طرقها المستقيمة الممتدة التى تماثل فى استقامتها وامتدادها  
ظهر برجد ، إذا ما حرك حاديا سوطه فى يده كادت لشدة فزعها تنزع منه زمامها ، وإذا  
ماسايرت النياق المهارى اللأى مايزلن فى أول شوطهن فى حين أنها قطعت ما قطعت من  
رحلة فى إثر رحلة ، وسارت ماسارت من ليل فى أعقاب نهار لم تحوج حاديا إلى أن  
يسمعا زجره ، بل تسمعه صوتا موسيقيا موقعا منفعا ، كأنه عزف ناي ، ينبعث هذا  
الصوت الموسيقى من اصطدام وظيئها بالحصى القليظ ؛ سواء أ كان مسيرها فى بطن الوادى  
أو فى ظهره .

كأن ناقتى تلك لجمال وجهها ، وسفحة وجنتها نور وحشى ، لون ظهره يخالف لون  
وجهه ، إذ فى وجهه سفح كأنه الدم للتجسد ، وظهره أبيض كأنه ملتف بالوبر الندى .

#### النقر :

وصف المثقب يعيد كثيرا عن وصف طرفة وبشامة ، فقد أقل من وصف الأعضاء ،  
لم يفصلها تفصيل طرفة ، ولا اجتزا بمعضها دون بعض كما فعل وبشامة ، وإذا كان قد  
جاراها فى شئ ففى وصفها جملة بالصلافة والاكتناز ، فأجل نمونها فى الثلاثة الأبيات  
الآتية :

ينبى تجاليدى وأقتادها ناو كرأس القدن للؤيد

عرفاء ، وجناء ، جالية محكبة أرساها جلع

تتى بنهاض إلى حارك ثم كركن الحبر الأصل

ولكنه تحدث عن حسن سيرها ، وسهولة قيادها ، وشدة يقظتها ، وعظم صبرها ، فأجاد  
إجادة بالغة ، ففى :

تعطيك مشيا حسنا مرة حثك بالمرود والحصد

ويسبجنا منه قوله : تعطيك ففى استمارة جميلة ، وكأنه قد شبهها كذلك بالترس يتحكم  
فيه الأجسام ، ويخشى السوط المحكم الحصد ، ولكنها ليس لحاديا ما يتحكم به فيها غير حيا

إياه ، وطاعته له ، ثم رسم رجع يديها إلى وسط بطنها ، وأنها إذ تقدمهما وتؤخرهما في سرعة سريعة ذات صوت ورنين تشبه ابنة الجون السائحة النادية .

وهذه صورة لا تنقصها الظلال ، فأحسب أن التيار الذي تثيره الناقة هولون مجلد ابنة الجون ، وتشبه السوط بالمجداف تشبيه جميل ، فكلاهما وسيلة سير ، وكلاهما مبسوط ممدد ، وكلاهما عريض من قبضته ، دقيق في نهايته .

ونغم عنها رفع صوت حادها لها ؟ استحثاثا لإرقالها بمد مسيرة بعيدة المدى في حين أن كراهم التياق ماتزال في بدء سيرها ، فيه تكريم لها ، واضرار بها ، ولكن فيه كذلك مبالغة وغلو ليسا من حمة الجاهل .

ووصفه صوت وغلينها عند ما يصدم الحصى بأنه كالتمزاف أ كسب الجو جمالا يشعر به من يعرف أثر الحداء والفتاء في قوة الإبل عند ماتشر بالآين والإعياء ، فكأنها تنفى لنفسها ، ونحدو بغلينها إذا عقل راكبها عن الحداء لها .

والناظر بين أبيات الثقب وأبيات طرفة وبشامة يجد أبياتا قليلة متماثلة ، انحكم بأن طرفة وبشامة أخذتا من الثقب ، أم أنها معان مطروقة ؟ أما أنا فأعتقد أنها معان مطروقة ، وذلك كقوله :

تتى بنهاض إلى حارك ثم كركن الحجر الأصم  
إذ مثله قول طرفة :

وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان يوصى بدجلة مصعد  
وبيت طرفة أجل ؛ لأنه أوسع معنى ، وأدق تصويراً . وبشبه قول بشامة  
ابن النديم :

تمز الملئ جماع الطريق إذا أدلج القوم ليلا طويلا  
قوله :

لا يرفع الصوت لها راكب إذا للمهاري جودة في البد

وبيت بشامة أضفى مدحاً مع قلة في اللباقة : لأنه وصفها بالسبق طوال الطريق .  
أما أسلوب الثقب فهو سلس سهل ، لا هوج فيه ولا أمت ، وفيه من التشبيهات  
الجميل الجيد ، والواضح الساطع كقوله :

كأنما أوب يديها إلى حيزومها فوق حمى القدخد

نوح ابنة الجون على هالك تنديه رانصة المجلد

وقد اتفق طرفه معه في وصف الطريق في الاستقامة والوضوح بأنه كالبرجد ،  
وبيت طرفه أجل ، على أن له فضلاً في كثير من هذه المعاني ، فقد سبق طرفه  
بفترة طويلة .



٤ — وقال زهير بن أبي سلمى \* من قصيدة بدأها بقوله :

غَشِيتُ الْبَيَّارَ بِالْبِقِيعِ قَتَمَدٍ      دَوَارِسَ قَدِ اقْفُونِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ <sup>(١)</sup>  
وَقَفْتُ بِهَا رَأْدَ الضَّحَاءِ مَطْلَعِي      أَسْأَلُ أَعْلَامًا يَمِيدَاءَ قَرَدَدٍ <sup>(٢)</sup>  
فَلَا رَأَيْتُ أَتَهَا لَا تَجِيبُنِي      نَهَضْتُ إِلَى وَجْنَاءِ كَالْفَخْلِ جَلَمَدٍ <sup>(٣)</sup>  
بُجَالِيَّةٍ لَمْ يُبْقِ سِرِّي وَرِحْلِي      عَلَى ظَهْرهَا مِنْ نَيْهَا غَيْرُ تَحْفِيدٍ <sup>(٤)</sup>  
مَنْ مَأْتَكُفَّهَا مَاءً مِنْهُلٍ      فَتَسْتَفِ أَوْ تُنْهَكَ إِلَيْكَ فَتَجْهَدِ <sup>(٥)</sup>  
تُرْدُهُ وَلَمْ يُخْرِجِ السُّوطُ شَأْوَهَا      مَرُوحًا ، جَنُوحَ اللَّيْلِ ، نَاجِيَةَ الْقَدِ <sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو زهير بن أبي سلمى بن زهير للزنى الشاعر الحكيم ، المجيد في جميع فنون الشعر ، وبخاصة الحكمة والدخ والوصف ، ويمتاز من غيره بتقنيع شعره ، وتهذيب قريضه ، وتلقيته من كل زيف وبهرج ، حتى تخرج قصائده متينة الرصف ، بحكمة البناء ، ولذلك كان له قصائد تعرف بالحوليات لأنه لا ينشدها إلا بعد عام كامل على نظمها ؛ توفي سنة ٩٩ هـ .

التفسير اللغوي: (١) غشيت: زلت. البقيع ونهد: مكانان بالمدينة. دوارس: زوائل. اقفون: أقفون، ورحل عنهن أهلهن. أم معبد: زوجته. (٢) رأد الضحاء: وقت ارتفاع الشمس وانسحاب ضوئها. المطية: الناقة. ثم أطلقت على كل ما يعتلى ظهره. أعلاما: جمع علم، وهو ما يعتدى به في الصحراء. الردد الأرض: القليظة للرفعة.

(٣) الوجناء: الناقة الضخمة الوجنتين. القليظة الحدين. الجلمد: الشديدة الصلبة. (٤) جمالية: تشبه الجمال في عظم خلقها، وقوة جسمها. إلى: الشحم. المهد: الأصل، ومثلها المهدت، والمهكد، أو أن المهد الأصل للسان خاصة. (٥) مائة منهل: الناقة أن تسير الناقة نهارها، ثم تثوب إلى النهل لتشرب عشا. فتستف: يؤخذ ماعتدها من السير من غير كد. نهك: يبلغ منها بالضرب والإجهاد. تجهد: تعب.

(٦) ترده: ترد للنهل. لما يخرج السوط شأوها: لم يستخرج ضرب السوط كل غفوها وما تسمع به نفسها من طاقة وقدرة وطلق. مروحا: نشيطة مرحة. جنوح الليل: ميالة في سيرها بينا وثيلا في الليل يكونها في النهار، وذلك لنشاطها. ناجية القد: مسرعة في غذاها

كَهْمُكَ إِنْ تَجَهَّدَ تَجِدَهَا نَجِيحَةً      صَبُورًا ، وَإِنْ تَسَرَّخَ عَنْهَا تَزِيدُ<sup>(٧)</sup>  
وَتَنْضَحُ ذَفَرَاهَا بِجَوْنٍ كَأَنَّهُ      عَصِمُ كُتَيْلٍ فِي الرَّاحِلِ مُنْقَدٍ<sup>(٨)</sup>  
وَتُلَوِّي بِرِيَانٍ التَّسْبِيبَ تُمرُّ      عَلَى فَرْجٍ مَحْرُومِ الشَّرَابِ مُجَدِّدٍ<sup>(٩)</sup>  
تُبَادِرُ أَغْوَالَ الْعَشِيِّ وَتَنْقُصِي      عَلَالَةَ تَلَوِّيٍّ مِنَ الْقَدِّ مُحْصَدٍ<sup>(١٠)</sup>  
١٩٤ : كُنْشَاءَ سَفَاهِ اللَّلاطِمِ حُرَّةً      مُسَافِرَةً مَزْمُودَةً أُمَّ فَرْقَدٍ<sup>(١١)</sup>

(٧) كهملك : هي كما يهملك منها وترجو . إن تجهد : إن تطلب جهدها وإسراعها .  
نجيحة : سريفة . صبورا : كثيرة الصبر على الجهد . تسترخ : تجعل لها السير سهلا . تزيد :  
تسير سير التزيد ، وهو ضرب من السير فوق العنق .

(٨) تنضح : ترشح . الدفري : عظم نائي خلف الأذن ، ويكثر عرق البعير في هذا  
المكان . الجون . الأسود والأبيض والأول هو الراد . العصم : البقية من كل شيء .  
الكحيل : القطران أو التفت ، ويقال : إن الإبل أول ما يبدو عرقها أسود ، ثم يصفر .  
قال الشاعر :

يَصْفَرُ لِلْيَسِ اسْفِرَارُ الْوَرَسِ      مِنْ عَرَقِ التَّنْضَحِ عَصِمُ الْوَرَسِ  
منقذ : مطبوخ .

(٩) تلوي : تضرب بنة ويسرة . ريان السيب : ممتلئ الأصل ، وهو يعني ذنا عليظا ،  
والعصيب : عظم الذنب ومنبته من الجلد والمظلم . تمر : تذهب به ونجى . محروم الشراب :  
كنانة جميلة عن عدم حملها . مجدد : لالين في أخلافها من جد النقي . يجده كنصره ينصره  
قطعه ، وشاة جداء قليلة اللبن ، يابسة الضرع ، ويقال : ناقة جدد ومجددة .

(١٠) تبادر : تسارع . أغوال : أجداد مفردة غول ، وهو بديل القازة ، لأنه يتخلل من مجربه ،  
ويقال : هون الله عليك غول هذا الطريق أى خفف عليك بعده . العلالة : البقية . ملوي  
من القد : مفتول من الجلد ، وهي كناية عن السوط . محصد : شديد الفتل يحكمه .

(١١) كُنْشَاءَ البقرة الوحشية التأخر أُنْقَاهَا فِي رَأْسِهَا . السدغ : السواد في حمرة ،  
وللتقصود بهذا الوصف خدائها . إذ لللاطم : الحدود لأنها تداوم . حرة : كرمة عتيقة . مسافرة :  
كثيرة الأسفار وقطع الأرض . مزموذة : مذعورة ، يقال : زمد الرجل فهو مزموذ ، والاسم  
منه الزؤد . الفرقد : وك البقرة الوحشية .

## تحليل الأبيات :

نزلت بديار أم معبد ، تلك الديار التي تقع بين البقيع وشهد من مدينة يثرب ، وقد درست آثارها ، وامتعت معالمها بعد أن فارقته تلك الزوجة الغالية ، ونأت عنها هذه الحبيبة الغانية .

وقفت بها مطبق وقد انبسط ضوء الشمس ، وامتدت أشعتها هنا وهناك ، وقفت أسائل أعلام تلك البيداء النليظة ، والصحراء الوعرة ، أسائلها أين ذهب الذين مروا بها مرتحلين ؟ ومن حزن ومن أسى أن الديار لم تحب لي نداء ، وأن السوارس لم تلب لي دعاء ، فوثبت حزينا باكيا إلى ناقي النليظة ، الضخمة الوجنت ، الوثيقة الأعضاء التي تماثل الجبل في خلقها ، وانبساط جسمها ، وإن لم يبق سفري الطويل الدائم ، ورحيل المستمر من شحم سنامها سوى أصله ، ولم يخلف منه غير رسمه ، ولكنها مع هذا الجهد الجاهد إذا ما كلفتها قطع مفازة ، أو عبور فلاة ذات مناهل وعيون لم تن في العدو ، ولم تدخر شيئا من النشاط ، شأن كرائم الإبل ، وعتاق النياق ، بل هي تبذل نشاطها كله لا تسبق منه شيئا حتى تبلغ ذلك المنهل من دون أن تجهد بالضرب ، أو تنهك بالزجر ، ترده قبل أن يخرج السوط نهاية شوطها ، أو غاية طلقها ، ترده نسيطة مرحة ، قوية جلدة ، لم ينل منها أن سارت الليل كله ، فهي تحيل يمينا وشمالا ، سريعة في المشي والندو ، في الليل والنهار ، هي كما تريد منها محببة مذعانة ، إن أجهدها بالسير الطويل ، أو الإرقال السريع وجدها نجيفة سريعة ، مروحا نسيطة ، صبوراً جليلة ، وإن تركتها دون إجهاد سارت متزينة ، فهي لك كما تبغى ، وهي في مسيرها على ماتهوى ، وإن نال منها الجهد ، وأدركها الأين حينئذ تنضح ذفراها برق أسود كأنه بقية قطران انقعد في المراحل ، وطبخ على النار في الأواني .

وهي إذ تسير تضرب بذنبها المثلث الريان العسب ، النليظ الضخم المنبت ، تضرب به ساقها ، ثم تذهب به ونجيء على فرج قد حرم الشراب ومنع من الضراب ، فهي لم تحمل ولم تحلب ، ولا لبن في أخلافها ، يختص ويختص منه غذاءها فصلان ، فندأؤها لها وحدها

وطامها وقف عليها دون سواها ، فهي لتلك الجلدة الصبور ، وإذا سرت بها في مهمه فيجاء أسرع بك إسراعاً كأنه جرى الريح خشية أن يكون بعد المسافة في المشي سبب اغتيال ، فهي تبني لك الحياة ، وإن كانت من كثرة أسفارك في شقاء ، وتطلب لك النجاة ، وإن أصابها من تعدد رحلاتك العناء ، وهي شديدة الخوف كثيرة القزع ، تخاف أن تملئ بذلك السوط المحكم المقتول ، المقدود من الجلد .

ما أشبه ناقتي تلك بالبقرة الخنساء قد سفت وجنتها ، وهي إلى هذا الحسن والجمال كريمة عتيقة ، حرة عزيزة ، قطاعة آفاق ، جوابة أنعام وأقطار ، شديدة الدعر ، جياشة القواد ، تكاد تشبه لشدة ذعرها ، وجيشان فؤادها البقرة الرءوم الحريصة على فرقدها الحسن الجميل .

#### النقر :

معاني هذه القطعة من قصيدة زهير تشبه شها وانحما معاني قطعة بشامة بن النذير أستاذة العظيم ، فالتانة وجنات كالنحل الغليظ الضخم ، وهو معنى سبقه إليه بشامة ، بل إن بيت بشامة أجمع :

فقربت للرحل عبرانة عذافرة عنقرياً ذمولا

وإن يكن زهير قد وصفها - دون غيره ممن تقدمه - بأنها نضو أسفار ، وطليح آفاق ، وذلك إذ يقول :

جالية لم يبق سيري ورحلتى على ظهرها من نهيا غير محند

وأحسب أنه لو أكرمها لأراحها ، كما أراح علقمة ناقته في قوله :

قدعريت زمناحتى استطف لها كتر كخافة ككير التين معلوم

وأراء متناقضا ، فقد ذكر أنه يكرمها ، ويضاعف لها غذاها ؛ لأن فرجها محروم الشراب ، وذلك مفهوم من قوله :

وتلوى بریان الصيب تمرة على فرج محروم الشراب مجدد



ثم هي مضناة من السفر ، مضناة من الرحل ، وذلك غير قول أستاذة بشامة :

لها قرد تامك نيه تزل الولية عنه زليلا

وكأن زهير في يته ذاك قد نظر إلى نفسه لا إلى ناقته ، وهذا المعنى يقال عن غيره من أولئك الشعراء الذين يصفون مطاياهم بالنصو والفضى والمزال .

ولقائل أن يقول : إن زهيراً كان جواب آفاق ، فأما بشامة فقد كان قيد داره ، لا يكاد يبرحها ، فناقته مكتنزة السنام ، وكلاهما وصف ناقته بالكرم والعنق والجنوح والتجاء ، والرح والنشاط ، ولكن معنى جديداً أورده زهير وانحاضاً ساطعاً ؛ ذلك أن ناقته تشعر بشعوره ، وتحس بأحاسيسه ، فهي إذا ما أرخت الليل سدوله ، وخيف على المسافر الفتك والاختيال :

تبادر أغوال العشي ، وتتنق علالة ملوى من القد محصد  
ويؤيد هذا المعنى أيضاً قوله :

كهمك إن تجهد تجدها نجحة صبوراً ، وإن تسرخ عنها زريد  
وهذان البيتان واختان عن قول المسيب بن علس :

مرحت يداها للتجاء كأنما تكرو بكفى لاعب في صاع  
فل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالإسراع

ولم وصف زهير سوطه بأنه علالة ؟ لأنه قطعه بضربه إياها ؛ أم لأنها لا تحتاج إلى ضرب ، فاكتمت بالبقية الباقية منه ؛ الوجه أنه عرفها كريمة عتيقة ، فاستغنى عن السوط الكامل بملائة منه .

زهير يمتاز على جميع شعراء عصره بدقة التحديد ، فديار أم معبد « بالبقيع قهمد » وقد كان وقوفه « رآد الضحاء » والرحل لم يبق من « نيه غير محمد » وهي « جنوح الليل ناجية القد » ونجوى دقة معانيه تابعة للدقة في ذلك التحديد سواء أ كان التحديد مكاناً أم زماناً ، معنى أم صورة .

كما أنه دائم الجنوح إلى الحقيقة ، وهذا أثر من آثار حكته التي أخذها عن أستاذه بشامة ، فهو لم يقل ماقاله طرفة في وصف انفراج ما بين مرقعها :

كأن كناسي ضالة يكتنفاتها وأطر قسي تحت صلب مؤيد  
ولم يسر على نهج أستاذه ، فيقول كما قال :

وصدر لها مبيع كالتخفيف تخال بأن عليه شليلا  
ولكن في الأبيات غير التشبيهات الكنايات الطريفة كقوله :

وتلوى بريان الصيب تميره على فرج محروم الشراب مجدد  
وقوله :

ككساء سقاء الملاطم حرة مسافرة مزودة أم فرقد

وبعد فعانى زهير أقل من معاني من سبقوه ، ونشيباته أدنى من نشيباتهم ، ولعل ذلك لأنه كان يؤثر الحقيقة ، وفي التشبيه نوع من المبالغة ، وصوره ليست متكاملة كأكثر صورهم : وأسلوبه في جعلته أقل ريننا من أساليبهم .



٥ — وقال السيب بن علس\* من قصيدة أولها :

أَرَحَلْتُ مِنْ سَلَى يَنْسِرِ مَتَاعٍ      قَبْلَ الطُّغَّاسِ وَرُغْنَهَا بِوداعٍ<sup>(١)</sup>  
 قَسَلٌ حَاجِبَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ      بِخَيْصَةٍ سُرُوحِ الْيَدَيْنِ وَسَاكٍ<sup>(٢)</sup>  
 سَكَاةٌ ذُعْبَلَةٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا      خَرَجَ إِذَا اسْتَقْبَلَهَا هَلْوَاعٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَكَأَنَّ قَطْعَةً بِمَوْضِعِ كُورِهَا      مَلَسَاءَ بَيْنَ غَوَامِضِ الْأَنْسَاعِ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَانَهَا      دَوَى نَوَادِيهِ بِظَهْرِ الْقَاعِ<sup>(٥)</sup>  
 وَكَأَنَّ غَارِبَتَا زَبَاوَةٍ تَحْزَمُ      وَتَمْدُ ثَنَى جَدِيلِهَا بِشِرَاعٍ<sup>(٦)</sup>  
 وَإِذَا أَطْلَقَتْ بِهَا أَثْقَتَ بِكُلِّ كَلٍ      نَبْضِ الْقَرَائِصِ مَجْمَرِ الْأَضْلَاعِ<sup>(٧)</sup>  
 مَرَحَتْ يَدَاهَا لِلتَّجَاهِ كَأَنَّهَا      تَحْكُرُو بِكَفِّي لَاعِبٍ فِي صَاعٍ<sup>(٨)</sup>  
 ٢٠٣ : قِيلَ السَّرِيعَةُ بَادَرَتْ جُدَادَهَا      قَبْلَ الْمَاءِ تَهْمُ بِالْإِسْرَاعِ<sup>(٩)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هوزهير بن علس بن مالك بن عمرو الربيعي ، خال الأعشى وأستاذة شاعر مقل مجيد ، مدح عمرو بن هند ، ولقي عنده طرفة والنفس الشاعرين . وهذه الآيات من قصيدة جيدة مدح بها القمقاع بن مبدد ، وكان سيداً كريماً ظريفاً يضرب بظرفه للتل ، توفي حوالي سنة ٥٨٠م .

التفسير اللغوي : (١) الطغاس : الصياح . رغنها أفزعها :

(٢) أعرضت : صعدت . بخيصة : بناقة ضامرة الحصر ، منطوية البطن . سرح اليدين : سهلة السير بهما . وساك : واسعة الخطو . (٣) السكاة : القوة في سيرها ، والتي تقارب عرقوبها . الثعبلية : السرعة . الحرج : الطويلة الضامرة . الهلواع : السريعة الجديدة للثعانة . (٤) الكور : الرجل بأداته . غوامض : خوافاء : أنساع : جمع نسع سيور الجلود يشبهها الرجل . (٥) تعاورت : تداولت . دوى : صوت . نواديه : شوارده ومتفرقه . القاع : الأرض السهلة . (٦) الغارب : هنا السماء ومن معانيه ما بين الظهر والكاهل . الزباوة : منقطع النقط من الجبل حيث استرق . المحرم : منقطع أنف الجبل . ثنى : ثني . الجدبل : الزمام الجدول للفتول . الشراع : القلع . (٧) الكلكل : الصدر . نبض : حركة . القرائص : جمع فريضة وهي مضمة بين الكف والصدر . مجمر : واسع . (٨) مرحت : نشطت . التجاه : الإسراع . تحكرو : تلعب . الصاع : منبسط الأرض . (٩) الجدادة : ما بقي من خيوط الثوب .

## تحليل الأبيات :

بدأ المسيب قصيدته في مدح القعقاع بن معبد بنزل لم يتجاوز الأبيات الثلاثة من القصيدة ، فقد صحافى بيته السادس من حمله ، وأفاق من شوقه ، ورأى أن الحكمة في اجتناب العبا ، وذلك إذ يقول :

فرايت أن الحكم مجتنب العبا وصحوت بعد تشوق ورواع  
وإذن فعلى قلبه الواله أن يتسلى عن سلى إذا ما صدت عنه ، وأعرضت دونه ، فقال له :  
تسلّ عن حاجتك منها بخليّة أخرى تطيعك إن أحببت ، وتقبل عليك متى أردت ،  
ولا تصد عنك أو تمرض كتلك الخليّة التي أعرضت عنك وصدت ، تسلّ بتلك الناقة  
التجبية ، الخليفة البطن ، الضامرة الخصر ، السهلة السير ، الواسعة الخطو ، البعيدة الشأو ،  
كأنها في تقارب عرقوبها ، وقوة نشاطها نعمة تسابق الريح ، فلا تكاد تتبينها إذا رأيته  
مدبرة ، فإذا استقبلتها بدت لك طويلة ضامرة ، مطيعة مدعنة ، حديدية البصر ، قوية  
النظر ، وكأن ظهرها قطرة ملساء مدحجة ، مكتنزة قد أثرت سيور الكور التي لا تكاد  
تري لتدخلها في لحما الكثير ، حتى ملس ونعم مكان تلك الأنساع ، إذا أرقلت  
فتداولت أخفاتها حمى الطريق التفرق سمعت له دويّا في الأرض الهيئة الناعمة ، كأنه  
صوت الريح الحنون .

أما سنامها الضخم المتأالي فأشبهه بأكمة رمل ، أوراوة جبل ، كلاهما يعلو جسما  
متبسطا ، وكلاهما ينتهى بقمة مناسكة متداخلة ، وتحملك على أن تبسط المثني من زمامها  
المقتول ، وخطامها المجدول ، عند ما تمد في سيرها عنقا مستطيلا ، كأنه الشراع المطوى ،  
أو الرقل المستعرض الثين .

وإذا تأملتها ، وتدبرت محاسنها ، وأحطت بأعضائها أخذك ما تراء من قوة  
في صدرها ، وامتداد في كلسكلها ، ذلك الصدر الذي تنبض بالحركة الدافقة فرائسه ،  
وتشد بالعلقان السريع عروقه ، وتنسع أضلاعه ، قد نشطت فامتأها الأماميتان ، فهما  
ندمان للعدو اندفاعا ، حتى ليحبسها من يراها تدفعهما بتلك القوة تريد أن تحفر بهما

الأرض ، فهما ككفتي لاعب ماهر ، قد نشط الكرة يقذفها بكفتها يديه في أرض منخفضة سهلة ، وقد انهمك في اللعب حتى سال عرقه ، وجرى فوق أعضائه ، تلك الناقة تشبه في تتابع قائمتيها عند إرفاقها امرأة تريد أن تنتهي من توب تنسجها قبل أن يحل بها المساء ، ويطوى النهار ، فهي تبادر إلى مايق من خيوطها تعمل فيه يديها في قوة وإسراع .

### النقر :

يقلب على وصف للسبب الحسية البصرية ، فهو يعتمد على عينيه الاعتماد كله ، أليست ناقته « بخمسة سرح اليمين وساع » ؟ ويتأملها مدبرة ومقبلة فيقول :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

وكان قنطرة بموضع كورها ملساء بين غوامض الأنساع

وكانه أخذ هذا المعنى من طرفه ؛ إذ يقول :

لها مرققان أنتلان كأنما تمر بسلمى دالج متشدد

كقنطرة الروى أقسم ربهما لتكتفن حتى تشاد بقرمد

وإن قوله : « ملساء بين غوامض الأنساع » فيه تصوير واضح ؛ إذ أظهر انطواء جلد الناقة فوق الأنساع حتى ما تظهر أو تبين ، وفيه دلالة على اكتنازها ورقة جلدها ، وتصويره تماور أخفافها الحصى بأن له دويأ أوحى إلى السامع أشياء :

منها تصوير تلك الفلاة التي تقطعها بأنها وعرة ، وأن السير فيها لا يهون إلا على النياق الوثيقة الأخفاف ، الصلبة الأرساع ، وتوحى بأن السامع أذا موسيقية تعرف كيف تميز الأصوات ، وكيف تصورهما ، وأن قوتها في مسيرها أطارت الحصى ، فضرب بعضه بعضا ، وهو قريب من قول المتنبي العبدى :

تسمع تعزافا له رنة في باطن الوادى وفى القردد

وتشبيهه سنامها بأنه كربة الجبل تشبه جيل ، وإن يكن مطروقا على الستهم جيما ،

فهو يشبه بقمة الحبل ، والمثقب المبدى يشبه برأس القصر ، وهو يدل على خيال  
حضري ، فيقول :

ينبى تجاليدى وأقتادها ناو كراس الفدن المؤيد

وتشبيهه قائمتها الأماميتين بكفى لاعب الكرة يقذفها يديه ليكون مرماها بعيداً .  
تشبيه جميل ؛ لأنه يدل على بعض ألباسهم ، وجميع تشبيهاته مستمدة من بيئته ، فخارجها  
رهاوة مخرم ، وزمامها كالشرع أو كالدتل التى يفضلها القدماء ، وإن كنت لا أرى ما يمنع  
تشبيه العنق بالشرع المطوى ، والحصى يدوى نواديه بظهر القناع ؛ وقد جرى الشاعر على  
الطبيعة الجاهلية ، فلم ينظر فى آيائه تلك إلى ترتيب بل كل ما يعين له من معان ينظمه ،  
وذلك شأن الشاعر المطبوع فى ذلك العصر .



٦ — وقال علقمة النحل \* من قصيدة أولها :

هل ما علت وما اشتدعت مكتوم . أم حبلها إذ نأنتك اليوم مصروم<sup>(١)</sup>

فالمين مئى كأن غرب تحط به دماء حار كها بالقتب محزوم<sup>(٢)</sup>

قد غربت زمناً حتى استطف لها كثر كخافة كبر القين ملموم<sup>(٣)</sup>

قد أدبر الثر عنها ، وهى شاملها من ناصع القطران الصرّف تلميم<sup>(٤)</sup>

٢٠٨ : نسق مذائب قد زالت عصيفتها حدورها من أنى للاء مطموم<sup>(٥)</sup>

\* ترجم الشاعر : هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة القيس ، شاعر جاهل خل . قال عنه ابن سلام الجهمي : « له ثلاث روايع جياذ لا يفوقهن شعر » والقصيدة التى منها هذه الأبيات إحدى هذه الروائع ، ولقب بالنحل لأنه نازع امرأ القيس الشعر ، وحكا أم جندب زوج امرئ القيس ، حككت لعلمة عليه ، فطلقها امرؤ القيس ، خلفه عليها ؛ توفى حوالى سنة ٥٩١ م .

التفسير اللغوى : (١) نأنتك : فارقتك . مصروم : مقطوع .

(٢) الثرب : الدلو العظيمة ؛ تصنع من جلد الثور . تحط به : تعتمد فى جذبها إياه على أحد شقيها . دماء : وصف لثانة ، إذ الدم أقوى أنواع الإبل والحيل . الحار ك : أهل الكاهل . القتب : الإكاف الصغير .

(٣) استطف لها : ارتفع لها . الكثر : السنام . الكبر : موقد النار للحديد ، وهو القين . ملموم : مجتمع .

(٤) المر : الجرب . الناصع : الخالص . التلميم : الأثر

(٥) مذائب : مدافع للاء إلى الرياض . الصيفة : ورق الزرع . حدورها : منحدرها . أنى للاء : السبل القوى للتدفع . مطموم : مخلو .

هل تُلحَقْنِي بِأُخْرَى الْحَى إِذْ شَحَطُوا جُلْدِيَّةٌ كَأَتَانٍ الضَّحْلِ عُلُكُومٌ (٦)  
 كَأَنَّ غَسْلَةَ خِطْمِيٍّ يَمُشِقِرُهَا فِي ائْتَدَّ مِنْهَا وَفِي اللَّعْتَيْنِ تَلْفِيمٌ (٧)  
 نَتْلُهَا تَقَطُّعُ لِلْوَمَاءُ عَنْ عُرُضٍ إِذَا تَبَنَّمُ فِي ظِلْمَاتِهِ الْبُشُومُ (٨)  
 ٢١٢ : تَلَاخِطُ السَّوْطَ شَزْرًا وَهِيَ ضَامِرَةٌ كَمَا تَوَجَّسُ طَاوِي الْكَشَعِ مَوْشُومٌ (٩)



- (٦) أُخْرَى الْحَى : آخر التفرق الرمحلة . شحطوا : بحدوا . الجُلْدِيَّة : الصلبة الفتوة .  
 أَتَانِ الضَّحْلِ : الصخرة يجرفها السيل فتبقى في الماء . العُلُكُوم : التلطيطة .  
 (٧) الْغَسْلَةُ : ما غسل به الرأس . الْخِطْمِيُّ : نبات يغسل به . التَلْفِيمُ : تفعيل من  
 التلغيم ، وهو زبد تخالطه خضرة من الرمي .  
 (٨) الْوَمَاءُ : الصحراء . عَنْ عُرُضٍ : عن اعتراض . تَبَنَّمُ : صوت صوتا عثلا .  
 (٩) شَزْرًا : بمؤخر العين . ضَامِرَةٌ : صابرة فلا ترفو من الضجر . طَاوِي الْكَشَعِ :  
 كناية عن الثور الوحشي . مَوْشُومٌ : منقط .



### تحليل الأبيات :

بدأ علقمة قصيدته بمناجاة قلبه في موقفه من خليلته ، أيجافظ على سرها ، ويكنم  
مكتون أمرها ، أم أنه وقد نأت عنه سيقطع صلته بها ، ثم يفشى سرها ؟  
ثم أخذ يصف رحيل الفواني وأثره ، وجمالهن وسحره ومسكنه وعطره ؛ حتى انتهى بعدئذ  
إلى أن المين كالذئوب اعتصمت على أحد جانبيها ناقة دهاء ، قد ظهر من فوق قتبها الحزوم في كاهلها ،  
فأه الدلو لهذا الليل دائم الانسكاب ، وهو بعد هذا التمهيد يسير في وصف الناقة ، فيقول :  
إنه يمز ناقته ويكبرها فلا يستخدمها إلا قليلا ، قل أن يضع الرجل فوق ظهرها ،  
فهو في أكثر الأحيان عريان ، لذلك هو مكتنز صلب كخافة كبر الحداد ، وقد ذهب عنها  
المر ، وزال الجرب ، بما بذله من العناية بها ، فأثار القطران الخالص تشمل جميع  
أجزائها ، وهذا في ذلك المعصر دليل الفنى والثروة .

مثل ذلك القطران يسقى جميع أجزاء هذه الناقة كمثل الماء يسير في طرقة ومجاريه ؛  
ليسقى الحدائق والرياض ، قد زالت عنها أوراق الأشجار ؛ فالقطران يسير من أعلاها إلى  
أدناها ، فينثر على قوائمها وعنقها وذيلها وجميع أجزاء جسمها ؛ تفرق الماء يسير إلى  
الرياض من المرتقامات إلى الوهاد ، فيسقيها جميعها .

هل تلحق تلك الناقة العزيرة المسكرة بأخرى الظمائن اللأى ظمن ، وهي الظمينة  
التي علق بها قلبي ؟ ولم لا تفعل ؟ وهي ناقة قوية صلبة كأنها الصخرة نضب عنها الماء ،  
فبدت ناعمة ملساء ، وكأنها - وقد علا مشرفها وخدها ولحيها الزبد المختلط بخضرة  
المشب - قد غسلت بالخطمي .

بمثل تلك الناقة القوية الجلدة تقطع الغلوات ، وتحجب المفازات دون أن تبالها  
أو تحشى مجامعها ؛ تلك الجاهل التي يصوت في أقطارها البوم ، ذلك الصوت المنكر  
الضئيل الخفلس ، كأنه يخاف أن يسمعه صائد فيودى به ويقضى عليه ، وهي إذ تسير  
تراقب سوط راحبها ، وتنتظر إليه بمؤخر عينها جلدة صبورا لا تشكو سيرا ، ولا تحس  
ضجراً ، مثلها في النظرة الشرياء والطرف الحذر ؛ كمثل الثور الوحشي الطاولى الكشع ،  
الضامر المنصر ، المنقط الجسم ، يتوجس الشر ، فيسمع كل نامة ، ويهرب كل حركة ،  
فهو لا يأمن كائناً ، ولا يصاحب مخلوقاً .

## النغم :

لم يقتضب علقمة في قصيدته غزله كما اقتضبه سائر من اخترنا من شعرهم في الوصف ، فقال طرفة : « وإني لأمضى الهم عند احتضاره » وقال بشامة بن النذير : « قربت لفرحل عيرانة » .

وقال المثقب العبدى : « حتى تلوفت بلكية » ، وقال زهير بن أبى سلمى : « وقفت بها رآد الضحاء مطيقي » ، وقال المسيب بن علس : « قتل حاجتها إذا هي أعرضت » .

لم يفعل كما فعلوا وإنما مهد للوصف تمهيداً طريفاً على غير عادة الجاهليين ، فقال : إن صبه مثلها كمثل الدلو تحمله ناقة دهماء قوية ، وقد مالت الدلو إلى أحد جانبيها فهي تسيل ، ثم انصرف إلى وصف تلك الدهماء .

وفي القطعة ممان طريفة مخترعة لم يرها نظير في شعر النخبة الشعراء الذين قدمنا لهم نماذج في وصف النوق ، فناقته عزيزة عليه عزتها على الآخرين ، ولكنه لا يرهقها كما فعل زهير ، بل :

قد عريت زمنا حتى استطف لها      كثر كخافة كبر القيع معلوم  
قد أدبر المرعها وهي شاملها      من ناصع القطران الصرف تدميم

ومن الطريف تشبيهها في صلابتها وملامسة جسمها بالصخرة الفليظة الضخمة يجرها السيل ، فخبى في الماء دهرآ فزول خشوتها ، وتبقى لها قوتها ، فيقول :

هل تلحقني بأخرى الخى إذ شحطوا      جلدية كأن الضحل علكوم ؟

وهو يتخير الألفاظ الصلبة لمعانى الصلابة ، مثل : جلدية ، علكوم ، ضامرة ، كثر .

والقطعة على قصرها تدل على أن علقمة كان من مجيى الوصف البارعين فيه ، فأى صورة كاملة للقطران يعم أجزاء الناقة أدق من تشبيهه بالماء يسيل من الروابي والتجاذ إلى المنخفضات والوهاد ، فيصل جميع أجزاء الروض .

## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الناقة

هؤلاء الشعراء الستة الذين أردنا أن نجمل منهم عناوين لبقية شعراء هذا العصر في وصف الناقة ليسوا بأشهرهم في الوصف ، وليسوا بأفوقهم في الشعر ، ولكننا اخترناهم ؛ لأنهم ينسبون إلى قبائل متعددة ، ويمشون في أقاليم متباعدة ، وينشئون في عصور مختلفة وإن بدت متقاربة ، فطرفة كان ينسب إلى بكر ، ويعيش في البحرين وإن رحل منها إلى غيرها ، وكان بشامة بن الندير غطفانيا ، ويعيش في نجد ، ولتعب عبدا ، ويعيش في العراق ، وكان زهير مزنيا ، ويعيش في نجد ، والسيب بن علس بكريا ، ويعيش في العراق ، وكان علقمة الفحل تميميا ، ويعيش في نجد ، وليس كون بعضهم متفقيين في الوطن أنهم متفقون في الفكرة ؛ إذ كانوا جميعا ما عدا بشامة بن الندير من الشعراء الرحالين ، وقرحات أثر في الأدب ؛ إذ ينهل الشاعر من البيئة التي يرحل إليها نهله من البيئة التي يرحل عنها ، هذا إلى أن العراق ونجدا وإقليم واسمان مختلفان اختلافا كبيرا في نظم الحياة .

ونحن نرى هؤلاء الشعراء - ما عدا طرفة - يكادون يتشابهون في المعاني التي أوردوها ، ولم نستن طرفة لأنه لم يشاركهم في معانيهم ، بل لأنه أورد معاني كثيرة اتسع لها طول وصفه ، وهم يمتدنون على الحس دون المعطف الاعتياد كله ، وبخاصة حاستا السمع والنظر ، ولكنهم يتفاوتون في الاعتياد عليهما ، فمنهم من يؤثر النظر ، ومنهم من يؤثر السمع ، وقفا يشيرون إلى الشعور الداخلي ، ومن ذلك القليل قول زهير :

تبادر أغوال الشئ وتسقى علالة ملوى من القد محمد

فقد أشار إلى إحساسها وشعورها حينما يعطيهما الظلام ، ويفشاهما الليل ، ولكنها مع ذلك إشارة عابرة ، ومنه قول علقمة :

بمثلها تقطع الوماة عن عرض إذا تبين في ظلماته البوم

فهو يشير إشارة مبهمه أو خفية إلى أنها تسعى جاهدة لتقطع هذه الوماة بعد أن بسط الليل جناحيه الأسودين ، يشرنا بهذا القدي يعنيه قوله : تبسم فمى وحدها اللوحية بهذا الشعور .

ومع تباعد أوطانهم وأنسابهم وأحمارهم تكاد معانيهم تنبع من معين واحد ، فكلهم وصف ناقته بالصلافة والقوة ، فقال طرفة :

أمون كألواح الإزنان نسأتها      على لاحب كأنه ظهر برجد  
وقال بشامة بن الندير :

قربت للرحل عيرانة      عذافرة عنقرىسا ذمولا  
وقال المثقب العبدى :

عرفاء وجناء جالية      مكربة أرساها جلمد  
وقال زهير بن أبى سلمى :

جالية لم يبق سبرى ورحلقى      على ظهرها من نيبا غير محند  
وقال السيب بن علس :

صكا ذعلبة إذا استدبرتها      حرج إذا استقبلتها هلواع  
وقال علقمة النحل :

هل تلحقنى بأخرى الحى إذ شحطوا      جلذية كأنان الضحل علىكوم؟  
وقال أيضا :

فالعين متى كأن غرب تحط به      دهاء حاركها بالثقب محزوم

وقد استنبطت قوتها من كلمة دهاء ؛ إذ الإبل الدهم معروفة بالقوة والسرعة ، خوفي تناوله هذا المعنى غير السيب بن علس الذى نمتها بنموت القوة كصكا وحرج ، فالصكا القوة ، والحرج الطويلة ، وكلاهما غير زهير الذى صورها جملا ، وهو دون شك أقوى من الناقة وأبسط جسا ، وثلاثهم أقل من المثقب العبدى الذى وصفها بأنها عرفاء ، ووجناء ، وجالية ، وبأنها مكربة وجلمد الأرساغ ، فهذه خمسة نموت كل نمت منها يشعر بالقوة والصلافة ، أما بشامة فيصف قوتها فى بيتين متتابعين :

قربت للرحل عيرانة      عذافرة عنقرىسا ذمولا  
مداخلة الخلقى مضبورة      إذا أخذ الحافقات القتيلا

خبت الربا في الحقائق التي توالى عليه للعر أنعم وأجود من سواء ، ولا يعرفه من يعيش في صحارى الأحقاف أو في النفود أو في الدهناء ، ثم جمه الحقائق يدل على كثرتها وانتشارها ، ومثل قوله :

لها فخذان أكل النحض فيها كأنها بابا منيف عمرد

فتشبيه القمخين ببابى القصر للنيف دليل مدنيهم ؛ حتى إتهم يشيدون قصورا مرمدة متددة الأبواب ، وتستطيع أن تتبع آيات القصيدة لتجد دلائل الحضارة ومظاهر المدنية واضحة ساطعة ، وتجد أثر الحضارة في تشبيه آثار ارتطام الحصى بأرساغ الناقة بالفناء في قول اللثقب :

تسمع نمرافا له رنة في باطن الوادى وفي التردد  
وفي قول للسبب :

وإذا تاورت الحصى أخفاها حوى نوايه يظهر القاع  
أما آثار الثغاف في شعر طرفة فظاها كثرة كذلك ، ومنها قوله :

كقنطرة الروى أقسم ربا لتكتنن حتى نشاد بقرمد  
فهو قد أشعرنا بأن الروم يحسنون البناء ، ويحيدون فن الهندسة ، وقوله :

وخد كقرطاس الشامى ومنفر كبت النيانى قد لم يعمرد

ففي هذا البيت صورة لقرطاس الشامى ، فهو رقيق أبيض عريض ؛ لأنه يريد وصف خد الناقة بهذه الصفات ، ولأن هذه الصفات من أسباب الجمال في النوق والشفر كبت النيانى نستشر منه أن سبت النيانى أحمر لين مستقيم ؛ لأن هذه صفات الشفر الجميل ، وقوله :

وعينان كالماويتين استكتتا بكفى حجاجى صخرة قلت مورد

فتشبيه العين بالمرأة يدل على ثقافة وحضارة ؛ إذ هو يعرف في المرأة الصفاء ، وكثرة العرب تشبه العين بالنبع ، أو النبع بالعين ، أما تشبيهها بالمرأة فلا .

على أنه لا ينسى البادية بل يذكرها ، فألقاها في جلتها من أجزل ألقاها البادية ، والكثير من معانيه وتشبيهاته وكنائياته أضفت عليه البادية الكثير من القوة والرصانة ، وذلك كقوله :

ترجع إلى صوت المهب وتتنق بنى خصل روعات أكلف ملبد  
هذه الكنائيات في البيت من ملاحظات أهل البادية ، وكقوله :  
كأن كناسي ضالة يكتفانها وأطر قسى تحت صلب مؤيد  
لها مرقان أقتلن كأنما تمر بسلى دالج مقشدد  
كلها من إملاء البيئة البدوية التي لا تشوبها شائبة من الحضارة ، فإن القسى من أدوات  
النابة لا من نبات الحديقة .

وهذا الذى ذكرناه عن طرفه يذكر بعضه عن الشاعرين الآخرين للتبيين إلى العراق،  
وقول بعضه لأنهما لم يطبلا كما أطال ، ولم يكن لهما ماله في ذلك المجال ، وإن يكن لهما  
من الصور الشعرية ما يملأ النفس روعة ، كقول الثقب العبدى :

كأنما أوب يديها إلى حيزوما فوق حمى التدفد  
نوح ابنة الجوف على هالك تنده رافسة المجلد  
فهذه صورة واضحة كاملة لحركة القائمتين الأماميتين لا تنقصها ألوان ولا خفقان ، وهذه  
النغمة الموسيقية التي تصورها السيب بن علس فأحسن تصويرها لا يمكن أن نفص من  
شأنها بالإشارة إليها دون عرضها ، وهى قوله :

وإذا تماورت الحمى أخفافها دوى نواديه بظهور القاع  
أما الشراء التجديون وهم بشامة وزهير وعلقة ، فع أن اثنين منهم كانا حكيمين ،  
والحكمة توحى إلى صاحبها بالزفة والسهولة ، واللين والسباحة فإنك تشر أن للبيئة فيهما  
مالها في غيرها ، فاستمع إلى هذا البيت ينشده رجل هو قيصة بيته ، وحكيم قبيلته، وهو  
بشامة بن الفدير :

فقرت للرحل عيرانة عذافة عتريسا ذمولا  
أربع كلات كأنها منحوتة من الصخور في بيت واحد ، ولو أنها وزعت في إحدى المطولات  
لألبستها شملة الأعراب ، ثم قوله .

لها قرد تمالك نيه تزل الولى عنه زليلا

أما تليذه زهير ؛ نشأه هو شأنه المروف رقة لفظ وعذوبة أسلوب ، فإن خرج عن طبعه فلأن الكلمة التي قهر عليها مما لا يفتى عنها غيرها ، أو لأن الشراء جرت بها ألسنتهم ، فصارت كالجزء من وصف الناقة ، وذلك كقرود وجلد ، ومزودة ، فأما علقمة فقد كان شعره جميعه منحولاً مصق ؛ حتى أخبر عنه حماد الراوية قال : « كانت العرب تعرض أشعارها على قریش ، فما قبلوا منها كان مقبولا ، وما ردوا منها كان مردوداً ، نقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم القصيدة التي منها هذه الأبيات ، فقالوا : هذه سمط الدهر ، وكان الفرزدق يقول عنه :

والفحل علقمة الذي كانت له حلل اللؤلؤ كلامه يتنخل

وقد قدمنا أنه كثير الرحلات فقل هذا من أسباب رقة شعره ، ويعجبنا منه ذلك الخيال في قوله يصف مسيل القطران الخالص على أطراف الناقة :

تسقى مذائب قد زالت عصيتها حدورها من أتى الماء مطموم

فالقطران لا يمدى الجدى كلها إلا إذا كان جسم الناقة خاليا من الشعر ، وهو ما أشار إليه بقوله : « قد زالت عصيتها » وقوله في وصف خضرة مشفرها من أثر الرعى :

كأن غسلة خطى بمشفرها في الخلد منها وفي اللحيين تليهم

كما يعجبنا قول زهير في وصف عرقها خلف أذنيها :

وتنضح ذنبرها بمحون كأنه عصم كحيل في المراجيل معقد

فهذا الوصف لرق الإبل الذي يتحدثون عنه بأنه أسود في أول أمره ، ثم ما يلبث أن يصفر حتى يصير كالقطران المطبوخ تشبيه دقيق يدل على علم بدقائق حياة الإبل .

وبعد فهذه نظرات فاحصة قد تكون إلى الإيجاز أقرب منها إلى الإطناب ، ولكنها مع ذلك محصية مستقصية ، نحى إتمام لما بدأناه في تحليل النقط الست ، وإيفاء لما قد نكون عهدها عبثاً ، وإعلاء إلى من يريد أن يتبين أصول وصف الناقة في العصر الجاهلي ، وحسبك من الزاد ما بملك الحبل ، ومن النقد ما رسم لك الطريق .

## ( ب ) وصف الفرس

١ - قال امرؤ القيس \* من مملته :

وقد أغتدى الطير في وكناتها      بمنجرد قيد الأوابد هيكلي<sup>(١)</sup>  
مكر مفر ، مقبل مدبر معاً      كجلود صخر حطه السيل من قل<sup>(٢)</sup>  
كمت يزل اللبد عن حال متته      كالزيت المصفى بالمخزلي<sup>(٣)</sup>  
على الذيل جياش كأن اهتزاه      إذا جاش فيه حيه غلي مزجلي<sup>(٤)</sup>  
مسح إذا ما الساجات على الوتى      أثرت النبار بالكديد المركلي<sup>(٥)</sup>  
٢١٨ : يزل الغلام الخلف عن صهواته      ويلوى بأثواب النيف الثقلي<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي ، زعيم شعراء العصر الجاهلي ، بما اخترع من معان بقيت مادة الشعر والشعراء عصوراً ، وبما أنشأ من صورلونها ، فلم يمح أوانها مرور الدهور ، وبما ابتكر من أساليب ذات طراز طريف خالده ، وبما ابتدع من تشبيهات واستعارات وكنائيات هي آية الآيات في الروعة والجمال ، في الشعر القديم والحديث ، وأسنى شعراء غزله ووصفه ، لأنها ينبعثان عن نفس جياشة صافية ، توفى حوالى سنة ٥٣٩ م .

التفسير اللغوي : (١) أغتدى : أخرج غدوة للعبد ، والغدوة أول ساعات النهار . وكناتها : جمع وكنة وهي الأوكار ، والوكنات في الجبال كالتياريد في السهول ، والقراد برج الحمام . بمنجرد : بفرس قصير الشعر . قيد الأوابد : مقيد للوحوش الأبدية النافرة . هيكلي : ضخم . (٢) مكر مفر : كثير الكر والفر ، مقبل مدبر : حسن الإقبال والإدبار . كجلود صخر : كصلب الصخر . حطه : أسقطه .

(٣) كمت : أحمر مائل إلى السواد . يزل : يسقط . حال متته : موضع ظهره . المصفى : الصخرة للنساء . بالمخزلي : بالسيل التدافع . (٤) الذيل : الضمور . جياش : مضطرب اضطراب لثاء اللؤلؤ . اهتزاه : صوته . حيه : غليه . للرجل : القدر الكبيرة .

(٥) مسح : عدا ، من مسح السحاب للطر إذا صبه . الساجات : وصف للخنيل تبسط يديها في جريها كما يبسطهما الساج . الوتى : البطء والفتور . الكديد : الأرض الصلبة للطنش . المركلي : الذي يركل بالرجل مرة بعد مرة .

(٦) يزل : يلقى . الخلف : الخفيف . الصهوات : جمع صهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس . يلوى : يرمى يميناً وشمالاً وفوقاً . النيف : القارس الحادق . الثقل : الثقل .



دبر كخدرُوفِ الوليدِ أمرُهُ      تتابعُ كفيه بجيظِ مُوسَلٍ<sup>(٧)</sup>  
 له أَيْطالا ظي ، وساقا نامةٍ      وإرخاءِ سِرْحاني ، وتقريبِ تَقْلِ<sup>(٨)</sup>  
 ضليعٍ إذا استدبرتهُ سدُ فرجة      بضافِ فوقِ الأرضِ ليس بأعزلِ<sup>(٩)</sup>  
 كأنَّ سرائه لهُي اليتِّ قاعُما      مَدَاكُ عروسٍ أو صَلايَةُ حنظلِ<sup>(١٠)</sup>  
 كأنَّ دماءَ المهادياتِ ينحمره      عُصارةُ حنَّاءِ بِشَيِّبِ مَرْجَلِ<sup>(١١)</sup>  
 فمنَّ لنا سربٌ كأنَّ نِجَاجَه      عَذَارَى دَوَارٍ في مُلَاهِ مُذْبِلِ<sup>(١٢)</sup>  
 فأذبرن كالجزعِ الفَقْصِ لِيَنه      بِحِجْدِ مُعَمَّرٍ في العَشِيرَةِ مَحْوِلِ<sup>(١٣)</sup>  
 فألحقنا بالمهادياتِ ودوته      جَواحرها في صَرَقَةٍ لم تَزِيلِ<sup>(١٤)</sup>  
 ٢٢٧ : فسادى عِداً بين ثورٍ ونَجْه      دِراكاً ولم يُنْضَحْ بِماءٍ فَيَغْسَلِ<sup>(١٥)</sup>

(٧) دبر : مستدر في العدو . الخدرُوف : الحرارة ، وهي حصة مشفوعة يحمل فيها الصبيان خيطا ويدرونها فيسمع صوت ودوي لسرعة دورانها . أمره : أحكم فله . تتابع كفيه : بسرعة إدارة تلك الحصة . (٨) أَيْطالا ظي : خاضعنا غزال . إرخاء سرحان : عدو ذئب ، والإرخاء نوع من جريه . تقريب : وضع الرجلين موضع الدين في العدو . التقل : ولد الثعلب . (٩) ضليع : عظيم الأضلاع . استدبر الشيء : نظر إلى مؤخره . الفرج : الفضاء بين الفخذين . بضاف : بذيل صابغ منط . فوق : تصغير فوق للتقريب ، كأنه قال : بضاف قريب من الأرض . الأعزل : الذي يميل عظم ذنبه على أحد الشقين .

(١٠) سرائه : ظهره . لذلك : الحجر الذي يذك به الطيب ونحوه . الصلاة : الحجر الأملس الذي يذق فيه أو عليه . الحنظل : نبت مر . (١١) المهاديات : السباقيات من كل شيء ، ويريد هنا التضدمات من طرائد الصيد . بنحره : بشفته . مرجل : مسرح .

(١٢) عن : اعترض . السرب : القطيع من البقر الوحشي . العذارى : جمع عذراء الأبقار ، ويعني أنهن فتيات قويات . دوار : اسم صنم كان الجاهليون يدورون حوله تشبهاً بالطائفتين حول الكعبة . اللاء : جمع ملأه لللاخ ، ولا تسمى ملأه إلا إذا كانت لقفتين مذبذبتين . (١٣) الجزع : الحُرْز الجباني فيه سواد وياض . للفصل : للتظم بغيره من الجواهر . بحيد : بنق . معم : كرم الأعمام . محول : كرم الأخوال .

(١٤) الجواهر : للتخلفات في جمورها . الصرة : الجماعة . لم تزيل : لم تترك .

(١٥) فسادى عداً : فوالى الجرى موالاة . دراكاً : مداركة ومتابعة . ينضح : يرشح .

### تحليل المزيات :

غنى امرؤ القيس في مملته الخالصة خلود الفن والأدب بواحد وخمسين بيتاً أودع فيها ألواناً من الفن ، وأقاني من الجلال ، غنطفة مؤنقة ، غنطفة لاختلاف أصواتها ، مؤنقة لاختلاف أوصافها ، فهي جميلة رائحة ، سواء أكانت في وصف الأطلال أم في وصف أم الحويث ، أم في وصف يوم بدارة جلجل ، أم في ذلك الحوار الأخاذ بالأنباء بينه وبين عزيزته ، أم في وصف منامراته في سبيل حبه ، ومخاطراته ليقضى حق قلبه ، أم في وصف الليل وهوله ، أم في خدمته لآله وصحبه ، أم في قطعه وادياً كجوف المير تموى فيه الذئاب ؟ أليست هذه كلها أصواتاً مختلفة ، وألحاناً متباينة ، ولكنها مع هذا متسقة المعاني ، متسامية الخيال ؟ وإذن فهي مختلفة مؤنقة .

والشاعر لم ينهر لطول الفناء ، ولم يبيع صوته لكثرة الإنشاد ، بل زاده ذلك جلالة ووضوحاً ، وحسن نعمة ، وجمال ترجيع ، فأخذ يفتي بمحاسن جواده .

وامرؤ القيس الشاعر هو امرؤ القيس القارس الذي صادق الخليل فتى وشاباً ، ورجلاً وكهلاً ، الذي صادقها في لموه وجدده ، وسله وحر به ، وصيده وطرده ، فكانا الكرميين في صداقتهم ، وفاء في الشدة والرخاء ، وصفاء في السراء والضراء ، فليس غريباً أن يفتي بمحاسن جواده خمسة عشر بيتاً ، فيقول :

قد أغدو بكرة مرحا نشيطاً ، وأى نشاط أوفر من نشاط أسبق به رمز النشاط ، أسبق به الطيور التي لا تزال في وكراتها تصيح للشقشق وتترد ، أغدو معتلياً صهوة جواد كريم ، قد انحسر شمره لوفرة سمته ، جواد ماض لا يقف في طريقه كائن ؛ حتى إنه ليقيد بسرعه الوحوش الأبدية ، فما نستطيع حراكاً ، وهو الفرس النهدي العظيم ، المكر فلا يسبق ، للفر فلا يلحق ، للقبل حين تريد إقباله فلا يصد ، للدبر إذا رغبت في إدباره فلا يرد ، وهذه الصفات متجعة في قوته ، لا أنه يأتيها جميعاً ، كأنه في سرعته وصلابته حجر عظيم أسقطه السيل الزاحف ، من السمو إلى الهوى ، هذا الفرس الكبيت الضخم الجسم ، المكتنز اللحم ؛ حتى ليسقط اللبد عن أوسط ظهره سقوط الصخرة للساء بالمطر

المهاطل ، وهو ضامر ذابل كثير الجيشان ؛ حتى لتخال تكسر صوته إذا جرى في عدوه جيشان الماء في الرجل .

يصب هذا الجواد عدوه صبا ، فيأتي بأفانين تفتح له السبق ، في الوقت الذي أدرك الجياد السابحات الوتى والكلال ، ويبدو ذلك الإعياء من أنها شير من الأرض الصلبة القبار ، يزلق النلام التحيف الخفيف الذي لم يدرب على الفروسية عن صهوته ، ويرى بأنواب القارس العنيف الماهر الشديد في جهات ثلاث ، يرى بها إلى أعلى وإلى شمال وإلى يمين ، وهو يستدرّ عدوه ، ويرى جريه كما تدر ذوات اللبن ضرعها إداراً متتابعا ، أو هو في تتابع أفانين سبقه كخزوف الصبي أحكم فخل خيطه ، وتتأبست كفاه في إدارته بحيط قطع ثم وصل ، فهو كالحزوف يبدأ هادئا ، ثم يشتد شيئا فشيئا بين انبساط وانقباض .

ترى لذلك الفرس النهدي خاصرقي ظلي ، وساقى نمامة قصيرتين صلبتين ، وسيرا كبير الذئب ليس بالشديد ولا البطيء ، وتقريبا في سيره بين قوائمه كما يفعل ولد الثعلب عند ما يسرع إذ تقع قدماء الخلفيتان مكان قدميه الأماميتين ، فهو قد أخذ من كل حيوان أجل ما يتصف به ، فأخذ من الظاهر خصره الضامر ، ومن النمامة ساقها القصيرة الصلبة ، ومن الذئب سيره المرخي ، ومن الثعلب تقريب قوائمه في سيرها .

وهو مع ضهور خصره عظيم الأضلاع ، ممتلئ الجنين ؛ إذا تأملته مستدبرا رأيت يسه الأعضاء الذي بين قائمته بذنبه الضافي السابغ الذي يكاد يصل إلى الأرض ، في استقامة واستواء ، كأن ظهره الأملس حينما ينزع عنه سرجه قائما أمام البيت في صفائه وملامسته مذاك عروس أو صلاية حنظل ، واختياره مذاك العروس ؛ لأنه دائم الطيب ، وصلاية الحنظل لأنه يسيل منها دهن فتلع جوانب الصلاية وتبرق ، وكذلك جلد الفرس فيه نصاعة وصفاء ، ولعمان وبريق .

هذا الفرس يقيد الأوابد ، ويدرك الهاديات الشوارد ، وفارسه حينئذ يطعن طمئة

حقبة يتدفق منها الدم غزيراً ، فيضرج نحر ذلك القرس الكريم ، فإذا هو كالشيب للرجل بالحناء ، لقد عرض لنا قطع من البقر الوحشي هو آية الجمال ، وعتوان الحسن ، فظهورها بيض نواصع ، وقوائمها سود حواصل يشبهن خيات عذراوات ، يملك صفاء بشرتهن القلوب ، وقد أسبغن على أرجلهن ملاء سودا ذوات أذيال سافرة ، ويختلن اختيال أولئك المذارى إذ يدن حول صنم يقدسه ويظلمه ، وإذ هن في تلك الحال اللئلي بأسباب المسرة بدّوت لمن ففزعن أعظم الفزع ، وأدبرن متفرقات ، وكن من حين متجمعات مختلفات ، فبدون في تفرقهن كالجزع سائر أبيض وأطرافه سود ، وقد فصل بعضه عن بعض بجهوم كريم ، يزدان به عتق غلام نبيل ، فهو كريم الأعمام والأخوال ، ولكن تفرقهن لم يغنهن شيئاً ؛ إذ ألحقنا الجواد الكريم بالسوابق منهن ، وترك من خلقه الجواهر للتخلفات ، فأدراكه للأوائل كنفيل باقتصاص الأواخر .

وهي إذ تفرقت تفرقت جماعات ، ضادى بينها عداة ، ووالى الجرى موالاة ، بين ثيران ونساج ، فأدركهن لم يجده الإدراك ، ولا أشقاء العدو ، فلم يسل منه عرق ، فيسل جسمه .

### الفقر :

والناظر في هذه الخمة عشر يتأبحد ضروبا من الوصف رائحة ، وألوانا من الجمال فائنة ، نشع\* ألقاها معاني أوسع مما تارف عليه القويون ، وتصب معانيها صوراً لا يخلق مثلها المصورون ، بل هي ترسل وميضاً تشر به ولا تصوره ، فهي منقصة بالصور الكاملة ، زائفة بالحياة النابضة ، فكأنك حيالها في ميدان أو في حلبة فرسان .

أي حياة نابضة أوضح من حركة الكر والفر ، والإقبال والإدبار ؟ كلها في شطر واحد ، إن هذه لا تصدر عن جواد في لحظة ، ولكنها تلح في حلبة ، وإننا لتتخيل الصخرة المظلمة تسقط من شاطئ ، فتتلى\* القلوب من سقوطها هلما ، قد تتصورها ، ولكننا نجزع عن تصور أثرها فيمن تسقط عليه ، إلا أننا نستشره إذ نسمع : « كجلود صخر حطه السيل من عل » .

وأى حياة خائفة نابضة أقوى من حياة تستغنيك جميع حواسك ، ففري منها ونسج ، ولا تكنفى بالسع والبصر ، بل تطالبك باللس وبني اللس ؟ هذه الحياة تبدو فى قوله :

على الذبل جيشا كأن اهترامه إذا جاش فيه حيه غلى مرجل  
إن الألفاظ مع قوتها لا تنفيك شيئا كثيراً فى تصور « اهترامه » ولا فى تصوير « غلى مرجل » وتحيل حيوانا يتألف من جملة أجزاء لعدة حيوانات ؛ حيوان له خصر كخصر الغلي ، وساق كساق النمامة ، وسير كسير الذئب ، وتقريب كتقريب التنفل ، أليس ذلك الحيوان سيكون نوعا فريدا بين سائر أنواع الحيوان ؟

وإنك لتتخيل الغلام اللفر بالفروسية يحتل صهونه ؛ بل صهواته ، وفرق بعيد بين القفلين وإن أدبا معنى واحدا ، فإن هذا الجمع يشعر بالفخامة والضخامة ، والحول والهمول ؛ حتى ليكاد الغلام يزل دون ركوب ، إنه لن يثبت على ذلك القرس الجبار ذى الصهوات ، لن يثبت عليه لا لجوحه فهو عتيق أصيل ، ولكن لاندفاعه فهو القوى الشديد ، وتتصور صورة ذلك القارس العنيف العنيد تتطاير أبوابه ، فلا يستطيع جمعها ، فهو مشغول بحسه عن ثوبه ، وتتصور أبوابه تتطاير فى جميع الجهات ، فكأنها جناحان لطائر جارح .  
وتتخيل خراة طفل قد أحكم قتل خيطها ، وأجاد اللعب بها ، إنك لا تستطيع أن تتبين الخنزوف لسرعة دورانه ، ولتتابع حركة الصبي به .

وامرؤ القيس هو الشاعر الذى يستطيع - دون تكلف - أن يفعم قصائده بالصور التكاملة الظلال ، فلنمد هذا النوع لثقف وقعة قصيرة عند نوع آخر تظهر فيه عبقرية .

الدقة فى التعبير صمة امرؤ القيس الظاهرة ، وآيته السافرة ، فتأمل هذا البيت :

كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصنواء بالتسنزل

فحال متنه وسط ظهره ، وهنا تبدو الدقة ، فقد يزل اللبد لأنه لا يتوسط الظهر ، ولكن وقد توسطه لا يزل إلا للامسة ظهره ، واكتناز لحه ، ومثل :

مسح إذا ما الساجحت على الونى أثمن القبار بالكديد للركل

قد يشور الفبار إذا كانت الأرض رملية أو متربة أو سهلة ، وليس في ثورانه حينئذ ما يدل على التوى أو الكلال ، وإنما الذى يدل عليها هو إثارة الفبار من الكديد ، ومثل :

ضليح إذا استدبرته سدّ فرجه      بضاف فويق الأرض ليس بأعزل  
قد يكون الذيل ضائفا سابغا ولكنه معيب ؛ لأن صاحبه يتعثّر فيه لطوله فى عدوه ،  
ولذلك احتس من هذا المعنى بقوله : « فويق » دون فوق لتفيد قربه من الأرض دون  
ضعفه عليها .

وتستطيع متابعة التأمل لتحكم بأن الدقة براعيها كل المراجعة ذلك الشاعر الفنى حكم  
له بأنه استنبط للشراء معانى ، وفتح لهم فى الشعر منابع وعيوننا .  
وليس عبها على امرئ القيس أن ينال زعامة الشعر ، وأن تكون أقوى أسباب زعامة  
وصف فرسه ، فقد صاحبه من مهد إلى لحد ، و بين الصاحبين مجاورة هى أقوى عوامل  
الإجادة والإحسان .



٢ - وقال بشر بن أبي خازم • من قصيدة أولها :

ألا بان الخليط ولم يرلروا      وقلبك في الطعائن مستار<sup>(١)</sup>  
فأبلغ إن عرضت بنارسولا      كنانة قومنا في حيث ساروا<sup>(٢)</sup>  
كفيتنا من تقيب واشتبعنا      سنام الأرض إذ قحبط القطار<sup>(٣)</sup>  
بكل قياد سنقة عسود      أضر بها السارح والنسوار<sup>(٤)</sup>  
مهارشة المنان كأن فيها      جردة هبوة فيها اصفرار<sup>(٥)</sup>  
كأن بين خافيتي عقاب      تقلبني إذا ابتل العذار<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو بشر بن أبي خازم بن عمرو بن عوف شاعر مجيد وفارس مغوار ، وهو يتنسب إلى بني أسد ، وقد كان يهجو أوس بن لأم الطائي هجاء مقنعا حتى ذكر في هجائه أمه ، فتعين له أوس القرم حتى أسره في إحدى حروبه مع طي ، وكان أوس قد أهدر دمه إن مكن الله منه ، فقالت له أمه : خل الرجل فإنه لا يحمو ما قاله غير لسانه ، فضا عنه ، فجعل جر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، توفي حوالي سنة ٥٣٠ م .

التفسير القوي : (١) بان : جد . الخليط : الخالط أو الخالطون يطلق على الفرد والجمع ، وهم الأجاء . الطعائن : جمع طعنة ، وهي الإبل فوقها الموائد فيها النساء . مستار : مأخوذ منك معهن .

(٢) عرضت بنا : تحدثت عنا . رسولا : رسالة . قومنا : بدل من كنانة .

(٣) كفيتنا : حمينا . اشتبعنا : جعلناها مباحة لا أحد يحجبها ، سنام الأرض : نجدها . قحبط : القطار : قل للطر ، ونضب النيث ، فأجذبت الأرض وأهملت .

(٤) قياد : عنان . السنقة : القرم شد عليه السنانف ، وهو لب يشد من وراء السرج . إلى صدر القرم ثلاثا يتأخر السرج . العنود : التي تعاند القامرس فتأبى إلا قطعه . السارح : الراقب والتهور . التوار : القارة ، وهو مصدر لتاور .

(٥) الهارشة : اللقطة . المنان : جلد اللجام ، وتقاتله لنشاطها ومرحها . الهبوة : الفرة ، وخس جردة الهبوة لأنها أشد طيرانا ، ثم خص الأصفر ، لأنه ذكر الجراد ، وهو أخف من الأنثى في الطيران .

(٦) الخافية : جمعها خواف الريش الصغير ، وضدها القوادم . عقاب : نسر . ابتل العذار : كناية عن العري ، والعذار : الشعر الذي يحاذي الأذن .

نَسُوفٍ حِرْزَامٍ بِمِرْقَتَيْهَا      يَسُدُّ خُوءَ طَبِيبِهَا التُّبَارِ<sup>(٧)</sup>  
 تَرَاهَا مِنْ بَيْسِ اللَّاءِ شَهْبًا      مُخَالِطَ دَرَّةٍ مِنْهَا غِرَارِ<sup>(٨)</sup>  
 يَكُلُّ قَرَارَةً مِنْ حَيْثُ جَالَتْ      رَكِيَّةٌ سُنْبُكِيٍّ فِيهَا انْهِيَارِ<sup>(٩)</sup>  
 كَأَنَّ حَفِيفَ مَنُخْصِرِهِ إِذَا مَا      كَتَمَنَ الرُّبُوءُ كَبِيرَ مُسْعَارِ<sup>(١٠)</sup>  
 وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ      « أَشَقُّ الْخَلِيلِ بِالرَّكْضِ الْمَارُ »<sup>(١١)</sup>  
 يَضْمَرُ بِالْأَصْغَارِ نَاحِلَ ضَوْءٍ نَهْدٍ      أَقْبُ مَقْلُصٍ فِيهِ اقْوَارِ<sup>(١٢)</sup>  
 كَأَنَّ سَرَاتِهِ ، وَالْخَلِيلُ شُعْتُ      غَدَاةً وَجِيفَهَا مَسَدٌ مُنَارِ<sup>(١٣)</sup>  
 ٢٤١ : يَنْقُلُ يِعَارِضُ الرُّكْبَانَ يَهْفُو      كَأَنَّ بَيَاضَ غُرْمِهِ يَخَارِ<sup>(١٤)</sup>

(٧) نسوف : دفعوع . خواء : خلاء طبيعياً : متى طي ، وهو من الفرس ما يشبه الخلف من الإبل ، والضرع من ذى الخلف .

(٨) بيس للاء : متجمده ، ويقصد جاف العرق . شها : بيضا . الدرة : كثرة العرق . والنرار : قلته .

(٩) القاراة : الأرض اللطيفة . الركبة : موضع حافر في الأرض ، وأصلها البئر . السبك : مقدم حافر الفرس . انهيار : سقوط .

(١٠) الحفيف : صوت نفس الفرس . . للنخر من الفرس ما يشبه الأنف من الإنسان . الربو : النفس المرتفع . الكير : للتفاح الذي ينفع به الحداد ناره . مستار : مأخوذ ثم يرد . أو متداول من تعاونوا الشيء إذا تبادلوه .

(١١) الركض : دفع الفرس المدد . المار : الضمر ، أو التثوف الدنب ، أو اللعن ، أو التروك دون قيد حراً ، وكلها تصلح لأنها دليل العناية به .

(١٢) يضم : يصير ضميراً . الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر وقيل للغرب . نهدي : قوى ضم . أقب : ضامر البطن . للتلصص : للشم الطويل القوائم . الاقوار : الضمور .

(١٣) سراته : أعلاه ، ويقصد ظهره . شعث : جمع أشعث ، مغبرة . غداة : صبيحة . وجيفها : إسرعها . مسد منار : جبل مفتول يحكم القتل .

(١٤) يظل : يستمر سائر النهار كله . يعارض الركبان : يعارى الحيوول وينافسها . يهفو : يسرع . الفرة : البياض في جبهة الفرس . الحمار : القناع .



### تحليل الأبيات :

يتحسر بشر حسرة موجمة أن رحل عنه خطاؤه . وفارقه خلاصه دون أن يبهي له  
الدهر السادة بمراحم ، قلبه قد استمارته هذه الظمائن ، ثم يسير مسيراً طويلاً في عرض  
حينه ، ونمت وجده ، ووصف جمال هؤلاء الظمائن ، ومن ثم ينتقل إلى أغراض آخر  
تصل به إلى وصف فرسه فيقول :

أبلغ أيها التحليل إن تحدثت عنا ، وجرى على لسانك ذكرنا لدى قومنا بنى كنانة ،  
حيث اتجهوا وساروا ، وكيفما كانوا وصاروا ، أننا كفيتمنا من تنيب منهم مئونة الحرب ،  
وتحملنا دونهم أعباء القتال ، وأتانا استبحنا حرم المجد ، واستفتحنا سنام الأرض ؛ إذ النيب  
ضنين ، والطر بجليل ، والقطار لا يعطى ولا يجود ؛ فالناس في قحط وإعدام ، والقوم  
في جذب وإحمال ، نحن حينئذ نقضم كل منيع ، ونبلغ كل حصن حصين ، فنزل حينما  
ينض الماء ، ويقطع للطر حيث نشاء ، بكل فرس جواد قد شد لها السناف ، حتى  
لا يسقط عنها سرجها عندما ينل مرجلها ويشدد عدوها ، وهي عنود للأرض ، مطواعة  
للفارس ، فتأبى في عنادها إلا أن تطوى الأرض طيا مهما يطل الأمد ، وتوسع الشفة ،  
وهي فرس كريمة قد اختيرت لحياة الثغور ، ومراقبة للسالم حتى أضنتها ، واختبى للرباطة  
عند الحدود حتى أضرت ، وعودت شن الفارات حتى تمودتها ، هي آية في النشاط حتى  
إنها لتشارك العنان ، وتمرك اللجام ، تريد كراً وفرأ ، وفارسها يبنى منها سكونا وانتظاراً ،  
فهما مختلف ، فها في عراك مستمر ، كأن أعضائها يسكنها ذكر الجراد ، فهو لا يفتأ  
طائراً وما يزال متوثباً ، كأي حينما أعلت صهوتها ، وأمتطى منها ، وتأخذ في الدو حتى  
يمر حيمها ، ويسيل عرقها فيتل عذارها ، كأي أمتطى خافيت عقاب ، تميل بي كل  
الليل ، تدفع بمرفقيها حزامها حينما تشتد في السبح بيديها ، فيسد ما بين طيبيها الفجار الثائر  
من بين سنانها .

تري التحليل التي منها فرسى تلك حينما يحف عرقها فوق أجزاء جسمها ، وقد خالط

كثيره قليله ، وامتزج غاصره بمراره ؛ تراها بيضا لوامع ، وشهبها سواطع ؛ إذا سارت تلك  
الطيول في أرض سهلة مطمئنة أثرت فيها سنايبها الصلاب تأثيرا بالغا ، حتى لتبدو هذه  
الآثار كالحفائر المنهارة ، أو الآبار المطمورة ، وكأن صوت ذلك الترس عندما يشتد عدوه ،  
وتكتم الطيول أنفاسها في مناخرها كبر حداد قد استمازه مستعير ، فهو شديد الحرص على  
أن يرده إلى صاحبه فور وقته ، فهو ينفخ فيه بشدة ، ليقضى به حاجته قبل أن يضطر إلى  
رده لصاحبه .

ونحن نسن خيلنا ، ونكرم أفراسنا ، حتى تكون على العدو في الحرب قوة الإغارة ،  
وتظهر قدرة على الركض ، فقد نقل عن بني تميم أن أجدر الخيل بالركض المصرة المسنة ،  
وهو يشير بهذا إلى قول أحد شعراء بني تميم القدامى :

أعيروا خيلكم ثم اركضوها أحن الخيل بالركض المار

فرس هذا موضع عنايتي ، ومحل تكريمي ، إنا أنا أخضره أصيل كل يوم ، وهو نهد  
ضخم ، ضامر البطن مشمر القوائم ، كأن ظهره وقد اغبرت شعور الخيل ، وتشتت أعرافها  
من طول السفر ، وتغيرت ألوانها من غبار الطريق ساعة سيرها السريع ، كأن ظهره جبل  
شديد الفتل محكم البرم ، يشبه في شدته وامتداده ، واملاسه واستوائه ، يظل يومه الأطول  
يمارض كرائم الخيل ، ويباري المذاكي العتاق ، فهو يهفو ليسبقها ، ويمدو لينبها ، هو  
وضاح الفرة ، مشرق الجبهة ، كأن غرته الحمار الأبيض ينطى رأس المليحة القيءاء .

النقر :

بشر في هذه الأبيات يتفق مع اسرى القيس وقد كانوا مصاصرين في بعض معانيه ،  
ويختلف معه في البعض الآخر ، ولكنه على أي حال لا يبلغ مبلغه ، ولا يبدو في طلقه ،  
وإن تكن المعاني التي انفرد بها بشر معاني جيدة ، منها : الطريف المبتدع ، والجمل المخترع ،  
وهذه نظرة فاحصة لذلك الذي أجهلناه :

قال امرؤ القيس في وصف جيشان جواده عند عدوه :  
على الذبل جيش كأن احترامه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل  
وقال بشر :

كأن حفيف منخره إذا ما كتمن الربو كبير مستعار  
وبيت امرؤ القيس أدق في الوصف والتصوير ، فألفاظه تكاد تشرك بصوت  
الشهيق والزفير اللذين يصدران عن الفرس عندما يشتد عدوه ؛ فقد جمع امرؤ القيس  
في بيت واحد بين جيش ، واحترام ، وحميه ، وغلى ، ومرجل ، وكل هذه الألفاظ توحى  
بالصورة التي يريدها الشاعر ، فوق أنه وصفه في أول البيت بالضمور ، وإسناد الجيشان  
إليه مع الضمور فيه بقطة حسية . فقد يكون مبعث الجيشان الضخامة والسمنة والاكتناز ،  
أو الهرم ، أو غيرها .

أما بيت بشر فإنه وإن يكن دون بيت امرؤ القيس ، فإن فيه حسنا مبعث الإشارة  
إلى توالى التنفس وتناحه بقوله : « كبير مستعار » ولكنه على أيّ دون بيت امرؤ القيس ،  
والبون بينهما شاسع .

ومن المعاني التي اتفقا فيها وصف الفرس بالملاسة والصلابة ، فقال امرؤ القيس :  
كأن سراته لدى البيت قائما مذاك عروس أو صلاية حنظل  
وقال بشر :

كأن سراته وانخيل شعث غداة وجيفها سد مغار  
وكلا البيتين يشتمل على معان غير الملانة ، فأمرؤ القيس وصف الظهر بالصفاء ، ولم  
يرد هذا المعنى في بيت بشر لأن للسد لا يوصف بالصفاء ، وأشارنا بطيب ريمه بنسبة المذاك  
إلى العروس ، وباللمان بنسبة الصلاية إلى الحنظل ، وجميع هذا خلا منه بيت بشر . ولا أظن  
أن من المستحسن أن يكون الظهر كالخيل للبرم للقتول ، فاستواء الخيل مهما أحكم قتله غير  
ملاحظ ، فهو يثنى وينطوى ، والجمال في البيت يبدو في قيد استقامة ظهره عند مباراته

الخيول الأخرى ؛ لأن القوس حينئذ يشتد ظهره شدا قويا ، ووصف الخيل بأنها شعث  
أشعر بأن فرسه ليس كذلك لأنه يشله ، وإن لم يواته القنط الدال على صفاته كما واتى  
اسم القيس .

أما للماني التي انفرد بها بشر ، وهي معان جميلة طريفة فيها :

مهاشة النان كأن فيها جراحة هبوة فيها اصفرار  
كأني بين خافيتي عقاب تقابلي إذا ابتل العذار

فن شأن كرائم الخيل أن تملك لجامها ، وتشد عنانها كأنها تقالته ، وعدم تشبيهها  
بالجراحة بأن جبل الجراحة جزءا من أجزائها معنى دقيق ، وعمق في التصور ، ثم تصويره  
نفسه حينما يعتلى صهوتها بأنه بين خافيتي عقاب تصوير جميل ، يشر بأنه لا يأمن على نفسه ،  
وهو القارس الجبار ، ومنها قوله :

نسوف للحزام بمرقبها يسد خواء طيبيها النبار

ويشبهه قول سلمة بن الخرشب ، وسيرد فيها بعد :

إذا كان الحزام لقصريها أماما حيث ينفك البريم  
يدافع حد طيبيها وحينما يعادله الجراء فيستقيم  
ويت بشر خير من بيتي سلمة ، وأوفى منها معنى ، وأسلم لفظا .



٣- وقال عترة بن شداد البسي : من قصيدة أولها :

كَبِيتَ عُبَيْتُ مِنْ قَى مَبْدَلٍ عَارَى الْأَشَاجِرِ شَاحِبٍ كَالْمَنْصُلِ (١)  
وَلَرَبُّ مُشَلَّةٍ وَزَعْتُ رِعَالَهَا بِمَقْلَسٍ نَهْدٍ لِلرَّارِكِ هَيْكَلِ (٢)  
سَلَسَ الْمَذِيرَ لِأَحَقِّ أَقْرَابِهِ مُتَغَلِّبٍ عَيْنًا بِفَأْسِ السَّحْلِ (٣)  
نَهْدَ الْقَطَاةِ ، كَأَنَّهَا مِنْ صَخْرَةٍ مَلَاءَ يَنْشَاهَا اللَّيْلُ بِمَخْضِلِ (٤)  
وَكَأَنَّ هَادِيَةً إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ جِنْعُ أَذَلٍ ، وَكَانَ غَيْرُ مُذَلِّلِ (٥)  
٢٤٧: وَكَأَنَّ مَخْرَجَ رُوحِهِ فِي وَجْهِ سِرْبَانٍ كَأَنَّا مُوَلِّجَيْنِ لِحَيْالِ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو عترة بن عمرو بن شداد البسي ، أحد فرسان العرب وأغربهم وأجودهم وشعرائهم ، وكانت أمه زبيبة أمة حبشية ، وأبوه من سادات بني عبيس ، وكانت العرب لا تلحق بأنسابها أبناء الإمام ، فبقى عترة عبدا متبونا حتى ظهرت فروسيته في حرب داحس والغبراء ، فنسب إليه أبوه وأصبح بعد ذلك سيدا من سادات بني عبيس توفي سنة ٦١٥ م.  
التفسير اللغوي : (١) عيلة تصغير علة ، وهي ابنة عمه أحبا وشغفه بها ، ولكنه حرما ، فأنشأ حياته يفرح باسمها ويتنقح بها . مبدل : مستخف غير محتشم . الأشاجع : المروق للصلة بأصول الأصابع . وفي عربها كناية عن الضعف والجزال . شاحب : متغير . للصل : السيف .

(٢) للشعلة : وصف للكناية للفرقة في كل وجه . وزعت : فرقت . رعالها : جمع رعة ، وهي القطعة من الخيل . بمقلس : بفرس طويل القوائم . نهدي : ضم جميل . للراكل : جمع مركل موضع ركل الفرس . هيكلي : عظيم ضخم .

(٣) سلس : لين . المذير : موضع العذار من كاهل الفرس . لأحق الأقرباب : ضامر الخواصر . الفأس : الحديدية القائمة من اللجام في حنك الفرس . السحل : حلقة في طرف الشكبة .

(٤) نهدي القطاة : عظيم السجز . ينشأها : ينزل بها . الليل : مجرى الماء . بمخضلي : يجمع ماء ، وفيها كناية عن الاكتناز .

(٥) الهادي : الضيق وجهه هواد . أذل : سهل ونعم . غير مذلل : غير منعم ومسهل .

(٦) مخرج روجه : كناية عن فم مخروء : سربان : مثل سرب سربانان . موليئين : مدخلين . لحيال : لصبح .

وَكَاْنُ مَفْصِيْهِ إِذَا جَرَدَتْهُ      وَزَعَتْ عَنْهُ الْجُلُودَ مَعَا أَيْلٌ<sup>(٧)</sup>  
 وَهُوَ حَوَافِرُ مَوْتَقٍ تَرْكِيْبُهَا      صُمُّ النَّسُوْرِ كَأَنَّهُمَا مِنْ جَنْدَلٍ<sup>(٨)</sup>  
 وَهُوَ صَيْبٌ ذُو سَيْبٍ سَابِغٍ      مِثْلُ الرَّدَاءِ عَلَى النَّفْسِ الْفَضِيلِ<sup>(٩)</sup>  
 سَلِسُ النَّمَانِ إِلَى الْقِتَالِ ، فَيَنْهَى      قِبْلَهُ شَاخِصَةٌ كَمِينَ الْأَحْوَالِ<sup>(١٠)</sup>  
 وَكَأَنُّ نَهْنَهَتِهِ إِذَا نَهْنَهَتَهُ      بِالنَّكْلِ مِثْلُ شَارِبٍ مُسْتَجِيلٍ<sup>(١١)</sup>  
 فَلَيْهِ أَتَحَمُّ الْمِيَاهُ تَحَمُّهَا      فِيهَا وَأَقْضَى أَقْضَى الْأَجْدَلِ<sup>(١٢)</sup> : ٢٥٣

(٧) متنيه : ثنية متن ، ولتن الظهر ، وهو هنا يريد جانبيه ؛ لأنيهما يكتنفان صلب الظهر عن يمين وشمال . جردته : رنمت عنه الجلود . الجلود : ما يوضع فوق ظهر القوس ليصان به ، وهو كالنوب للإنسان . الأيل : نوع من النبلاب ، جانباً ظهره أملسان فاحمان ، وله قرون متشعبة لا يجوف فيها .

(٨) موقت : محكم . صم : جمع أصم ، وهو الصلص الصلب . النسور : جمع نسر ، والنسر طخة في باطن حافر القوس . جندل : صخر صلب .

(٩) الصيب : هو أصل عظم الذنب ومنبت الشعر منه . ذو سيب سابغ : له شعر ضاف طويل . الرداء : الثوب . الفضل : الزائد في طول رداءه عن جسمه .

(١٠) سلس النمان : لين القياد ، وهي كناية . قبلاه : ناظرة إلى أعلى ، ومثلها شاخصة الأحوال : الرجل ينحرف إنسان عينه إلى أحد الجانبين أو إلى أعلى ، وهو للراد هنا .

(١١) نهنته : زجرته وكففته . بالنكل : بحديدة الحزام . شارب : يقصد سكران . مستجبل : مسرع .

(١٢) أتحم : أخترق . المياج : كناية عن الحرب ، وهو في الأصل التورة . تحمها : نحوها مشتداً . أفضى : أئب . الأجدل : الصخر .

ساكنة في صخرة أوفى أصل شجرة ، والنخر في رأس القرس التي قد يكون فيها من أعضاء الجسم ما يشبه الثقوب والتتوء في الصخرة ، فيها المينان ، وفيها الأذنان ، وفيها اللذار ، وفيها الشفتان ، وكل هذه تقرب شبه الرأس بالصخرة غير اللساء .

وبعد فنترة دون امرئ القيس في هذه الأبيات وفي غير هذه الأبيات ، ولكنه يبد بشرأ في هذه الأبيات وفي غير هذه الأبيات ، وليس يناقص من قدر عنتره أن يكون دون امرئ القيس ، فالمعبرى لا يعاب من لا يساويه ، وأين قول عنتره في وصف ذبل فرسه ؟  
وله عيب ذو سبيب سابع مثل الرداء على النسي للفضل  
من قول امرئ القيس :

ضليح إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

إن وصف عنتره ناقص من وجوه عن بيت امرئ القيس :

أولا : إن رداء النسي المفضل ينسحب على الأرض فيتمثر فيه إلا إذا رنمه بيديه ، وهذا ما احتقر منه امرؤ القيس إذ قال : « فوق الأرض » .

ثانيا : أن السبيب يخالف الرداء من نواح : فشراته غير متساوية الطول ، ولو قال : إنه ثوب ذو أهداب لكان أقرب إلى السداد ، والثوب يبدو ضيقا من أعلى وواسعا من أدنى ، وليس ذلك شأن الذيل .

ثالثا : بيت امرئ القيس اشتمل على صفات ثلاث : فهو ضليح ، وهو ضافي الذيل ، وذيله مستو مستقيم ، فوق أنه أشعرنا بأنه كثيف لأنه يسد ما بين ساقيه ، وليس في بيت عنتره شيء من ذلك .

هذا إلى أن في البيت صورة رجل وقف يتأمل فرسا من خلفه ، فهو يراه على الصورة التي رسمها ، ولكن عنتره أحسن وصف شعور فرسه ، إذ صورته ناظرا إلى أعلى يتأمل فارسه ، وكأنه يريد أن يدفع عنه عوادي الزمن ، فهو متأهب لهذا الدفاع ، أشعرنا أن فرسه هذا نبيل كريم ، وأن حياة فارسه أعز عليه من حياته ، فقد

لا يتفق هو طعنة قد توجه إليه ، وهو شاخص ببصره إلى فارسه ، هذا إلى أنه يشارك فارسه في ابتناء النصر ، وإدراك الظفر .

أما اللغة فكلها تنبع من عين واحدة ، ولا تكاد تجد فرقا كبيرا بينهما ، ولكننا إذا أنصت النظر حكنا بأن ألقاظ عنقرة أرق من ألقاظ امرئ القيس ، مع أن حالهما كانت تستأهل غير ذلك ، فعنقرة من عبدان العرب وأغربتهم ، وامرؤ القيس من أواسطهم وملوكهم ، وعنقرة يجب أن يكون خشن اللبس ، غليظ القول ، وعكس هذا كان يجب لامرئ القيس .

وأرى أن الجاهليين ومقلديهم كانوا يؤثرون في وصف الناقة والفرس وما يجري مجراها اللفظ الجزل ، فالمدول عن هذا انحراف عن مذهبهم ، ولا يعتبر مزية يمتاز بها صاحبها بل يعتبر ذلك قصورا منه وهجرا .





٤ - وقال سلمة بن الخرشب • من قصيدة أولها :

تأوبه خيالٌ من سُليَ كَا يَتَادُ ذَا الدِّينِ التَّعْرِيمِ<sup>(١)</sup>

وَمُخْتَضٍ تَبِيضُ الرُّبْدُ فِيهِ نَحْوَى نَبْتُهُ فَهُوَ الْقَسِيمِ<sup>(٢)</sup>

غَدَوْتُ بِهِ تَدَافِنِي سَبُوحٌ فَرَّاشُ نُسُورِهَا عَجَمٌ جَرِيمِ<sup>(٣)</sup>

مِنَ التَّلَفَّتَاتِ بِجَانِبِهَا إِذَا مَائِلٌ تَحَزَّنَتْهَا الْحَمِيمِ<sup>(٤)</sup>

إِذَا كَانَ الْحِزَامُ لِقَصْرِئَتِهَا أَمَامًا حَيْثُ يَمْتَسِكُ الْبَرِيمِ<sup>(٥)</sup>

٢٥٩: يُدَارِعُ حَدَّ طَيِّبِهَا وَحِينَا يُمَادِلُهُ الْجِرَاءُ فَيَسْتَقِيمِ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو سلمة بن عمرو بن نصر بن حارثة التتطاني ، ولقب أبيه الخرشب ومعناه الطويل ، وهو شاعر جاهلي ، ولكننا لم نفع له فيما بين أيدينا من كتب على ترجمة مطوقة .

التفسير اللغوي : (١) تأوبه : راجعه . الخيال : الطيف . سليبي : محبوبته . يتاد :

يعاود . ذا الدين : للدين . التعريم : الحاشن .

(٢) المختاض : للوضع الذي يخوض فيه الناس ، لكثرة عشبه والتفاف نبتة . الربد : مفردة

ربداء ، وهي النعام . نحوى : تحاماه الناس فلم يروعوه خوفا . العجم : الكثير الشامل للثقف بضمه على بعض .

(٣) غدوت به : بكرت إليه . تدافنى : السبوح : الفرس التي تسبح يديها .

كما يسبح الإنسان في الماء . فراش نسورها : الفراش : ما تطاير منها . والنسور : جمع نسر ،

وهي قطع اللحم الصلب في باطن الحافر ، وصلابتها موضع للدح منها . عجم : نوى . الجريم :

المجروم وهو اللطوع ، وهو ما طال مكته في نخله حتى جف وصار تمرا ، ولواه أصلب النوى .

(٤) من التلقتات بجانبها : من الخيل التلقتات ، والجلعة كناية عن نشاطها ومراحها .

المهزم : موضع الحزام ، وهو أول ما يمسح العرق . الحميم : العرق .

(٥) قصرئتها : لضامها السفليين . البرم : الحيط للبروم ، أو السير من الجله تشده

الرأة حول وسطها .

(٦) الطيبان : مثى طي ، وهو ما يشبه الحلف من الناقة والثدى من للرأة ، والضرع

من ذات الظلف . يمادله : يقيمه ويمدله . الجراء : الجرى ، فيستقيم : فيعتدل في سيره .

- كَيْتٌ غَيْرُ مُحَلَّفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنِ الصَّرْفِ عَلَيَّ بِه الْأَدِيمُ<sup>(٧)</sup>  
 تَمَادَى مِنْ قَوَائِمِهَا ثَلَاثٌ يَتَحَبَّلُ ، وَقَائِمَةٌ بِهِمْ<sup>(٨)</sup>  
 كَأَنَّ مَسِيحَتِي وَرَقِي عَلَيْهَا نَعْتُ قَرَطِيمِهَا أَذُنُ حَزْنِهِمْ<sup>(٩)</sup>  
 نَمُوذٌ بِالرَّقِ مِنْ غَيْرِ حَبَلٍ وَتُعَدُّ فِي قَلَائِدِهَا التَّقِيمُ<sup>(١٠)</sup>  
 وَتُمْكِنُنَا إِذَا نَحْنُ اقْتَصْنَا مِنَ الشَّحَاجِ أَسْمَهُ الْجِيمِ<sup>(١١)</sup>  
 هَوًى عُقَابٌ عُرْدَةٌ أَشَارَتْهَا بَذَى الصَّمْرَانِ عِكْرِشَةُ دَرُومِ<sup>(١٢)</sup>

(٧) الكيت : الأحمر يميل إلى السواد . غير محلفة : خالصة اللون لا يغلف عليها أنها ليست كذلك . الصرف : صبغة حمراء تصبغ بها الجلود . عل : سقى مرة بعد مرة . الأديم : الجلد .

(٨) تَمَادَى : تابع وتوالى . يَتَحَبَّلُ : التحجيل البياض في موضع القيد من قوائم الفرس . الجيم : الأسود أو السوداء .

(٩) للسبعة : الصفحة أو السبكة . الورق : القضة . نَعْتُ : رفعت . قَرَطِيمِهَا : حلقبها . خَزِيم : مخدومة مثقوبة .

(١٠) نَمُوذٌ : يدهى لها بالحفظ . الرق : جمع رقية التمام ونحوها . الحبل : الجنون . نَعْدُ : تربط . التلايد : جمع قلادة القود . التيم : جمع تيمية التماويد .

(١١) تُمْكِنُنَا : تهيء لنا . اقْتَصْنَا : خرجنا للصيد والتنصص . الشحاج : الحمار الوحشي يشجع بصوته دون أن يفصح به . أَسْمَهُ : جملة مسلا نشيطاً كالسعادة ، وهى القول . الجيم : الكثير من النبات .

(١٢) هَوًى : سقوط . العقاب : النسر . عُرْدَةٌ : اسم لمضية . أَشَارَتْهَا : ألققتها واستغفها . بَذَى الصَّمْرَانِ : بذلك للكان . العكرشة : أشى الأرنب . الدروم : للقلابة الخطو .

## تحليل الأبيات :

زار قلبه طيف سليمي ، التي لا يفارقه خيالها ، هوممه في كل زمان ومكان ،  
يلازمه ملازمة الدائن لمدينه ، ويعاوده معاودة الفارم من غريمه ، ثم انتقل بعد بيت واحد  
إلى غرضه الأصيل فأخذ يصف فرسه ، فقال :

ورب مرعى غصب ، وغتناض موفور المشب ، ملتف التبت تحاماه الناس وخافوه  
لكثرة هوامه وكواسره ، وتوقوه خشية وحوشه وجوارحه غدوت إليه في بكرة النهار  
لا أخشى بأسا ، ولا أخاف فيه فتكا ، فإني أحتل صهوة جواد سبوح لا يطلب رأكبها ،  
ولا يدركها طالبها ؛ إذا عدت تطاير من نسورها حصي له صلابة الحديد ، أو نوى التمر الذي  
طال تحفيفه ، فأصبح نواه صلبا صلباً ، فإذا لزجها ، أو ركل مركلها تلمبت بمثنيتها ،  
وتلفتت بجانيها ، يحدث منها هذا عند ما يبيل العرق موضع حزامها ، وذلك لحدة نشاطها ،  
وكثرة مراحمها ، وإذا عدت وحزامها بحكم الربط عند ضلعها السفليين فإن عدوها ،  
وانقباض بطنها ، وضغطها على أضلاعها يجعل ذلك الحزام عند طبيعتها ، وأحيانا يقيمه  
ويعدله استقامة عدوها ، واعتدال جريها .

فرسى تلك كيت خالصة اللون صافية الأديم ، لونها في شدة حرته ، وأديمها في صفاء  
كنته ، كلون الصبغ الأحمر ينهل منه الأديم ويعل ، لينال صافي لونه ، وخالص قانيه ،  
وهي محجلة القوائم الثلاث دماء الرابطة ، والضد يظهر حسنه الضد ، ففي قوائمها يظهر حسن  
الضدين ، وكأن سيائك من الفضة الرقيقة قد صنع منها لكل قائمة قرطان ، ورضا إليها ،  
فكان الأقرطاف في آذان مثقوبة .

هذه الفرس كريمة على ، أثيرة عندي ، فإنا لنلك أحفظها بالرق ، وأقربها الشر  
بالتماويذ دون أن يكون ذلك نعل أحاسيبها ، أو لمس نزل بها ، فهي سليمة من كل عيب ،  
خالصة من كل شين ، وأنا أعقد في قلائدها التمام ، وأضع في عقودها التماويذ ، كأنها ولد  
عزير على أحبيه من صيون الحاسدين .

وهي تهيب لنا إذا خرجنا للصيد أن نعطاد أشق أنواع الحيوان صيدا ، فنصيدها

الحمار الوحشى الذى قد أصبح لكثرة ما رعى ، ووفرة ما أكل كالنول يخيف كل صائد ،  
وينأى عن كل قاصد ، فعى تهوى عليه كما يهوى عقاب تلك المضبة القوية القبان ،  
أفقها أن ترى بذلك المكان أربنا متقارباً فى خطوه ، متدانياً فى سيره ، فعى لا بد أن  
تنقض عليه فتقصر أجله .

### الفقر :

هذه قصيدة كاملة فى وصف الفرس لم تتجاوز منها إلا بيتاً واحداً ، فعى ثلاثة عشر بيتاً ،  
ونقصد بهذا أن الشاعر محتفل بفرضه ، حاشد له جميع قواه ، ولكنه لم يبلغ فيه المبلغ  
الذى كان يرجوه ، فإذا جاء من الماعى ؟

تكاد تحصر الماعى التى اشتملت عليها قصيدته فى العناصر الآتية :

- ١ - فرسه سبوح ذو نور صلبة قوية . ٢ - تتلمب بجانيها عند ما تستثار للعدو .
- ٣ - يتقبض بطنها فيجرى عليه حزامها المحكم . ٤ - هى كيت اللون خالصة الكتة .
- ٥ - محجلة القوائم الثلاث دماء الزابعة . ٦ - كأن قوائمها البيض مقرطة بأقراط فضية .
- ٧ - معودة بالرق والتأثم لإعزازها . ٨ - تفتح لنا الصيد مها يكن الصيد .
- ٩ - تهوى كما يهوى العقاب على الأرنب .

هذه هى الماعى التى أوردها الشاعر فى قصيدته ، وجميعها معان مطروقة ، والجديد منها  
ليس بنى بال كتموينه لإها ، وتطبيق التأثم فى القلائد ، وهو أمر يمرنه انطاس والعام ،  
فن الناس حتى اليوم من يموذ فرسه لاعتقادهم أن العين تصيبها قبل أن تصيب سواها ،  
والحق أن تخيله بياض قوائمها بأنها أقراط فضية خيال لا بأس به .

هذه هى الماعى التى لم يتناولها الشعراء ، وإن تناولوها ، فقد نهجوا فى تناولها غير  
نهجه ، وساروا بها فى غير طريقه ، أما ما سواها فكلها معان معروفة ، فقوله :

غدوت بها تدافنى سبوح فراش نسورها هجم أديم

يشبه قول عنتره :

وله حوافر موقت تركيبها صم التسور كأنها من جندل

وفي كل من اليتين ناحية جمال يمتاز بها عن الآخر ؛ فبيت سلمة يمتاز بأنه وصف  
فرسه بصفتين هما سبحه في عدوه ، وصلابة نسوره ، وبيت عنتره يمتاز بأن تشبيهه أقوى  
من تشبيه سلمة فتشبيه النسر بالجندل أقوى من تشبيهها بالنوى مهما تكن صلابته .  
وقول سلمة :

إذا كان الحزام لقصريها      أماما حيث يمتك البريم  
يدافع حد طيها وحينما      يعادله الجسراء فيستقيم  
كقول بشر بن أبي خازم :

نسوف للحزام بمرقعها      يسد خواء طيها الفيار  
وبيت بشر أجمع من بيت سلمة ، فقد زاد في معناه أن الفيار الثائر في مسيره يسد ما بين  
مرقعها ، أما القيود التي أوردتها سلمة فليست ذات قيمة فنية بقوله : « أماما حيث يمتك  
البريم » قيد ثقيل في لفظه وفي معناه .  
وإذا كانت الألفاظ توحى بمعانيها ، وتشر بمدلولاتها ، وذلك هو دليل حسن اختيار  
الأديب للفظه ، فإن إجماع الألفاظ هنا على مدلولاتها إجماع ضئيف ، ودلالاتها على مدلولاتها  
غير كاملة ، فاختياره كلمة عكرشة لأشئ الأرنب لارقة فيه ، لحروف الكلمة ، وتجمع  
هذه الحروف بعضها مع بعض يوحي بأنها اسم لنير الأرنب .  
ومن الأبيات ما ليس واضح المعنى لأن صورته غير كاملة ولا منسقة ، وذلك يظهر  
في قوله :

كأن مسيحتي ورق عليها      نمت قرطبيها أذن خذرم  
فإن المعنى جميل ، ولكن التصوير غير كامل التكوين .

٥ - وقال عوف بن عطية من قصيدة أولها :

أَمِنْ آلِ عَمْرٍ عَرَفَتِ الدَّيَّارَا بِمَحِثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَعَارَا؟<sup>(١)</sup>

وأعدتُ للحرب مَلَبُوتَةً تَرُدُّ عَلَى سَائِسِيهَا الحِجَارَا<sup>(٢)</sup>

كَمِيتًا كَحَاشِيَةِ الأَنْحَمِ ى لَمْ يَدْعِ الشُّنْعُ فِيهَا عَوَارَا<sup>(٣)</sup>

رُوعُ القَوَادِ يَكَادُ النَّمِيفُ إِذَا جَرَتِ الخَيْلُ أَنْ يُسْتَطَارَا<sup>(٤)</sup>

لَهَا شُعَبٌ كَأَيَادِ النَّمِيطِ فَضَضَ مِنْهَا البِنَاءُ الشَّجَارَا<sup>(٥)</sup>

لَهَا رُسُغٌ مُكَرَّبٌ أَيْدٍ فَلَا العَظْمُ وَادٍ وَلَا العِرْقُ فَارَا<sup>(٦)</sup>

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَبْرِ الوَلِيدِ يَتَّخِذُ القَارُ فِيهِ مَقَارَا<sup>(٧)</sup>

٢٧٣ : لَهَا كَفَلٌ مِثْلُ مَتَنِ الطَّرَا فَرِ مَدَّدَ فِيهِ البِنَاءُ الحِتَارَا<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو عوف بن عطية بن عمرو بن عيس من بني تميم شاعر فارس إلا أنه مقل . واختلف فيه أهو محضرم أم هو جاهل صرف ، والظاهر أنه لم يدرك الإسلام .  
التفسير اللغوي : (١) ع : اسم حبيته . الشقيق : ماء لبق أسد بن عمرو بن تميم .  
قعارا : ماحلا .

(٢) اللَّبُوتَةُ : التي تسق اللبن إكراما لها . سائسها : فرسانها . الحجارة : يقصد الحجارة الوحشية .  
(٣) الحاشية : الأطراف . الأنحى : ضرب من البرود منسوب إلى أنحى باليمن .  
الصنع : الدواب التي تصنع به في ضميرها . العوار : اليبس .  
(٤) روع القواد : ذكية القلب . النيف : الشديد التلطيظ . يستطار : تحمله على أن يطير من فوقها .

(٥) شعب : جمع شعبة ويقصد قفار الظهر أو هي ما أشرف منها كالكاكل والنق ، وهو أنسب للمعنى . الإيد : القدم من التبيط . التبيط : الرجل . فضض : فض وفرق .  
الشجار : خشب المودج .

(٦) الرسخ : للوضع اللتدق بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل . مكرب : شديد موتق ، وهو وصف للجلد المحكم القتل . أيد : قوى شديد . واد . ضيف . فار : الرق : انتفض ، والانتفاخ يضف القوائم .

(٧) القعب : القدر . الوليد : السبي . التار : الجحر .

(٨) الكفل : مؤخر الظهر . الطرف : البيت من الجهد . الحتار : خيط يشد به الطرف

### تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته بالاستفهام التعجبي ؛ إذ كيف تعرف ديار آل مى الواقعة بالقرب من ذلك الماء ؟ لقد أصبحت خالية مقفرة ، لا أحد من الإنس يسكنها ، فلتختر سكنها الوحوش الأوباد ، بعد أن كانت مهبط النيد النواعم ، ثم أخذ ينتقل فى وصف عشقه وطموه فى شبابه وشببه من معنى إلى معنى ؛ حتى بدأ يصف فرسه ، أليس هو من أكبر أسباب اللهو ؟ فيقول :

إنى أعددت ليوم السكر والنر ، والضرب والطنن ، فرسا غذيتهما بالبن ، فكانت فتية قوية ؛ إذا طارد بها فارسها حجارا وحشيا رده إلى مذعنا مطيما ، فكانتها قيد الأوابد .  
أعددتها فرسا كيت اللون ، كأنها فى صفاء لونها ، ووثاقة جسمها أطراف ذلك البرد النيمى ، قد أحكم ناسجه نسجه ، فليس فيه ما يباب به .

هى فرس ذكية الفؤاد ، متوفزة الإحساس ، نهاية للأرض ، جواة للقر ، تكاد تطير من فوق صهوتها القارس الصيف حينما تبارى عناق اللذاكى ، فغار ظهرها فى صلابتها كإباد الرجل أزيل عنه خشب المودج ، فبدت للأنظار متانتها ، ورسنها موثق محكم ، مفتول مكرب ، فليس عظمها واعيا ، ولا عرقها منتفخا طائرا ، فيضعف ذلك من قوة قوائمها ، ويوهن من صلابة أرجلها ، وحافرها فى استدارته وتقمييه مثل قدح الصبى ، جيد القور ؛ حتى ليكن أن يتخذ فيه القار جعرا ، ويجعل منه مغارا ، وكفلها مثل ظهر البيت المتخذ من الجلد ، للشدودة أطرافه ، فبدا أملس ناعما ، ممتلئا مكثرا .

النفس :

التأمل في هذه الأبيات يجد الشاعر قد آمن في نفسها ، فله في كل بيت معنى أو أكثر من معنى ، وكلها معان مطروقة لا جدة فيها ، وإن لم نتبر السابق فضلا على اللاحق ، فكلهم ينظرون ويسمعون ، فينتحون ويصفون ، ولا يمنع ذلك من أن نجتمع بين بعض معانيه ، وبعض معاني من قدمنا عنهم القول ، يشبه بيته الأول بعض الشبه بيت امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلا  
وبيت امرئ القيس أطرف معنى ، وأقوى أسلوبا ؛ إذ ذكر ساعة صيده ، ووصف فرسه بأنه منجرد الشر ، وقيد الأوابد ، وضخم الجسم ، وقوله : قيد الأوابد من معجزات الشر .

وبيته الثاني يشبه بيت سلمة بن الخرشب :

كيت غير محلفة ولكن كلون الصرف على به الأديم  
وبيت سلمة أفضل من وجوه ، أجملها ذلك الاحتراس « غير محلفة » قد أكد للمعنى وأكسبه روعة ، وتشبيه لونه « بأنه كلون الصرف على به الأديم » تشبيه بدیع ، وقول عوف :  
رواع القواد يكاد العنيف إذا جرت الخليل أن يستطارا  
بيت جميل وإن تكن فيه مبالغة من ناحية ، وقصور من أخرى ، أما المبالغة ففي استطارة العنيف ، أو قربها ، وأما القصور ، فشرطه الاستطارة بمریان الخليل معها ، ولم تكن المبالغة من سمات الشعر الجاهلي ؛ كما أن القصور الفظي قد يوجد ، أما القصور المنوي فقل أن يوجد .



٦ - وقال للرقش الأصفر • من قصيدة أولها :

أَيْنَ رَسَمِ دَارِ مَاہ عَيْنِكَ يَفْخُ غَدَا مِنْ مَقَامِ أَهْلِهِ وَتَرَوْهُوَ (١)  
غَدَوْنَا بِصَافِرٍ كَالسَّيْبِ مُجَلَّلٍ طَوِينَاهُ حِينًا هُوَ شَرِبَ مَلُوحٌ (٢)  
أَسِيلٌ نَيْلٌ لَيْسَ فِيهِ مَمَاعَةٌ كَيْتٌ كَلَوْنَ الصَّرْفِ أَرْجَلُ أَرْح (٣)  
عَلَى مِثْلِهِ آتَى النَّدَى مُخَايَلًا وَأَغْرَزُ سِرًّا ، أَيْ أَمْرِي أَرْبَحُ (٤)  
وَيَسْبِقُ مَطْرُودًا ، وَيَنْتَقِطُ طَارِدًا وَيَخْرُجُ مِنْ غَمٍّ لِلضَّيْقِ وَيَجْرَحُ (٥)  
تَرَاهُ يَشْكَاكَ لِلدُّجَجِ بَشَدًا تَقَطَّعَ أَقْرَانُ النَّفِيرَةِ يَجْتَمِعُ (٦)  
شَبَدْتُ بِهِ فِي غَارِهِ مُسْبَطَرَةً يُطَامِنُ أَوْلَاهَا فَنَامَ مُصْبَحٌ (٧)  
كَأَنَّهُ انْتَضَعَتْ مِنَ الظُّلُمَاءِ جِدَايَةٌ أَشْمُ إِذَا ذَكَرْتَهُ الشَّدُّ أَفْتِيحُ (٨)  
يَجْمُ بِجُحْمِ الْجَحْمِ جَانِ مَضِيغَةٍ وَجَرَدَهُ مِنْ تَحْتِ غَيْلٍ وَأَبْطَحُ (٩)

\* ترجمه الشاعر : هو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة البكري عم طرفه بن العبد ، والرقش الأكبر عمه ، والأصفر أخوه ، وأطول عمرًا ، وقد أجاد القول ؛ لأنه من العشاق ، والوصف لأنه من القريش ، توفي حوالي سنة ٥٠٠ م فهو أقدم من امرئ القيس .

التفسير اللغوي : (١) الرسم : بقية آثار الديار . يفتح : يسيل ويحرق . غدا من مقام : أصبح من إقامة إلى رحيل : تروحوا : ساروا في وقت الرواح ، وهو من زوال الشمس إلى الليل . (٢) غدونًا : سرنا مصبحين . صاف : بفرس خالص اللون . كالسبب : كطرف السعفة في صفاء لونه . مجلل : وضع عليه الجلال . طويناه : ضممناه . شرب ملوح : ضامر من حر الشمس . (٣) أسيل نيل : أملس جميل . كيت : أحمر مائل إلى السواد . الصرف : صبغ أحمر يصبغ به الجلد . أرجل : محجل . أرقح : أغر الجبهة . (٤) الندى التادى : مخايلا : مختالا . أغمز : أشير . (٥) مطرودا : يطرده فارس وراءه . طاردا : يطرده غيره أمامه . غم الضيق : شدة الأمر . يجرح : يصد ، ومنه جوارح الطير . (٦) الشكات : جمع شك ، السلاح . اللدجج : اللابس السلاح . تقطع أقران للنيرة : تمزق نظراء الكنية . يجمع : ينفرد وشرد . (٧) مسبطة : مختدة طويلة الأمد . فنام : جماعة . مصبح : مغار عليها صباحًا . (٨) انتضعت : تارت . جداية : شابة . أشم : عالى الأنف . أفتح : فصح الخطأ . (٩) يجم : يجمع شدة . الحسى : الرمل على الصخر يجمع الماء تحته . جاش : غلى . القيل : الماء الكثير . الأبطح : الحصى .

## تحليل الأدبيات :

يسائل للرقش نفسه ، أن رأيت آثار الحبيبة تسيل الدموع من عينيك مدرارا .  
وتجمرى المبرات من مآقيك غزارا ، لأن من كانوا يحملون تلك الديار غدوا مرتحلين ، وأموا  
غيرها متروحين ؟

ثم يأخذ في نسيب رقيق ، ووصف بديع لريق الحبيب في أحد عشر بيتا يقتضب  
بعدها نسيبه إلى وصف فرسه ، فيقول :

لقد غدونا إلى الصيد بفرس صافي اللون ، ضامر البطن ، مكرم عندي ؛ إذا الجلال فوق  
متنيه يحميه من الحر والقر ، وقد ضمرناه حيناً حتى صار ضموره عنوان جماله .

هو أملس الجسم ناعمه ، جميل انطلق رائحه ، ليس فيه مايماب ، فهو كيت اللون كتنة  
كأنها الصوف ، عجبل القوائم ، أغر الجبهة « كأن بياض غرته خمار » .

وهو مظهر سراء وشرف لمسطيه ، فأفد به على نادى قوى مجعبا مختالا ، معتزاً مزهوا ،  
أسائل نسي « أى أمرى أريح ؟ » أيوم أخرج به للصيد ، فأبلغ ماأرجو من قصص الشوارد ،  
وصيد الأوبد ، أم يوم أستريح فأفد به إلى ذلك النادى الذى ينتظم سراء قوى ،  
وأشراف قبيلى ؟ .

إنه حيناً أخرج به للحرب والغارة يسبق إذا كان مطروداً ، ويلحق إذا كان طارداً ،  
فهو يتجنى من المآرق ، ويفرج من المضايق ، ويشاركنى فى حربى ، فيضرب ويبحر .

وهو إلى كل هذه الصفات كريم ذلول ، سلس العنان ، سهل القياد ؛ إذا حمل فارسه  
مدججاً بسلاحه ، مقلداً عتاده جميل النصر فايته ، فيعمل مع فارسه لإدراكه ، فإذا مافرق  
فارسه الأقران ، وجدل الأبطال ، عاوده المرح والنشاط ، فإذا هو القرس اللوب الجلوح ،  
أليس قد شارك فى فوز فارسه ، وأسهم فى نصر سيده ؟

كم قد شهدت به غارات طويلة الأمد ، بعيدة الأجل ، يطاعن طليعة المتبرين جماعة  
مصبحون ، فأولئك وهؤلاء يدقون الرماح بالرماح ، ويكسرون الاتصال على النصال ،

فسمع للفرس ثورة وهممة ، وانتفاجا وزججرة ، كأنما هو في ثورته وانتفاحه غليية فنية ، نشيطة قوية ، لا تهدأ ولا تسكن ، ولا تقف ولا تهمد .

هو فرس أشم طويل ، واسع الخطا ، إذا ذكرته بالشد على المدوا اندفع اندفاع الحصى ينبع منه الماء تلوا الماء ، وهراء مما حوله الماء التدفق ، والحصى المتفرق .

### النقر :

للرقيش من الشعراء المجيدين ؛ لأنه كان عاشقا فارسا ، والعشق والقروسية من عناصر الشاعرية ، ومن مقومات الوصف بصفة خاصة ، ويظهر في هذه الأبيات المدودة أنه نحا في وصفه نحوًا يخالف إلى حد ما الطريق الذي نهجه بعده أكثر الشعراء ، أو أنهم لم ينجحوا نهجه فلم ينصفوه ، فندى أن نهجه أوضح من نهج أكثرهم .  
إنه لا يصف أجزاء الجسم عضواً عضواً ، وإنما يلم بهذه الأعضاء إلماما ، ثم ينصرف إلى غيرها ، فقره :

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ    كَيْتٌ كَلُونِ الصَّرْفِ أَرْجُلُ أَفْرَحُ

فها هوذا قد وصفه بست صفات في بيت دون أن يقال : إنه قصر في وصفه .

أما النحو الجديد الذي نحاها فهو الربط بينه وبين فارسه ، وتصويرهما صديقين متعاونين على ما يكسب المجد ، وينشر عنهما طيب الحديث ، فهو :

قَلَى مِثْلَهُ آتَى النَّدَى مُخَايَلًا    وَأَغْزَى سِرًّا أَيْ أَمْرِي أَرْجَحُ؟  
وَيَسْبِقُ مَطْرُودًا وَيَلْحَقُ طَارِدًا    وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ الضِّيقِ وَيَجْرَحُ  
تَرَاهُ رِشَكَاتٍ لِلدَّجَجِ بَمَدَامَا    تَقَطَّعَ أَقْرَانُ النَّيِّرَةِ يَجْمَعُ

وهو بارع الإجابة عند ما يصور اندفاعه بين جماعة الخيل ، فيصوره باندفاع الحصى ، ضائق مسيله ، وحجوده من تحته الماء والحصى ، إنها صورة دقيقة ، وإن ضالت الألتناظ عن اللبنى ، ولو أنه عنى بشكوكين الصورة ، وتوضيح النايبة لكان قد بلغ أسمى ما يريد من التصوير ، والبيت هو :

يَجْمُ جُحُومَ الْحَسَنِ جَالِسَ مَضِيقُهُ وَجَرْدَهُ مِنْ تَحْتِ غَيْلٍ وَأَبْلَحُ  
ويستمد الرقش على المقام الاعتقاد كله ، فيقول مثلاً :

غَدُونَا بِصَافٍ كَالصَيْبِ مُجَلَّلٍ طَوِينَاهُ حِينًا فَهُوَ شَرْبُ مَلُوحٍ  
قَالِي أَيْنَ غَدَابَهُ ؟ أَلَى الْحَرْبِ أَمْ إِلَى الصَّيْدِ أَمْ إِلَى غَيْرِهَا ؟ إِنَّهُ لَمْ يَحْدِثْنَا مِنْ قَبْلِ عَنْ  
شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

ثم ما الأمران اللذان يسأل عن معرفة الأربح فيهما ؟ في قوله :

عَلَى مِثْلِهِ آتَى التَّدَى غَايِلًا وَأَغْمَزَ سِرًّا أَى أَمْرِي أَرْبِحُ ؟  
إِنِّهِ غَامِضٌ ، فَتَحْنُ لَا تَدْرِي الصَّيْدَ يَرِيدُ أَمْ السِّبَا ، أَمْ الْحَرْبُ أَمْ الْهَوَى ؟ وَالنَّجَاءُ يَرِيدُ  
أَمْ الْعَلَبُ كَمَا يَرَى بَعْضُ الْأَدْبَاءِ ؟ وَقَدْ عَرَضْنَا رَأْيَنَا فِي التَّحْلِيلِ ، وَلَعَلَّهُ أَقْرَبُ الْآرَاءِ إِلَى الْحَقِّ  
الَّذِي أَرَادَهُ .

وَإِذَا تَجَاوَزْنَا هَذَا الْفَمُوضَ حَكَمْنَا لِلرَّقْشِ بِقُوَّةِ الْأَسْلُوبِ وَجَمَالِهِ ، وَرَوْتِهِ وَحُسْنِهِ ،  
غَايَ جَمَالٍ وَقُوَّةَ يَفُوقَانِ جَمَالَ هَذَا الْبَيْتِ وَقُوَّتَهُ فِي طَبَاقَةِ الْمَادَى ، وَلِنَنْظُرَ الْجَزَلَ ؟  
وَيَسْبِقُ مَعْرُودًا ، وَيَلْحَقُ طَارِدًا وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ الْمَضِيقِ وَيَجْرُجُ  
وَيَبْدُ ، فَإِنَّ الرَّقْشَ شَاعِرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَفَرَعَ أَهْلَ زَمَانِهِ .



## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الفرس

أكثر أولئك الشعراء الذين اخترنا لهم بعض ما قالوه في وصف الفرس نجدون مقاما أو انتقالا ، ومن لم يكن منهم نجديا فقد طبع على أخلاق النجديين ، فأهل نجد في القديم والحديث أولو نجدة وعزة ، وأصحاب فروسية وبطولة ، ولعل بلادهم المالية ، وإقليمهم الثابت أورثهم آيته ، وخلع عليهم طوله وعلياءه .

وإن غلبت عجبنا أن يمجيدوا وصف الخيل ، وأن يبرعوا في نعت الجياد ، وأن يبرزوا غيرهم من الشعراء في رسم شياتها ، وتصوير سماتها ، فالخيل النجدية لا تزال مضرب المثل في الحسن ، وليس عجيبا ألا تتفق معانيهم ، وألا تتحد أفكارهم وأخيلتهم في وصفها ونسبها ، كما لسنا ذلك في وصف الناقة — فإن محاسن النياق تكاد تكون محصورة في أجزاء جسمها ، وصلابة خلقها ، وليس الشأن كذلك في الخيل ، فحسان الخيل تتجاوز التكوين الخلقى ، والله در للتنبى إذ يعرف هذا المعنى فيقول :

وما الخيلُ إلا كالكرامٍ قليلةٍ وإن كثرتْ في عينٍ من لا يجربُ  
إذا لم تلاحظ غيرَ حسنِ شياتها وأعضائها فالحسنُ عنك منيبُ

هناك وصفها بمدركة الصيد ، ومتابعة الطرد ، وهناك وصفها عند المباراة في الحلبة ، والسباق في الميدان ، وهناك وصفها في الحرب ؛ إذ تشارك في الضرب والطمع ، وهناك وصفها في الهو ، وهناك تصوير عدوها ، وتشخيص جرائها ، ووصف حنائها وجيشانها إلى غير هذه المعاني التي سررت بنا ، وأفضنا القول في تبياتها .

وليس أولئك الشعراء الذين اقتبسنا قبسا من شعرهم في وصف الخيل بأقدر شعراء العصر الجاهلى على وصفها ، ولكثمت من أقدمهم ، كما أن أولئك الذين اخترنا لهم بعض شعرهم في وصف الناقة ليسوا بأبرع من وصفها ، ولكثمت من أبرعهم ، ولكنتا رمينا إلى الإكثار من عدد الشعراء ، فلم نختر لشاعر اخترنا له قبل في وصف الناقة ، وذلك لنظهر أن

هذا العصر غنى بالشعراء الذين أجادوا القول في كل مجال ، والذين سبقوا في كل ميدان ، ولو نهجنا غير هذا النهج لوجدنا أكثر من شاعر له في وصف الخليل الباع الأطول ، والقول الأفضل ، ومع ذلك ، ألم يفضل علقمة الفحل على امرئ القيس في نعت الخليل بصفة خاصة ؟ إننا لا نؤيد هذا الحكم ، ولكننا نسوقه دليلا على أن من الشعراء الذين تجاوزناهم من هم شعراء وصافون لا بشق لهم غبار .

ونحن في هذا المجال نجمع ما تفرق من اللامى في التحليل ، لعل فيه ما يسر على الناقد مهمته ، وييسره بمنهجه وغايته .

يكاد الشعراء الستة الذين اخترنا لهم يتفقون في وصف أجزاء الفرس وشيائه ، وإذا كان بينهم خلاف فهو في القدر والكيف ، ولكنهم يختلفون في تصوير شيء غير تصوير الجسم ، وغير شيائه ، ذلك الشيء هو خلقها وكرمها ، وحسنها ونبيلها ، فإذا قال امرؤ القيس في وصف فرسه بالضخامة والجسامة :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا    بِمُنَجَّرِدٍ قِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وجدنا غيره ممن تقدمه في النشأة ، وسبقه إلى نعت الخليل بشر بن أبي خازم يقول :

يَضْمَرُ بِالْأَصَائِلِ ، هَوَّ نَهْدُ    أَقْبُ مُقْلَسُ فِيهِ اقْوَرَارُ

وأنفينا من جاء بعدها قد تابعهما في نعت جواده بهذه الصفة ، فيقول عنقرة :

وَلَرُبَّ مُشْعَلَةٍ وَزَعْتُ رِعَالَهَا    بِمُقْلَسٍ نَهْدٍ لِلرَّكَاكِلِ هَيْكَلِ

ولكننا نلح في بيت بشر معنى لم يتناوله باللفظ هو عنايته بذلك الفرس ، ورعايته له

في قوله : يضرر بالأصائل ، فذلك التضمير من مظاهر العناية والتكريم .

وإذا وصف امرؤ القيس جواده بمدة النشاط ، وقوة الركض ، وشدة العدو ، قال :

مِكْرٍ مِفْرٍ ، مُقْبِلٍ مُذْرِ مَمَّا    كَجَفُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عُلَى

وجدنا من تقدموه قد تناوله على نحو يقارب هذا النحو ، قال بشر بن أبي خازم :

مُحَارِشَةُ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا    جِرَادَةَ هَبْوَةٍ فِيهَا اضْفِرَارُ

وقال سلمة بن الخرشب :

وَمَعَكِنَّا إِذَا نَحْنُ اقْتَنَمْنَا مِنْ الشَّحَاجِ أَسْمَهُ الْجَمِ  
هُوْءٍ عَقَابِ عَرْدَةٍ أَشَارَتْهَا بِذِي الضَّرَانِ عِكْرَةً كَرُومٍ

المعاني متقاربة ، ولكن التصوير متباعد ، والتشخيص مختلف ، فبيت امرئ القيس يشعر بالحدة في التشاط ، والقوة في العدو ، ويتخذ من الصخرة يسقطها السيل مادة تصويره في حين يتخذ بشر من مهارتها عتائها مادته ، ويزيدها تصويرا بقوله : كأن فيها جراحة هبوة ... وسلمة لا يفتنيه في هذا المعنى بيت بل يؤديه في يتبين ، يؤلف فيهما صورتين كاملتين دالتين على أقصى القوة ، وأوفر الحدة .

وامرؤ القيس يصف فرسه بالكفّة ، فيقول :

كَيْتَ بَرَكِ اللَّيْذُ عَنْ حَالٍ مَتْنٍ كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَقْتَرَلِ  
فَفَرَى جَمِيعٌ مِنْ سَبْقِهِ وَمِنْ لَحْقِهِ وَصَفَا جِيَادَهُمُ بِالْكَفَّةِ كَأَنَّ الْجِيَادَ الْعَرَبِيَّةَ أَوْ الْخَيْلَ  
التَّجْدِيَّةَ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا هَذَا اللَّوْنُ ، فيقول سلمة بن الخرشب :

كَيْتٌ غَيْرُ مُخَلَّفَةٍ ، وَلَكِنْ كَلَوْنِ الصَّرْفِ عَلَيَّهِ الْأَدِيمُ  
ويقول عوف بن عطية :

كَيْتًا كَحَاشِيَةِ الْأَنْحَمِ لَمْ يَدْعِ الصُّنْعُ فِيهَا عَوَارًا  
وقبل هؤلاء جميعا قال للرقش الأصفر :

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ كَيْتٌ كَلَوْنِ الْعُشْرِ أَرْجُلُ الْفَرَحِ  
وهكذا نجد اتفاقا في أكثر الأوصاف الجسمية بينهم ، وبظرة عابرة يمكن الجمع بين هذه الأوصاف ، ولكنهم يختلفون في أدائها ، وقد يتباعدون في عرضها .

أما المعاني التي انفرد بها بعضهم دون بعض ، فليست من الكثرة بمنزلة المعاني التي اتفقوا فيها ، فمن هذه المعاني قول امرئ القيس :

مِسْحَرٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَتَرَنَ الْفُبَارَ بِالْكَدِيدِ لِلرَّكْلِ

إنه في هذا البيت يجمع معنيين متضادين دون أن يسمى ذلك طباقاً ، وإذا كان الطباق جيلاً ، فالقدرة على مثل هذا النوع أجل ، إنه نمت فرسه بالاندفاع كالأنى ، والانصباب كالسيل ، ونمت السابحات الأخريات بالونى والكلال ، حتى ليثمن الفبار بضربهن الأرض الصلبة ، وهى صورة للفرس لا يصورها إلا من تتبع حركات الخيل : كبيرها وصغيرها عظيمها وضئيلها ، وهكذا تفتت الخيل المجهدة بسنابكها الثقيلة الأرض الصلبة .

ومن تلك المانى التى انغرد بها ، فلم يشاركه أحد فيها ، من تقدمه أو من جاء بعده قوله يصور الدماء المتطايرة من صيده ، والتى ضرج بها فرسه :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْمَادَائِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةٌ حَنَاءَ بَشِيبِ مُرْجَلٍ  
فالمنى فريد ، والتشبيه جميل ، والصورة كلها رائعة ، وقوله فى وصف الشرب الذى عن له ، فارتاع لمرآه ؛ لأنه يعرفه مطارداً عينا ، وصيادا حسيفاً ، ففرق زرافات ووحداً :

فَمَنْ لَنَا سَرِبٌ كَأَنَّ رِجْلَيْهِ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاهِ مُذَلِّ  
فَأَذْبَرَنَ كَالْجُرْعِ الْفَصْلَ بَيْنَهُ عَجِيدٍ مُعِمٍّ فِي التَّشْبِيرِ مُخُولٍ  
فَأَكَلْنَا بِالْمَادَائِ ، وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَقٍ لَمْ تَزَلْ

ومن هذه المانى التى لم يشاركه فيها أحد ، ولم يبلغ مبلغ جملتها شعر وصفه أبطل الفرس وساقبه ، ثم وصف سيره فى إرخائه وتقريبه ، وذلك فى قوله :

لَهُ أَطْلَالٌ ظَهَرَ ، وَسَاقًا نَامَتْ ، وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبٌ تَتَقَلُّ

ويمجنا منه ذلك التقسيم البديع ، فهو فى الشعر الأول يصفه بصفتين جسيبتين ، وفى الشعر الآخر يمتعه بمتين ليسا كذلك ، دون أن يضيق البيت بهذه المانى ، فكان لكل هذا حامل لواء الوصف فى قدم الشعر وحديثه .

ومن المانى الثريدة فى أبيات بشر بن أبى خازم قوله يصف شهبة فرسه حيناً يسر عليها عرقها ، وجف حميها : درته وغراره :



تَرَاهَا مِنْ بَيْتِ الْمَادِ شُهُبًا مُخَالِطٌ دِرْعُو مِنْهَا غِرَارُ  
وقوله يصور أثر سنايكها الصلبة في الأرض المطشنة :

يَكُلُّ قَرَارَةً مِنْ حَيْثُ جَالَتْ رَكِيَّةُ سُنْبُكِ فِيهَا انْجِيَارُ  
ولمنقرة في وصف الفرس المقام الأول بعد امرئ القيس ، فله فيه معان جواد ، إن لم  
نخط بها جميعا ، فحسبنا أن نشير إلى بعضها لندل على براعته .

من هذه المعاني وصفه الفرس حين ينهنه من حذقه ، ويعد من مراحه ، فلا ينشأ  
يتلوى ويتنى بالشارب التمل ، والنشوان العجل ، وذلك في قوله :

وَكَأَنَّ مِشِيَّتَهُ إِذَا نَهْنَهَتْهُ بِالشَّكْلِ مِشْيَةُ شَارِبٍ مُسْتَعِجِلٍ  
وكثير من الشعراء وصف قطاة الفرس وكفله ، ولكن أحدا منهم لم يصفه بذلك  
الوصف الذي ترك في غيلة كل قارئ ربما للصخرة الناعمة الملساء ، يشأها السيل الجارف ،  
فلا يستقر لها قرار ، وذلك في قوله :

نَهْدُ الْقَطَاةِ كَأَنَّهَا مِنْ صَخْرَةٍ مِلْسَاءٍ يَشَأُهَا السَّيْلُ بِمَخِيلٍ  
فأما سلمة بن الغر شرب ، فقد أبدع في وصف التحجيل إبداعا ، وأجاد في تصويره  
أيما إجادة ، وذلك في بيتيه :

تَمَادَى مِنْ قَوَائِمِهِ ثَلَاثٌ بِتَحْجِيلٍ ، وَقَاعَةٌ بِهِمْ  
كَأَنَّ مَسِيحِي وَرِقْرِقَ عَلَيْهَا نَمَتْ قَرِطَيْهِمَا أُذُنُ خَدِيمٍ  
فتصوير التحجيل في القوائم الثلاث بأنه كالأقراط المصنوعة من الفضة في الأذان المشقوقه  
تصوير جميل ، فوق أنه يدل على سراء وثرء ، وحضارة ومدنية .  
ولكننا لا ندري كيف تكون الأذان ثلاثا ، ولا تكون اثنتين أو أربعا ؟ أحسب  
أن الصورة غير محدودة .

أما عوف بن عطية فقد جاءت أبياته كلها وصفا لأجزاء فرسه ، وهو قصير الغض  
في الوصف ، ولا نجد له معنى مبدعا سوى قوله :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَمَبِ الْوَلِيدِ يَتَخَذُ الْعَارُ فِيهِ مَنَارًا

أما الرقش الأصفر فقد قدمنا في قده أنه نهج في وصف فرسه نهجا جيلا ، لا ندرى لماذا لم يتأثر فيه خلفاؤه ، ولعل عدم الاتجاه مبته أنه كان شاعرا فارسا ، فهو يجد للمادة الفزيرة لوصف فرسه في حربه أكثر من وجود هذه المادة لسواه ، وأكثر من تأمله هو لها في أيام سلمه ، سيان بعد ذلك أن تكون هذه الحرب مع الوحوش الأوابد أم مع الجيوش الجحافل .

وعهدنا بما قدمناه عن جمال معانيه ، وطريف أخيلته وأفكاره قريب ، فلا نعيده مرة أخرى .

وبعد ، فيبدو واضحاً أن عناية العرب بالناقة والإبل كانت أعظم من عنايتهم بالفرس والخيل ، إذ شحرم في وصف الأولى ونمنا أوفر ، وإذ معانيهم في تصوير نعمها وفضلها أكثر ، وإذ أغناسهم في عد أياديها أطول ، وإذن فمعوتهم ترقى برفق الانتفاع بالمتعوت ؛ إذ مما لا ريب فيه أن الناقة للفقير والغنى ، وللقارس وغير القارس ، وللأهمل والجاد ، وليس ذلك شأن الفرس ، فهذه أداة زينة ولهو ، وفروسية وحرب .

كما أنه مما لا ريب فيه أن الفرس أجل من الناقة وأوسم ، ولكن الانتفاع ! عند الناس جميعاً أولى بالرعاية من الانتفاع انخاص .

وقد قدمنا أن الملاحظ أن الشعراء يمتصون وصف الناقة أو يبدونه بوصف ما يشبهها من البقر الوحشى أو الحمار ، أو الظليم أحيانا ، ويتمون وصف الفرس بذكر الصيد والطرود ، فوصفها سبيل إلى تمت سواها ، فها إذن — الناقة والفرس — الدمامة الراسخة لهذا الفن ، وعلى نهج الشعراء سفير ، فبدأ بوصف الأوابد .

## (ح) وصف الأوابد

١ - قال لبيد بن ربيعة \* في مملته يصف البقرة الوحشية :

أَخَذَكَ أُمٌّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ      خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصَّوَارِ قِيَامُهَا <sup>(١)</sup>  
خَنَسَاهُ ضِيْعَتِ الْفَرِيرِ فَلَمْ تَرَمْ      عَرَضَ الشَّقَاتِقِ طَوْفُهَا وَبُقَامُهَا <sup>(٢)</sup>  
لَمْعَرُ قَهْدٍ تَنَازَعَ شَلْوَاهُ      غَبَسُ كَوَاسِبُ لَا يُعْنُ طَمَامُهَا <sup>(٣)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر البكري ، أحد ملوك الشعر في العصر الجاهلي ، وقول في العصر الجاهلي ، مع أنه عمر في الإسلام لأن مؤرخي الأدب يكادون يجمعون على أنه هجر بعد إسلامه الشعر استغفاراً للشأن بعد أن سمع القرآن الكريم ، ورزحون أنه لم يقل بعد إسلامه إلا بيتاً واحداً هو :

الحمد لله إذ لم يأتني أجل      حتى اكتسيت من الإسلام سربالا  
أو هو قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفه      وللسوء يصلحه الجليس الصالح  
ومن مؤرخي الأدب الحديث من يمد هذه أسطورة ، ويذكر أن في ديوانه كثيراً من الشعر الديني .

**التفسير اللغوي :** (١) أَخَذَكَ : باسم الإشارة يعود على الأتان التي شبه بها ناقته في الأبيات السابقة لهذا البيت . الوحشية : يقصد البقرة ، فهي نمت لمنوت مهدوف . مسبوعة : أصابها السبع بانتراس ولدها . خذلت : تركت دون أن تنصر وتعان . الهادية : للتقدم أو التقدمة . الصوار : القطيع من بقر الوحش ، والجمع الصيران . القوام : ما يقوم عليه الأمر ، أو الشيء . (٢) الخنساء : صفة من الخنس ، وهو تأخر أرنبة الأنف . الفرير : ولد البقرة الوحشية ، وجمعه الفرار . فلم ترم : فلم تبيع . عرض الشقائق : ناحية الشقائق ، والشقائق : الأرض الفليضة مفرداً حقيقة . الطوف : الطواف والجلولان . البنام : الصوت الرقيق الناعم . (٣) للمر : للثني على التراب ، وهو صفة للوليد . القهد : الأبيض . تنازع : تجاذب . شلواه : عضوه ، والجمع أشلاء كأعضاء . غبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو ما لونه كلون الرماد وهو صفة لموصوف مهدوف هو ذئب . لا يعن : لا يقطع ، ومنه قوله تعالى : « وَلَا تَعْنُ تَنُكَّرُ » .

صَادَفَن مِنْهَا غِصْرَةً فَأَصَبْنَهَا      إِنَّ النَّاسَ لَا تَطْلِيحُ سِيَاهُهَا<sup>(٤)</sup>  
 بَاتَتْ وَأَسْتَبَلَّ وَآكَفٌ مِنْ دِيْعَةٍ      يُرَوِّى الْحَمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَاهُهَا<sup>(٥)</sup>  
 يَمْلُؤُ طَرِيقَةً مَتْنَهَا مُتَوَاتِرًا      فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ حَمَاهُهَا<sup>(٦)</sup>  
 تَجْتَافُ أَصْلًا قَالِصًا مُتَنَبِّدًا      بِحُجُوبِ أَقْنَاءِ يَمِيلُ هَيَاكُلُهَا<sup>(٧)</sup>  
 وَتُضَى فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةً      كَجَمَانَةِ الْبَحْرِىِّ سُلَّ نِظَامُهَا<sup>(٨)</sup>  
 حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وَأُسْفَرَتْ      بَكَرَتْ تَزَلُّكُ عَنْ الثَّرَى أَرْزَامُهَا<sup>(٩)</sup>  
 ٢٩٢ : عَلِمَتْ تَرَدُّدُ فِي نِهَاءِ صَعَائِدِ      سَبْعًا تَوَاقَا كَامِلًا أَيَّامُهَا<sup>(١٠)</sup>

(٤) القرة : الضفلة . فأصبها ، فاتهرتها . لا تطلّح : لا تخطئ . سياهها : جمع سيم ، وهو النبل ، وما يرى به .

(٥) أسبل : أرسل وأسال . الواكف : الطر للتهل . الديعة للطرة التى تدوم نصف يوم على الأقل . الحمايل : جمع خيلة ، وهى كل رمة ذات نبت وشجر . التسجام : الانصباب .

(٦) طريقة متنها : خط ظهرها من الحارك إلى الكفل . متواترا : متتابعاً . كفر النجوم غمامها : ستر ضوء النجوم الصمام ، والكفر : هو الستر .

(٧) تجتاف : تدخل فى جوف ، والضمير يعود على البقرة الوحشية . أصلا : جذع شجرة . قالصاً : مرتفع القروع . متنبداً : متنجيا . بحجوب أقناء : العجوب جمع عجب بسكون الوسط : وهو أصل الذنب ، والأقناء : جمع نقي وهو الكتف من الرمل . والراد أطراف الرمال للجمجمة . الهيام : الرمل ما يزال ينال ولا يتأسك .

(٨) وجه الظلام : أوله ، لأن الوجه أول ما يستقبل الرائي . الجانة : القطعة من القضة ، أو الأؤلؤة ، وهى الرادة هنا لتسببها إلى البحر ، ومنه يؤخذ القول ، لا القضة . البحرى : النسوبة إلى البحر أو البحرين ، إذ كان أهل إقليم البحرين مشهورين بالتوص على اللآلى . حل نظامها : نزع خيطها .

(٩) انحسر : انكشف . أسفرت : أضاءت وظهرت . بكرت : غدت مبكرة . تزل : تزلق . أزلامها : قواصمها مفردا زلم .

(١٠) علمت : هلمت وفزعت . نهاء : جمع نهى وهو التدبير . صائد : اسم مكان ، سباً : أى سبع ليل . تواقا : جمع قوم أى بأهلها .

حَتَّى إِذَا تَيَسَّدَ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ      لَمْ يُبْسَلِ لِرِضَائِهَا وَفَطَائِهَا<sup>(١١)</sup>  
 تَوَجَّسَتْ رَزَّ الْأُنَيْسِ فِرَاعِهَا      عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأُنَيْسُ سَقَائِهَا<sup>(١٢)</sup>  
 فَتَدَّتْ كِلَا الْفَرَجَيْنِ مَحْسَبُ أَنَّهَا      مَوْلَى الْخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَائِهَا<sup>(١٣)</sup>  
 حَتَّى إِذَا بَسَّ الرِّمَاءُ وَأَرْسَلُوا      غَضًّا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَائِهَا<sup>(١٤)</sup>  
 فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ      كَالسَّمِيرَةِ حَدُّهَا وَنَمَائِهَا<sup>(١٥)</sup>  
 ٢٩٨ : لَتَذُودَهُنَّ وَأَيَقَنْتُ إِنْ لَمْ تَذُدْ      أَنْ قَدْ أَحْمَمَ مِنَ الْخَوْفِ جِهَائِهَا<sup>(١٦)</sup>

(١١) أسحق حالق : أخلق ضرع بمثل ، وليس ذلك هو اللراد ، وإنما للراد ضرع مرتفع منضم إلى البطن لجفاف لبنه ، وقد استشهد اللسان على هذا المعنى بيت لبيد هذا . لم يبه : لم يخلقه .

(١٢) فتوجست : فلتسمعت خفي الصوت . رز الأنيس : الرز الصوت الخفي ، ويقصد بالأنيس الناس . فإزعها : فأفزعها . عن ظهر غيب : عن عدم رؤية لأصحاب الأصوات . سقامها : سبب سقامها وضعفها .

(١٣) فتدت : فصارت . كلا الفرجين : الفرج الواسع من الأرض وموضع الخافاة ، وما بين قوائم الدواب ، لما بين اليدين فرج ، وما بين الرجلين فرج ، وهو القعود هنا . مولى الخافاة : أولى بالخوف ، فولى بمعنى أولى ، وذلك كقوله تعالى « ما وأاكم اننا هم مولاكم » .

(١٤) الرماء : الصيادون . غضف : جمع أغضف ، وهي الكلاب للترخبة الأذان . دواجن جمع داجن ، وهي للوداد على الصيد . قافلا : بإيا . أعصائها : جمع عصام ، وهي سيور الجلد توضع في أعناق الكلاب .

(١٥) اعتكرت : رجعت وعطفت . للدرة : طرف القرن . السميرية : الرماح للنسوة إلى سمير ، وهو رجل من قرية خطأ إحدى قرى البحرين عرف بتثقيب الرماح وكانت له زوجة تسمى رديئة تنسب إليها الرماح كذلك .

(١٦) لتذودهن : لتدفعهن . أحم : حان للوت . الختوف : جمع خنف وهو اللوت حمامها : موتها .

فَضَعْتُ مِنْهَا « كَسَابٍ » فَضَرَجْتُ

بدم ، وَغَوَدَرَ فِي الْكَرِّ « سُخْلَهَا » (١٧)

فَيْتَلَّ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَا وَاجْتَابَ أُرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامَهَا (١٨)

٣٠١ : أَقْضَى اللَّبَانَةَ لَا أَفْرَطُ رِيَّةَ أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةِ لَوَامِهَا (١٩)



(١٧) فَضَعْتُ : فَضَعْتُ . كَسَابٍ : اسم كلبة الصيد . فَضَرَجْتُ : خَضِيتُ بِالْدم . غَوَدَرَ : ترك . الْكَرَّ : مكان الكر . سُخْلَهَا : اسم كلب الصيد ، ويظهر أنه كان أسود ، إِذْ السَّخَامُ السَّوَادُ .

(١٨) فَيْتَلَّ : الإشارة إلى الناقة التي تشبه البقرة الوحشية . رَقَصَ اللَّوَامِعُ : اهتزت . اللَّوَامِعُ : القبايل اللوامع ، فاللوامع صفة لموصوف محذوف . اجْتَابَ : لبس . أُرْدِيَةَ : جمع رداء ، وهي الأثواب . الإكَام : جمع أكمة للرمعات .

(١٩) اللَّبَانَةُ : الحُلَّةُ . لَا أَفْرَطُ : لَا أَتَصَرَّ . رِيَّةَ : خَوْفًا . اللَّوَامُ : الكبير العتب والقوم .

### تحليل الأبيات :

هذه الأبيات من معلقة لبليد بن ربيعة ، وقد أظهر الشاعر في معلقته ضروبا من الافتتان في جميع فنون الشعر ، ولا سيما الوصف ؛ فقد تناول بالوصف الرائع الديار المقفرة ، وللمنازل الفارسة ، والأمطار الواكفة ، ثم تنزل غزلا قصيرا ، وكأنى بلبيد كان رجلا جادا كزهير ، إذ لم يلبث أن عاد إلى الوصف ، فوصف الناقة وصفا صافي النبعة ، غزير السادة ، وهذا الجزء أحد تلك التشبيهات ، فهو يشبهها بالبقرة الوحشية فيقول :

أفلك الأثان « التي كان قد شبه بها ناقته قبل » أم البقرة الوحشية التي قد نكبتها السبع في ولدها ، حين غيبتها عنه ؟ إذ ذهبت ترمي مع صويحياتها من القطيع والصيران ؛ ثمود إليه وقد حفل باللبن ضرعها .

لقد خذلنا زعيم القطيع وقائده ؛ إذ لم يستطع عن ولدها دضا ، فهي هاتجة ثائرة ، تطلب ولدها ، فلن يستقر لها من دونه قرار .

تلك البقرة الجميلة الخنساء ، الضيعة للفرير ، للفقودة الصغير ، لا تريم عن تلك الأرض الغليظة ، ولا تبرح عرض الشقائق طائفة صائحة صياحا رقيقا حزينا ، وكأنها تناديه فلا يجيبها ، فهي تبكي ذلك الفرير الذي طواه الرغام ، وغطاه التراب ، فضر حسنه ، وغيب جماله ، تبكي ذلك الأبيض الناصع البياض الذي تنازعت الذئاب أشلاءه ، وتجادبت النفوس أعضائه ، فقد صادف من البقرة غفلة فأنتمزها ، وأصب من غرة فالتصن فريها ، ولو لم يكن القضاء نافذا ، والقدر مبرما ما صادف الغفلة ، ولا أصبن الثرة ، ولكن « إن المنايا لا تطيش سهاها » .

ها قد ولى التهار ، وأقبلت جحافل الظلام ، فباتت باكية نائمة ، تشاركها في بكائها ديمة واكفة ، ويشاطرها عبراتها مرنة ماطرة ، تروى الحثائل بمائها للنسك ، ودمعها التهمر ، وهي في ليلاها المكتمر ينفط طرائق ظهرها ، وخطوط متنها ذلك اللطر للتوثر للنتابع ، لا يقبها منه كن ، ولا يحجبها عنه كناس ، وقد ستر النمام ضوء النجوم ، وكفر الزكام نور الكواكب ، فكانت ليلة ليلاء اجتمع فيها هلى انخفاء الحزن والبرد والطر ،

فإذا اشتد عليها التهمال جهدت أن تنقيه بالاستتار تحت جذع شجرة مستطيلة القروع ،  
ممتدة الأفنان ، وهذه الشجرة نائية عن غيرها من الأشجار .

إنها وقفت في كئيب من الرمل ينال ولا يتماسك ، وينساقط ولا يشتاند ، فهي لتفقد  
فريرها في حزن ، ومن الطبيعة في صرد ، ومن انهيار الرمل في فزع ، فإشد ما نزل بها !  
وما أعظم ما انتابها !

هذه البقرة بيضاء ناصعة ، فكأنها إذ تظهر في أول الليل ساطعة وانحة ، درة صدفية ،  
أو لؤلؤة بحرية ، قد وهى عقدها ، وانفرد نظامها ، فهي لاستقر في مكان .

فإذا ما انكشف الليل ، وولى الظلام ، وتنفس الصبح ، وأسفر النور ، أصبحت مبكرة  
تنزع من الثرى قوائمها ، وتزل من التراب أزلامها ، ثم ظلت كما كانت هلمة فزعة ، لم  
يزايلها هلمها ، ولا جانبها فزعها ، واستمر ذلك حالما في المكان للروف بصائد سبع ليال  
وثمانية أيام تبحث عن وليدها ، وكأنها تقدر أنه غائب وسيثوب :

وكل مسافر سيثوب يوما إذا منح السلامة والآيا

وهي لم تر أحدا سلبه سلامته ، ولم تلاحظ عدوا انتهب من بين جنبيه روحه ، وإذن فلا بد  
من إياب .

وها هي ذى - وقد قضت ثمانية أيام سويا تبحث عنه فلا تجده ، وتهيب به فلا يفد  
عليها - تياس من عودته ، فيجف ضرعها ، ويسحق خلقها ، وقد كان امتلاؤه أول الأمر  
باللبن من أسباب لوعتها وأسائها ؛ إن ضرعها جف لاعن إرضاع بل عن غياب ، وها قد سمعت  
صوتا خفيا ، وتوجست من الناس شرا ، فارتاعت ولم تر ما يروعها ، وفزعت دون أن  
تتبين ما يفزعها ، ولسكنها مع ذلك حقيقة بأن ترتاع وتفرع ، فالتاس بسهامهم أسباب  
حتوها ، وهم رسل منيتها ، فهي مضطربة محتلجة ، لا تدري من أين يبيثها حينها ، أمن  
الأمم فتتقيه أم من الخلف ؟ وهذا مالا حيلة لها فيه ؛ لأنها لا تبصره ولا تراه ، وليس لها  
إلى دفعه من سبيل .

إنها لا تتبين مصدر الصوت حتى تنقى اللهاجأة ، وتتفادى اللباغثة ، وهي قد فوتت



على الزمّة أغراضهم ، فلم يصيبوا منها غرضاً ، ولم يسددوا نحوها سهماً ، فأرسلوا عليها  
كلابهم المسترخية الأذان ، المضرة على الصيد ، قد جلت بالتلايد في الأحناق ، وزينت  
بالأعصام في الأجياد ، فلحقت بها الكلاب ، فأبّت إليهن تدافعا عن نفسها :

وإذا لم يكن من الموت بدّ فن العجز أن تكون جيانا

كان ذلك منطق تلك البقرة قبل أن ينطق به التنبى ، وكان مستقبا ، فلها تلك للدريّة  
التي هي أشبه بالرماح السمرية في حدة نصلها ، وطول قناتها .

عطفت عليهن ، لتزودهن عن نفسها ، وهي واثقة أنها إن لم تستمت في الدفاع عن  
حياتها ، فإن الحنف سيكون مألها ، قصدها تلك الكلبة الكسوب حتى سميت كساب  
فحاجتها بضربة بقرنها ، فصرجت بدعائها ، وأقبلت على سخام فركته مجدلا ، فكان لها  
التصر ، وحقا قيل : « من طلب الموت وهبت له الحياة » .

بتلك الناقة القوية السريعة التي تشبه في قوتها وسرعتها البقرة الوحشية للمسبوحة  
أقطع الفازات ، في ساعات الهجير ؛ إذ يلعب السراب سخا ، وإذ تلبس الآكام أردية  
الآل ، أقطمها لأقصى أوطارى ، وأدرك مآربى ، لا أنفرط في طلبها خشية أوارتيبا ،  
وما على أن يلومنى اللاتمون .

الفقر :

تقد كان ليبد أطول الشراء في وصف البقرة الوحشية نسا ، وهذه الإطالة لم تكن من  
قوته ، بل جاء كالقرص الجواد ، كما طال المدى ظهر كرمه ، وبدا عزمه ، ذلك شأن ليبد  
في وصفه يظهر قدرة فائقة ، ويبدى كفاية نادرة ، ويزجى فنونا من الاقتنان ، ويسوق  
ضروبا من الإحسان ، لم يزجها شاعر جاهل بعد امرى القيس سواء ، ولا سبأ في معلقته  
التي منها هذه الأبيات ، وفرق بينه وبين طرفة ، فإن طرفة وصف أعضاء الناقة وأجزاءها .  
أما ليبد فوصف شيئا غير أعضائها ، وصف ما تمدح له الناقة ، فشيها بالنعامة الحمراء ،  
إذ يقول :

فلها هباب في الزمام كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها

ثم شبهها بالأتان الوحشية ، ثم شبهها بالبقرة السبوعة ، ورضه من جميع هذه الأوصاف السرعة .

وليد صور شريرة ناطقة ؛ محيطة كل الإحاطة بما يصوره ، فهي تنفذ إلى الأعماق ، وتصل إلى الباب ، فانظر تلك الصورة البارعة في وصف بياض البقرة :

وَتُصَيِّدُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مَنِيرَةً كَجَمَانَةِ الْبَحْرِ سُلَّ نَظَامُهَا

لم يكنه أن يصفه بالجمانة ، فوصف ضوءها في الظلام ، ونسبها إلى موطنها ، ثم فرط صدقها ، لأن ذلك يصور حركتها المائعة ؛ إذ ليس هناك ما يمسك هذه الحركة ، وانظر إلى قوله في وصف قرننها :

فَلَحَقْنَ وَاعْتَكِرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ كَالشَّهْرِيقَةِ جَسَدُهَا وَتَمَامُهَا

وصف القرن بأنه كالرمح ، وليعطينا صورة كاملة ذكر أنه كان محمدا وطويلا ، وانظر إلى قوله يصف الفلاة يرقص فيها السراب :

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ الْوَامِعُ بِالضُّعَا وَاجْتَابَ أُرْدِيَةَ الظَّلَامِ إِكَامُهَا

إنها صور لا يجيد رسمها إلا شاعر مصور كليد .

وميزة أخرى لليد هي أنه يستطيع أن يحمل الوصف مجالا للحكمة والوعظ كقوله :

صَادَفَنِي مِنْهَا غَيْرَةٌ فَأَصْبَحْتُ إِنْ لَنَا لَا تَطْلُشُ رِسَامُهَا

وقوله :

لَتَذُودَهُنَّ وَأَيَقَّتْ إِنْ لَمْ تَذُودَنَّ أَنْ قَدْ أَحْمُ مِنَ الْخُتُوفِ رِجَامُهَا

أليست هذه قدرة أخرى امتاز بها لييد ، ولم يشاركه فيها إلا زهير بن أبي سلمى ، ولم نجد من الشعراء سواهما من هي له من التفوق في هذا الضرب ما هي زهير ولييد .

٢ — وقال الثابتة الديباني\* من قصيدته التي أولها :

يَا دَارَ مَيْمَةٍ بِالسَّيِّدِ أَقْوَتُ وَطَلَّ عَلَيْهَا سَائِفُ الْأَمَدِ<sup>(١)</sup>

كَأَنَّ رَحْلي وَقَدْ زَالَ التَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُتَانِسٍ وَحِدٍ<sup>(٢)</sup>

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوِي الصَّيْرِ كَسِيفِ الصَّيْقَلِ الْفَرْدِ<sup>(٣)</sup>

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ<sup>(٤)</sup>

٣٠٦ : فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ نَبَاتَ هـ

طَوَّعَ الشَّوَامَتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ<sup>(٥)</sup>

ترجمته الشاعر : هو زياد بن معاوية أحد الشعراء الثلاثة الذين حكم لهم بالسبق في الشعر ، وزعيم قاعده ، وذوى البصر به ، كانت تقام له قبة من جلد في سوق عكاظ : ليعتصم إليه الشعراء ، وكان من سراة قومه ، قضى مدحه للوكة وأخذ منه الصلات من ذلك السراء ، وأجود شعراء ما قاله في الاعتذار إلى التعمان بن اللندر ، وما ساقه في الوصف ، وقيل إنه لقب بالثابتة ، لنبوغه في الشعر بعد أن كبرت سنه توفي سنة ٦٠٤ م .

التفسير اللغوي : (١) مية : خيلته . الملباء : الرثع من الأرض . السند : ما يقابل الإنسان من الجبل ، وهو فوق السطح . أقوت : خلت أو أقفرت . سائف الأمد : ماضى الدهر . (٢) الرحل : ما يوضع على ظهر البعير ، فيشبه السرج للفرس . زال التهـار : حل وقت الزوال ، وهو الوقت الذي تتوسط الشمس فيه السماء . يوم الجليل : بذلك للكان الذي ينبت الجليل وهو التمام . المتأنس : الذي ينظر بينه كأنه يطلب الأنيس . وحـد : منفرد (٣) وجرة : فلاة بين مكة والبصرة ، وهي قليلة الماء لذلك لا يسكنها أحد . مـوشى : منقط . أكارعه : قوائمه ، ومفرده كراع كغراب . طاوـي الصير : ضامر الصير ، وجمع الصير مصران ، وجمع الجمع مصارين . الفرد : المفرد الذي لا نظير له . (٤) سرت السارية : سارت السحابة ليلا . الجوزاء : نجم يظهر صيفاً . سارية سحابة تسمى بالليل . تزجـى : تسوق برفق . الشمال : الريح تهب من جهة الشام . جامد البرد : الماء المتجمد قطعاً صفار الشدة البرد . (٥) فارتاع : فزع ، والضمير يعود على الثور الوحشي . كلاب : صاحب كلاب . طوع الشوامت : مطيع القوائم ، الشوامت جمع شامة . الصرد : البرد الشديد .

فَبَيْتُنْ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ      صَحَّ الْكُمُوبُ بِرَيَاتٍ مِنَ الْحَرْدِ<sup>(٦)</sup>  
 وَكَانَ ضَمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوزَعُهُ      طَمَنَ لِلْمَارِكِ عِنْدَ اللَّعْجَرِ النَّجْدِ<sup>(٧)</sup>  
 شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْدَّرَى فَأَقْعَدَهَا      شَكَّ اللَّيْبِطَرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ التَّصَدِّ<sup>(٨)</sup>  
 كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ      سَفُودُ شَرْبِ نَسْوِهِ عِنْدَ مُفْتَادِ<sup>(٩)</sup>  
 فَظُلٌّ يَجْمَعُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقَبِضًا      فِي حَالِكِ اللَّوْزِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدِ<sup>(١٠)</sup>  
 لَمَّا رَأَى «وَاشِقُ» إِقْصَاصَ صَاحِبِهِ      وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ<sup>(١١)</sup>  
 ٣١٣ : قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا      وَإِنْ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِّ<sup>(١٢)</sup>

- (٦) فَبَيْتُنْ : ففريقهن ، والضمير يعود على الكلاب ، وإذا هناك غير ضمران وواشق ، ويظهر أن هذين كانا أمهر الكلاب . صَحَّ الْكُمُوبُ : ضوامر ، ومفرد صمغ أصمغ . وهو وصف للقوائم اللس . بِرَيَاتٍ مِنَ الْحَرْدِ : برينات من الحرْد . وهو زهر في القنصل .
- (٧) ضَمْرَانُ : اسم كلب . يوزعه : يخرجه ويحضره . الهجر : اللجأ . النجد : الشجاع من النجدة ، أو الذي يهرب من الكرب والشدة ، والأول هو المراد .
- (٨) شَكَّ الْفَرِيصَةَ : طمنها وأقعد فيها قرنه . والفريصة : قطعة لحم من مرجع السكتف إلى الحاصرة . للدري : القرن . الليبتر : البيطار . العصد : بالقنح داء يصيب العصد .
- (٩) كَأَنَّهُ : الضمير يعود على القرن . صَفْحَتِهِ : جانبه . سَفُودُ شَرْبِ : السفود جديدة يشوى عليها اللحم ، والشرب جماعة الشاربين . نَسْوِهِ : تركوه ومنه قوله تعالى : « وَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهُم » أي تركوه فتركهم . إِذَا قَدْ جَلَّ شَأْنُهُ لَا يَنْسَى شَيْئًا . الْقَتَادُ : موضع النار التي فيها الشواء . (١٠) فَظُلٌّ : فاستمر اليوم كله وليس مراداً وإنما المراد فاستمر . يَجْمَعُ : يجمع . الرُّوقُ : الثرن . مُنْقَبِضًا : منطوياً متجمعاً . الصَّدَقُ : بالفتح الصلب . الأود : الأعوجاج .
- (١١) وَاشِقُ : اسم كلب آخر ، وسمى بذلك لأنه يشق اللحم . إِقْصَاصَ صَاحِبِهِ : الإقصاء القتل السريع الذي تزل صاحبه ضمران . لَا سَبِيلَ : لا طريق ولا رجاء . إِلَى عَقْلِ : إلى دية ، ولا قود : ولا قصاص . (١٢) قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : نالته نفسه وحدته . وَلَهُ النَّصِيرُ يعود على واشق . الطمع : الرجاء والأمل . مَوْلَاكَ : سيدك . لَمْ يَسْلَمْ : لم يسلم من الحسارة .

### محلل الأبيات :

ناجى النابغة دار محبوبته مية متوجسا متحسرا ؛ لأنه كان منها فى نيم ، وبعد أن شفى قلبه بمناجاته إياها ، والتحسر عليها ، أخذ يصف ناقته فى بيتين انتقل بعدها إلى وصف الثور الوحشى ، والبيتان هما :

فدُّ عما ترى إذ لارْتِجَاعَ له      وأمر القَتُودَ عَلَى عِيْرَانِهِ أُجِدِّ  
مَقْدُوفَةٍ يَدْخِيسُ النُّخْضَ بِأَرْهَاقِهَا      له صرِفٌ صرِفُ القَتْرِ بِالسِّدِّ  
كَأَنَّ رَحْلِي      وقد زَالَ التَّهَارُ بِنَا . . . . .

فهو يقول : كَأَنى إذ أضع رحلى ساعة الزوال ، فوق ظهر ثور وحشى غير محدود التشايط ، فى ذلك المكان الوحش الذى لا أنيس لى فيه يزىل وحشى ، ويؤنس وحدتى .

إنه من وحش وجرة القليلة الماء ، المدومة الغذاء ، وهو ضامر كالسيف المصقول ، ليس له فى صفه نظير ، وهو إلى توجسه وخوفه ، وظلمته وجوعه قد أسرت إليه فى ليلة ضريرة النجم مرنة شمالية لاجل البكاء ، ولا تترك التحبيب ، فعلى تحمل إليه البرد والبرد ، وتسوق له معها الخوف والحذر ، والجوع والظما .

لكل أولئك هو مضطرب الحس ، هلع النفس ، قد ضاعف ما هو فيه أنه سمع صوت صياد جاء بفروه فى عقر داره ، ويطارده فى فلاته بقوائمه ، ولكنه قدر أن الله منحه أكارع ملساء ، وقوائم جرداء قد برئت من الصيب ، وسلت من الحرد ، فعلى كفيته بأن تدفع عنه هذه الكلاب المطاردة .

أقبل عليه زعيمها كما أراد منه سيده ، فإذا انصباب واندفاع ، وقفز ووثب ، ومداورة ومرادة ، ومخادعة ومخاتلة ، ثم معركة حامية الوطيس طمن فيها الثور ضميران فى شجاعة ونجدة طمئة أغذ بها قرنه فى بطنه ، فكان كأنه يطار يشق عن داء ليفسه بالدواء ، وظهر القرن من الجانب الآخر مضرجا بدم الكلب ، كأنه سفود تركه فوق النار جماعة الشارين ، فاحمر واشتعل ، فصار كأنه حمود من النار ، وأخذ الكلب فى ثورة ويأس بعض أهل القرن

الحالك الأسود ، القوى الصلد ، المستقيم المتمد ، وهو متقبض الجسم ، مكتمر الوجه ، مما يشربه من آلام الجراح والأوجاع .

وحين رأى واشق ماحل بأخيه من هزيمة وبوار ، واندهار وانكسار ، دون أن يحكم له أحد بدية يودى بها ، أو قصاص يقتص به من عدوه الفاتك ، حدثته نفسه ، وقد استولى عليها القزع ، ونزل بها الجزع أنه لا يرى في ذلك الثور معلما ، ولا يرجو من وراء منازلته مغنا ، فعليه أن يرضى من الغنينة بالإياب ، فهاهوذا سيده يعود وقد خسر خسارة فادحة ، دون أن يكسب شيئا ، فاشقى جده ! وما أتص يومه !

### الثور :

كأنى بالنابغة الشاعر الوصاف القاص قد عمد إلى وصف قصة تخيلها ، وقص منظر تصوّره ، غنى بأن يصف الثور الوحشى فى معركة حامية ، وبأن يقص علينا قصة حربية ، والنابغة يجيد القصص ويحسن التصوير .

أتاح له الإجابة فى هذين النوعين خياله الواسع ، وشرفه الرفيع ، قد هيأت له حماة المتحضرة ، ورحلاته المتعددة ، ومناذمته الملوك ، ومصاحبته الأقيال أن يتبع خياله ويجود تصويره .

اختار لهذه المعركة أسلحتها ، وأعد لها عتادها : الثور الوحشى ، والكلاب المبهوثة ، والشك والقراص ، والمدرى والروق ، والبيطر والمضد ، والسفود والمقتاد ، ثم رأى أن الصلح الشريف غير مستطاع فلا دية ولا تود ؛ فأبى أنفاظ ميدان تنقص وصف ذلك الميدان ؟ وأبى صورة للمعركة أدنى من تلك الصورة التى أعد لها ألوانها ، وهى لها ميدانها ؛ إذ يقول :

وكانَ «مُضْرَانُ» منه حيثُ يُوْزَعُ      طَمَنَ المَاركُ حِندَ الحَجَرِ التَّجِدِ  
شكَّ القَريصَةَ بالمِدرى فأغْذَهْ      شكَّ المِيطِرَ إذْ يَشْنِي من التَّمَدِ  
كَأَنَّهُ خَارجًا من جَنبِ صَفْحَتِهِ      سَفُودُ شَرَبٍ نَسُوهُ حِندَ مُقْتَادِ

فَقَلَّ يَجْمُ أَطَى الرُّوقِ مُنْقَبِصًا      فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقِ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ  
 فقد كانت معركة النابغة معركة أليمة أسال فيها الدماء ، وكأني به كان من تجار الحرب  
 — كما يقال في الأساليب الحديثة — فاش حياته داعياً إليها ، محرّضاً عليها ؛ حتى يَبْنِ  
 أنواع الحيوان .

تلك معاني النابغة تدلُّ على ريشة حربية ، دلالتها على انطيل الحضري ، فليس  
 جميع العرب يعرفون : « سَقَوْدَ شَرِبَ تَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ » وإنما هذا خيال من يتادم  
 للولك والأمرأ .

أما أسلوبه فستقيم لأمت فيه ولا عوج ، ولا تركيب ولا تمقيد ، وإنما هو يسير على  
 نمط عال من القول ، وقوة محكمة من الرصف . وأما الألفاظ فإن النابغة السهل العذب يحزل  
 ويصلب عندما يتناول وصف معاني الحياة الجزلة الصلية كالناقة والصحاري ، والأوبد  
 والقيافي ، وكأني به يريد بها كاة تامة للطبيعة ، وهذه إحدى نواحي قدرته وجلاله .



٣ - وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري • من يقيته التي أولما :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ<sup>(١)</sup>

فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الْآلُ كُحَا فَوْقَ ذَيْلٍ مَحْدِيهِ سَفَعَ<sup>(٢)</sup>

كَفَّ خَدَاهُ عَلَى دِيْبَاغٍ وَعَلَى اللَّتَيْنِ لَوْ قَدْ سَطَعَ<sup>(٣)</sup>

يَبْسُطُ لِلشَّيْ إِذَا هَيَّجَتْهُ مِثْلًا يَبْسُطُ فِي انْخِلَاطِ الذَّرْعِ<sup>(٤)</sup>

رَأَاهُ مِنْ طِيءٍ ذُو أَسْهَمٍ وَضِرَّاهُ كَنْ يُلَيْنِ الشَّرْعِ<sup>(٥)</sup>

٣١٩ : فَرَأَاهُ وَلَمَّا يَسْتَتِنِ وَكَلَابُ الصَّيْدِ فَيَبِينُ جَسَعَ<sup>(٦)</sup>

• ترجمه الشاعر : سويد بن أبي كاهل اليشكري ، شاعر مخضرم عمر طويل في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام ، فأسلم ، وقد عده نقاد الشعر من أجداد الشعراء ، وقصيدته التي منها هذه الأبيات من الرائع النفيس ؛ حتى كان العرب يسمونها بالقيمة لما تشتمل عليه من الحكمة الحكيمة ، والثلث الصادق ، ولا يحفظ التاريخ الأدبي للشاعر غير هذه القصيدة إلا القليل ، وإذن فإن يكن من المحدثين ، فقد كان من القليلين ، توفي سنة ٦١ هـ .

التفسير اللغوي : (١) بسطت : مدت . رابعة : اسم محبوبته . الحبل : يريد الوصل . فوصلنا الحبل : فأصلنا حبل الوصل . ما اتسع : ما أمكن اتساع الوصل لنا . (٢) الآل : السراب . الذيل : الطويل الذي من أي حيوان ويقصد هنا الثور الوحشي . سفع : السفع السواد الثوب بالجمرة . (٣) كف : ضم ، ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أمرت ألا أكف شعراً ولا ثوباً » يعني في الصلاة . الديباغة : صفحة الحد . على اللتين : على جانبي الظهر . سطع : ظهر ووضح . (٤) يبسط الشيء : يوسع الخطو ويمده . هيجهته : أثره ، مثلاً يبسط : مثل بسط . الذرع : العنقا ، وهو ولد البقرة الوحشية . (٥) راعه : أفزعته ، والضمر يعود على الذرع في آخر البيت السابق . لا على الثور . طيء : إحدى القبائل العربية النسوية إلى قحطان ، وكان أبناؤها معروفين بالمهارة في الصيد . ذو أسهم : وصف لموصوف محذوف أي صياد صاحب أسهم ، والأسهم جمع سهم النبال . الضراء : الكلاب الضراء على الصيد ، ومفردا ضار . يلين : يخلقن . الشرع : الأوتار ، مفردا شرعة . (٦) فرأاه : ضمير النسوة عائد على الضراء ، والضمر القاعل عائد على الثور : لما يستتبن . لما يتحقق ويتبين . الجسع : الطمع وشدة الحرص على الصيد .



ثُمَّ وَلَّى وَجَنَابَهُ ٤ مِنْ غُبَارِ أَكْدَرِيٍّ وَاتَّذَعُ ٥  
فَتَرَاهُنَّ عَلَى مَهْلِكِهِ ٦ يَخْتَلِنَ الْأَرْضَ وَالشَّاةُ يَلْعَ ٧  
دَانِيَاتٍ مَاتِلِبْسِنَ بِهِ ٨ وَاتَّقَاتٍ يَدِمَاهُ إِنْ رَجَعَ ٩  
يُرْهَبُ الشَّدَّ إِذَا أَرْهَقَتْهُ ١٠ وَإِذَا بَرَزَ مِنْهُنَّ رَجَعَ ١١  
سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دَوِيَّةٍ ١٢ فَإِذَا مَا آتَسَ الصَّوْتِ امْصَعُ ١٣



(٧) وَلَّى : مضى وفر . جَنَابَان ٤ : جانبان ٤ . أَكْدَرِي : للنسب إلى الأكد  
وهو وصف من السكندرية وهي القبرة . اتذع : تراخى في جريه ، ولم يجهد نفسه في عدوه ،  
لاطمئنته إلى بعده .

(٨) مهلكته : تمهلكه وتباطؤه . يَخْتَلِنُ : يقطن ، ومنه اختل العشب : جزه وقطعه . الشاة :  
اسم للثور الوحشي . يَلْعَ : يستخف بهن ، ولا يجهد في بعده عنهن .

(٩) دَانِيَاتٍ : قريبات : مَاتِلِبْسِنَ بِهِ . لم يَخْتَلِنَنَّ بِهِ . واتقأت : موقنات . يدماه : بهريان دماء  
أو بحركة تسيل فيها الدماء . إِنْ رَجَعَ : إِنْ عاد إليهن وقرب منهن .

(١٠) يَرْهَبُ الشَّدَّ : يخيف العدو السريع فيطبعه . أَرْهَقَتْهُ : أُنِيبَتْهُ وَأَعْجَلَتْهُ . برزمنهن :  
بعد عنهن ، ومنه برز الفرس إذا سبق لخيول في الميدان وبعد فلم يدركه . رَجَعَ : اطمأن  
فأقام ، يقال « اربع على نفسك » أي توقف مطمئناً على نفسك .

(١١) سَاكِنُ الْقَفْرِ : كناية عن الثور الوحشي ؛ لأنه يعيش في القفار ، ومثلها أخودوية .  
آتس : جمع وأحس . امصع : ولي ، يقال : مصع الفرس : مر مرها خفيفاً .

### تحليل الآيات :

بدأ سويد قصيدته بالنزل ، فأخبر أن حبيبته قد بسطت له حبل وصلها ، ومدت له في مرضاتها ، فبادلها شعورها ، ثم سار بعد النزل في أفانين من الوصف حتى بلغ وصف ناقته ، فشبها بالثور الوحشى ، فقال :

كأنى في تلك القلاة للفقرة — وقد برق فيها السراب ، ولمع أمام السائرين ، وتأنق  
وسطع في عيون الناظرين ؛ إذ الشمس مشرقة ، والأشعة متألثة — أركب ثوراً ضافى  
الذيل ، أسيل اتخذ ، نبيل الصفحة ، نخداه أسفغان في سوادها حمرة تمنحها حسنا ،  
وتكسوها روقا ، قد ضا على صفحة سوداء ، وجما على ديباجة سفاء . أما جانبها ظهره  
فخاصما البياض ، ساطعا الإشراق ، يبسط المشى ، ويوسع الخطو إذا ظهر له ما يهيج به ، أو لمح  
ما يثيره ، حينئذ يبدو للرأى ، وكأنه الطلا سرعة عدو ، وشدة ركض .

وهاهنا يظهر له ما يحتاجه ويثيره ، ظهر له صياد ماهر ، من قبيلة طهي المشهورة  
بالإمالة ، المروقة بالتسديد ، أسهمه لديه موفورة ، وكلاجه ممة مضرة ، فهي لكثرة  
استخدامها توهى أوتار الأسهم .

لقد رأى الثور هذه الكلاب ، ولم قد رآها من قبل ، ولم عرف ضراوتها وقوة  
مراسها ؛ إنه يراها على مدى بعيد ، ومن بعد سحق ، يرفها سريرة على صيده ،  
طموعا في قنصه ، فولى دونهن مدبرا ، وقد اغبر جانباه ، واكدر متناه من الفيار المنتشر  
من كره وفره ، ومن شدة وعدوه ، وإذ وثق بنأيه عنهن ، وأيقن عدم قدرتهن على لحاقه  
سار في تراخ وتباطؤ ؛ كأنه يشمت بهن ، ويسخر منهن ، فمن يقطن الأرض عاديات ،  
ويختلن المغازاة مسرعات ، أما هو فيسير متمهلا ، « فكأنه آس يجس عيلا » إنها تدنو  
ولكنها لا تلحقه ، وتقرب من مكانه ولكنها لا تدانيه ، حينما يزداد قربها منه يخيف  
المدو فيطيمه ، ويهيب بالشد فيجيبه ، فإذا هو عاد راكض حين يرهقته لحافا ، ويمجلته  
إدراكا ، فإذا ما أبعد عنهن ، وقف ينظر إليهن مطمئنا إلى قوته ، مقتبعا بسبقه وتفوقه .

إن هذا الثور ابن الصحراء ، وأخو المغازاة شديد الإحساس ، متوفز الإدراك ،

فإذا ما أحس نامة ذهب عدوا ، وإذا شعر بحركة راح ركضا ، فإذا هو عن الشربيد ، ومن  
صدوان المدو أمين .

النقر :

في هذه الأبيات صورة واضحة لطرد الكلاب لثيران الوحشية ، فعلى تحاول أن تختلها  
عن نفسها ، وتجاهدها لتقتنصها ، ولكن الأخرى دائمة اليقظة ، شديدة الحرص على  
الأتق في أيدي أولئك المتعدين .

انظر إلى الحركات في تلك الصور الشعرية : يراها عن بعد ، فيترقبها ، ثم يعتمد عليها  
عدوا ، ثم يقف متراخيا ناظرا إليها ؛ ليراهها إلى أين تسير وإلى أي جهة تقصد ؟ فهو يعرف  
في الكلاب الدهاء والغداع ، واللواربة والناورة ، فإن سارت الكلاب يمينا سار هو شيلا ،  
وإن أقبلت تلك أدبر ذاك حتى يئأس الصياد من الصيد ، وتمتدح الكلاب عن الطرد .  
إن الثور لا يطرف له طرف ، ولا يفض له لحظ ، فذو الأسهم من ورائه حريص ،  
فإذا غفل عنه أصابه البوار .

كل هذه الصور رسمها سويد في أسلوب واضح قوى جميل ، فأى وضوح وقوة وجمال  
يتم عنها الشعر وتبدو في الصور يبرز قوله ؟

راعه من طيء ذو أسهم      وضراء كنَّ يُبَلِّغْنَ الشَّرْعَ  
فَرَأَاهُنَّ ، وَلَمَّا يَسْتَبِينَ      وَكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِمْ جَشَعُ  
ثُمَّ وَلَى وَجْهَانِ لَهُ      مِنْ غِبَارِ أَكْدَرِيٍّ وَأَنْدَعُ  
فَرَأَاهُنَّ عَلَى مَهْلِكِهِ      يَخْتَلِينَ الْأَرْضَ وَالشَّاةُ يَلْعُ

أى تصوير لساكن الصحراء أروع من ذلك التصوير ؟ وأى ممان لمركة باردة « على  
حد تمبير رجال السياسة في هذا العصر » أوفر من هذه للماني ؟ وأى الأناط مؤدية لهذه  
الماني أدق من هذه الأناط ؟

الأناط مؤدية للماني أتم الأداء لولا أن التافية فيها غرابة حيناً ، وتقل حيناً ،

ولعل ذلك لطول القصيدة ، ولقلة الألفاظ التي تناسب الوزن ، فن الألفاظ الثقيلة  
« اتدع ، امصع » .

ويختلف سويد عن النابغة في أن النابغة أحال الحرب الباردة إلى حرب حارة، فسويد  
يكثف عن المنازلة بالحنانلة ، فحين يقول النابغة :

كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ سَقُودُ شَرِبِ نَسُوهُ عِنْدَ مُقْتَادِ  
يقول سويد :

دَانِيَاتٍ مَاتَلَبَّشْنَ رِيهَ وَاقَاتٍ يَدِمَاهُ إِنْ رَجَعُ

لقد سلك كل منهما مسلكا أراداه ، ولكن النابغة كان أوعز مسلكا ، وأجل صورا ،  
وهذا أمر عرف عن النابغة ، فقد كان أميل شعراء عصره إلى اللبائنة وإلى التصوير .



٤ - وقال امرؤ القيس • يصف الحمار الوحشى :

كأنَّ ورحلي فوق أَحَبَّ قَارِحِ      بشربةٍ أوطأوِ عِرْنَانَ مُوجِسِ<sup>(١)</sup>  
تَمْشَى قَلِيلًا ، ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ      يُشِيرُ التُّرَابَ عَنْ مَيْمَتِ وَمَكْنِسِ<sup>(٢)</sup>  
يُهَيِّلُ وَيُذِرِي تَرْبَهَا وَيُشِيرُهَا      إِثَارَةَ نَبَاشِ الْمَوَاجِرِ مُخْسِ<sup>(٣)</sup>  
فَبَاتَ عَلَى حَدٍّ أَمٍّ وَمَنْكَبِ      وَضِجَتُهُ مِثْلُ الْأَسِيرِ الْمَكْرَدِ<sup>(٤)</sup>  
وَهَاتَ إِلَى أَرْطَاةٍ حِقْفٍ كَانَهَا      إِذَا اتَّقَتْهَا غَبِيَّةٌ يَتُّ مُغْرِسِ<sup>(٥)</sup>  
٣٣٠: فَصَبَحَتْهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدِيَّةٌ      كِلَابُ ابْنِ مُرَّةٍ أَوْ كِلَابُ ابْنِ سِنِيسِ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الفرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) الأحبب: الحمار الوحشى الأبيض مكان الحقية . القارح: الذى شق نابه . شربة : اسم عين ماء . طأو : جالط غرثان . عرنان : اسم جبل . موجس : حذر خائف .

(٢) أنحى ظلوفه : عدل أطفاره استعدادا للنش والتبث . يشير : يسوق ويذرى : البيت : اسم مكان من بات مكان البيت . للكنس : الكناس والسكن .

(٣) يهيل : يسقط . يذرى : يطير ويشير . نباش المواجه : النباش فى أوقات الظهيرة ، وهذا الوصف يندب للضبعة . مخس : خامس خمسة .

(٤) أمم : أسود أو أبيض فهو من أسماء الأضداد ، والوصف بالياض هو للراد ، إذ وصفه فى أول بيت بأنه أحقب . المنكب : مجتمع الكفنين . للمكردس : القيد ، والكردسة التقييد .

(٥) إلى أرتطة : إلى جانب شجرة أرتطة ، وممر هذا الشجر يشبه الصناب . الحقف : الرمل المجتمع . ألتقتا : بلتتا وندتها . غبية : القبية الدفعة الشديدة من اللط . للعرس : للتخذله عرسا .

(٦) فصبحه : لجاءه عند الصباح . غدية تصغير غدوة ، وصبح غدية بفتح التين ، فتكون من غير تصغير . ابن مر وابن سنس : سيادان ماهران من قبيلة طي\* ، وقد قدما أن هذه القبيلة معروفة بحسن الرماية ، وسداد الإصابة .

- مُعَرَّة زُرْقًا كَانَ عِيُونَهَا (٧) مِنَ الذَّنَرِ وَالْإِيْمَاءِ نُورًا عَضْرَسِ  
فَادْبَرَّ يَكْسُوها الرِّغَامُ كَأَنها (٨) عَلَى الصَّدِّ وَالْأَكَامِ جَذْوَةٌ مُقْبِسِ  
وَأَيْقَنَ إِنْ لَا قَيْسَ أَنْ يَوْمَهُ يَذِي الرِّثْ إِنْ مَاوَتَهُ يَوْمَ أَنْفَسِ (٩)  
فَادْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَأَشْبَرَقِ الْوَلْدَانِ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ (١٠)  
٢٣٥: وَغَوْرَنَ فِي ظِلِّ النَّصَا وَتَرَكَتَهُ كَقَرَمِ الْحِجَابِ الْقَادِرِ الْمُقْسَمِ (١١)



التفسير اللغوي : (٧) مفرقة : مجاعة لتكون أشد فتكا ، وأقوى عدوا . الدمى :  
الإشارة واللوم والتعريض . الإيماء : الإشارة . نوار : زهر النبات . المضرس : شجر له  
نور أحمر . (٨) فادبر : فرجع . يكسوها الرغام : يغطيها الغبار ، حتى كأنه لها  
كالسقاء . الصدد : المكان للرتفع . الأكام : جمع أكمة وهي كالصمد في المعنى . جذوة :  
شعة . مقبس : طالب قيس من نار . (٩) أيقن : وثقن ، والضمير عائد على كلاب ابن  
مرو ابن سبئ . يذو الرمث : كناية عن مكان به من شجر الرمث الكثير . وهو شجر  
يشبه النضا ، وترعاه الإبل . ماوته : صابته وجالسته حتى اللوث . يوم أنفس : يوم زهاق  
أنفس . (١٠) يأخذن : يعضن . الساق : ما بين الكعب والركبة . النسا : عرق  
من الورك إلى الكعب . شبرق : مزق . الولدان : الثقلان . القدس : الرجل الطاهر نفسه  
من الأدناس . (١١) غورن : سرن في الأرض للتحدرة . كقرم الحجاب : كالفعل  
الكريم . القادر : الناقة المتفردة . الشمس : الشمس .

## تمثيل الأبيات :

في هذه الأبيات صور نابضة بالحياة ، وصور ساكنة هادئة أحيانا ، فهي تمثل الحياة أروع تمثيل ، أليست الحياة حركة وسكونا ، وحياة وهوذا ؟

إنك إذ تقرأ هذه الأبيات تتمثل البادية بمحمرها الوحشية ، وشجرها اللبث في أطرافها ونواحيها ، ورمالها الصفراء ، وصحرائها القبيحة ، وكلابها المفترسة ، وصياديها الخائنين ، فهي صورة مرتبة واضحة ، أجزاؤها متناسقة ، وألوانها متآلفة ، لا تجمد في بعضها نبوا عن بعض ، ولا تنسج في حركة من حركاتها نشوزا ، وذلك هو الحس والخيال ، والروعة والجمال .

شبه امرؤ القيس ناقته من فوقها رحله بالحمار الوحشي القتي ، ثم انصرف عنها إليه ، فهو ممثّل نشاطا وعراما لأنه قارح ، أو لأنه طاولى الكشح ، أو لأنه قارح طاولى الكشح مما ، وهو قبالة عين ماء ، أو فوق جبل متباعد الأنهاء ، إنه هنا وهناك ؛ لأنه لا يسكن ولا يهدأ ، فهو خائف متوجس ، حذر مترصد ، لم ينل من الطعام في أسبسته ما يسد جوعته ، أو يمسك صلبه ، إنه جامع أغلّافه يهيل بها التراب ، كأنه يبحث عن مكس أو مسكن ، مثله إذ يهيل الترى ويندريه كتل الضياع تنبش التراب ساعة الظهيرة ، فإذا هيا له مناما هدا عزمه ، وفتر نشاطه ، ونام على خد ومتكب أبيضين ، وهو في ضجته الهادئة كالأمير اللقيد لا يبدى حركة ولا يحدث ضجيجا .

قد اتخذ كناسه إلى شجرة تجمع حولها الرمل ، فكانها إذا بلقتها دفة من المطر ، أوندتها مزنة من سحب ، بيت رجل أهرس ، فهو هادي ساكن ، ولكنه إذ ينفجر الفجر ، وينفخ الصبح تصبّحه كلاب مضرة على الصيد كأنها في ضراوتها ودربتها « كلاب ابن مرأو كلاب ابن سفس » .

وهي إلى هذه الضراوة مفترجة جماعة ؛ لتكون أشدّ فحكا وأقوى عراما ، فيؤننها لقسوة ذمها وحرضها ، وشدة ثوراتها وهياجها حمراء مشتتة كأنها نوار عفرس .

رأى الحمار هذا الكلاب يذمر كلابه ، فقد يظف من ورائه سحابا من النبار ،

يكسو هذه الكلاب فكأنه - إذ يملأ الأسماد والآكام ، ويرتفع إلى الربا والنجاد ، ويختلط القفار للتطائر ببياضها ، ضئير لونها - جذوة من نار .

وكذا أيقن أنه إن لاقى هذه الكلاب في وادي الرمث ، فإن نفوسا ستهلك ، ودماء ستهرق ، قد تكون نفسه إحداها ، وقد يكون دمه هو الدم للهرق سابق الريح ، وأمن في شدة ؛ لا يبقى من عدوه على شيء .

ثم إنه يتصور أنها إن أدركته فستأخذ بساقيه ووركيه ، فتمزقها تمزيقا ، تمزيق الضفان الأغرار ألقين الراحب للطهر ذا التقوى والبركات آتيا من بيت القدس ، فهم يتبركون به ، فيمزقون ثيابه التماسا للبركة ، وطلباً للفضرة .

هذه الكلاب انحدرت إلى ظل أشجار النضا بعد أن يئسن من لحاقه ، وأيقن عدم القدرة على إدراكه ، وتركته قويا نشيطا لم يسه نصب أو لنوب ، فهو كالفعل المجبان ، المنفرد في حظيرته ، الشمس لا يقوى أحد على مواجهته .

النمر :

في معاني امرئ القيس وسويد بن أبي كاهل تشابه كثير ، وليس عظيما على سويد أن يقبس من امرئ القيس ، فإننا لا نكاد نجد شاعرا لم يكن عالما على امرئ القيس في معانيه ، فإذا قال امرؤ القيس :

وَأَيْقَنُ إِن لَّاقِيَتَهُ أَنَّ يَوْمَهُ  
بَنَى الرَّمْثَ إِنْ مَاتَتْهُ يَوْمَ أَنْفُسِ  
أَفِينَا سَوِيدَا يَقُولُ :

دَانِيَةً مَاتَلْبَسَنَ بِهِ وَاتَّقَاتِ بِدِمَاءِ ابْنِ رَجَعٍ

ومع أن واجب الأخذ أن يزيد الأخذ عن أخذ منه في المعنى أو في الأسلوب ، فإن هذا الواجب لم يؤده سويد ، فبيت امرئ القيس أدق في المعنى ، فقد حدد المكان الذي يكون فيه القاتل ، وهو أجل في الأسلوب ، وإذا قال امرؤ القيس :

فَبَاتَ عَلَى خَذْرِ أَحْمَمٍ وَمَنْكِيرٍ  
وَضَجَّتْهُ مِثْلَ الْأَسِيرِ الْمَكْرَدَسِ



حاول سويد أن يتابعه ، فقال دون أن يبلغ تصوير امرئ القيس :  
 كَفَّ خِذَاهُ عَلَى دِيبَاجَةٍ وَعَلَى الْمُتَنِينَ لَوْنٌ قَدْ سَطَعَ  
 فبيت امرئ القيس فيه وصف وفيه صورة : الوصف في الشطر الأول والصورة في الشطر  
 الأخير ، أما بيت سويد فليس فيه غير الوصف .

وقد وصف امرؤ القيس الكلاب ، وهي عماد الصورة ، ولكن سويدا مر عليها  
 عدوا ؛ كأنه خشي إن تريت ليصنها أن تلحقه ، « وأدركه يأخذن بالساق والتسا »  
 أو يشرقه « كاشرق الولدان ثوب للقدس » . وتصور امرئ القيس الهدوء والسكون  
 بأنه كهدهو الرجل للعرس يرسل لنا شعاعا عما كانت عليه بيوت العرسين بعد أن  
 ينفذ السامرون .

لأنه بلغ فنقول : إن امرأ القيس أعظم شاعر عرفه العالم ، قد نجد من يتمصب عليه ،  
 أو يرمينا بالتمصب له ، ولكننا نقول : إنه أعظم شاعر عرفته الأمة العربية ، ونحن على  
 ثقة أننا لن نجد معارضين ، حتى ولا أولئك الذين يقولون : « إن الشعر الجاهلي كان جنابة  
 على الأدب العربي » .



٥ - وقال علقمة الفحل • يصف الظليم من قصيدته التي أولها :

هل ماعلت وما استودعت مكنوم أم حبلاً إذ نأنتك اليوم معروم<sup>(١)</sup>

كانها خاضب زهر قوادمه أجنى له باللوى شرى وتلوم<sup>(٢)</sup>

يظل في الحنظل الخطبان ينقعه وما استطف من التلوم تحذوم<sup>(٣)</sup>

فوه كشق القما لأيا تبيته أسك ما يسمع الأصوات مصلوم<sup>(٤)</sup>

حتى تذكر بصات وهيجه يوم رذاذ عليه الريح مغيوم<sup>(٥)</sup>

٣٤١ : فلا تزيد في مشيته فيق ولا الزيف دوين الشد مشوم<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف اللقمة ص ٩٨ .

التفسير اللغوي . (١) استودعت : أؤمنت . نأنتك : هجرتك . معروم : مقطوع .

(٢) الخاضب : الظليم احمر ساقاه وجلده ، وخاضب صفة لموصوف محذوم : هو الظليم ، وهو ذكر النعام ، وهو يشبه ناقته بالسرعتها . زهر : جمع أزعر ، قليلة الشعر . قوادمه : جمع قادمة ، وهي الريشات الكبار في مقدم الجناح ، وفي رواية قوائمه . أجنى النبات : نضج وتبأ للجنى . اللوى : ما انطف من الرمل . الشرى : شجر الحنظل . التلوم : شجر يشبه ورقه ورق الآس ، يسقط ورقه صيفاً وترعرع شتاء . (٣) الحنظل الخطبان : هو الحنظل

فيه خطوط تضرب إلى السواد ، وهو أشد ما يكون مرارة . ينقعه : يستخرج حبه . استطف : ارتفع . أمكن : محذوم : مقطوع لياكله . (٤) فوه : فم . لأيا : شدة وبطأ . تبيته : تراه . أسك : أصم ، وأذن سكا . صباه صغير الأذن لاصقها بالرأس : مصلوم : مقطوع .

(٥) هيجه : أناره . يوم رذاذ : يوم مطر خفيف ، عليه الريح : فيه الهواء . مغيوم : ملبد بالتيوم . (٦) التزيد : السير السريع . النفق : بكسر الفاء السريع الانقطاع من كل شيء ، يقال فرس نفق أى لا يطيل الركض . الزيف : نوع من السير دون الشد . دوين : تصغير دون . الشد : السدو السريع . مشوم : محلول .

\* هذا البيت منسوب في لسان العرب لدى الرمة ، ولكنه منسوب في شعراء التصانية وفي اللغويات لعلقمة ، ثم إن لدى الرمة قصيدة من هذا الوزن والقافية ولكن البيت ليس فيها ، فمل وزن القصيدة هو الذي خلط الأمر على صاحب اللسان .

يَكَادُ مَنْسَمُهُ يَخْتَلُّ مَقْلَتَهُ      كَأَنَّهُ حَازِرٌ لِنَفْسِهِ مَشْهُومٌ <sup>(٧)</sup>  
 وَضَاعَةٌ كَيْصَى الشَّرْعِ جَوْجُوهٌ      كَأَنَّهُ يَتَقَاهِ الرُّوحُ غُلْجُومٌ <sup>(٨)</sup>  
 يَاوَى إِلَى حِسْكَ زُغْرِ حَوَاصِلِهِ      كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّ كُنَّ جُرُومٌ <sup>(٩)</sup>  
 حَتَّى تَلَاقَى وَقَرْنَ الشَّمْسُ مَرْتَضِعٌ      أَدْحَى عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومٌ <sup>(١٠)</sup>  
 يُوحَى إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَتَنْقُضُ      كَمَا تَرَاطُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ <sup>(١١)</sup>  
 صَنَلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُجُوهٌ      بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاهُ مَهْجُومٌ <sup>(١٢)</sup>  
 نَحْفَهُ هِقْلَةً سَطَاءُ خَاصِيَتُهُ      تُجْبِيهِ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ <sup>(١٣)</sup>

(٧) منسمه : ظفروه ، والنسم خاص بالبعير والتمام والقبل ونحوها . وغنخل مقلته : يصيب عينه . حاذر : متأهب مستعد . النفس : غرز عود أو نحوه في جنب الدابة ، أو مقدمها أو مؤخرها لاستفزازها إلى الجري . للشهوم : القزع للروح ، وأصله من شهم الفرس زجره ، وأيضا الشهوم الذي القواد وليس مقصودا .

(٨) وضاعة : صفة مبالغة من الوضع ، وهو نوع من عدو الإبل السريع ، والتاء في وضاعة للبالغة لأنه وصف للظلم . الشرع : الأثر مفردا شرعة . جوجؤه : صدره . التاني جمع تنية ، وهي الأماكن اللطيفة ينتهي إليها الماء . علجوم الملعوم البعير المأويل الطلي بالطيران ، والوعل ، والثور السن ، والشديد السواد ، وله يقصد الوعل .

(٩) ياوى : يلجأ . حسكل : الحسكل الصغار من ولد كل شيء ، وخس بعضهم بالحسكل ولد التمام أول ما يولد وعليه زغب الواحدة حسكلة ، ورواية اللسان « ياوى إلى حسكل زغب حواصلها » والحواصل جمع حوصلة معدة الطائر . ركن . استنخن . جرونوم : جمع جرثومة وهي أصل الشجر . (١٠) تلاقى : تدارك قرن الشمس : أول ما يبدو من قرصها . الأدحى : مبيض التمام . عرسين : يقصد الظلم وضامته . مركوم : مجمع متراكم بضه فوق بضى . (١١) يوحى إليها : يشير إليها ، وبصوت لها . الإقراض : التصويت ، أُنقِضَت القباب صوت ، ومثله التفتة ، فهي صوت الظلم . التراطن : تفاعم الأعاجم . الأقدان : جمع فدن بفتح الفاء والبدال ، وهي التصور . (١٢) الصل : الحقيق الرأس والنق من التمام أو النخل أو الناس ، والأول هو المراد . أطافت به : أحاطت به ، ودارت حوله . خرقاء : وصف لموصوف محنوف يقصد لامرأة خرقاء غير حازمة . مهجوم : ساقط مهدوم .

(١٣) نحفه : تحيط به . الهقلة : النعامة . السطاء : الطويلة النعق . الحاضنة : التي تحبل رأسها عند الرمي . الزمار : صوت أثنى التمام . الترنيم : الغناء والتنظيم .

### تحليل الأبيات :

هذه الأبيات تكملة للأبيات التي اخترناها لملقمة في وصف الناقة ، فإنه بعد أن قال :  
تلاحظُ السَّوطَ شَزْرًا وهي ضامِرَةٌ كما توجَّسَ طلّوى الكَشَّحَ مَوْشُومٌ  
سار في وصف ذلك الطلّوى الكَشَّحَ ، فكان هذا البيت تمهيداً لوصف الظليم .

ذلك الظليم الأحمر اللون ، حتى لكأنه قد خضب بالحناء ، قوامه قصيرة الشعر ،  
إذ ذهبت أصولها ، وبقى شكيرها ، له في المكان الذي يمش فيه نوعان من الطعام قد  
استوى نضجها أو كاد ، هما : الشرى والتنوم ، فهو يظل يومه الأطول في استخراج حب  
شجر الحنظل ، فوق أنه يقطف ما يرتفع من شجر التنوم ليكون له غذاء .

فم ذلك الظليم ضيق رقيق الشفتين لا يكاد يرى ، فكأنه شق في عصا ، وهو أصم  
الأذنين لا يكاد يسمع ، أو هو مملوئهما ، وهو بهذا الوصف يشترنا بأن أذنه صغيرة لاصقة  
برأسه ، مكانه لم تخلق له أذن ، وفي المثل عن الظليم : « ذهب يطلب قرنين ، فناد  
بلا أذنين » .

إذا تذكر بيضه في أدحيه ، وهو يرى الشرى والتنوم تاروهاج ، ويزيد احتياجا  
سقوط الرذاذ تزجيه الريح ، ويسوقه الهواء الملبد بالتيوم ، وهو إذ يزداد ليدرك بيضه  
ويرف ، لا يشمه طول التزيد ، ولا دوام الزيف ، فلا ينقطع سيره ، ولا تنفق سرعته ،  
حتى يبلغ غايته ، يكاد خفه يصيب عينه ، وذلك عند ما يشتد عدوه ، فيرفع خفه ويختفض  
رأسه ، وهو في خفض رأسه كأنه متأهب للتحس ، فهو مروع فزع .

هذا الظليم وضاعة سريع ، صدره في تقوسه كمنص الأوتار ، كأنه في الأماكن  
الآنة بالسكان ، للتهبة بالماء بين الرياض وعمل قد أنس ، فهو يلجأ إلى فراخه  
الصغار الزغب الحواصل ، التي تشبه - وقد برك بضمن بجانب بعض - أصل النخيل ،  
فما زال يوضع حتى تدارك أدحيه ، وقد برز قرن الشمس ، وارتفعت أشعتها ؛ أدركه -  
ومعه عرسه - مجتمعا متراكما لم يكسرهما أحد ، ولا سطا عليه كائن ، فشرع عندئذ ينقض

لها فضعف إقاضه ، ويتحقق فجب على شفته دون أن يفهم أحد من إقاضه وثقفته شيئا ، فكأنه وإياها روميان يتراطبان في أحد قصور الروم .

ذلك الظلم دقيق الرأس والعنق ، تراه عند ما ينشر جناحيه حول صدره يتنا من الشر تقيه امرأة غير صناع ، فكما أقامته سقط ، وهو بهذا يشير إلى أن الظلم ينشر جناحيه ثم ما يلبث أن يضمهما ، يصنع ذلك الصنيع مرات في أوقات .

إذا سار ذلك الظلم حفت به عرسه المديدة العنق ، ليلية الجيد ، ذات الصوت الرخم ، والتفتيم الجليل .

### الفرد :

هذا نوع فريد في تشبيه الناقة ، فقد رأينا أكثر الشعراء يشبهونها بالثور أو البقرة أو الحمار ، أما أن أحدا شبهها بالظلم ، فلا ، نرى ممن اخترنا لهم من الشعراء ، وإذن قلن نتاح لنا الموازنة بينه وبين من تقدموه .

وعلمة حينما شبه ناقة بالظلم وصف الظلم بأوصاف حسية ، وبأخرى عاطفية ، والناحية الماطقة قليلة في الشعر العربي ، فمت الظلم بالتوجس ، والوشم ، والخضب ، وبالزغب والرعى ، وبضيق الفم ورقة الشفتين ، وصغر الأذنين ، وبالسرعة والصبر على الشد والعدو ، وكل هذه صفات منتزعة من الحس .

أما الأوصاف الماطفية فهي هياجه وثورانه عند ما يتذكر وهو في مرعاه ييضاه ، فإنه ينسى كل شيء إلا أن يصل إلى ذلك البيض ليتفقد به أن يمر بمشكله الذي يشبه جرثوم النخل في تراكمه ؛ إنه لتصور الماطقة الروم جميل :

|                       |                          |
|-----------------------|--------------------------|
| حتى تذكر ييضات وهيجه  | يوم رذاذ عليه الريح مشوم |
| فلا تزيد في مشيه نفق  | ولا الزيف دون الشد مشوم  |
| يكاد تنسبه يختل مقلته | كأنه حاذر للتخس مشوم     |
| وضاعة كمي الشرع جوجوه | كأنه يتناهي الروض علجوم  |

يَأْوِي إِلَى حِسْكَلي زُعر حواصلهُ كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّكُنَّ جُرُومَ

وأنت ترى إلى جانب الناحية العاطفية أوصافاً وصوراً كاملة، كالصورة الأخيرة التي يشبه فيها صفاره وقد بركن مجتمعات متراكبات في أصل النخل .

ثم إن وصف مناجاة الظليم عرسه تصوير لا يصدر إلا عن عاشق متم حديث للنساء، يعرف لغة القلوب ، وينهم ومضات العيون :

يُوجِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَفَقَةٍ كَمَا تَرَاظَنَ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ

ولكن الذي لا أجد له مكاناً في الصورة التي رسمها لتخاطب الظليم وعرسه قوله :  
- في أفدائها - فهل الروم لا يتخاطبون إلا في الأفدان ؟

ولولا أن من ألقاظ القافية ما هو ثقيل الوقع على السمع لبلغت القطعة الناية في الجودة، مثل تنوم ، وعلجوم ، على أن هذا الثقل ينسبه جمال الصور .



## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف الأوابد

كان العرب يأنسون إلى أوابد صحاريهم ، ولكنها لم تكن تأنس إليهم ، ويعجبون بها ، وهي لا تمجب بهم ، بل لا تحبهم ولا ترضى عنهم ، يعجبون هم بجمالها وحسنها ، وتكره منهم بشيهم وعدوانهم ، ولا يحب أن ترى هواها مختلفا ، فيرون فيها الجمال ، وتحرى منهم المدوان ، ويشاهدون في شياتها الحسن ، وتشاهد في طباعهم الجحود والكفران ، فكلفوا بها وبحشا عنها ، وركبوا الصب في صيدها ، ونأت دونهم وأعرضت ، فهم وإياها في نضال مستمر ، وعراك متصل .

وصفوا جمالها ، وكانهم بتصوير هذا الجمال يُمَيِّزُونَ ، ثم طاردوها بكلاجهم ، وحاولوا صيدها بقسيهم ، وهم جميعا يكادون يتقنون في هذه المأني .

ومنهم من وصف طريقه إليها ، فوصف الصحراء وما يحف بها من عين جارية ، أو نبت ناجم ، أو سراب خادع ، فكانت مميّنا يستقون منه ، ومنهلا يصدرون عنه ، فسويد يصف الصحراء ، فيقول :

نَكَأْنِي إِذْ جَرَى الْآلُ ضُحَا      فَوْقَ ذَيْلِ بَحْدِيَّةٍ سَقَعُ

ويقول :

سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دُوَيْيَ      فَإِذَا مَا آنَسَ الصَّوْتُ امْتَعُ

والناطقة ينسب الوحوش إلى مواطنها التي نشأت فيها فيقول :

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٌ مَوْشَى أَكَارِعُهُ      طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْقَرْدِ

وليبيد يقول في وصف الصحراء ووصف سربها :

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ الْقَوَائِمُ بِالضُّعَا      وَاجْتَابَ أَرْضِيَّةَ السَّرَابِ إِكَاثَا

ثم تزام جميعا يصورون للمارك أدق تصوير ، فيثيرون الثنبار ، ويسيلون الدماء ، ويصننون الأرواق ، وقد نفذت في الأحشاء ، وقل منهم من ارتضى بأن ينهى الطراد بدون أن

يكون هناك طين وقتل ، وكلهم يصفون صيادهم بالمهارة ، ويسهبونهم إلى قبيلة ،  
فيقول سويد :

رأته من طيئه ذو أنثهم      وضراء كئي يبلين الشرع

ويقول النابغة :

فارتاع من صوت كلاب فبات له      طوع الشواميت من خوف ومن صرد

ويقول امرؤ القيس :

فصبه عند الشروق غديّة      كلاب ابن مرّ أو كلاب ابن سنيّس

وقد قدمنا أن ابن مروان سبب صيادان طائيان اشتهرا بالحلق واللهاة . ويقول لبيد  
يصف الذئاب والزماة والكلاب والقرون :

لمقرّ قهّد تنازع شلّوه      غبس كوايب لا يمن طماها

حق إذا يئس الزماة وأرسلوا      خضفا دواجين فافلا أعصاها

فلحقن واعتكرت لها تدريّة      كالسهرية حذها وتماها

أما تصويرهم للمبارك فتصوير بارع لا نكاد نحكم لأحدهم بالفضل على الآخر ، ولعل  
سويدا كان رجل سلام ؛ لأنه أنعى للمرّة دون أن تجرى دماء ، فقال :

فراهن ولما يبتن      وكراب السيد فيهن جع

ثم ولّى وجاهان له      من غبار أكدرى واتدع

فراهن على مهلتهم      يختلن الأرض والشاة يتلع

أما النابغة فيثير الحرب عنيفة ، والمرّة حامية الوطيس تنتهي بفرائص تشك ، وبدماء  
تسيل ، وبروق يسجم ، فيبلغ بتصويره مبلغا رائعا ، وذلك إذ يقول :

وكان ضمران منه حيث يؤزعه      طعن المكارك عند المحجر النجد

شك الفريضة بالمدري فأفذهها      شك البتيلر إذ يشني من المضد



كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ      سَقُودُ شَرِبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مَفْتَأِدِ  
 نَظْلٍ يَجْعُمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقَبِصًا      فِي خَالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غَيْرِ ذِي أَوْدِ  
 أَمَا امْرُؤُ التَّيْسِ فَأَوْقَدَ نَارَ الْحَرْبِ نَمَّ أَسْطَافُهَا ،      وَكَتَفَى بِالْجُرْحَى دُونَ الْقَتْلِ ، قَالَ :  
 فَأَذْرَكَنَّه يَأْخُذُنِ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا      كَمَا شَبَّرَقَ الْوِلْدَانُ نَوْبَ الْمُقَدَّسِ  
 وَغَوَّزْنَ فِي ظِلِّ الْقَصَا وَتَرَكَنَّه      كَقَرَمِ الْمَجَانِ الْفَادِرِ لِلشَّمْسِ  
 وَلَيْدٍ يَجْرِي دَمَاءُ كَسَابٍ وَسَخَامٍ ،      فَيَقُولُ :

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا « كَسَابٍ » فَضُرِبَتْ      بِدَمٍ ، وَغَوَّدَ فِي السَّكْرِ « سُخَامُهَا »  
 وَيُظْهَرُ أَنَّ أَخْلَاقَ كُلِّ شَاعِرٍ تَنْطَبِعُ فِي مَعَانِيهِ ، وَتَتَضَعُ مِنْ أَفْكَارِهِ ، فَالْشُّرَاءُ الْغَرَمُونَ  
 بِسَمَكِ الدَّمَاءِ ، وَالتَّمَتُّعُ بِرُؤْيَا الْأَشْلَاءِ ، وَشَهْوَةُ أَكْلِ لَحْمِ الْأَعْدَاءِ يَثِيرُونَ الْمَارِكَ ،  
 وَالْقَدِيرِينَ طَبَعُوا عَلَى الرَّحْمَةِ ، وَأَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمُ الْمَظْلُوفَ وَالْحَنَانُ ، تَنَأَى بِهِمْ تَقْوَمُهُمْ عَنِ الْقَتْلِ ،  
 فَيَنْهَوْنَ مَعَارِكَهُمْ دُونَ قَتْلِ أَوْ مَصَابِينَ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَجَلَى الصُّورِ تَنْظِيرُ فِي وَصْفِ هَذِهِ الْمَارِكَ الَّتِي تَتَمَدَّدُ أَسْطَافُهَا ، فَعَمِيَ الْقَتْلَى  
 وَالرَّمَالُ ، وَالْخَالِبُ وَالْأَنْيَابُ ، وَالْأَرَوَاقُ وَاللِّدَارُ ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ لَهَا فِي الصُّورِ  
 الشَّعْرِيَّةِ مَكَانٌ أَيْ مَكَانٌ .



## (د) صور متنوعة لمظاهر الطبيعة الحية

١ — قال زهير بن أبى سلمى : يصف معركة مع الجر الوحشية من قصيدته التى أولها:

صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَلَى وَأَقْصَرَ بِالِطَّلُهِ      وَغَرِمَى أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ <sup>(١)</sup>

إِذَا مَا غَدَوْنَا نَبْتَئِي السَّيِّدَ مَرَّةً      مَقَى تَرَاهُ ، فَإِنَّا لَا نَخَافُ تَلَهُ <sup>(٢)</sup>

فِينَا نُبْنِئِي الْوَحْشَ جَاءَ غُلَامُنَا      يَدْبُؤُ وَيُخْنِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهُ <sup>(٣)</sup>

فَقَالَ : شِيَاءَ رَأَمَاتٍ يَقْفَرُ      بِمَسْتَأِيدِ الْقُرَيَّانِ حُورٍ مَائِلُهُ <sup>(٤)</sup>

ثَلَاثُ كَأَقْوَاسِ السَّرَّاءِ ، وَنَاشِطٌ      قَدْ أَخْضَرَ مِنْ أَسِّ التَّمِيرِ جَعَّافُهُ <sup>(٥)</sup>

٣٥٤ : وَقَدْ خَرِمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جَيْتَافُهُ      فَلَمْ يَبْقُ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَالُهُ <sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته فى وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوى : (١) عرى أفراس الصبا : مثل ، ويريد أن يقول : عرى أفراس قد

كنت أركبها فى صباى ، فلم يعد هناك ما يدعونى لإسراجها بعد أن كبرت سنى .

(٢) غدونا : بكرنا . نبئى : نطلب . لا نخافه : لا نخادعه لثقتنا من إدراكه .

(٣) يدب : يمشى على هيئة كفى الطفل والضعيف والتل : يضائله : يصغره للإفزع الصيد .

(٤) الشياه : الجر الوحشية . رآعات : راعيات لا عبات . بمستأيد القرىان : المستأيد

من الثبث الذى طال وتم ، والقرىان مجازى للباء إلى الرياض الواحد قرى . الحو : الثبات

يضرب إلى السواد لشدة خضرته . مسائله : يقصد مسايل للباء ، والأصل عدم الحمزة لأن

الباء أصلية ، ولكنهم توهموها زائدة ، فهمزوها كما همزوا مصاب . (٥) أقواس

السراء : السراء شجر تنخذ منه القسى ، فهو يصف الثلاثة بالضمور . ناشط : يخرج من بلد

إلى بلد . البس : الأخذ بمقدم القم . التميز : نبت يطول ثم يصيبه مطر ، فيخرج تحت نبت

أخضر ، فيكون غميرا لهذا الطويل أى منمورا . الجعافل : جمع جعفة ، وهى لدى الحافر

كالشفة للإنسان .

(٦) خرم : فرق . الطراد : الصيادون : جعافه : صغره : حلاله : آتته .

- وقال أميرى : ماترى رأى ما ترمى      انخذه عن نفسه أم نساؤه ؟<sup>(٧)</sup>  
 فبقنا غرة عند رأس جوادنا      يزاو لنا عن نفسه وزاؤه<sup>(٨)</sup>  
 فنضربه حتى اطمان قذاله      ولم يطمئن قلبه وخصائله<sup>(٩)</sup>  
 وملجئنا ما إن ينال قذاله      ولا قدماء الأرض إلا أنامله<sup>(١٠)</sup>  
 فلا يا بلاى قد حملنا غلامنا      على ظهر محبوبك ظماء مفاصله<sup>(١١)</sup>  
 قتلناه : سدّد وأبصر طريقه      وما هو فيه عن وصائى شائغله<sup>(١٢)</sup>  
 وقلت : تلم أن للصيد غيرة      وإلا تضيقها فإنك قارّ تله<sup>(١٣)</sup>  
 فأتبع آثار الشيا وليدنا      كشوئوب غيث تحضن الأكمل<sup>(١٤)</sup>  
 ٣٦٣ : نظرت إليه نظرة فرائه      على كل حال مرة هو حامله<sup>(١٥)</sup>

(٧) أميرى : الذى يؤمرنى ويستشيرى . نساؤه : نجاهره الحرب .

(٨) غرة : مؤثرين . يزاو لنا وزاؤه : يجالنا ونجاله .

(٩) قذاله : موضع المنار من رأسه ، وهو أعلى جزء فيه . اطمان : سكن  
 خائله : جمع خيبة وهى كل شئ فى عصب .

(١٠) ملجئنا : واضح اللجام فى قذاله . أنامله : أطراف أصابعه .

(١١) فلا يا بلاى : فبطا بعد بطة ، وجهدا بعد جهد . محبوبك : مدمج . ظماء مفاصله :  
 عطاشا مفاصله ، وللنقل جمع كل عظمين ، وإذا كان ظمآن كان أيس له .

(١٢) سدّد : قوم صدر فرسك . أبصر طريقه : تبين خطة صائبة . وصائى : وصيتى .

(١٣) تلم : اعلم . غرة : غفلة ، وأن يؤتى من حيث لا يشتر . وإلا تضيقه : وإن لم  
 تمنع ما أوصيتك به من أن للصيد غرة فليه أن يتتبعها .

(١٤) فأتبع : أتبع غلامنا . كشوئوب غيث : كدفة من اللطى . يحضن : يكثر .  
 الأكمل : جمع أكمة للرفعات . وابله : مطره النزر .

(١٥) إليه : الضمير يعود على الفرس . حامله : الضمير يعود على الغلام .

- يُثَرْنَ الحَصَى فِي وَجْهِهِ وَهُوَ لَاحِقٌ سِرَاعُ تَوَالِيهِ صِيَابٌ أَوَائِلُهُ <sup>(١٦)</sup>  
 فَرْدٌ عَلَيْنَا الْقَيْرُ مِنْ دُونِ إِلَهِهِ عَلَى رَنْحِهِ يَدْمَى نَسَاءُ وَقَائِلُهُ <sup>(١٧)</sup>  
 وَرُحْنًا بِهِ يَنْضُو الْجِيَادَ عَشِيَّةً مُخَضَّبَةً أَرْسَاغُهُ وَحَوَائِلُهُ <sup>(١٨)</sup>  
 ٣٦٧: بِذِي مَيْتَةٍ لَا مَوْضِعُ الرَّمْحِ مُسَلِّمٌ لِبَطْنِهِ، وَلَا مَخْلَفَ ذَلِكَ خَاذِلُهُ <sup>(١٩)</sup>



- 
- (١٦) يَثَرْنَ: الضمير يعود على الحجر. وجهه: الضمير يعود على القوس. تَوَالِيهِ: أواخره،  
 يربد رجله وعجزه. صِيَاب: قاصدة مفردا صائب كصاحب ومحاب. أَوَائِلُهُ: بداءه وصدره.  
 (١٧) فَرْدٌ عَلَيْنَا الْعَيْرُ: قطعه عن إلقه، ورجسه إلينا. مِنْ دُونِ إِلَهِهِ: من غير أمانه.  
 يَدْمَى: يسيل دمه. النَّسَاءُ: عرق من الورك إلى الكعب. قَائِلُهُ: القائل عرق في الفخذ.  
 (١٨) وَرُحْنًا بِهِ: وأمسينا بذلك القوس. يَنْضُو: ينسلخ وينتلع. مُخَضَّبَةٌ: ملطخة  
 بالدم. أَرْسَاغُهُ: جمع رَسَخ وهو القدم. حَوَائِلُهُ: قوائمه، مفردا حاملة.  
 (١٩) اللَّيْثَةُ: النشيط، وهي هنا النخعة من السير. مَوْضِعُ الرَّمْحِ: السكاية، وهي قدم  
 القربوس. قَالَ النَّابِغَةُ إِذَا عَرَضَ الْخَطِيءُ فَوْقَ الْكَوَاتِبِ» معناه أن مقدمه لا يخلد مؤخره  
 ومؤخره لا يخلد مقدمه.

## تحليل الأبيات :

هذه القصيدة من جياذ شعر زهير ، قالها يمدح بها حصن بن حذيفة الغزاري لامتناعه على عمرو بن هند ، ولكن للدح أضف أدواتها ، وأقل أسباب جودتها .

فطلما أبرع مطلع تبدأ به قصائد في الثناء على الأبطال ، وتحدث الرجال عن الرجال . عرف عن اللهو والهوى ، وصحا القلب عن سلى ، وأقصر عن امتطاء باطل الصبا والشباب ، وعريت أفراس كنت أركبها في الصبا .

وبدئذ عرض للأطلال عرضا يسيرا ، ثم أخذ يصف فرسه ، يخرج به للصيد ، وكان وصف الصيد هو غايته الأولى من القصيدة ، إذ صورة في ثمانية عشر بيتا ، فقال :

حينما نفدو مبكرين نطلب الصيد ، نظاهره الصيال ، ونجَاهره النضال ، لانعرف مخافة ؛ لأن المخافة ضعف ، ولا ترضى لأنفسنا المخادعة فانطداع لؤم ، هذا إلى ثقتنا أن فرسا كريم لا يفوته الصيد ، وإذا نبحت عن الوحش نصيده أقبل خادما يمشى على هيئته ، وبضائل جسمه ، ويخفى شخصه ، خوف أن تراه الشيا ، فتعلق ساقها السنان ، فأنبأنا أن شياها ترتع وتلب ؛ فهي تعيش في رمعي خصب ، قد استأسد بئته ، وطال عشه ، واسودت مسايل مائه ، مسايل القران إلى الرياض .

إنها ثلاث شيا ضامرات كالقسي تصنع من شجر السراء ، منطويات ، لأنهن اجتزان بالرطب عن الماء ، فلم يضمنن وتقد كدتهم ، وناشط لا يستقر في مكان ، ولا يقيم في بلد ، قد اخضرت جحافلهم من أكل التبت للثور ، وقد فرق الصيادون عنه جحاشه ، وأخذوا منه صفاره ، فهم يطردونه فيدحها ، فيقتنصونها ، فلم يبق من حوله إلا نضه وآتته .

وقال صديقه وأميره يؤامره ويشاوره : ألا ترى الرأي الذي نراه ؟ أنخذعه ونخذه أم نصاله ونناضله ؟ فبقنا عراة مؤترزين عند رأس فرسا الصعب الذي يحاول الجوح ؛ لما هو فيه من حدة ونشاط ، فيجذبنا ونجذب ، ويسالجتنا ونسالج ، فضر بنا حتى سكن

رأسه ، دون أن يطمئن قلبه ، أو تسكن خصاله ، وإذا ما أقبل خادمنا ليلجمه ؛ لم ينهيا له ذلك إلا إذا وقف على أنامله ، فهو فرس نهدي ، هيكلي ضخم .

فبعد جهد ومشقة حملنا وليدنا عليه ، حملناه على فرس مدمج محبوبك ، لم يكتنز أو يترهل ، ومفاصله عطاش ظماء ، فحين صلد صلاب ، قفلنا لقارسه ناصحين : قوم صدر فرسك ، ولا تمل بمنة أو يسرة ، وتبين طريقك الذي تسير فيه ، ولا يشغلك عن وصاى التي أوصيك بها نشاط الفرس وعلاجه ، وحدته ومراسه .

قلت له : اعلم أن للصيد غرة فاهتبلها ، وفيه - أحيانا - غفلة فاتهزها ، فإذا لم تضيقها فإنك دون ريب قاتله .

فتبع الوليد آثار تلك الجر ، مثله في اندفاعه إليها ، وانصبابه عليها كمثل دفعة المطر يقشر وابل هذه الدفعة الأكبر ، ويزيل ترابها فيظهر نباتها ، نظرت إلى الفرس نظرة تأمل ، فألقيت الوليد بحمل الفرس على الأمر الذي يريد ، فأخذت الجر الوحشية تشير في وجه ذلك الفرس الحصى ، وهولاحق بها مدرك لها ، وأواخره سراع ، وأوائله صياح ، فلا مقدمه يخذه ، ولا مؤخره يسلمه ، فأمكننا من المير ، ورجعه إلينا من غير أليفه ، رده علينا مرغما مقهورا ، قد سال الدم من عرق النسا والفائل ، فقد طمنه فسد الطمنه ، فرحنا بذلك الفرس يتقدم الجياد وينسلخ منها عشية ، وقد خضبت من دماء المير أرسافه ، وضربت بدمائه قوائمه ، فلم يكسر من حدة نشاطه مطاردته ، ولم ينل من شدة عرامه مناضلته .

كان ذلك الطرد بفرس ذى ميمة ونشاط لا يسلم كائنته مؤخره ، ولا يخذل مؤخره كائنته ، فأجراؤه بسند بعضها بعضا .

### الفهر :

بدأ زهير وصفه بطريقته في الصيد ، فهو لا يخادع لأن فرسه كريم يقيد الأرواب ،  
ثم وصف خروجهم ، وفي هذا الوصف صور غلامهم تصويراً ناطقاً ، فهو يدب دبيبا ،  
ويخفي شخصه إخفاء ، ويضائل جسمه ضئلا ، وهو مصور بارع ، فذلك شأن كل من  
يريد أن ينال شيئا على غرة ، ويدركه في غفلة . ولكنه لا يتفق مع البيت الأول ، إلا إذا  
قيل : إن الفارس لا يخاتل ، ولكن غلامه يخاتلون ، وهو عذر واه ، فالنلمان يأخرون  
بما يؤمرون ، ثم وصف المكان أدق وصف ، وفي وصفه إياه إغراء بالصيد ، فالشياه  
في مرعى خصيب ، فعى من غير شك سمينة غير مترهلة ، على أنه أكد هذا المعنى في البيت  
الثاني إذ يقول :

ثلاث كأقواس السراء ، وناشط قد اخضر من لسّ الفمير جحافل

ثم سار في وصف الناشط ، فقال :

إنه قد فرق الطراد عنه صفاره ، وحرموه جحاشه ، فلم يبق إلا هو وأنته ، وأخذ  
يشاور أميره ، والأمير يؤامر غلامه في صيده ، أبحاثونه أم يجاهرونه ؟ ويظهر أن الغلام  
رأيا غير رأى الأمير ، فالأمير من طبعه أنه إذا رأى صيدا مرة ، فإنه لا يخاتله ، ووصف بعد  
التشاور فرسه القوى النشط بأنه لا يسكن من حدته ، ولا يهدأ لشدته ، فقال :

فَبِتْنَا عُرَاةً عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا يُرَاوِلُنَا عَنْ نَفْسِهِ وَزَوَاِلُهُ  
فَنَضْرِبُهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ قَدَاةُ وَلَمْ يَطْمَنَّ قَلْبُهُ وَخَصَّائِلُهُ

وتلك صورة لما بين الفارس والفرس أتمها بأن الفرس مع أنه قد اطمان فذله  
إلا أن سائه أقصر من أن يبلغ فذاله ، فهو لا يلجسه إلا إذا وقف فوق أنامله ، ثم وصف  
بعدئذ الصيد ، والحديث الذي جرى بينه وبين الغلام ، وهذا الحديث يؤيد التناقض  
الذي وقع فيه زهير في أول بيت من أبيات الوصف ، فوصاه هي :

وَقُلْتُ : تَعْلَمُ أَنَّ الصَّيْدَ غَرَّةٌ وَإِلَّا تَضِيْعُهَا فَإِنَّكَ فَارِسُهُ

ثم وصف الطراد ، فوصف الغلام وصفا يدل على قوته ، وينهى عن منته ، وصوره صورة  
تم من حنكته وحكمته ، فهو يندفع على الشيا : كشوب غيث يحضن الأكتم وإبله ،  
وأحكم وصف المطاردة ، فالشيا تثير القرباب في وجه القرس ، وهو لاحق لها ، فتؤخرناه  
تلتحق مقدمته أو أخره - يقصد الرجلين والمجزز - تلتحق أوائله يعني اليدين والصدر  
وأدرك الغلام ما كان يرجو فقد أبلفه حصانه غايته :

فردّ علينا التمر من دون إله على رغيدي يدي نساء وإله  
ورؤنا به ينضو الجياد عشية مخضبة أرساغه وحوامله

في هذه الأبيات جمال مبته حسن التصوير ، وروعة التعبير ، فتأني الأبيات ذات جرس  
موسيقى صاف هادي ، ولكن أيناسب هذا الهدوء الصيد والطرود ؟ إنه يناسب لأن  
الطائفة التي نفاها في أول بيت هي التي اعتمد عليها في الصيد ، وترى هذا الجمال في تلك  
الدقة في تصويره « يدب ، ويخفي شخصه ، ويضائله » لم يكتف بالدبيب ، ولم يكتف به  
مع إخفاء شخصه بل لابد من تمام الصورة بالمضائلة ، كما تراه في قوله :

ثلاث كأقواس السراء ، ونأشط قد اخضر من لس التمر جحافل

ثلاث متشابهات ، وواحد منفرد بصورة ، فلا بد أن يصنف ، فهو لا يقيم في بلد ، وهو  
كثير الرمي ؛ حتى قد اخضرت جحافل من أكله بمقدم فه ؛ وذلك لأنه لا يضر  
عند ما يأكل .



٢ — وقال امرؤ القيس • يصف حرباً ناشبة بين عقاب وذئب :

كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءِ وَاسْتَمَكَتْ      صَخَاهُ لَأَحَ لَهَا بِالْقَفْرِ الدَّيْبُ <sup>(١)</sup>  
فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ فَوْقِ مَرْقِيَةٍ      وَدُونَ مَوْقِعِهَا مِنْهُ شَنَاخِيْبُ <sup>(٢)</sup>  
فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ فِي الْجِسْرِ كَاسِرَةً      يَحْتَبِئُ مِنْ هَوًى اللُّوحِ تَصْوِيْبُ <sup>(٣)</sup>  
صَبَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أَمْرِ      إِنْ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ <sup>(٤)</sup>  
٣٧٢ : كَالَّذِي بَنَتْ عَرَاهَا ، وَهِيَ مُثْقَلَةٌ      إِذْ خَانَهَا وَدَمَّ رِئْهَا وَتَكْرِيْبُ <sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف القرس ص ١٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) كأنها : الضمير يعود على القرس التي كان يصفها قبل بقوله :

وَالْيَدُ سَابِغَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ      وَالتَّيْنُ قَادِحَةٌ ؛ وَلَكِنَّ تَلْحُوبُ  
وَالْمَاءُ مُهَيَّرٌ ، وَالشَّدُّ مُنْجَدِرٌ      وَالْقَصْبُ مُضْطَرِرٌ ، وَاللُّونُ غَرِيْبُ

الاحتمال : الانتقال . فتناء : لينة الجناحين عريضهما ، وهي وصف للعقاب قال الشاعر :

كَأَنِّي يَفْتَحَاهُ الْجَنَاحَيْنِ لَقْوَةً      دَفُوفٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَاطَأَتْ شِمْلًا إِلَى

وفي رواية : « واحضلت صقعا » في رأسها ياض .

(٢) الرقية : المكان للرضع يعلوه الرقيب . الشناخيب : مفرداها : شنخاب أو شنخوب

أعلى الجبل ، وأعلى السكاهل ، وفقر الظهر ، والأول هو الراد .

(٣) كاسرة : منقضة تكسر جناحها ، أو تكسر ما تصيده كسرا . يحتمل : يدفعها .

هوى : يقووط . اللوح : يضم اللام الهواء بين السماء والأرض . تصويب : انحذار .

(٤) صبت عليه . اندفعت إليه . من أم ، من قرب .

(٥) بنت عراها : قطعت مقابضها ، وهي جمع عروة . مثقلة : بمثقلة ثقيلة . الوزم :

سيور بين آذان الدلو ، ويجمع على وذوم ، وأوذام ، وأوذم . التكريب : جل الكرب وهو  
الحبل في الدلو .

لا كائى في هواء الجو طالبة<sup>(٦)</sup> ولا كهذا الذى في الأرض مطلوب<sup>(٧)</sup>  
 كالبرق والريح مرآتاها عجب<sup>(٨)</sup> ما في اجتهد على الإصرار تنبيب<sup>(٩)</sup>  
 فأذكر كنهه ، فأناته تحاليفا<sup>(١٠)</sup> فأنسل من تحيها ، والذف متقوب<sup>(١١)</sup>  
 يلوذ بالصخر منها بد ما فترت<sup>(١٢)</sup> منها ومنه على الصخر الشايب<sup>(١٣)</sup>  
 ثم استغاثت بمنن الأرض تنفره<sup>(١٤)</sup> وباللسان وبالشدة تفرى<sup>(١٥)</sup>  
 ما أخطاه للنايا قيس أغسله<sup>(١٦)</sup> ولا تحمرز إلا وهو مكتوب<sup>(١٧)</sup>  
 يظل منججرا منها يراقبها<sup>(١٨)</sup> ويرقب الليل إن الليل محبوب<sup>(١٩)</sup>

(٦) كائى في هواء الجو : كناية عن العقاب . طالبة : باغية صيدا وحربا . كهذا : اسم الإشارة عائد على الديب . مطلوب : مرغوب صيده . رويت هذه الأبيات لامرئ القيس رواها الجوهري ، ووجه ابن برى ، وزعمها إبراهيم بن عمران الأنصارى ، ولكن صاحب كتاب شعراء النصارى نسب بعضها لامرئ القيس .

(٧) كالبرق : يقصد العقاب . الريح : يقصد الذب ، وهو يكنى عن وصفهما بالسرعة فى الطيران والإرخاء . مرآتاها ثنية مرآة بمعنى منظرها . عجب . عجب غريب . الإصرار . الصمم . التخييب : التفسير . وفى حديث هشام : كتب إليه يغيب عن هلاك السليمان أى لم يخبره بكثرة من قتل منهم مأخوذ من التوب الورد ، فاستعاره لموضع التفسير فى الإعلام بكنه الأمر . (٨) محالفا : جمع محلب أظفارها . فأنسل : فترع نفسه برفق . الذف متقوب : الجنب متقوب . (٩) يلوذ : يلجأ ويختص . فترت : تراخت . منها ومنه : من العقاب ومن الذب : الشايب : جمع شؤبوب : يريد شدة اتدفاع كل منهما .

(١٠) استغاثت : استعانت ، والضمير يعود على العقاب ، وهى رواية الحيوان تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ولعلها استغاثت ليعود الضمير على الذب فهو اللعوب المحتاج إلى العون ، وهو أقدر على إثارة الضرر ، والشرط الأخير من البيت يؤكد هذا ، ترب : تراكم التراب فوق الص . (١١) للنايا : جمع منية ، وهى اللوت . قيس : مثل قيد يعنى قدر آفة ، والآفة : رأس الأفعى . تحمرز : تحسن . مكتوب : مكروور عليه ، مهجوم نحوه من كتب إذا كر . (١٢) يظل : يبقى طوال يومه . منججرا : مخنثا فى الجمر . يراقبها : يلاحظها . يرقب الليل : ينتظره . محبوب : مرغوب فيه لأنه منفذ له .

### تحليل الأبيات :

سواء أصبحت هذه الأبيات لامرئ القيس أم لم تصح فإنها شعر جاهلي ، وإن كنا نكاد نشق أنها لامرئ القيس ، فإن روحه ظاهر فيها ، فهو أقدر من سواء على وصف مثل هذا المنظر لكثرة ما شاهد في الصحارى ، ولأن في الأبيات كثيراً من خصائصه التي تبدو في تسلسل الصور ، وتنوع التشبيهات والكنايات ، وجمال التقسيم .

وصف فرسه بأنها عند انهمار الماء ، والمحدار الشد ، وانضمام الخصر ، ولحوب اللثن كالققاب ظهر لها في الأرض التفر ذئب ، ثم تأكد رؤيتها إياه بعد أن تأملته من قفة لا يحجب الناظر منها حاجب ، ولكن بينا وبينه ربا ونجدا ، فلم تحش قطعها ، بل أقبلت نحوه منقضة ، تكسر في انقضاضها إليه جناحيها ليشدد طيراتها ، يضاعف هويها في ذلك الجو أنها تنقض منحدرة ، اندفعت إليه من مكان بعيد ، وهوت عليه من مرقب حقيق ؛ لتنزل عليه سخطها ، وتنش في غلبها ، فاشقاء ! إن الشقاء ليند عليه من حيث يدرى ولا يدرى ، وحقا : « إن الشقاء على الأشقين مصبوب » أو « إن الشقى بالشقاء مولع » .

هوت عليه قوية دافقة ، وانصبت نحوه عازمة عارمة ، كأنها الدلو المثقلة بالماء قد انبثت عراها ، وغاثها وذمها وتكربها ، فسقطت كجلود الصخر ، ليس كهذه التي تهوى من الجو تطلب صيدا في قوتها وعراها طالب ، ولا كذلك الذي يرخى فوق الأرض خوف ذلك الطالب مطلوب .

ما أشبه الطالب والمطلوب بالبرق والريح ، فالريح يصصف من ورائه البرق يلعب ، فنظرهما عجيب ومرآتهما غريبة ، إذ كلاهما يصر على الاجتهاد دون تقصير فيه ، ويعزم على أمر لا يهيد عنه ، هي تنزم على الفتك ، وهو يصر على الخلاص منها ، فإني عزيمتهما تغيب . ولكنها أفذت إصرارها ، وأدركت ماعزمت عليه ، فنالته غلبها ، وأنشبت فيه أغلافيها ، ولكنه استطاع أن ينسل من تحتها ، وأن يتخلص من برائتها ، وقد نقب جنبه ، وثقب دقه ، وأخذ يلجأ إلى الصخور يختبئ تحتها ليحصى بها منها ، وكان الصراع

قد شبط من همتيهما ، والتضال قد أوهى من قوتيهما ، فانتقل المجوم والدفاع ، والسكر  
والتر فوق ذلك الصخر الذى لجأ إليه ، ولاذ به ، فلجأ إلى غير الصخر ، فاستعان بمن  
الأرض يثير غباره ، ويهيج غفره ليحجب بذلك القراب عن العقاب شخصه ، قرب  
لسانه وشذفيه ، دون أن تخطئه المنايا ، أو يغلط اللوت فى معرفة مكانه ، لم يخطئ الموت  
قيد أمله ، ولا نغمه التحرز والتحصن وهى كارة عليه ، مندفة إليه ، فهو يظل يومه مختفيا  
فى الأحجار ، مختبئا بين الصخور ، مترقبا الليل المحبوب ليحميه من ذلك العدو الجبار .

### الفقر :

وقفت العقاب على إرم ، فرأت الذئب بينها وبينه قم الجبال والربا والتجاد ، فاندفعت  
إليه تهوى « يحثها من هوى اللوح تصويب » تلك أول الصور التى رسمها امرؤ القيس  
فى هذه الأبيات .

انصبت عليه كما تسقط الدلو للقمعة بالماء قد انبتت عراها ، وخانها وذمها وتكرهها ،  
وهذه صورة أخرى ، وأجل من هاتين الصورتين تشبيهما بالبرق والريح ، وحقا إن  
مرآها عجب ، وبلغ هذه الصورة وتكوينها فى كلتين أغرب وأعجب ؛ ووصف الحركة ،  
وأن العقاب قد أنشبت فى الذئب مخالبها ، وأنه ينسل من تحتها منقوب الجنب لاثنا  
بالصخر ، وصف بلغ القمة فى تصوير الحقيقة ، وصدق الرصف .

إنك واجد فى هذه الأبيات صورا خلاصة منسقة ، كما أنك واجد فى هذه الصور حياة  
دقيقة ، وأى صورة تتدفق بالحياة أوضح من هذه :

فأدركته ، فنالتـــــــــــــــــه مخالبها      فأنسل من تحتها ، والذئب منقوب  
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت      منها ومنه على الصخر الشايب

أدركته ، تصور عدوها وملاحقتها إياه ، فنالتـــــــــــــــــه مخالبها ، تصور قبضها عليه وإنشاب مخالبها  
فيه ، فأنسل من تحتها ، تصور محاولته الإفلات من مخالبها حتى استطاعه ، والذئب منقوب

تصور الحال التي أفلت عليها ، يلوذ بالصخر ، تصور اختبائه بين الصخور ، بعد فتورها  
وخود تدافعا .

أما جمال الأسلوب فيبدو في أكثر الأبيات بل في جميعها ، فمن الجمال القتان قوله :

صبت عليه ، ولم تنصب من أم إن الشقاء على الأشقين مصبوب

يسجيك دون شك هذا الطباق السلي ، كما يسجيك ذلك الاحتراس في قوله من أم .  
أما الحكمة ، فهي أخلد الحكم « إن الشقاء على الأشقين مصبوب » وأجل ما فيها كلمة  
مصبوب ، لأنها توحى باندفاع الشقاء إليه ، وسقوط البلاء عليه ، ومن جمال الأسلوب  
قوله :

كالبرق والريح مرآتاها مجب ما في اجتهد على الإصرار تضييب

وبعد فالأبيات جميلة من جميع النواحي ، وكلما زدت تأملا زدت شعورا بجمالها .



٣ - وقال عبيد بن الأبرص \* يصف الطاب تصيد ثعلبا :

كَأَنَّهَا لَقَوَّةٌ طَلُوبٌ      تَبَيَّنَ فِي وَكْرِهَا التَّلُوبُ<sup>(١)</sup>  
بَاتَتْ عَلَى إِرْمٍ عَذُوبَا      كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَصْبَحَتْ فِي غَدَاةٍ قُرُ      يَسْقُطُ عَنْ رِيشِهَا الضَّرِبُ<sup>(٣)</sup>  
فَأُبْصِرَتْ ثَعْلَبًا سَرِيعًا      وَدَوْنَهُ سَبَبٌ جَدِيدُ<sup>(٤)</sup>  
فَنَفَضَتْ رِيشَهَا وَوَلَّتْ      وَهِيَ مِنْ نَهْضَةٍ قَرِيبُ<sup>(٥)</sup>  
٣٨٥ : فَاشْتَالَ وَارْتَاعَ مِنْ حَسِيسٍ      وَفَلَهُ يَفْعَلُ اللَّذَّوبُ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو عبيد بن الأبرص بن حنم بن مالك بن زهير الأسدي أحد حوّل الشعر في العصر الجاهلي ، وقال : إنه لم يكن يقول الشعر إلى أن هجاء وهجا أخيه شاعر ، فرفع يديه إلى السماء مبتهلا ، وهو يقول : اللهم إن كان فلان غلفي ورماني بالهتان ، فأداني منه ، وانصرني عليه ، ثم نام ، فأناه آت في اللتام بكبة من شعر ، وألقاها في فمه ، فقام وهو يرتجز هجاء في خصمه ، وقد مات قتيلًا ، قتله للتندر بن ماء السماء سنة ٦٠٥ م .

«التفسير اللغوي» : (١) كأنها : الضمير يعود على الفرس التي كان يصفها في الأبيات السابقة . اللقوة : الطاب ؛ سميت بذلك لأنها سريعة التلقح لما يطلب . طلوب : كثيرة الطلب ، تبين : نجف من الخوف والفرع . القلوب : يعني قلوب الطير في أوكارها عند سماع حفيف جناحها .

(٢) الإرم : العلم من الأرض ، العذوب : التي لا تأكل شيئا ولا تشرب ماء . الشبخة : العجوز . الرقوب : التي لا يبق لها ولد .

(٣) القر . البرد . الضرب : الجليد .

(٤) دونه : أمامه . سبب جديد : فلاة قاحلة جديدة .

(٥) نفضت : حركت وهزت . ولت : طارت مبتعدة . هي من نهضة : من طهران .

(٦) اشتال : رفع ذنبه . ارتاع : فزع . حسيس : صوت . اللذوب والزرود : الحالف القزع .

- فَهَضَتْ نَحْوَ حَيْثَا وَحَرَدَتْ حَرْدَةً أَسِيبٌ<sup>(٧)</sup>  
 فَدَبَّ مِنْ خَلْفِهَا دَيْبٌ وَالْبَيْنُ جِلَاقُهَا مَقْلُوبٌ<sup>(٨)</sup>  
 فَأَدْرَكَتْهُ فَطْرَحَتْهُ وَالصَّيْدُ مِنْ تَحْتِهَا مَكْرُوبٌ<sup>(٩)</sup>  
 فَجَدَلَتْهُ فَنَلَتْهُ فَكَدَحَتْ وَجْهَهُ الْجَبُوبُ<sup>(١٠)</sup>  
 يَضْمُو وَيَغْلِبُهَا فِي دَنِّهِ لَا بُدَّ حِزْمِهَا مَتَقُوبٌ<sup>(١١)</sup> : ٣٩٠



- 
- (٧) حَيْثَا : سريّة . حَرَدَتْ : قصدت . أَسِيب : تنساب على الرمل .  
 (٨) فَدَبَّ : فصار في خفاء وحذر . الْجِلَاق : باطن الجفن أو عروق العين .  
 (٩) فَطْرَحَتْهُ : فرمته . الصَّيْدُ : يقصد التعلب . مَكْرُوب : مصاب بالكرب والشدة .  
 (١٠) فَجَدَلَتْهُ : قفلته ، وأصله طرحته بالجدالة وهي الأرض . فَكَدَحَتْ : غلغلت  
 الحبوب : الأرض الصلبة .  
 (١١) يَضْمُو : يصيح . يَغْلِبُهَا : يظفرها . دَنِّهِ : جنبه . حِزْمِهَا : صدرها .

## تحليل الآيات :

شرح عبيد بصف فرسه ، فلم يطل ؛ إذ لم يتجاوز في وصفه إياها هذه الآيات :

فذاك عصرٌ وقد أراى تحيلنى نهدةً سرحوبُ  
مضبرٌ خلقها تضييراً ينشق عن وجهها السيبُ  
زبيقةٌ نائمٌ عروقتها ولينٌ أسرّها رطبُ

ثم انتقل إلى تشبيه فرسه في شدة عدوها ، وسرعة شدا بقاب خفيفة ، سريعة التلقى لما تطلب ، إذا أبصرتها الطيور في أوكارها أدركها حينها ، وبلنها حتفها ؛ إذ تبيس قلوبها الرطبة ، وتحجب أفئدتها الطرية ، لأن الدماء لا تجري فيها ، وذلك لكثرة ما تصيد منها .

قد باتت هذه العقاب فوق رابية عالية ، ومرقبة مرتفعة ، وإرم مستعيل ، عذوبا عن الأكل ، هزوا عن الطعام ، كأنها شيخنة مجوز ، بلغ منها اليأس كل مبلغ ، فلا رجاء لها في عقب ، فقد أدركتها سن الإياس ، لقد تكلمت تلك الشيخة وليدها ، وأصابها الدهر في وحيدها ، فلم يقر لها في ليلاها الأطول قرار ، ولا مس جفيتها هجوم ، فأصبحت مبكرة في جو بارد ، وبرد فارس ، تجمد له الماء ، فصار جليدا متساقطا عن ريشها .

وإذ هي على تلك الحال من انقباض النفس وجود الحس ، أبصرت ثلجا يستحث قوائمه ، وينه وينبها قلاة قاحلة ، ومفازة مجذبة ، فسيت ما كانت فيه من انقباض وخود ، ونفضت ريشها نفضا ، ووثبت وثبة قوية ، إذ رأت الصيد مواتيا ، وطارت تجماعه ، فأصبح منها جد قريب ، فشال ذنبه ليهم بالفرار ، بعد أن أضم قلبه بالارتياح والفرح من ذلك الزيف المقاحى ، والصوت للباغت ، وصنع ما يصنع الخائف اللذوب ، والفرح الزمرد ، فأقبلت عليه مسرعة حثيثة ، وانساب إليه انسياب الماء الدائق ، فحول من خلفها حذرا ينظر إليها شزرا . ليقين ما قدهم به ، فكأن حلاق عينه مقلوب ؛ لأنه ينظر في انجم العقاب .



ولكن هذا الديب الخفى لم ينفه ، والدوران من حولها لم يجده شيئا ، والتوجس والحذر لم يدفع عنه قضاء ، فقد أدركته خطرته على الأرض ، وهى من فوقه جائعة ، وهو من تحتها فى كرب وقنوط ، صلتته بمد أن طرحته بالجدالة لا يقوى على دفاع ، ولا ينهض بمقاومة ، وخدشت وجهه بمخالبها الحادة ، وبالأرض الصلبة التى رمته فوقها ، وأخذ قبل أن يودى به يصيح ، وكأنه يتضرع ويستغيث فخالها فى جنبه تنقبه ، وأغفلها فى صفحته تنقبها ، ولكن من ذا يستمع للضراعة ، وآلى يجد للنيت ؟ وأصياه الصباح ، فقد تبت عن صدره ، فثقت به أسوأ تخيل .

#### النقد :

فى هذه الأبيات دقة وصف ، وجودة تصوير ، وعلم بطبائع جوارح الطير ، فهى تبدو ساكنة هادئة ؛ حتى إذا أتاحت لها الفرصة فريسة غضت عنها غبار الهمود ، وخلعت ريش الهدوء ، ونهضت فى وثبة المرح النشيط ، وليس كل إنسان يعرف ذلك الطبع فى العقاب ، وإنما يعرفه رجل البيداء ، وأخو الصحراء .

كما أجاد الشاعر تسلسل العرض ، وأبدع فى تصوير خطوات كل من العقاب والثلب ؛ فالعقاب ينهض طائرا ، ويشد فى الطيران ، ويقف على رقبة من الثلب ، وكأنه يرسم طريق المجهوم عليه ، ويراها الثلب فيدير لنفسه مخلصا ، ويقدر له منفذا فيهم بالقرار ، فيفر ، يتلفت ذات اليمين وذات الشمال .

ولكنها وقد قاست الطرق إليه ، وقدرت أقربها نحوه ، تنساب انسياب الأنهى فتدركه خطرته فتجذله ، فتنب جنبه وصدره .

صور حية ، وتمثيلية كاملة لا يتقصها منظر ؛ ولا تحتاج إلى مزيد ، كل ذلك فى أسلوب منسق ، فيعض الألفاظ بصور معانيه ، ويشعر باختيار الشاعر إياد ، فبسبب أفضل من غيرها من الألفاظ الدالة على الصحارى ، ويظهر أنه آثر الإكثار من بعض الحروف لعلهم

الموقف من هذه الحروف السين والباء ، فبيس ، ويسقط ، سريعا ، وتسبب وحيس كلها  
ألفاظ مقصودة لذاتها، ومن الألفاظ الموحية بالمعاني: فاشتال وارتاع فإن زيادة التاء في القسطن  
تشارك باشتداد اشتياله ، وقوة ارتياعه .

والذي لا نكاد نستريح إليه البحر الذي اختاره عبيد لقصيدته ، ويشاركنا في نظرنا  
إلى ذلك البحر المضطرب الأمواج ، المختل الأوزان أبو العلاء المرى ، فيقول :

وقد يخطئ\* الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض عبيد

على أن مما يضر له هذا الاضطراب أنه كان ذا نفس شاعرة ، وإن لم تكن وازنة ؛  
فالشعر كما قدمنا في أول هذه النصول إثارة الشعور ، وإهاجة الوجدان ، لا ترتيب الألفاظ ،  
وتنسيق الأوزان .



ع - وقال زهير يصف صقرا يطارد قطاة :

كانها من قطا الأجياب حان لها      ورذ وأفرد عنها أختها الشبت<sup>(١)</sup>  
جويشة ، كحصة القنم رمتها      بالسق ما يندبت القمعا والחסك<sup>(٢)</sup>  
أهوى لها أسفع الخدين مطرق<sup>(٣)</sup>      ريش القوادم لم ينصب له الشرك<sup>(٤)</sup>  
لاشيء أجود منها وهي طيبة      نسا بما سوف ينجيها وترك<sup>(٥)</sup>  
دون السماء وفوق الأرض قدرهما      عند الدنانى فلا فوت ولا درك<sup>(٦)</sup>  
عند الدنانى لها صوت وأزملة      يكاد يخطئها طورا وتهلك<sup>(٧)</sup>  
حتى إذا ما هوت كف الفلام لها      طارت وفي كف من ريشها يتك<sup>(٨)</sup>

• ترجمه الشاعر : تقدمت في وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) كأنها : الضمير يعود على الفرس في الآيات قبل ، إذ يقول :

وصاحي وردة نهد مراكلها      جرداء لا خج فيها ولا صكك  
الأجياب : جمع جب مواضع الآبار . حان لها . ظهر لها . ورد : الورد القوم يردون  
الاء ، أو هو ورود الاء ، وهو أنصب . (٢) القطا : الجوى والكندى . وفي كليهما  
سواد ، والنقاطا غيرها ، أو هو ما اسود جانب أجنحته وطالت أرجله ، واغربت ظهوره غيرة  
ليست بالشديدة ، وعظمت عيونه . حصة القسم : الحصة التي يفسم عليها لاء ، إذا قل مع  
الساقرين ، فيصبون عليها لاء حتى يظليها ولا تكون إلا ملساء مجتمعة ، ولذلك تشبه القطاة  
بها في شدتها واجتماع خلقها . السق : ما استوى من الأرض . القمعا : بقلة ذات نور أحمر .  
الحسك : ثمر النفل تشبه القث ولها نور أصفر . (٣) أهوى : اقتضى . أسفع الخدين :  
أسمر الخدين يشوههما حرمة . مطرق : مجتمع الريش . القوادم : ريش مقدم الجناح ، وهو ريش  
كبير . لم ينصب له الشرك : كناية عن أنه وحش لم يؤخذ ولم يذل . (٤) أجود : أسرع :  
طية نسا : راضية مطمئنة . ترك : ترك وتدع . (٥) دون السماء : تحت السماء .  
الدنانى : الذنب . فلا فوت : فلا جد عن الصقر . ولا درك . ولا لحاق منه لها .  
(٦) عند الدنانى : عند الذنب . لها صوت وأزملة : لها صوت مختلط مضطرب من القزع .  
تهلك : تجهد في الإسراع . (٧) هوت : سقطت . بك : قطع وزنا ومعنى .

ثم استمرت إلى الوادى فألجأها منه وقد طبع الأظفار والحنك<sup>(٨)</sup>  
حتى استغاثت بماء لا يشاء له من الأباطح في حافاته البرك<sup>(٩)</sup>  
مكلى بأصول النجم تنسجه ريج خريق لضاحي مائه حُبك<sup>(١٠)</sup>  
كما استغاث بسبي قر غيطة خاف العيون فلم ينظر به الحشك<sup>(١١)</sup>  
٤٠٢ : فزك عنها ، وأوفى رأس مرقبة كنصب العثر دى رأسه النسك<sup>(١٢)</sup>



- (٨) استمرت : أوى في الطبر والحرب . فألجأها : حملها على الوادى خوفها منه ، لأن  
الوادى شجراً يمكن أن تخفى فيه . الأظفار : المهاب . الحنك . اللقار .  
(٩) استغاثت : استعانت والتجأت . لا يشاء له : لا أجل ينزع به الماء ، وفيه كتابة عن  
أنه ز . الأباطح : جمع أبطح ، الأرض للتوبة . في حافاته : على شواطئه . البرك : جمع  
بركة وهي طيور من طيور الماء ، أو هي الضفادع .  
(١٠) مكلى : محيط به التبت كالإكليل . النجم : التبت الذي يقال له التبت ، قيل :  
إنه لا ينبت إلا على ماء ، أو في موضع تحت ماء . ريج خريق : ريج شديدة لضاحي مائه . لبارز  
مائه . الحبك : طرائق ، مفردا حبيك .  
(١١) السبي\* : اللبن الذي في الضرع قبل أن يدر . القر : ولد البقرة . النيطة : الشجر  
للثف أو البقرة وهو للراد . خاف العيون : خاف الناس وخشيم . الحشك : احتفال الضرع باللبن .  
(١٢) فزك عنها : فسقط الصقر عن القطاة . أوفى : بلغ . الرقبة : للكان الرضع  
ينظر منه الرقيب . للنصب : الحجر يعثر عليه . العثر : والعثرة الديبحة تدعى تبدا ونسكا .  
أو العثر الصنم . دى : أسال دمه . النسك : جمع نسكة ما يذبح عليه .

### تحليل الأبيات :

كأن فرسى تلك من قعاً أرض ذات عيون وآبار ، فيغد عليها الواردون ، فهي منهم  
حذرة وجلة ، ولا سباً وقد قنص أختها شبك الصائد ، وحبالة القانص ، تلك القطاة  
جنوية الشكل ، مستوية الخلق ، فظهرها أكدر ، وباطن جناحها أسود ، وریش حلقها  
أصفر ، واستواء خلقها يحكى استواء حصاة القسم ، يتقاسم عليها السفر مادم ، وقد أوشك  
أن ينفد ، وهي تحيا في خصب ، وتميش في رتاع ، فلها في سبها نوعان من الغذاء : بقلة من  
أحرار البقل ، وغمرة من ثمر النخل .

وإذ هي سيدة بوطنها ، متمتعة برغد عيشها اقنص عليها صقر ذو خدين أسمين ؛  
أشربت حرتهما بسواد ، وانضم ريش قوادمه بمضه على بمض ، وهو صقر كاسر ، لم يذله  
قانص ، ولا قنصه آسر ، فهو قوى مخيف .

وبدأت المطاردة ، فليس أجود من القطاة سرعة ، وهي ليقينها بسرعة طيرانها طيبة  
النفس ، ملامحة الفؤاد ، عالة أن جناحها سيهيات لها النجاة ، فهي تنرك بعض  
ما تستطيعه ؛ لقد حلقا في الجو ، بين السماء والأرض ، فهي أمامه ، وهو من خلقها ، يكاد  
يبلغ ذنبا ، فلا هو يدركها ، ولا هي تفوته ، وحينما تركت طيرانها أهوت إليها كف الغلام  
لتقبض عليها ، فاستجمعت قوتها ، وتخلصت من كفه ، وقد بقى فيها قطع من ريشها ، حتى  
بلنت الوادى ذا الشجر ، فهي تقدر على الاختفاء في أغصانه ، أو الاختباء بين جنوده  
وأفئانه ، بعد أن طمع ظفره في القنص ، ومنقاره في الغش والقر ، ولم تزل تجتهد في الطيران ؛  
حتى استغاثت بقاء نجل يجرى على سطح الأرض ، فليس له غور ، ولا يحتاج إلى رشاء  
ينزح به ، لأنه في أبطل مستو يتجمع حول حافات البرك ، هذا الماء يكلله النجم ،  
وتحوطه أصول النبات الذى لاسوق له ، فإذا مرت به ريح الشمال الشديدة جعلت  
في ظاهر ذلك الماء طرائق وأمواجاً كأنها أجزاء النسيج ، وكانت استغاثتها بذلك الماء  
كاستغاثة ولد البقرة بالضرع الذى لم يحتمل بد بالبن ، وهو يخاف أن ينظره الراعى ،  
فلا يدعه يشرب حتى ذلك السىء .

قد أجهد المقر ، واخضت عن عينيه القطاة ، فسقط عن مطارقتها مرغا ، ولكنه وقف فوق مرقبة ينتظر أن تبدوله مرة أخرى كحجر المتر الذى يدمى رأسه بدم ذلك المتر .  
المقر .

يمتاز زهير بتصوير كثير من مناظر البيئة العربية الدقيقة ، وبرسم عديداً من عادات العرب التى لا ترد على خواطر أكثر الشعراء ، ولعل مصدر هذا أمران : أولهما تجويد شعره ، فذلك التجويد يمتد على التأمل الطويل ، والتدبر فيما يقول ، والآخر طول عمره ، واستبداده حكمته من حياته وحياة أمته ، انظر إلى قوله يصف القطاة باستواء انطلق ، واملاس الظهر :

جنوية كخصاة القسم مرتها بالسبي مانتبت القنفاء والحسك  
لقد ذكر لنا عادة من عادات العرب فى أسفارهم ورحلاتهم ، هى قسمهم الماء بينهم ، وذكر هذه المادة يوحى إلينا بقلة الماء فى بلاد العرب ، وقلة الماء يتبعها قلة العشب ، وندرته النبات . ولكنه فى هذا البيت بالذات أشعرنا أن من بلاد العرب أرضا ذات مراعى خصبة ، ومزارع نضرة .

ثم هذه صورة أخرى من الصور الجميلة التى تستطيع أن ترسم منها مصورا لجزء من بلاد العرب دون أن تخاف الخطأ أو توصف بالتجاوز فى الرسم ، تلك هى :

حتى استغاثت بماء لا رشاء له من الأباطح فى حافاته البرك  
مكمل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك  
وصف الماء الذى استغاثت القطاة به بأنه لا يحتاج إلى رشاء ؛ وإذن فهو نجل وأنه ينزّ فى أرض مستوية ؛ ليس فيها أغوار ؛ وأن على حافاته ذلك الطير الأبيض من طيور الماء ؛ أو الضفادع وهو أنسب فى هذا المقام ، ثم إن الثبت الصغير يلف ذلك الماء ويحوطه ، وقد تنسج الريح فوق الماء الظاهر طرائق وحبكا .

ثم هذه النظرة الدينية التى صوّر لنا فيها إحدى عاداتهم فى عبادتهم ، وهى الذبح فى شهر رجب للأضنام تنسكا وتعبدا ، وتلك النظرة فى قوله :

فزّل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب المتردى رأسه النك  
أما أسلوب زهير فهو الأسلوب اللصنى الذى قل أن نجد فيه ما يبيحه ، فقد كان من عبيد الشعر ، فكيف يخون سيده ، أو يهمل شأن أميره ؟

٥ - وقال أبو ذؤيب الهذلي : يصف صيد الجر الوحشية :

فوردنَ والسيوقُ مَقْعَدُ رَأْيِي الضُّرْبَاءَ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يَنْتَقِلُ<sup>(١)</sup>  
فَشَرَعْنَ فِي حَجَرَاتٍ عَذْبٍ بَارِدٍ حَصْبِ الْبَطَاحِ تَتَبُّعُ فِيهِ الْأَكْرَعُ<sup>(٢)</sup>  
فَشَرِبْنَ ، ثُمَّ سَمِعْنَ حَسًّا دُونَهُ شَرَفَ الْحِجَابِ وَرَيْبُ قَرْعٍ يُفْرَعُ<sup>(٣)</sup>  
وَنِمِيَّةٌ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِي كَفِّهِ جَشٌّ أَجَشُّ وَأَنْطَعُ<sup>(٤)</sup>  
٤٠٧ : فَتَكْرَنَهُ ، فَتَكْرَنَ فَاثْرَسَتْ لَهُ سَطَاهُ هَادِيَةٌ ، وَهَادٍ جُرْشَعُ<sup>(٥)</sup>

\* ترجمته الشاعر : أبو ذؤيب كنية اشتهر بها الشاعر ، واسمه خويلد بن خالد بن محرت الهذلي ، كان شاعراً خفياً ، أدرك الإسلام فأسلم ، سئل حسان بن ثابت عن أشعر الناس ، فقال : حيا أم رجلا ؟ قال سائله : بل حيا ، فقال : حيا هذيل ، ورجلا أبو ذؤيب ، وهذه الأبيات من قصيدته التي يرى بها بنية الحمة الذين اغتالهم الطاعون في عام واحد بعد أن صاروا رجال بأس ونجدة وأول القبيصة هو :

أمن النون وريها تتوجع ! والدهر ليس بمتب من يجزع

التفسير القوي : (١) فوردن : نون النسوة تعود على الجر الوحشية . السيوق : كوكب

يظهر إلزاء التريا . رأيي الضرباء : الرأي الرجل فوق الضرباء ينظر ما يفعلون ، والضرباء : جمع ضربيب الضاربون بالقداح . لا ينتفع : لا يتقدم ولا يرتفع . (٢) فشرعن : ضمير النسوة يعود على الجر ، فمددن أعناقهن ليشربن . الحجرات : النواحي ، مفردة حجرة . الحصب : البناء فيه الحصباء ، وهو أصنى ما يكون . البطاح : بطون الأودية ، مفردة أبطح . الأكراع : جمع كراع مستدق الساق ، ويريد أكراع الحمار . (٣) حسا : صوتا . دونه : بينه . شرف الحجاب : منقطع أرض الحرة ، وقيل : إنما يريد حجاب الصائد ؛ لأنه لا بد أن يستتر بشيء . رب قرع : قرا يرب ويفرع ، ويريد قرع القوس وصوت الوتر .

(٤) نيمية : يريد نيمية القانص ، وهي ما تم عنه ، التلبب : التلقه ككناته . الجش : القضيبي من النبع صنع منه القسي . الأجش : النليظ الصوت . أنطع جمع قطع ، وهو النصل العريض القصير .

(٥) فتكرنه : فأنكرنه . فاثترست له : فأقبلت عليه ولصقت به . السطاه : الطويلة

المنق . الهادية : التضمة . الجرشع : النليظ المثلج الجنين .

- فرى ، فأغذَّ من تجودِ مائطٍ سهاً غرقاً ، ورشهُ مُتَصَمِّعٌ<sup>(٦)</sup>  
 فبدأ له أقرابُ هادٍ رائفاً عنه فبيثَ في الكناية يرجع<sup>(٧)</sup>  
 فرى ، فألقى صاعيداً مطعراً بالكشع ، فاشتملت عليه الأضلع<sup>(٨)</sup>  
 فأبدهنَّ حنوفهنَّ : فهاربَ يذمائه ، أو باركُ متجسج<sup>(٩)</sup>  
 ٤١٢ : يمشون في قلقٍ التجميع كأنما كبيت برودة بنو يزيد الأذرع<sup>(١٠)</sup>



- (٦) التجود : العبة الطويلة . المائط : التي اعتاطت رحمتها فبيت أعواما لا تحمل .  
 متصم : منضم بضه فوق بعض من القم للتجميد عليه .  
 (٧) الأقراب : الحواصر ، والذي بدأ له قرب واحد فجسمه بما حوله . رائفاً : منمرفاً  
 مائلاً . عيث : مد يده إلى كنياته ليأخذ سهما . يرجع : يمد يده .  
 (٨) الصاعدي : نسبة إلى بنات صعدة على غير قياس وهي البحر الوحشية ، وقيل الأسهم ،  
 والأول رأى اللسان . مطعراً : سهما جيداً . الكشع : ما بين الحاصرة إلى الضلع من الخلف .  
 (٩) فأبدهن حنوفهن : فأعطاهن حنوفهن وهلاكهن . يذمائه : ببقية نفسه . التجسج :  
 الساقط على الأرض .  
 (١٠) قلق التجميع : متجمد الدم . بنو يزيد : بطن من قضاة تنسب إليه البرود .



## تحليل الأبيات :

وردت الحر الوحشية الماء وكوكب العميق يبعو خلف الثريا ، كما يظهر الرقيب خلف  
لاحي اليسر ينظر مايفعلون ، فإذا نهذ قدح حفظه خشية التبديل ، ولا يكون العميق كذلك  
إلا آخر الليل في شدة الحر ، فشرعت الحر تشرب من جميع نواحي الماء ، تشرب ماء عذبا  
خسرا ، حصص البطاح ، جاريا ليس نجلا ، بل هو فياض تنيب فيه أكرع هذه الحر ،  
فازان بشرين هادئات هائئات ، حتى أزال هدوءهن ، وأقدهن ههناهن ، صوت بينه  
وينهن شرف مرتفع ، فهن لايتبين مصدره ، فاشتد منه ريهن ، وعظم فزعهن ، فهو يريب  
كما يريب قرع القوس أو صوت الوتر ، سمعن صوت وتر ذلك الصياد المتقلا كنانته ، للتلعب  
بأسهمه ونباله ، الحامل في يده قوسه ، وهو إلى كل هذا ذو صوت أجش ، ونصل  
عر يض قصير .

فأنكرن هذا الصوت ، وكان إنكارهن له سبب نفورهن منه ، وبعدهن عنه ، وأخذ  
بعضهن يمترس بالآخر ، فتتضم السطماء الطويلة العنق إلى الجرشع الغليظ الجنين ، كأنها  
تطلب حمايته ، ويمترسها هو كذلك ؛ كأنه يلمس حمايتها .  
وكان هذا الامتراس قد أضر بهن ، فقد رمى الصيادسهمه ، فأنفذه في أنان عبلة طويلة ،  
قوية مكتنزة ، إذ لم تحمل ولم تله فتحي قوتها ، فسقط السهم المريش فيها ، وقد انضم ريشه  
وتجمع ، فكان أقتل وأضك .

وظهر لذلك الصائد الماهر خاصرة حمار رائخ عن إخوانه ، منصرف عن رفاقه ، فأمال  
يده إلى كنانته يستخرج منها سهما ليرمى به ذلك النافر الشارد ، ورمى فأدرك سهمه البعيد  
الرمي حمرا صاعديا ، أصابه في خصره ، فاشتملت على ذلك السهم السدد أضلاع ذلك الحمار ،  
وفرقق اللوت عليهن ، ووزع النون فيهن ، فنهن من أصيب إصابة غير قتالة فهو هارب بذمائه ،  
ومنهن من إصابته قاتلة فهو بارك في مكانه لا يستطيع حراكا ، وهذه الأثن المباريات تتمتر  
في طريقها ، والسهام في أذرعها ، والدم للتجمد يملوها ، فطرائق الدم في تلك الأذرع كطرائق  
برود بني تزيد ، كلاهما يشتمل على خطوط حمر تضرب إلى السواد .

## الفقر :

الناظر في أبيات أبي ذؤيب يجد صوراً متتابعة متعاقبة ، يأخذ بعضها بأعناق بعض ؛ فالحر ترد الماء سحراً ، فيشرعن يشرن من نواح مختلفات ، وبعد أن شرين سمعن حسا يحجبه عنهن شرف الحجاب ؛ ونجمة قانص متقلد كنانته ، فنكرن الصوت والنيمة ، ففرن فتلصقن ، وهكذا يسير في تصويره كأنه قطار إبل .

وتلك الصور صادقة صدقاً واضحاً ، ليس للتلو فيها نصيب ، فالحر ترد الماء سحراً إذ الصوق يتخذ له رقبة خلف التريا التي تقف دون أن تسير ، وتثبت لانتقلع ، ثم صورها ترد الماء ملتفات حول شاطئه ، دائرات عند حجراته ، وليس هذا الماء نزا بل تقيب فيه الأكرع .

وكانت تتأمل الصائد ، وهو يرى سهمه ، فيصيب هدفه ، فيخر ذلك الهدف ، وقد تصمم ريش السهم من آثار الدم ، وذلك في قوله :

فرى ؛ فأنفذ من نجود عائط سهماً ، غر ، ور يشه متصم  
وها هو ذا يصف لك الصيد ، فهو أمان عبلة طويلة حرمت الحل ، فهي فتية قوية ، ويظهر أن فقد أبي ذؤيب بنيه الحسة جعله يستهين بالحياة ، ويستخف بالبقاء ، فهو في أبياته يصف الصائد بأنه تابع الرمي حتى كاد يفتى الحر ، وينوع مواطن الإصابات ، وهاك قوله يثبت ما نقول :

فرى ، فألقى صاعدياً مطحراً بالكشح ، فاشتملت عليه الأضلع  
فأبدعن حتوفهن : فـارب بذمائه ، أو بارك متجمع  
ولا بد أن الصورة في آخر الأبيات تستجيك ، فهي صورة حقيقية صادقة ، إذ ذلك شأن كل ما يطارده الصائدون ، هروب وإلا تخوف .

أما الأسلوب فجزل قوى ملائم لموضوعه تشيع فيه حروف تكسبه هذه الجزالة مفردة أو مركبة مع غيرها كحرف الشين مثلاً ، وهناك حروف تنابع ، فلا تحدث تنافراً كقوله : فنكرنه ففرن ، فقد تكررت في هاتين الكلمتين القاء ، والنون والراء ، دون أن يشعر القارى بشغل ، بل لعله شعر برضا عن الشاعر .

وبعد فالأبيات من قصيدة حكم لها بالجمال ، وهذه الأبيات من أروع أسباب جمالها .

٦ — وقال تأبط شراً • يصف النول ، وقد تقاطلا :

ألا من مُبلغَ قتيانٍ فهم بما لاقيت عند رَحَى بَطانٍ<sup>(١)</sup>  
 بأنى قد لقيت النولَ تهوى بهنٍ كالصحيفة تَهْصَحانِ<sup>(٢)</sup>  
 قُلتَ لها : كلانا يَنْشَوُا أين أخو سفر ، غلَى لى مكاني<sup>(٣)</sup>  
 فشَدَّتْ شدةَ نحوى فأهوى لها كُنَى بمصقولٍ يمانِ<sup>(٤)</sup>  
 فأضربها بلادَ دهشٍ ، غُرتُ صريعاً للبدنِ وللفجرانِ<sup>(٥)</sup>  
 فقالت : عُدْ ، قُلتُ لها : رُوَيْداً مكانك إني بُتُّ الجنانِ<sup>(٦)</sup>  
 فلم أنفك متكِئاً عليها لأنظر مُضجاً ماذا أُناني<sup>(٧)</sup>  
 إذا عَينانِ في رأسٍ قيسِر كراسِ المرِّ مشقوقِ اللسانِ<sup>(٨)</sup>  
 ٤٢١ : وساقاً مُعْجَج ، وشواة كَلْبٍ وثوبٌ من عباءٍ أو شُنانِ<sup>(٩)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو ثابت بن جابر بن سفيان التيمي ، ولقب بتأبط شراً ؛ لأنه تأبط سيفه وخرج ، فسلت عنه أمه ، فقالت : تأبط شراً وخرج ، وهو من صعاليك العرب القتاكين ، ومن لصوصهم المدائين ، هذا إلى أنه كان أسمع العرب وأبصرهم ، وأكيدهم وأعداهم ، قيل عن عدوه : إن الحيل لم تكن تدركه ، والظباء لم تكن تفوته ، وله شعر جيد ، توفي سنة ٥٣٠ م .

التفسير اللغوي : (١) فهم : أبوحى وابن عمير بن قيس بن عيلان . رحى بطنان : أرض بالبادية ، (٢) النول : حيوان لا وجود له ، تخيله العرب فوصفوه ، ومن معاني لفظ النول الحية . تهوى : تنفض . سبب : بغلاة . الصصحان : الأرض للستوة الجرداء . (٣) نشوأن : سقيم نصب . أخو سفر : كثير الأسفار . غلى : غلى : فارتكى . (٤) فشدت شدة : فوثبت وثبة . فأهوى : فأسقط . بمصقول يمانى : سيف محدود مرهف منسوب إلى اليمن . (٥) دهش : تخير واضطرب . غرت : سقطت . صريعاً : مصروعة مقتولة . ليجران : لقدم عنق البعير . (٦) عد . ارجع للقتال . رويدا : تمهلا . مكانك : ازمى مكانك . بُت الجنان : ثابت القلب . (٧) متكِئاً : معتمداً . مضجاً : عند تنفس الصباح . (٨) المر : القط . (٩) ساقاً مُعْجَج : ساقاً حيوان ناقص الحلق لم تتم أيام حمل أمه به . الشواة : قحف الرأس وجلده . الباءة : الشنان : السحاب .

## تحليل الأبيات :

انتصر تأبط شرا على النول . قال الجاحظ عنها : إنها اسم لكل شيء من الجن يعرض للسفار ، ويتلون في ضروب الصور والوثاب ، ذكر أكان أو أتي إلا أن أكثر كلامهم على أنه أتي ، وإذا كان ذلك أمره ، فهو فيما يرى لا ينتصر عليه إلا الأبطال الأشداء ، فمن حق تأبط شرا إذن أن يذبح نصره لافي قبيلة بني ههم غصب ، بل له أن يذبحه في الآفاق ، فهو نصر مؤزر ، وفوز مظفر .

لاقي تأبط شرا - في قفلة مستوية جرداء ، لاماء فيها ولا نبات ولا حيوان - غولا تنقض عليه انقضاض الصائفة ، وتنقض إليه انقضاض الجنان ، وتهوى نحوه هوى الصخرة من شاعق الجبل ، فلم يأخذه انقضاضها وهويها ، بل قال لها باغيا لنفسه ولها السلامة : لا عليك بأس ، فكلانا نضو أين ، وسقيم نصب ، وأخو سفر ، فخل عني أخل عنيك ، واتركني لشأني أتركك لشأنك ، ولكن كيف لها أن تدعه ؟ وأنى لها أن تخل عنه ؟ لم تصخ إليه ، ولم تستمع له ، ومتى استمع القوى للضعيف أو لمن ظنه ضعيفا ؟

لقد شدت عليه شداً شديداً ، وعدت نحوه عدواً بعيداً ؛ حتى دانت فصارته منه قاب قوسين أو أدنى ، فهو عليها بسيفه الصقول دون أن يصيبه من هومها دهش ، أو يلحقه من انقضاضها خور ، فكانت الفرة حاسمة ، فخرت على الأرض مصروعة بخاترة ، سقطت على يديها وجرائها ، فأنارتها الفرة التي لم تعرفها من قبل ، وأزججتها الوثبة التي لم تكن تتوقع لها ذلك الأمر .

كيف تهزم ، وقد تمردت الانتصار ؟ لقد صاحت به أن عد ، فأرريك كيف يكون القتال ، فأجابها ، وقد أفرخ روعه ، واطمان لضربه فؤاده ، سهلا ورويدا ! قني مكانك ، وأنا منك حيث تشائين ، إنني ثبت الجنان ، لا أفر من ميدان .

واتكأت عليها بظلة سيفي حتى لانهرب بجراحها فتتجو منه ، بعد أن انقضت إليها المسألة فأبته ، وطلبت إليها الهادئة ، وكلانا في حال تدعو إليها فصنتي ، اعتمدت عليها

يسمى إلى أن يتنفس الصبح ، لأتحقق من ذلك العدو الباسل ، ولأتبين في الصباح ماذا  
أحمد من سرائ .

فإذا حيوان غريب ليس له في أنواع الحيوان ضريب ، إن عينيه مخفيتين مخبئتين  
في رأس مستدير كأنه رأس الهر ، وهو مشقوق اللسان ، وذو ساقين قصيرتين ، كأنهما  
الحيوان لم يتكامل خلقه ، ولم يتم تكوينه ، وشواة رأسه كشواة رأس الكلب ، وجلده  
ناعم أزرق كأنه في نعومة عباءة ، وفي زرقة قطعة من سحب .  
فذلك الحيوان الصريح قد أخذ من كل حيوان أفتح ما فيه ليكون بشع للنظر ،  
قبيح الشكل ، مخيف لكل ناظر إلا إذا كان تأبط شرا .

### النمر :

لابشر الناقد البصير بقوة هذه الأبيات ، ولو أنه زعم أنها أبيات موضوعة لما عد  
مجاوزا الصواب ، فليست فيها القوة التي يمتاز بها الشعر الجاهلي ، فهو قد هول تهويلا عظيما  
في عجز البيت الأول بذلك الإيهام « بما لاقيت عند رحي بطن » ولكن هذا التهويل  
ماليت أن توارى ، ولو أنه أراد الاستمرار فيه ليبالغ في وصف القول ، وفي تصوير اعتدائها  
عليه ، ولكنه لم يزد على أن قال : « بأني قد لقيت القول تهوى » وليس من اللازم  
اللازم أن يكون هويها إليه ، ثم إنه أخذ يحاورها ، فقال لها ولم تقل له ، وليس مثل  
هذا من الأسلوب الجاهلي .

يقى أنه انتظر إلى الصباح حتى يعرف ما هي ، ويتبين حقيقتها ، وإذن فقد كان قتله  
لإها عن جهل بها ، وعدم معرفة لها ، وهذا المعنى يهون من شأنها .

أما الأسلوب فلا نكاد نجد فيه الجزالة البدوية ، ولا القوة الجاهلية ، ولا سيما في مثل  
هذا الفرض ، وشعر تأبط شرا في غير هذه الأبيات يفيض بالجزالة ، ويقنع بالقوة .

ويكاد البيتان الأخيران من الأبيات يشهدان بالصنعة ، وهو إذ يصف فيهما القول  
يصنها وصفا لا ينهى بقيق ، فيتم الوصف بالقيق ، وكأنني به لم يستطع أن يحدد لون الجلد  
بقوله : وثوب من عباء ، فطلف عليه بقوله أو شنان .

٧ — وقال الشنفرى \* يصف الذئب من قصيدته المعروفة بلامية العرب ، وأولها :

أَقِيمُوا بَنَى أُمَى صُدُورَ مَطِيئِكُمْ      فَاذْأَبْ إِلَى قَوْمِ رِوَاكُمُ لَأَمِيلٌ<sup>(١)</sup>

وَأَغْدُوا عَلَى الْقَوْتِ الزَّهْدِ كَمَا غَدَا      أَزَلُّ تَهَادُهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ<sup>(٢)</sup>

غَدَا طَاوِيًا يُمَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا      يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشُّعْبِ وَيَسْمِلُ<sup>(٣)</sup>

فَلَا لَوَاهُ الْقَوْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ      دَعَا فَاغْجَبْهُ نَظَائِرُ نَحْلٍ<sup>(٤)</sup>

٤٣٦ : مَهْلَهْ شَيْبُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّهَا      قَدَحٌ بِكَفَى يَأْسِرُ تَقَلُّقُ<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو من بنى الحرث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر من الأزد ، شاعر من أهل اليمن معدود في المدائين الذين لا تلحقهم الخيل . وكانت فيه شجاعة وحذق ، والشنفرى اسمه ، وقبل لقبه ، وهو ابن أخت تأبط شرا الشاعر السابق ، وقبل عن قتله : إنه حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان ، فقتل تسعة وتسعين ، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم اسمه أسيد بن جابر ، ثم قتله ، فرب به رجل من أعدائه . فرفض جمجمة الشنفرى ، فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتل مائة ، وهى أسطورة طريفة ، توفى سنة ٥١٠ م .

التفسير اللغوي : (١) أقيموا : ارفضوا . بنى أُمى : كناية عن الإخوة ، والتهاد به يشعر بالمطف والرحمة . صدور مطيئكم : صدور للطايب هواديبها وجرائها .

(٢) أغدوا : أصبح مبكراً . القوت : الطعام . الزهد : القليل اليسير . الأزل : القليل لحم الوركين : تهاده : تتدافعه . التنائيف : جمع تنوفة ، وهى القفلة . الأطحل : الذئب فى يياضه غيرة .

(٣) طاويا : خيما جائعا . هافيا : مسرعا . يخوت : ينفذ . الشعاب : جمع شعب ، وهى للحنيت فى الجبال . يسل : يسرع بهتزاز . (٤) لواه القوت : أماله البحث عن الطعام وأهجزه . أمه : قسده . دعى : عوى . نظائر : جمع نظير انداد . نحل . جمع ناحل . الهزلى .

(٥) مهلهل : قليلة اللحم . شيب الوجوه : كناية عن يياضها . الياسر : اللاعب بسهام اليسر يحركها بين يديه ، وقدح اليسر سهامها ، مفردتها قدح ، وهو أيضا للسهم قبل أن يرش .

أو الخشرم للبعوث حثت ديزه      محايض أرداهن سامر مقل<sup>(٦)</sup>  
 مهرته ، فـوه كأن شدوقها      شقوق المعى كالحات و بسل<sup>(٧)</sup>  
 فضج و سجت بالتراح ، كأنها      وإياه نوح فوق قلباء شكل<sup>(٨)</sup>  
 وأغفى وأغضت ، وأتسى وأتت به      مراميل عزاهها وعزته مرميل<sup>(٩)</sup>  
 شكا وشكت ، ثم ازعوى بعد وازعوت      ولصبر إن لم ينفع الشكو أجل<sup>(١٠)</sup>  
 ٤٣٧ : وفاة وفات بادران ، وكذا      على نكط مما يكانيم مجمل<sup>(١١)</sup>



- (٦) الخشرم : رئيس النحل . البعوث : للبعث السير . حثت : حث وحض . الدبر : جماعة النحل . المحايض : جمع محيض ، وهي عيذان يتخذها مشنار العسل ، فيشير بها النحل . أرداهن عطف أرداهن أى ثبتهن وركزهن : سام : رجل عال مرتق . معسل : مشنار العسل .
- (٧) مهرته : مشقوقة الأفواه . فوه : جمع أفوه للفتوح الفم . كالحات : عابسات الوجوه . البسل : جمع باسل وهو الكره للنظر .
- (٨) البراح : الأرض الواسعة لا نبت فيها . نوح : جمع نائمة باقيات صانعات . شكل : جمع ناكل ، وهي الفاقدات الأولاد .
- (٩) اتسى : امتثل واقتنى . مراميل : جمع مرميل ، وهو الذى لا زاد معه . عزاهها : سلاها ، وأصل التركيب : عزاهها مرميل ، وعزته مراميل .
- (١٠) ازعوى : رجع . الشكو : الشكوى . أجل : أحسن وأفضل .
- (١١) فاه : رجع . بادران : التخط : شدة الجوع . المجل : المحسن حاله .

### تحليل الآيات :

بنى أمى : أقبموا صدور مطاياكم للرحيل ، واستنفضوها من مناخها للسفر ، أما أنا فدعوني أبحث عن قوم سواكم أعيش بينهم ، وأقضى بقية أيامي معهم ، فإني إلى غيركم أميل . ثم انتقل بعد أغراض عدة إلى وصف الذئاب متخذاً من تشبيه نفسه بذئب تمهيداً لوصفها . فقال : إني أعيش على أسير الطعام ، وأحيا على أزهد القوت ، شأني شأن الذئب الأزل الأطلحل ، تتقاذفه التناثف ، وتهاداه الفاويز ، يندو طاوى الصير ، خيمص البطن ، يسابق الريح ، وبعارض الماصفة ؛ ينقض في مؤخرات الشباب ، ويهوى في طرق الجبال ، باحثاً عن طامه ، ساعياً إلى قوته ، وإذا امتنع عليه الطعام حيث قصد ، وعز عليه القوت في مسامه عوى بائساً ، وناح بائساً ، فأجابه ذئاب نحل ، ونظائر هزل ، ذئاب خفيفة اللحم ، هزيلة الجسم ، بيضاء الوجوه ، شيب الرموس ، كأنها خلقتها قداح يحركها ياسر ، ويقلعها قاسر ، وكأنه يسوب النحل قد انبث للسير ، ودعا جماعات النحل للطيران معه عيدان أنارت تلك الجماعات قد ركزها مشتار الصل .

تلك الذئاب مشقوقة الأفواه ، مفتوحتها ، كأن أشداقها في اتساعها شقوق المعصى ، وهى عابسات الوجوه ، كرهية النظر ، بشعة للرأى ، فضج الذئب البائس ، وأجابه الذئاب البائسات في أرض واسعة لا يسمع فيها إلا الصدى ، ولا يرى إلا السراب ، فكان الذئاب معه نساء فوق مرتقى من الأرض ، فكان أبناءهن ، فهن ينحن عليهم ويعولن .

وأغضى على الجوع والتقى وأغضت معه ، وامثل ما أريد عليه ، وامثلت ، واتخذت منه أسوة ، وجعلته لما قدوة ، فكلها مراميل سلاها عن فقدان زادها أخ مرمل ، وعزاها عن جوعها أخ جائع .

لقد شكاً وشكون ، وانصرفنا عن المواء وانصرف ، ورأين أن الصبر أجل بهن ، والتجلد أحسن منهن ، ورجع إلى الدو ورجعن إليه بعد أن لم تجد صيداً تطعمه ، ولا قوتا تأكله ، وهن على شدة جوعهن يكتمن أمرهن ، ويتجملن بالصبر .

الغمر .

في هذه الآيات جمال من وجوه عدة ، فمانيها واضحة تدل على أن الشاعر عالم بما



يقول ، متمكنا مما يصور ، فالشاعر الذى يعيش فى البادية هو الذى تبهره صورة الذئب ، يعوى من الجوع ، ويصيح من التره ، فأتعشى هنيئة على عوائه وصياحه ، حتى تجاوبه ذئاب أخرى هى أيضا غرنى جياع ، فأى جمال أبدع من قوله ؟

غدا طاولا يعارض الريح هافيا      يخوت بأذئاب الشهاب ويمل  
فلا لواه القوت من حيث أمه      دعا فأجابته ————— نظائر نحل

ثم من هذا الذى يستطيع وصف الذئاب ذلك الوصف الدقيق لإلرجل عاش فى التنايف وعاشر الأطالس ، ولاحظ أعضاء جسمها عن قرب ، فأعجب بها ، أو غر منها ؟ وأى دقة وصف تلوحته ، إذ يقول ؟

مهلهلة ، شيب الوجوه ، كأنها      قداح بكفى يامر تنقلقل  
أو الخشرم للبعث شعث دبره      محايض أرداهن مام معسل  
مهتره فوه كأن شـدوتها      شقوق المصى ، كالحات وبسل

هذه بعض معانى هذا الشاعر أفاضتها عليه حياته البدوية فأجاد عرضها ، وأبدع فى تصويرها ، فأى عرض أجود من عرضه ، وأى تصوير أبدع من تصويره إذ يقول ؟

فضج وضجت بالبراح كأنها      وإياه نوح فوق علباء نكل  
وأغضى وأغضت ، وانسى وانت به      صراميل عزاه وعزته مرمل  
شكا وشكت ، ثم ارعوى بدوارعوت      ولصبر إن لم ينفع الشكو أجمل  
وفاء وفاءت بادرات ، وكلها      على نكظ مما يكاتم بمجمل

إن الأسلوب لينعز أقوى الأساليب الجاهلية ، وقد كساه جمالا ذلك التنسيق والتتابع ، فضج وضجت ، وأغضى وأغضت ، وانسى وانت ... الخ .

لقد نالت القصيدة التى منها هذه الأبيات غاية الأدياء فى القديم والحديث ، فى الشرق والغرب ، وهى جديرة بتلك العناية ، وأجدرها بها تلك الأبيات التى لم يعرف الشر العربى لها نظيرا فى وصف الذئاب ، وقد روى عن الرسول الكريم أنه خاطب أصحابه بقوله : « علموا أولادكم لامية الرب ، فإنها تلههم مكارم الأخلاق » .

٨ - وقال للرقش الأكبر : يصف ذئبا نزل به فأطمعه :

ولما أضانا النارَ عند شواننا      عرانا عليها أطلسُ اللونِ يابسُ<sup>(١)</sup>  
 نبذتُ إليه حَزَّةً مِنْ شِواننا      حَياهُ، وما غَشَى عَلَى مَنْ أَجَالِسُ<sup>(٢)</sup>  
 ٤٣٥ : فَأَضَّ بِهَا جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ      كما آبَ بِالْتَهَبِ الْكَمِيِّ الْمُحَالِسِ<sup>(٣)</sup>

تحليل المزيات :

أوقدنا نارا ، وأرسلنا ألسنتها تطاول السماء ، وتنسأى إلى الجوزاء ، وتدعو الجلياع  
 الترنى ، والسابعة الحماص ، ليشاركونا في شواننا ، ويقاسمونا زادنا ، فنزل بنا ضيف أطلس  
 اللون ، بألس الحمال ، خيمص البطن ، فرق له قلبي ، وإن يكن هو غليظ القلب ، ورثت  
 لبؤسه نفسى ، وإن يكن هو خبيث النفس ، فرميت إليه بقطعة من الشواء حياه أن يقال :  
 بخل عن حيوان جائع ، وإن يكن ذلك الحيوان ذئبا ، وخشية أن يتحدث الناس عنى أى  
 ضنت على طارق ، وإن يكن ذلك الطارق من ضواري الوحوش .

لست بالبذئء على الجليس ، وإن لم يكن لى بالأنيس . فرجع بهذه الحزة جذلان  
 فرحا ، ينفض رأسه من القرح ، ويهزه من النبطة ، مثله في غيظته وسروره كمثل الكمي  
 المقاتل لا يترك الميدان ؛ حتى يقضى على خصمه ، ويعود بالنق الكثير .

انظر :

هى آيات تصور كرم العربي ، وأنه في سبيل حسن الأحذوة ، وجليل السيرة ،  
 لا يفرق في إهداء مروفه بين الإنسان والحيوان .

ولا أرى فيها من الجمال القنى ما يهبر الناظر إلا في تصويره لجذله ، فإن ذلك التصوير  
 يوحى بأن الشاعر من كآلة الحرب ، وأحلاس الجياد .

\* ترجمته الشاعر : هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة البكري ، والرقش لقبه ،  
 وهو عم الرقش الأصغر ، ولكن الأصغر أشعر منه ، وهو مع ذلك شاعر خف مجيد  
 في غزله وحماته ، توفي حوالي سنة ٥٥٢ م .

التفسير اللغوي : (١) أضانا النار : أوقدناها . عرانا : نزل بنا . أطلس اللون :  
 أغبر ، والطلس : التبرة إلى سواد . (٢) نبذت له : رميت إليه . الحزة : القطعة . غشى :  
 عصى وبذأ . (٣) فأض : فصار . جذلان : فرحان . ينفض رأسه : يهزه مظهرا جذله  
 آب : رجع . الكمي : القارس في كامل عدته . المحاليس : الشديد القنى لا يبرح مكانه في الميدان

٩ - وقال النابغة • يصف أثر سم الحية ، ويصف خبيثها :

فَبْتُ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِّنَ الرِّقَشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ (١)  
يُسَهِّدُ مِّنْ لَّيْسَ التَّمَّ سَلِيمُهَا لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعٌ (٢)  
٤٣٨ : تَنَادَرَهَا الرَّاغُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجِعُ

### تحليل الأبيات :

يصف النابغة ما نزل به من هم وأسى، حينما علم مانوعده به أبو قابوس، وما أذره إياه ؛ إذ بات ليله الأطول مسهداً كأنما لدغته أفعى دقيقة الجسم، رقشاء اللون، السم الزعاف في أنيابها. يسهر الليل الأطول ، ليل التمام ملدوغها ، لا يتقابل جفناه ، ولا تعرف طريق النوم عيناه ، قد جعل الحلى والخلخال في يديه ، دأمة الجرس ، مستمرة الصوت ؛ حتى لا ينام لدينها ، فيسرى السم في أجزاء جسمه ، ويدب الموت في مفاصله .

يخاف الرقاة منها ، ويتنادرون عقباها ؛ إذ ليست لهم بمطواعة دائماً ، فحينما تحجبهم ، وحينما تهميهم ، وطوراً تطلق الراقي ، فليس له بها شأن ، وطوراً تراجعهم ، فتذعن لأمره .

### التقر :

أجاد النابغة تصوير حال الرجل للهدد ، ينذره من يقدر على ضره ، كما أجاد في تصوير حال السليم عند العرب ، وفي رسم تطييبهم سليمهم ، فهم يلبسونه الحلى ويحكونها ؛ لسمع جرسها فلا يئلب عليه النوم ، فيدب السم في جسمه ، وتنادر الرقاة إياها ، ينبئ أنها رقشاء قاتل. أما الأسلوب ؛ فيبدو جماله في انساق ألفاظه ، وانتظام حروفه ، وملاءمة بعضها لبعض ؛ فالسين في البيت الثاني يشر تكرارها بوسوسة الحلى ، وجرسها ، على أن السين أكثر من سواء في البيتين الآخرين ، وجعل خبر بات الجملة الاسمية التشبيهية قوى المعنى وجملة .

ترجمته الشاعر : انظر الترجمة في وصف الأوابد ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) ساورتني : وائتني ، أو وثبت على . ضئيلة : رقيقة الجسم . الرقش : جمع رقشاء . وهي الحية فيها نقط سود ويض . النافع : البالغ القاتل . (٢) يسهد : يمنح من النوم . ليل التمام : أطول ليالي الشتاء ، والتمام مثلث التاء والفتح أكثرها . السليم : اللسوع ، وسمى كذلك تفاؤلاً بسلامته . القعاقع . الأصوات مفردة قسعة .

١٠ - وقال عنتر بن عمرو بن شداد العبسي \* يصف الثعبان الأسود :

أُتْرَجُو حَيَاةً يَأْتِي بِشَرِّ بْنِ مِسْهَرٍ      وقد عَلِقَتْ رِجْلَاكَ فِي نَابِ أَسْوَدَاً<sup>(١)</sup>  
أَصَمَّ جِبَالِي إِذَا عَضَّ عَضَّةً      تَزَايَلَتْ عَنْهُ جِلْدُهُ قَبْدَدَاً<sup>(٢)</sup>  
يَسْلَعُ صَفَاً لَمْ يَبْقُ لِلشَّمْسِ بَدْوَةٌ      إِذَا مَارَاةً صَاحِبُ الْيَمِّ أُرْعَدَاً<sup>(٣)</sup>  
لَهُ رِبْقَةٌ فِي نَفْقِهِ مِنْ قَيْصِهِ      وَسَاثِرُهُ عَنْ مَقْنَعِهِ قَدْ تَقَدَّدَاً<sup>(٤)</sup>  
رَقُودٌ تُحْيِيهِ نَابٌ كَأَنَّ لِسَانَهُ      إِذَا سَمِعَ الْأَجْرَاسَ وَكَحَالُ أَرْمَدَاً<sup>(٥)</sup>  
٤٤٤ : يُفِيْتُ النَّفُوسَ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الرِّقَى      وَإِنْ أَبْرَقَ الْحَاوِي عَلَيْهِ وَأُرْعَدَاً<sup>(٦)</sup>

\* ترجمه الشاعر انظرها في وصف الفرس ص ١٢٢ .

التفسير اللغوي : (١) ابن بشر بن مسهر : لم تقع له على ترجمة . وهو كما يبدو أحد أعداء عنتر . علقت رجلاك : قيدت . أسود : يقصد نفسه . فهو يصف نفسه بـ ثعبان أسود . (٢) أصم : لا يسمع ، وهو وصف للذكر من الحيات غالباً . جبالى : نسبة فجبل . ورواه اللسان أصم قطارى ، والقطارى : النخع . زيل : تساقط . قبدد : فترق ، ورواية اللسان « تزبل أعلى جلده فتريدا » (٣) السبع : بالكسر : الشق في الجبل الصفا : جمع صفاة : الحجارة الصلبة . صاحب اليم : الرافى . اليم : الحية كما ورد في لسان العرب . أرعد : أصاب الرعدة . (٤) الريقة : بالكسر الجبل . قيصه : بمعنى به جلده التسلخ عنه . ساثره : جميعه أو باقيه . منته : ظهره . تقدد : تفرق أو جف . ويسى : (٥) رقود ضحايا : كثير الرقاد في الضحا . الأجراس : جمع جرس إذا فتحت الهمة الأصوات ، وبكسر الهمزة التصويت . للكحال : ما يكتحل به ، وهو طبعا أسود من أثر الكحل . الأرمد . للنوجوع العين . ومن طريف ما جاء في وصف لسان الحية بالسواد قول الآخر :

كَأَنَّما لِسَانُهُ عَلَى قَيْصِهِ      دَخَانٌ مَصْبَاحٌ ذَكَتْ ذَوَاكِيهِ

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت » .

(٦) يفيت النفوس : يحياها فجأة . تقع الرقى : تحدث الرقى التي ترقى بها جروحه . أبرق الحاوى وأرعد : تهدد وتوعد بما يتلو من المزامير .

### تحليل الأبيات :

يهدد عنقرة أحد أعدائه بأن حياته صارت مما يرجى ، وأن بقائه عاد مما يمتنى ، ولكن هل يجاب الرجاء ، وتحقق الأمانى ؟ أنحقق الأمانى وقد اتصلت رجلاك بنباب ثيبان أسود ؟ إنه لن يستمع إلى ندائك ، ولن يلبي دعائك .

والشاعر يقصد بذلك الأسود نفسه ، ثم انصرف إلى وصف الثيبان شأن غيره من الشعراء ، فإذا في أذنيه وقر ، وفي مسميه صمم ، وإذا هو أسود جبيل ، استمد من الجبل غلظته ، وأخذ عنه خشونة طبعه ، وإن يكن ناعم اللبس ، إذا عض مساورة عضه تساقط عنه جلده ، وتبدد منه لحمه ، يعيش ذلك الأسود في سواع الجبال ، وشقوق الصفا ، ينام نهاره ، ويصحو ليله ، فلا يبدو للشمس إلا قليلا ، فإذا مارآه الحواوى صديق الحيات ارتعد جسمه ، واصطكت أسنانه ، لأنه لم يرمن قبله مثله ، ولا عرف له نظيرا ، فيملا قلبه الخوف ، ويستولى على فؤاده الرعب ، وإن كان هو الذى يخيف الأعاصى ، ويرعب الأسود .

هذا الثيبان مطوق المنق ، فكأن له في عنقه حبلا صنع من جلده التسليخ عنه ، وثوبه الأبيض الذى يخلطه بين الحين والحين ، لقد خلع سائر هذا الثوب عن ظهره ، ولم يبق منه إلا ما تعلق به عنقه ، وهو كثير الرقاد في الضحا إذ تسطع عليه أشعة الشمس فتسرى الحرارة في جسمه ، وتذب الحياة المتدفقة بالسّم في أجزائه ، فإذا أيقظه جرس ، أو نبهه صوت أخرج لسانه الأسود الذى يشبه في شدة حليكه مكحّال الأرمد ، الذى لا ينتأ يذّر به الكحل على عينه الرمضاء .

يقضى على النفوس ، ويقبض الأرواح في مثل سرعة البرق ، أو ومضة الطرف ، قبل أن يبلغ الرّاق برقيته غايته من الشفاء ، وقبل أن يبذل الطيب لسليمه الدواء ، وسيان عنده بسدئذ أن يبرق الحواوى ويرعد ، وأن يتهدد ويوعد ، قد قضى لباته ، وبلغ غايته .

### الفقر :

لبست الأبيات من الناحية الفنية في قوة شعر عنقرة ، حينما يصف الخليل أو الحرب ،  
فهي أولا غير مترابطة الأجزاء ، إذا تجاوزنا البيت الثاني ، فالشطر الأول من البيت الثالث  
لانتساب بينه وبين الشعر الآخر ، فالشطر الأول يذكر فيه أن وطن ذلك الثعبان سلع صفا  
ولم يبد للشمس في حين أن الشطر الآخر « إذا مارآه صاحب اليم أرعدا » والعلاقة بين  
الشطرين معدومة أو تكاد ، وهذا نفسه يقال عن البيت الخامس .

أما الأسلوب فستقيم واضح ، وإذا كان فيه جمال فإنه يستمد من البيت الثاني والرابع  
والسادس ، فالبيت الثاني استخدم في الشرط إذا المقيدة لليقين ، أى أنه يتبدد جلد من يلدغه  
إذا لدغ دون أن يرجى لللدوغ شفاء ، أو ينتظر له دواء ، وقد مهد لهذا الشرط بالوصف  
« أصم جبالى » .

وجمال البيت الرابع في وصف الثوب المنسلخ عن جلد الثعبان ، وأنه يتفرق عن سائر  
ما عدا عنقه ، وهي ملاحظة لا يتنبه إليها إلا أبناء التنايف والمقاروف .

وجمال البيت الأخير في قوله : يغيت النفوس فهو تعبير بليغ بإيجازه ؛ وفي استخدام  
إن الشرطية التي تنيد الشك فقد لا يبرق الخاوى ولا يرعد خشية أن تكون عاقبة الإبراق  
والإرعاد الثورة والمصيان ، وكذلك في ذلك الطباق الوهمي بين أبرق وأرعد .  
وعلى أى فنكرة أقدر من يصف الأسود ، فله من صفاتها حظ أى حظ .

١١ - وقال عروة بن الورد العبسي • يصف الأسد :

تَبَنَّى الأَسَداءَ إِمَّا إِلَى دَمٍ  
وإِمَّا عُرَاضُ السَّاعِدَيْنِ مُصَدِّرًا<sup>(١)</sup>  
يَظْلُ الأَباءُ ساقِطًا فـُوقَ مَنَئِيهِ  
لَهُ المَدْوَةُ الأولى إِذَا القِرْنُ أَصْحَرَا<sup>(٢)</sup>  
كُنَّ خَوَاتِ الرِّغْدِ رِزْهَ زَنْجِيهِ  
مِنَ اللَّاءِ يَسْكُنُ القَرِينَ بِمَسْرَا<sup>(٣)</sup>

: ٤٤٧

• ترجمه الشاعر : هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم العبسي ، شاعر خلج ، وفارس صنديد ، وصعلوك معدود ، وجواد معروف ، كان يلقب بعروة الصماليك لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، وقيل لقب بهذا اللقب لقوله :  
على الله صعلوكا إذا جن إليه مصافي للشاش آلفا كل مجزر  
قال عبد الملك بن مروان في حديث عنه : « ما سرني أن أحد العرب ممن ولدني لم يلدني إلا عروة بن الورد » .

التفسير اللغوي : (١) تبَنَّى الأَسَداءَ : تبني كابتنى : طلب وتنى . إما إلى دم : إما إلى قوم أصبتهم بدم . فلهم عنى ثار . عراض الساعدين : عريض الساعدين ، وهي كناية عن موصوف هو الأسد . الصدر : من نموت الأسد المريض الصدر .  
(٢) الأَباءُ : القصب واحده أباءة . اللتن : الظهر . المدوة الأولى : الوبة الأولى . القرن : التنظير . أصحرا : خرج إلى الصحراء للبارزة .  
(٣) الخَوَاتِ : الصوت والدوى . الرزه : بضم الزاء وكسرها : للصبيبة . العرين : بيت الأسد في الأجمة . عثر : مأسدة قبل تبالة .

### تحليل الأبيات .

نمى أعدائى أن يثار منى سوام ، وأن ينزل بى الحين من غيرم ؛ لأنهم أضعف من أن يدركوا منى ثارا ، أو ينالوا منى مرة ، فإن لم يبلغوا هذه الأمنية فأمنيتهم الأخرى أن يلقانى أسد غضنفر عريض الساعدين ، منبسط الصدر ، يسكن أجرة كثيفة الأشجار ، يغطى متنه قصبها ، ويستر ظهره أبأؤها ، فلا تتحرز منه فائلة ، ولا تعترس من ضكة جماعة ، فإذا برز منها إلى الصحراء كانت له الوثبة الأولى على عدوه فيدعه مجذلا .

هذا الأسد دوى صوته كدوى الرعد ، أو أن الرعد من زثيره ، وخواته رزه يصاب به سامعه ، فهو يكاد يصم الأذان ، وهو يسكن مأسدة عثر التى عرفت أسودها بالمرامة ، وشهرت بالشراسة والفظافة .

### النقر :

البيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة جميل بإشاراته ، رائع بكتناياته ، إذ أشار الشاعر إلى أن أعداءه لا يتطاولون إلى سمائه ، ولا يتسامون إلى مصاولته ومعاداته ، فناية قوتهم أن يمتنوا أن يخلصهم الله منه بأعداء يقتلونه بعد أن قتل منهم ، أو بأسد قوى غشوم يستطيع أن يصصره ، فالبيت يجمع بين القهر والهجاء والوصف ، وتلك قدرة أى قدرة ، والإيجاز لم يبعث فيه غموضا ، فالقرائن للوحية بالمعنى بارزة واضحة .

وكذلك البيت الثانى جميل ، وإن لم يبلغ جمال البيت الأول ، فقد وصف خلق الأسد وأنه يمكن حتى يتمكن ، وحينئذ يثب وثبته فتكون القاضية ، والبيت الأخير أقل الأبيات جمالا ، فوصف صوته أنه كالرعد منى تنقصه الطرافة ، وكذلك نسبته إلى مأسدة عثر ، وإن يكن أوحى بهذه النسبة إلى أنه ضيف جبار ، فإن القارى قد يحمله الهم إلى أن الشاعر اختار هذه للمأسدة بالذات لتستقيم له القافية بحسب .



١٢ — وقال النابغة يصف الحية أيضا :

صِلْ صَتًا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقِعْصَرِ طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ<sup>(١)</sup>  
دَاهِيَةٌ قَدْ صَفَرَتْ مِنَ الْكِبَرِ كَأَنَّمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا التِّكْرُ<sup>(٢)</sup>  
٤٥٠ : مَهْرُوتُهُ الشَّدَقِينَ حَوْلَهُ النَّظَرُ تَفَتَّرَ عَنْ عُوجِ جَدَادٍ كَأَلَا تَرُ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات :

وحية خبيثة عاتية تتخذ من الصخر الصلب لونا لها ؛ حتى لا يقينها الراى ،  
ولا تنطوى على نفسها ؛ لقصر جسمها ، تطيل الإطراق ، وتتمن في التهويم دون أن يكون  
إطرافها لحيا ، أو طائفة رأسها لجلجل ، وإنما هو لاهتيال الفرصة ، والاستعداد للعدوة .

وهي داهية دهياء ، ومصيبة تكراء قد طال أجلها ، فظلم خبيثها ، وإن صفر جسمها ،  
حتى لكان كثرة الفكر هي سبب سقمها ، وأصل ضآلتها ، ولم لا ؟ أليست تفكر  
في العدوان ، وتنطوى على القدر والخيانة ؟

وهي واسعة الشدقين حولاء العينين ، تفتح شدقها الأهرتين عن أسنان عوج حداد  
كانها الإبر .

النقر :

أجاد النابغة وصف الحية حتى إنها لتخيف دون أن ترى ، فالصورة التي رسمها لها  
صورة تكراء ، وكذلك أبدع في وصف خلقها فهي خبيثة داهية « طويلة الإطراق من  
غير خفر » .

وأسلوب النابغة هو أسلوبه الجميل الرائع ، المذهب السائق ؛ فالحية : « لا تنطوى من  
القصر » وهي « طويلة الإطراق » وهي « قد صفرت من الكبر » .

\* ترجمم الشاعر : انظر ترجمته في وصف الأوابد ص ١٥٤

التفسير اللغوي : (١) الصل : الحبة الحبيثة جدًّا ، السفا : الحجر الصلب مفردة صفة .  
الإطراق : إرخاء العينين إلى الأرض . الحفر : الحياء . (٢) داهية : مصيبة . ذهب  
بها الفكر : كناية عن صفة هي السقم . (٣) مهروثة الشدقين : واسعة الشدقين .  
تفتّر : تكشف . جداد : الجداد بالفتح والكسر صرام النخل .

## نظرة في شعر الطبيعة الحية عند العرب

عرضنا فيما تقدم صوراً متنوعة لوصف الطبيعة الحية في الشعر العربي ، وقد تناولت هذه الصور أكثر ما خص الله به اليتة العربية من حيوان ، سواء في ذلك الآنس منها والمستوحش ، وإذا كنا قد تركنا من حيوان الجزيرة العربية بعضه ، فليس ذلك لأن الشعراء أهملوه ، وإنما لأننا لم نقصد استقصاء ما قالوه ، ولوقصدناه لبلغ الأمر منا حد الإطالة ، ثم إن بعض ما تناولوه بالوصف عبوه عبراً ، فلم يتجاوزوا فيه البيت أو البيتين أو الثلاثة ، وقد رمينا في هذا الكتاب إلى عرض نماذج كاملة وصور تامة ، إلى أن بعض هذا القى تركناه ليس بنى أثر عظيم في حياتهم ، فاستمددنا قلة عنايتنا به من ضالة استنالم له ، فلم نذكر من الأوانس غير الناقة والفرس والكلاب ، وإن كنا قد ذكرنا المر قد جاء ذكره عرضاً لاحداً ، وذلك لأن المر ليس له عندهم من نفع ، وإذا كان فهو قليل لا يؤبه له ، وإذا كان بينهم من وصف غير الناقة والفرس في بيت أو بيتين ، وذلك كقول اسرى القيس يصف المر :

إذا ما لم تكن إبل فعزى كأن قرون جئها العمى  
٤٥٢ : فضلاً بيتنا أقطا وصمنا وحسبك من غنى شبع وري

ولكننا ذكرنا من الأوابد أكثر ما في بلاد العرب ؛ وذلك لأن الشعراء أكثروا القول في وصفها ، حسيًا وعاطفيًا وإن لم يرض قولنا هذا زعماء الأدب في هذا العصر ، وإلا فإذا نسر وصف مقيم بن نورية حزنه حين يشبهه بوجد الأظفار الروام في قوله :

وما وجد أظفار ثلاث روائم أصبن مجراً من حوار ومصرعا  
يذكرن ذا البت الحزين يثته إذا حنت الأولى سجعن لها مقما  
إذا شارف منهن قامت فوجت حيننا فأبكي شجوها البرك أجمما  
٤٥٦ : بأوجد من يوم قام لمالك منادٍ بصير بالفراق فأممما

أليس هذا الشعر من أروع ما يمكن أن يكون عليه الوصف الماعظي ؟ وإن كان هذا الضرب من الوصف قليلا نادرا .

وتركنا القليل من حيوان الصحارى وأوابدها ؛ إما لأن الشراء لم يعمروه اهتماما ، وإما لأننا لم نجد فيه الروعة التي تحملنا على اختياره وتحليله ونقده ، وإما لتبر هذا وذلك ، لأننا رأينا من أوصافه ما يمكن أن يندرج تحت غيره ، أو لأننا وجدنا القدر الذي قيل لا يحتمل التحليل ، فلم نغف عند الضبعة لفضالة شأنها عندهم ، وإن كانوا قد وصفوها ، من هذا قول متم بن نويرة حين تذكر أنه سيموت ، وأن الضبع ستأكله دون أن يدفع عنه سيفه :

يا مَهْفَ مِنْ عَرَفَاءَ ذَاتِ فَلَيْفٍ      جَاءَتْ إِلَى عَلَى ثَلَاثَ مَخْمَعٍ  
غَلَّتْ تَرَاوِدُنِي وَتَنْظُرُ حَوْلَهَا      وَرُبَيْهَا رَمَقٌ وَأَنْثَى مُطْمِعُ  
وَتَنْظُلُ تَنْشِطُنِي وَتَنْلِجُ أَجْرِيَا      وَسَطَ الْعَرِينِ وَلَيْسَ حَى يَدْفَعُ  
٤٦٠ : لَوْ كَانَ سَجْفَى بِالْجَيْنِ ضَرْبُهَا      عَى ، وَلَمْ أَوْكُلْ وَجَبْنِي الْأَضْعُ

ومن هذا الذي لم نذكر أوصافه لأن غيره من فصائله يفي عنه الوصل ، وقد أجاد وصفه في قصيدة رثاء المرقش الأكبر فقال :

لَوْ كَانَ حَتَّى نَاجِيًا لَنَجَا      مِنْ يَوْمِهِ الْمَزَلُّ الْأَعْصَمُ  
فِي بَاذَخَاتٍ مِنْ عِمَاةٍ أَوْ      يَرْفُهُ دُونَ السَّمَاءِ خَيْمُ  
مِنْ دُونِهِ بَيْضُ الْأَنْوُقِ وَفَوْ      قَهُ طَوِيلُ النَّسِكَيْنِ أَثَمُ  
٤٦٤ : بِرَقَاهُ حَيْثُ شَاءَ مِنْهُ وَإِذْ      مَا تَنَسَّاهُ مَنِيَّةً يَهْرَمُ

وسنورد بعد أن نعرض صوراً للطبيعة الساكنة صوراً للطبيعة المختلطة الجامعة بين المتحركة والساكنة ، لتكون قد بلغت غاية ما نبغى من كمال لهذا الفن .

ولعل من الخير لنا أن نبدى ملاحظات عن الصور الكثيرة التي عرضناها للطبيعة الحية ، نلّم بها إلهاً لتكون مفتاحاً لمفاتيح هذا الفن ، فيمبره من شاء أن يتبسط فيه :  
١ - أكثر الصور التي أوردتها الشعراء الجاهليون صور حسية خالصة ، والقليل منها عاطفي متصل بالحي ، وتعليل ذلك عندي هو أن كثرتهم كانت تعتمد على حواسهم أكثر مما تعتمد على إحساسهم الباطني ، وشعورهم الداخلي ، إلا في الزناء فالساطعة فيه متحركة .

٢ - أغلب هذه الصور واضح التصوير ، كامل التكوين ، وإذا وجدنا في خلال قراءتنا صوراً غير واضحة أو غير كاملة حكمنا بأن رغبتهم في الإيجاز ، وشغفهم بالإكثر من الصور والمعاني هي سبب ذلك الغموض أو القصور .

٣ - كل شعرهم خال من التكلف ، فهو فطري كطبيعتهم ، صادق كفطرتهم ، بعيد عن التلوّن واللبالفة إلا قليلاً ، ومن أولئك الذين كانوا يمدّون إلى اللبالفة المحدودة النابضة ، وقد ذكرنا ذلك عنه عند تحليلنا شعره .

٤ - كانوا يرسلون أنفسهم على سجيته فلا يرمون في أوصافهم ترتيباً ، وإعماجياً . كما يند على خواطرهم ، فقد يبدون بالتناه ، ويتركون الجليل الشأن ، وقد ينظرون إلى الذنب ويتركون الرأس ، لأن ذاك ورد على خواطرهم دون الآخر ، أو لأن له في نفس أحدهم شأناً أقوى من شأن ذلك الذي أخره أو أهمله ، وعليك أن تنظر وصف طرفة لناقته لتؤمن بهذا الرأي ، فمع أنه لم يترك من دقائق أعضائها شيئاً قد أهمل وصف ستائها ، مع أن السنام من أعظم أجزاء الناقه نفعا وقيمة .

٥ - تكاد معانيهم تتفق فيما يعرضون له ، وإن اختلفت الصور ، وذلك لأنهم - كما قلنا - يمتدّون على الخواص أعظم الاعتدال ، فإذا قال الشنفرى في وصف أشدائي الذئاب :

مُهْرَبَةٌ فَوْهٌ ، كَأَنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ الْمِصْبَى كَالْحَاتِّ وَبُسْلُ

قال علقمة بن عبدة الفحل :

فَوْهٌ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَبَا تَبَيْتَةَ أَسْكَ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومِ

وإذا قال النابغة الذبياني :

سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ تُرْجَى الشَّمْلُ عَلَيْهِ جَائِدَ الْبَرْدِ  
قال لبيد بن ربيعة :

بَاتَتْ وَأَسْبَلَتْ وَكَافَتْ مِنْ دِيمَةٍ يُرَى انْتِظَارُهَا دَائِمًا تَسْجَاهُهَا  
وما قدمناه من ذلك التشابه ينشئ عن عديد الأمثلة .

٦ — لبيتهم عليهم أعظم الفضل إذ استمدوا منها جميع صورهم وتشبيهاتهم ، وقد  
قدمنا الكثير من هذه الأنواع ، أليس صفاء سماتهم ، ورقابتهم نجومها وكواكبها هو الذي  
أوحى إلى أبي ذؤيب الهذلي قوله ؟

فَوَرَدَنَ وَالْمَيُوقُ مُقْعَدُ رَأْيِ الضُّ ضُرْبَاهُ خَلْفَ النَّجْمِ لَا يَنْتَقِلُ  
وَأليس طبيعة بلادهم ، وما فيها من نجاد ووهاد ، وصخور ورمال ، وجذب وخصب  
هي التي هيأت لاسرى القيس أن يقول ؟

يَلُودُ بِالصَّخْرِ مِنْهَا بَعْدَ مَا فَتَرَتْ مِنْهَا وَمِنْهُ عَلَى الصَّخْرِ الشَّائِبُ  
ثم يقول :

يَطْلُ مُنْجَحِرًا مِنْهَا يَرِاقِبُهَا وَيَرْقُبُ اللَّيْلَ ، إِنَّ اللَّيْلَ مَحْبُوبُ  
وأن يقول زهير :

حَتَّى اسْتَفْتَأَتْ بِمَاءِ لَأَرْشَاءَ لَهُ مِنْ الْأَبَاطِحِ فِي حَافَاتِهِ الْبُرُكُ  
مُكَلَّلٍ بِأَصُولِ النَّجْمِ تَنْجِيئُهُ رَجْعُ خَرِيقٍ لَصَاحِي مَائِهِ حُبْلُكُ

٧ — كانوا حينما يصفون ينتقلون من التشبيه إلى التشبيه ثم يتصرفون إليه ، ولا يعودون  
إلى التشبيه ، وقد تقدمت لنا في هذا الأمثلة الكثيرة في الانتقال من وصف الناقة إلى وصف  
البقرة الوحشية ، ومن وصف الفرس إلى وصف الصيد والطرود أو العقاب أو سواها  
مما يشبهه الفرس في عدوه وشده .

٨ — كان وصفهم لأوانس الحيوان ، أطول من وصفهم لأوابده لإقناعهم إياه ، وعشرته

لهم ، ومقامه بينهم ، وعظم استفادتهم منه ، وكان نشتهم للناقة أحل من وصفهم للفرس ، وقد علمنا ذلك قبل بأنهم كانوا ينظرون إلى القيمة النفسية للحيوان ، ولأنهم نظروا إلى الجمال والحسن دون غيره لكان وصفهم للفرس أكثر .

على أنهم ليسوا جميعا كذلك ، فالشراء الفرسان احتفلوا بنمت القرس أى احتفال ، ونظروا إليه نظرة الحب يرى في كل حركة من مشوقه حسنا وجمالا .

٩ — للتشبيه عندهم اللزلة الأولى بين ضروب البيان ، وأكثر ما يستخدمون من أدواته « كأن » نعى أول ما ينظرون إليه عند إرادة التشبيه ، على أنهم لجأوا إلى المجاز والاستمارة حيناً ، وإلى الكناية الجميلة ، والإيماء العريض أحياناً ، فن الاستمارة قول الشنفرى :

فلما لواه القوتُ من حيث أمه دَعا ، فأجابته نطائرُ محل  
مهلهلة ، شيبُ الوجوه ، كأنها قداحُ بكفى ياسر تتقلقل  
ومنها قول عنقرة :

له رِبةٌ في عنقه من قيصره وسارره عن متته قد تنفذ  
ومن الكناية البليغة قول للرقش الأكبر :

نبذتُ إليه خِزةً من شوائنا حياء ، وما غشى على من أجالسُ  
فأض بها جذلان ينفضُ رأسه كما آب بالنهب الكى المحالسُ  
ومنها قول زهير :

أهوى لها أستمعُ الخدين مطرقُ ريش القوادم لم يُنصب له الشراك  
لا تئىء أجودُ منها وهى طيبة نسا بما سوف يُنجبها وتترك

١٠ — كانوا يؤثرون في هذا الفن بالذات الألفاظ الجزلة ، والكلمات الضخمة التى تستمد جزالتها من صخور صحاريهم ، وتنال ضخمتها من جلايد جبالهم ، فإذا انصرفوا عن هذا الفن إلى سواه رقت الألفاظ ، ولانت الكلمات ، فاستمع إلى هذه الأبيات من تصيدة النابغة يصف بها الناقة :

فصدّ عما ترى إذ لا الرجاء له      وأنهم القنود على عقيراته أجند  
مقدوفة بدخيس النحضي باز لها      له صريف صريف القنود بالصد  
كأن رحلي وقد زال النهار بنا      يوم الجليل على مستأنس وحيد  
من وحش وجرة موشى أكارعه      طوى المصير كيف الصيف القرد

فاذا ما انتقل إلى غير ذلك الفن رق وعذب ، قال :

فلك تُلغنى النمان إن له      فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد  
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه      ولا أحاشي من الأقوام من أحد  
إلا سليمان إذ قال الإله له :      قم في البرية فاخذدّها عن التدد  
٤٦٨ : وخيس الجنّ إلى قد أذنت لهم      يبنون تدمر بالشفق والعمد

١١ — كانوا يؤثرون مطالع القصائد وأوثلها بهذا الفن ، فهم إذا أرادوا النزول بدوا بوصف الأطلال ، ومنهم القليل الذى يمدو وصف الأطلال إلى التسيب ، وهذا قلما يطيل في نسيه ، وهاك للثال :

بانت سعاد فأمسى القاب معمودا      وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا  
كانها غريبة بكر أطاع لها      من حومل تلعت الجوى أو أودا  
قامت تربك غداة البرن منسداً      تحاله فوق متنها العناقيدا  
وبارداً طيباً عذبا مقبلة      محمياً بنته بالظلم مشهيدا  
٤٧٣ : وحرّ حرج تدى منابهما      أعلتها إلى حتى تقطع البيدا

١٢ — قلما تخلو قصيدة من الوصف بمناه الخالص أى وصف الطبيعة الحية أو الهامدة ، وقدمنا أجزاء من الوصف هي بعض قصائد الباعث عليها الرثاء ، وفي ذلك الدليل على عنايتهم به ، والحجة على احتفالهم له ، وأنه يكاد يبلغ ثلث شعرهم ، وقد قدمنا في الفصول ما يثبت ذلك .

١٣ — كانوا يسمون الأشياء بأسمائها مهما تكن تلك الأسماء مستهجنة مستقبحة ،

ولا يعدلون إلى السكناية لأنهم لا يعدون ذلك خروجاً على الآداب ، ولا مجافاة للأذواق السليمة ، وليس عليهم في ذلك عاب ، فإن الذى يحملنا الآن على السكناية والإيماء والإشارة عاملان : الدين الذى أدبنا بأدب القرآن ، وأخذنا بأسلوبه العفّ الرفع ، وللدنية التى علمتنا التحرز فى الأحوال دون التحفظ فى الأعمال .

وقد تجنبتنا عرض شعر فيه الصريح من هذه الألفاظ ، بل قد عدلنا عن نماذج بالغة الروعة تجنبتنا لهذه الصراحة المقيتة فى هذا العصر .

١٤ — قل الوزن القصير فى شعر العصر الجاهلى ، ولعل من أبرز الدوافع إلى اختيار البحور الطويلة من الوصف ، لتكون الصور التى يصورونها كاملة التكوين فى البيت ؛ إذ أنهم كانوا يكرهون التضمين ، ولا يعدون إليه إلا مضطرين ، ومطقة عبيد بن الأبرص - وهى من مخلع البسيط ، وبعضها مضطرب الوزن - على الرغم من روعة بعض صورها منطور فيها إلى تلازم بعض الصور لبعض ، وإن لم يكن ذلك تضميماً ، فانظر إلى قوله :

فَأَذَرَ كُتْلَهُ فطَرْحَتَهُ      وَالسَّيْدُ مِنْ تَحْتِهَا مَكْرُوبُ  
فَجَدَلَتْهُ فطَرْحَتُهُ      فَكَدَحَتْ وَجْهَهُ الْجُبُوبُ  
يَضَخُو وَيَحْلَبُهَا فِي دَفْعٍ      لَا بُدَّ حَيْرَانُهُ مَقْبُوبُ

١٥ — لم يلبثوا إلى الزخرفة اللفظية متمسدين . ولم يريدها متكلفين ، ولكن ذلك لا ينفي أنهم جعلوا أساليبهم بالطباق ، وبغير الطباق مثل قول امرئ القيس :

مِكْرٌ مِغْرٌ ، مُقْبِلٌ مُذِرٌ مَعَا      كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطْلَةٍ السَّيْلِ مِنْ عَلِيٍّ

ومثل قول الشنفرى :

مُهْرَةٌ قَوْهٌ ، كَأَنَّ شُدُوقَهَا      شَقُوقُ الْعِمَى كَالْحَاتٍ وَبُسْلُ

وقد لفتنا النظر إلى كثير من تفسياتهم التى تروى بحسنها ، وتحلب بفنها ؛ مثل :

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ ، وَأَتَسَّى وَأَتَسَّى بِعِ      مَرَامِئِلَ عَزَامَا ، وَعَزَّتُهُ مَرِئُلُ  
شَكَأَ وَشَكَتْ ، نَمَّازَعَوَى بَعْدَ وَازَعَوَتْ      وَلِلْعَبْرِ إِنْ لَمْ يَنْقَعِ الشُّكُورُ أَجَلُ  
وَفَاءٌ وَفَامَتْ ، بَادِرَاتٍ وَكُلُّهَا      عَلَى نَكَطٍ رِيَا يُكَاتِمُ مَجِيلُ

وبعد فهذه نظرة لنا بعدها نظرة أخرى فى نهاية الكتاب إن شاء الله .



## افصيل السلاسل

### الطبيعة الساكنة

الطبيعة الساكنة تنتظم جميع الأشياء التي يجري فيها ماء الحياة في السماء والأرض ،  
فتشمل أجرام السماء وأفلأكها ، ونجومها وكواكبها ، وسحبها وغيوتها ، ورعودها وبروقها ،  
كما تشمل صحارى الأرض ورياضها ، ووهادها ونجادها ، وجديها وخصبها ، وبحارها  
وأنهارها ، وكل ما يتكره عقول الطماء ، وتصنمه يد الإنسان .  
وإذن فإنها تنقسم إلى قسمين : الظواهر الطبيعية ، والآثار الإنسانية .

#### الطبيعة الساكنة عند العرب :

لم يول العرب الطبيعة الساكنة العناية التي أولوها الطبيعة المتحركة ، وليس ذلك  
معناه أنهم قصرُوا فيها أو صدوا عنها ، فإن لهم في تصويرها ونحتها ما يخلد به أدب أى أمة  
فى أى عصر ، ولكننا نقىس هذه بتلك فغيب .

كانت حياة العرب قائمة على الانتجاع والارتحال ، والتجمل والانتقال سعيًا وراء  
الكلأ ، وبجنا عن الماء الذى ينبت الكلأ ، فيقيمون حيث يحلون خيامهم ، وينصبون  
أنافبهم ، ويوقدون نيرانهم ، ويجمعون فتيانهم بفتياتهم ؛ إذ لم يكن هناك حجاب  
مضروب ، ولا شرك منصوب ؛ فالقلوب - فى أغلب أمرها - نقية ؛ والنفوس سامية عن  
الصنائر أنية ، فتشأ صلات ود وحب ، أكثره حب ضيف عفيف ، وبضه حب ماجن  
هازل ، ثم يكون عود إلى الأوطان بعد أن جف الزرع ، وامتلأ الضرع ، واشتد القيظ ،  
ورمضت الأرض ، فيذكر الشراء تلك الساعات السعيدة ، والذكرى تهيج لدى الهوى ،  
يذكرون ما كان بينهم من لقاء وفراق ، وقرب ونأى ، ثم يصفون الأماكن التى نزلوا بها ،

والديار التي رحلوا عنها ، والملاعب التي لعبوا فيها ، ويكون الأطلال التي خلفوها ، والآثار التي تركوها ، يصلون هذه الثموت بالنسب ، ويربطون الوصف بالتشبيب ، وقل أن نجد نسيبا ليس مسبوفا بوصف للأطلال ، ومشفوعا بوصف للظمان .

لذلك كان وصف الأطلال أم أوصاف الطبيعة الساكنة ، وأكثرها في شعرهم تناولا ، وقد يدفعهم الشوق إلى الحبيب ، والوله بالمشوق إلى وصف الليل وطوله ، والسهد وأثره ، والتنجيم ووقوعها ، والشهب وثباتها .

و إذن فإتانا نستطيع أن نحكم بأن النسب ، وهو من الأغراض الأولى في الشعر العربي كان أحد بواطن وصف الطبيعة الساكنة .

والعرب يعيشون على التيث ، فهو منبت كلثهم ، و باعث زروعهم ، وحياة زروعهم ، بل التيث حياة بلاد العرب ، إذ ليس فيها أنهار جارئة ، ولا عيون ترور ، فإذا مضى البرق ، أو قصف الرعد ، أو سقط التيث ، أو كسا السحاب السماء عباءته السوداء أدت بهم السعادة ، وواتاهم رغد العيش ، ففاضت قرآنح الشراء ، وجرت خواطرم بنمت هذه الظواهر ، فكان وصفهم لها أقوى من وصف مظاهر الأرض عدا الأطلال .

أما وصف الصحراء ، وما تشتمل عليه ، وما يظهر فيها فإنه يحىء تبعا لوصف الطبيعة الحية التي تسكن الصحارى ، وتعيش في التناوب ، فهم يصفونها حينما يرضون لوصف حيوانها ، فيصفون امتدادها ، أو رمالها ، أو سرابها ، وقد يصفون جوها : بردها وحرها في أبيات قليلة ، وممان محدودة .

ولأن بلاد العرب ليس فيها أنهار ولا بحار ، فوصف هذين القسمين من أقسام الطبيعة الساكنة ضئيل أو يكاد يكون معدوما إلا إذا جاء عارضا ، كوصف الليل بموج البحر ، أو كوصف نهر الترات في شعر النابغة ، وقد كان من الشعراء الرحالين ، أو النزيل في شعر الأعشى .

فإذا ما انتقلنا إلى وصف الآثار الإنسانية ألقيناهم أو ألقيناهم أكثرتهم أهل قصف ومجون ، ولمووعبت ، فرأينا المجرم ما عتوا به من وصف هذه الآثار ، يصفونها ، ويصفون

كثوسها ، ويصفون سقاتها ، وندمانها ، بل يصفون آثارها في شاريها ، ويولونها  
الحظ الكبير من العناية والتقدير .

والعرب شعب حربي أوقى أبنائه صلابة وجلدا ، وعرامة وعزما ، ومنحتهم بيئتهم  
شراسة ونخوة ، وحرية ومروءة ، فهم لا يقيمون على ضيم ، ولا يرضون بالمون ، فلا تهدأ  
سواكنهم ، ولا تخمد خواطرهم ، غروبهم مشتتة ، وغارات بعضهم على بعض متصلة ،  
وأيامهم متلاحقة ؛ وعدوانهم على جيرانهم مستمر ؛ فلا غرو أن يصفوا أسلحتهم ؛ وأن  
يتغنوا بعتادهم ؛ بل أن ينسبوا إلى أوطانها ؛ أو إلى صياقلتها ومتقنيها اعترازا بها ؛  
واختخارا بصنعها .

ولا غرو كذلك أن يصفوا الجيوش وكثتها ؛ والأبطال وأياها ؛ والحروب وآثارها ؛  
سيان في ذلك من يدعو إليها ؛ ومن ينفر منها .



## صور الطبيعة الساكنة

( ١ ) وصف الأطلال

قال امرؤ القيس \* في مطلع مملته :

فَمَا نَبَكْ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ      يَسْقُطُ الْوَيْ بَيْنَ الدُّخُولِ وَخَوْمِ (١)  
فَتَوْضِحَ فَالْقِرَاقِ لَمْ يَمُتْ رَسْمُهَا      لَنَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (٢)  
تَرَى بِمَرِّ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا      وَفِيمَانِهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فَلَقُلْ (٣)  
كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا      لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلُ (٤)  
وَتَوْفَا بِهَا تَحْيِي عَلَى مَطْلَبِهِمْ      يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَحْمَلُ (٥)  
٤٧٩ : وَإِنْ شِئْنَا فَنُغَيِّرْ مَهْرَاقَهُ      فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِهِ دَارِسٌ مِنْ مَعُولٍ ؟ (٦)

\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في وصف القوس ص ١٠٩ .

التفسير المفرد : (١) فَمَا : يخاطب رفيقه . ذِكْرَى : تذكر . سقط الوي : منقطع الرمل . الدخول وخومل : موضعان ، وكان الأصمى يروى البيت «الدخول وخومل» ويقول : لا يقال للال بين زيد فمرو ، إنما يقال بين زيد وممرو . (٢) توضح والقرعة : موضعان ، وهذه الواضع الأربعة ما بين إمرة إلى أسود العين وأسود العين جبل ، منازل كلاب . لم يموت رسمها : لم يمت أثرها . نسجت الريح : أسفت الريح ، الجنوب والشمال : رحمان متضادتان تهب الأولى من الجنوب ، وتهب الأخرى من الشمال . (٣) الأرام : جمع رمم ، وهو الظبي الأبيض الخالص اللياض ، والأرام مقلوب أرام . عرصات : ساحاتها مفردها عرصة . النيعان : جمع قاع وهي الأرض للتوبة لا بناء فيها . (٤) غداة البين : صبيحة الغد . يوم تحمّلوا : يوم ارتحلوا . لدى سمرات الحى : عند أشجار الطلع التي لأهل حى . ناقف حنظل : جاني حنظل ، والناقف هو الذي يستخرج الحب ، وناقف الحنظل تدفع عيناه لحرارة الحنظل . (٥) حى : جمع صاحب أحماني . مطهم : إلههم ، مفردها مطبة . أسى : حزنا . تحمل : تزين بالصبر . (٦) عبرة : دمة . مهراقة : مراقة مسالة . ومهراقة لفة بنى أسد يقولون بدل أراق هراق . رسم دارس : أثر زائل . من معول : من معتمد أو من اعتاد .

### تحليل الأبيات :

أيها الخليلان الوفيان : قفا فأسعداني بالبكاء ، من تذكر حبيب عزيز على ،  
ومنزلة كريم لدى ، لقد تذكرت حبيبا تساقينا معا أفواق الهوى ، ومنزلا تبادلتا فيه  
أسباب الهوى ، ذلك للنزل الكريم عند منقطع الرمل بين الدخول وحومل ، وتوضع  
ولقراءة تلك الدار لم ينجح أثرها ، ولم يصف رسمها لتسيج الرياح السافيات لحسب ، ولكنها  
انعمت لمز الدهور ، وعفت لسكر الأيام ، ترى في مكان تلك الدار ببر الظباء الصافية  
البياض يملأ مرصاتها ، كأنه في سواد لونه ، واستدارة شكله ، وصغر حجمه حب القفل .

كأنني صبيحة احتالم وغداة ارحالم عند شجر الطلح الذي يستبته أهل الحى أنف  
الحنظل ، وأستخرج منه حبه ، فتسيل مآقي ، وتجري عبراني ، لقد وقف أخلاي مطامهم  
على تلك الدار يشاركونني في أساى ، ويساونني عن وجدى ، قائلين : صبرا وجلدا ، وتحملا  
وتحملا ، لا يهلكك الأسى ، ولا يقض عليك الوجد ، وتحمل بالصبر وتحمل بالجلد .

إن دوائى مما ألقى من وجد دعة تراق ، وشفاى مما أجد من أسى عبرة تصب ،  
ومع ذلك فما جدوى البكاء على الرسوم ؟ وما فائدة إراقة الدموع على الأطلال ؟ .

الغمر :

عدّ النقاد هذه القصيدة أروع ما قال الجاهليون ، وعدوا مطلبها أروع المطالع في الشعر  
العربى ، وكانوا صادقين ، وقالوا عن امرئ القيس : « إنه وقف واستوقف ، وبكى  
واستبكى ، وذكر الحبيب والنزل في شطر واحد ، وهذا يميز جميع لغز الشعر ، وقد حدد  
الشاعر دار المحبوبة تحديدا جغرافيا دقيقا ؛ لأن قلبه معلق بها ، فكيف ينسى دارها ؟ .

ثم جاء تصويره لأرامها وبرها تصويرا صادقا لا مبالغة فيه ولا غموض ، وتصويره  
لساعة الرحيل إذ وقف لدى شجرات الطلح يفتح الدمع تصوير جميل ، وقد أخذ معنى  
البيت الأخير الشعراء بعده ، فقال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشقى شجى البلابل  
و بيت امرئ القيس أجمل من وجوه : تأكيد شفاء الدمع لنفس ، ونفى الملل على الرسم  
الدارس في حين أن ذا الرمة جعل انحدار الدمع مرجوا منه الراحة ، وهذا هو كل معناه .

٢ — وقال زهير بن أبي سلمى \* في مطلع معلقته :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الْقُرْبِاجِ فَلْتَتَلَمَّ<sup>(١)</sup>  
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِعُ وَشَمِّ فِي تَوَائِيرِ مِصْصَمِ<sup>(٢)</sup>  
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ تَجْنِجِ<sup>(٣)</sup>  
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَدَ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَا يَأْ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ<sup>(٤)</sup>  
أُنَافِي سَفَا فِي مَرَّسٍ مَرَّجَلٍ وَنُومًا كَيَذُمُ الْحَوْضُ لَمْ يَتَلَمَّ<sup>(٥)</sup>  
٤٨٥ : فَلَا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِيهَا أَلَا أَنْتُمْ صَبَاحًا لَيْسَ الرِّبْعُ وَالسَّمِ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمته الشاعر : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٨٨ .

التفسير اللغوي : (١) أم أوفى : زوج زهير طلقها ، وأراد مراجعتها فأبت ، فكان يذكرها في شعره . الدمنة : ما اسود من آثار الديار . لم تكلم : لم تتكلم ، وترد على من يخاطبها . الحومانة : الأرض الغليظة . القراج : موضعان بالعالية . (٢) بالرقنتين : بين الرقتين ، والرقتان إحداها قرب البصرة ، والأخرى قرب المدينة ، وهما متباعدتان . مراجع : أو مراجيع جمع مرجوع وهو المحدث . الوشم : الفرز بالإبر حتى يسيل الدم ، ثم يذر عليه الكحل ليسود . التواثر : جمع ناشرة عروق اللحم . وللمصم : موضع السوار من اليد . (٣) العين : جمع عينا ، وهي البقرة الوحشية الواسعة العينين . الأرام : الظباء الخالصة البيضاء : خلفة : متاجعة يخلف بعضها بعضا . الأطلاء : جمع طلاء وهو ولد الظبي . مجثم : مكان الجلوس . والجنوم : الثلج بالأرض . (٤) بها : بالدار أو بقصد بمكانها إذ هي قد زالت . حجة : سنة . فلأيا : لجهداً ومشقة . بعد نوم : بعد نرس وطول تأمل . (٥) أنافي : جمع أنفية ، والأنافي ثلاثة أحجار توضع عليها القدر ، ويقال : رماه الله بثلاثة الأنافي أي بداهية عظيمة كالجليل ، لأنهم كانوا إذا لم يجدوا أنفية جملوا الثلاثة الجبل يستندون عليه القدر . للعرس هنا : موضع للرجل ، والأصل مكان النزول ليلا . النوى : حاجز من تراب يرفع حول البيت لئلا يدخله الماء . الجندم : الأصل . لم يتلم : لم يتهدم . (٦) الربيع : مكان الإقامة في فصل الربيع ، ثم أطلق على كل منزل . انهم صباحا : طب صباحا ، ومثله هم صباحا وتقدير الماضي منه وهم يوم ولا ينطق به ، وكان دعاء للدوك ، وبخاصة الدعاء بالصباح ، لأن الفارات كانت تبدأ صباحا . اسم : من التكنيات والنوازل .

### تحليل الأبيات :

أمن دمن زوجي الغالية التي قلتني عن حب ، وهجرتني عن ودّ ووجد ، دمنة أسألهما  
فلا تحبيب سوى بمد طول الهدد ، وأناجيها فلا تبادلني النجوى مع حرقه البمد ؟ تلك  
الدمنة في حومانة هذين الموضمين .

كان لأم أوفى أكثر من دار ، فلها أخرى بين الرقتين : رقتي البصرة والمدينة ،  
قد انمحت أعلامها ، ودرست آياتها ، فصارت الرسوم والآثار بمد أن جرى عليها السيل  
والطر كالوشم المجدد في عروق المعصم ، بمد أن كانت تحمل هذه الدار الزوجة الغالية ، والحبيبة  
الغالية صارت مرتع البقر الوحشي الواسع السيون ، والآرام الخالصة البياض ، ينتقلن فيها  
من مكان إلى مكان ، ويتبع بعضها بعضاً من مناخ إلى مناخ ، وأطلاء هذه البقرات  
والظبيات ينهضن من مجامهن مرحات نشيطات . وقفت على تلك الدمن أنترّف موطن  
الحبيبة ، وأتبعن دار القاتنة التالية بمد فرقة طالت دون أن أنسى ذكرها ، إنها فرقة  
عشرين عاماً ، فبمد جهد ومشقة ، وطول نفرس وتأمل عرفت موقع الدار ، وموطن الأحباب .  
ماذا رأيت ؟ رأيت أثافي سودا ، قد اختلطت الحجرة بسوادها في مكان الرجل منها ،  
وتبيقت التؤى التي كان يحجز عنها الماء عندما يفيض السيل ، كأنه أصل الخوض لم ينهدم ،  
وإذا كانت هذه الأشياء هي التي دلتني على آثار الدار ، فقد أخذت أدعو لها بالتخير والسلام .

### النقر :

بدأ زهير قصيدته بذلك الاستنهام التحسري ، فكان قويا في مطلعه ، وإن ضاقت  
ألفاظ البيت عن معناه ، وفي بيته الثاني أشعرنا أن أم أوفى من ذوات الثراء والسراء ، فلها  
أكثر من دار تنقل بينها كلما أرادت النقلة ، وكذلك جاءت ألفاظ البيت أصيب من معناه ،  
وإن تسكن الصورة التي صور بها نمل الأمطار والسيول في ذلك المكان صورة واضحة ،  
دلت فيما دلت على أن عادة الوشم عادة بعيدة القدم ، وأوضح من هذه الصورة وأجل ،  
الصورة في البيت الثالث فهي صورة كاملة لا ينقصها من أسباب الحسن والجمال شيء ، أما  
الصورة في البيت الخامس فصورة غير دقيقة وإن حاول الشاعر أن يهب لها الدقة بذلك  
الاحتراس في آخر البيت ، ولم يفت الشاعر أن يدعو للدار بالتمنى ، وأن يتنى لها السلامة  
من الفترات والنكبات .

٣ — وقال لبيد بن ربيعة العامري \* في مطلع مملته :

عنت النِّيارُ تحلُّها فَنَقاشُها      يَمْنَى تَأَبَّدَ عَوَلُها فَرِجاشُها<sup>(١)</sup>  
فَدافعُ الرِّيانِ عَرْمَى رَسْمُها      خَلَقًا كَمَا صَيَّرَ الْوَحْيُ سَلَامُها<sup>(٢)</sup>  
دِمْنٌ تَجَرَّمُ بِمَسَدِ عَهْدِ أُنَيْسِها      حِجَجٌ خَلَوْنَ حِلَالُها وَحَرَامُها<sup>(٣)</sup>  
رُزْقَتِ مَرَايِجَ النُّجُومِ وَصَابِها      وَدَقُّ الرُّوَاعِدِ جُودُها فَرُهاشُها<sup>(٤)</sup>  
مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادِيٍّ مُدْجِنٍ      وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُها<sup>(٥)</sup>  
٤٩١ : فَلَأ فُرُوعَ الْأَيْهَتَانِ وَأَطْلَت      بِأَجْلَهَتَيْنِ ظِلْيَاوُها وَنَمَاشُها<sup>(٦)</sup>

\* تَرْجُمَةُ الشَّاهِرِ : انظر الترجمة في وصف الأوابد ص ١٤٦ .

- التفسير اللغوي : (١) عنت النيار : درست وزالت معالمها . المحل : للوضع يحل به القوم أياها ، ثم يرتعون . اللقام : ما طالت الإقامة به فهو ضد المحل . منى : موضع في ديار بني عامر . غولها فرجاشها : موضان . تأبد : توحش .
- (٢) مدافع : مجاري الماء جمع مدفع بفتح الميم . الريان : اسم جبل . الحلق : البالي . الوحي : الكتابة ، وجمعه بضم الواو . سلامها : حجاتها جمع سلة .
- (٣) دمن : جمع دمنة ما اسود من الآثار . تجرم : انقضى بتمامه . حجج : سنوات . خلون : مضين . حلالها وحرامها : أشهر الحل والحرم .
- (٤) مراييع النجوم : الأنواء الربيعة مفردة ربيع . الودق : اللطر . الجود : الفزير من اللطر . الزهام : اللطر اللين .
- (٥) السارية : السحابة للمطرة ليلا . النادي : السحاب للمطر غدوة . للدجن : السحاب للطبق ينطى آفاق السماء . الإرزام : الصوت ، ويقصد صوت الرعد .
- (٦) الأيهتان : نبت يطول عريض الورق أحمر الزهر يؤكل واحدته أيهقة ، أو هو الجرجير البري . أطلت صارت ذوات أطفال . الجلهتان : مثني الجلهة وهي جانب الوادي .



والعينُ ساكنةٌ على أطلالها عودًا تأجلُ بالقضاء بها<sup>(٧)</sup>  
 وجلا الشبول عن الطلول كأنها زبرُ تجددٍ متوتها أفلأ<sup>(٨)</sup>  
 أوزجِعُ واشمةٌ أسفٌ تنورها كيفًا ترض فوهمن وشامها<sup>(٩)</sup>  
 ٤٩٥ : فوقتُ أسألها ، وكيف سؤأنا صمما خوالده ما يبين كلامها؟<sup>(١٠)</sup>



- 
- (٧) العين : البقر الوحش الواسع العيون ، مفردا عيناه . الأطلال : أولاد البقر الوحش . العود : جمع عائد الحديثة التناج . تأجل : تصير آجلا جمع إجل ، وهو القطيع من بقر الوحش . البهام : جمع بهمة بفتح الباء وله الضأن ، وللقصود هنا وله البقرة الوحشية .  
 (٨) جلا : كشف . زبر : جمع زبور الكتاب . تجدد : التوتن : الظهور جمع متن .  
 (٩) الرجع : التردد . أسف تنورها : ذككها . الكفف : جمع كفة . ترض : ظهر .  
 الوشام : الوشم .  
 (١٠) الصم : الصلاب الواحد أصم . خوالده : بواق . الدارات .

### تحليل الآيات .

عفت ديار أحبابي ومجيت آثارها ، لافرق بين ديار يحل فيها للاستراحة والاستراحة ، ثم يرحل عنها ، وبين ديار يقام فيها ، ويطول السكن إليها ، تلك الديار بمعنى قد توحشت وتوحش ما يجاورها ، فتوحش غولها ورجامها ومجارى المياه في جبل الريان ، عرت رسمها السيول ، وكشفت آثارها الأمطار ، حتى أصبحت تلك الرسوم بالية ، وهذه الآثار خلقة ، وإن كان لا يزال للرسوم بقية ضئيلة تشبه الكتابة فوق الأحجار .

هذه الهمن السود انقضى عليها من يوم رحيل أهلها عنها حجب كثيرة ، وسنوات عدة ، اشتملت هذه وتلك على الأشهر الحلال والحرم ، وهذا تأكيد للمعنى ، إذ السنة الواحدة تشتمل عليها ، وقد رزق الله تلك الآثار من أنواء الربيع المطر التزير ، الذى يصحبه الرعد القاصف ، فأمرعت تلك الحلة وأعشبت ، وكيف لا تفرح وتمشج ، والأمطار تنسكب عليها بالليل والتهار ، فى المساء والصباح ، تتجاولب رعودها ، ويتسامع الناس قصفها ، فاستطال النبات ، وأطفلت الغطاء ، وباض النعام فأفرخت فى جانبي الوادى ، إذ خلا المكان من السكان ، فأمّن على أطفالهم وفراخهم ، والأبقار الوحشية ساكنة إلى أطلالها ترضعها ، إذ هى حديثة عهد بالتناج ، وأولادها تصبح قطعانا فى تلك القلاة التى أصبحت مرتع الأوباد بعد أن كانت مرتع الأوانس .

وكان من آثار هذه الأمطار التزيرة ، والسيول للنهمرة أن كشفت السيول عن تلك الطلول ، التى غطاها التراب ، حتى لكأنها كسب خفيت سطورها لطول عهد كتابتها ، فجاء كاتب جديدها بأقلامه ، أو كأن هذه السيول فى كشفها الآثار امرأة واشمه عمدت إلى وشم قد وهى أثره فى اليد ، وضمف ظهوره ، فأعادته بالنرز وبذر الكحل عليه ، فمادت داراته واضحة كما كانت .

وقفت أنقرس هذه الرسوم وأتأملها ، ثم أخذت أناجيها وأسائلها ، وكيف لى بمناجاة الصم الصلاب ؟ وكيف بمساءلة أحجار لا يبين كلامها ، ولا يظهر حديثها ؟ أسأل من لا يجيب عن أولئك الأحباب ؟ أناجى من لا يبين بمحدث الحب والشوق ، والوجد والهوى ؟ إن الوجد ينهل العقل ، وإن الهوى يسلب القلب .

### النقد :

ألقي الشاعر الخبير حون تأكيداً كأن الخطاب مؤمن بصدقته ، موثق بصحة حديثه ، فذلك كان هذا الخبير أوثق من الإنشاء حديثاً ، وزاد الكلام حسناً ذلك التفصيل بعد الإجمال ، محلها فقامها ، وغولها فرجامها ، وإذن فالبيت الأول قوى كل القوة ، وتشبيهه مايق من الآثار بما يقى من الكتابة فوق الأحجار تشبيه بديع غريب على الشعر العربي لم نقرأ لشاعر آخر غير ليبيد ، قرأنا تشبيه زهير وطرفة وهما :

ودار لها بالرفقتين كأنها مراجع وشم في نواثر معصم  
نخولة أطلال ببرقة شهيد \* \* \* تلوح كباقي الوشم في ظاهرا ليد  
وقد أورد هو هذا للمنى في قوله .

أورجع واشمة أسف ثورها كنفعا تعرض فوقهن وشامها  
أما البيت الثالث :

دمن نجرم بمد عهد أنيسها حجاج خلون حلالها وحرامها  
فبشبه نول زهير :

وقفت بها من بمد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بمد توم  
وبت زهير أجل ، وعندى أن « حلالها وحرامها » حشولاً أن كل سنة تشتل على هذه الأشهر ، وجبل منه ذلك الطباق « من كل سارية وغاد مدجن » أو ذلك التقسيم في البيت نفسه :

من كل سارية وغاد مدجن وعشيرة متجاوب إرزامها .  
إن هذه الأبيات أو في معاني ، وأكثر صوراً ، وأدق تصويراً من قطعى امرئ القيس وزهير ، ولعل ذلك أنه كان أشد منهما تأثراً بموضوعه ، ولولا بعض كلات فيها ثقل كقوله : الأيهقان ، وبالجلهتين ، واجتماعهما في بيت واحد قلنا إنه بلغ غاية الكمال .

٤ — وقال النابغة الذبياني في مطلع معلقته :

يَادَارَ مَيَّةً بِالْعِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمْدِ<sup>(١)</sup>  
وَقَعَتْ فِيهَا أَصِيلًا أَسَاطِلُهَا عَيْتُ جَوَائِبَ، وَمَا بِالرَّيْعِ مِنْ أَحَدِ<sup>(٢)</sup>  
إِلَّا أَوَارَى لَأَيًّا مَا أَيْدِيهَا وَالتَّوَيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ<sup>(٣)</sup>  
رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَاتِ فِي الثَّأْدِ<sup>(٤)</sup>  
خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَحْبُسُهُ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالتَّضْدِ<sup>(٥)</sup>  
أَمْسَتْ خَلَاءً، وَأَصْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخَى عَلَيْهَا أَلَدَى أَخَى عَلَى لُبْدِ<sup>(٦)</sup>

ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف الأوابد ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) مية : اسم محبوبة . العياء : مكان مرتفع من الأرض . السند : ما قاربك من الوادي ، وعلا من السفح . أقوت : أقصرت من أهلها . سالف الأمد : ماضى الدهر . (٢) أصيلا : الأصيل الوقت قبل للغرب ، وأصيلا البدل ، إذ تصغيره على أصيلان ، فأبدل بالنون اللام ، وأصيلان أصلها أعلان الذي هو جمع أصيل كزغيف وزغفان ، وخطبوا من قال بهذا ؛ لأن الجمع لا يضر إلا إذا كان من جموع القلة ، وهي :

أَصْلَةٌ أَفْصَلُ ثُمَّ فَصْلُهُ ثُمَّ أَفْصَالُ جَمُوعُ فَلَهُ

وقالوا بل هو مصدر مثل التكلان والضران . عيت : هجرت .

(٣) الأوارى : مفردا آرى ، وهو مطلق الدابة ومحبسها . لأيا : جهدا ومشقة . أيبنها : أستبينها . التويى : الحاجز من التراب يجعل حول البيت والحيمة ليجمع وصول السبل . الظلم : وضع الشيء في غير محله ، والمظلمة : الأرض التي قد حفر فيها في غير موضع الحفر . الجلد : الأرض القليظة الصلبة من غير حجارة . (٤) أقاصيه : جمع أقصى ، وهو ما بعده ، وضده أدنى . لبده : ألقى التراب بعضه بعض . الوليدة : الحادم الشابة . الثأد : المكان الذي التراب .

(٥) خلت : تركت . الأتى : السبل يأتي من بلد إلى بلد . يحبسه : يمنعه . السجفين : مثنى سجع ، وهو الستر يكون في مقدم البيت . التضد : مانع ونسق من متاع البيت .

(٦) أمست : يريد صارت . خلاء : خالية من السكان . احتملوا : ارتحلوا . أخى عليها : غيرها وأفسد آياتها . لبد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو غير لقمان الحكيم الوارد في القرآن الكريم ساء لبدا لأنه ظن أنه أبدا فلا يموت ، ولا يذهب ، وزعموا أنه حين كبر ، قال له : اتهم لبدا فأنت نسر الأبد .

### تحليل الأبيات :

يناجي الشاعر الديار ، ويتنمى أن تشاطره النجاة ، تلك الديار الواقعة بين العليا والسفلى ، أفقرت من أهلها ، وطال إقمارها ، وبعد العهد بسكانها ، لقد وقعت في رسوم هذه الديار ساعة الأصيل ، وقد تراجعت في نفسى الذكريات ، وتجاوبت المواطن والأفكار ، وقعت أسائلها عن الأحباب الذين كانوا يسكنونها ، والأصدقاء الذين تساقينا وإياهم كنوس الهوى ، فلم تمر جوابا ، فحزرت عن التمييز ، وكيف تمر وقد خلت من الأنيس ؟  
ليس في رسوم هذه الدار إلا محابس الدواب ومعالف الحيوان ، وحتى هذه لا يكاد الرائي يتبينها ، وإلا القوى الذى كانوا يقيمونه مانعا لليل ، فهو كالحوض فى الأرض الصلبة الصماء ، ليد تراه ، حتى يستقر بعضه على بعض .

خلت الخدام السبيل لليل النهر ، والأنى للتسكب الذى كان ذلك النوى يحبس عنه الدار ، وبلغ سبغا البيت ، بل تجاوزها إلى متاعه التضد ، وأساسه المنسق ، فابس ما يدعو إلى حجب الماء عنها ، فقد أضحيت خالية من قاطنيتها الذين احتملوا عنها ورحلوا منها ؛ فغيرها ، وأذهب آياتها القادرة على تمييز كل شئ ، وإزالة آثار كل شئ ، «أخنى عليها الذى أخنى على ليد»

### القرن :

الناطقة فى هذه الأبيات دون قدره ، وقد دفعه الإيجاز إلى تحميل شعره معانى أكثر مما تحتمل ، فقد نادى الدار ثم لم يذكر سبب النداء ، إنه يريد أن يتحدث إليها عن حبيبته ، أين ذهبت بها الأيام ؟ وكيف كان حالها عند احتلالها ؟ إلى آخر هذه المعانى التى ترد بخاطر من يريد إلى الدار خططا ، وكأنى بالناطقة ناقض نفسه ، فقد نادى الدار ، وأخذ يسألها ففيت بالجواب ، وما بال رجع من أحد ، فهو يعلم هذا قبل سؤالها إذ يقول :

« أقوت وطال عليها سالف الأمد » وإذن فما كان ينتظر الجواب من السكان بل من الدار ، والأبيات الثلاثة الأخيرة ليس فيها جمال إلا ذلك الذى يدل على شرفه وسرانه ، فالوليدة تضرب بالمسحاة فى الثأد ، ورفضته إلى السفجين ، وليس كل الناس لديهم سجونف ، والشطر الأخير جماله أنه جرى مجرى المثل .

٥ — وقال الرقش الأكبر \* من قصيدة أولها :

هل تعرف الدارَ عفا رثمها      إلا الأثافي ومبني الخيم<sup>(١)</sup>  
 أعرفها داراً لأسماء فالد      دمع على الخدين سع سجم<sup>(٢)</sup>  
 أمت خلاء بمد سكاها      مفقرة ما إن بها من إرم<sup>(٣)</sup>  
 إلا من المين ترعى بها      كالفارسين مشوا في الكم<sup>(٤)</sup>  
 ٥٠٦ : بمد جمع قد أراهم بها      لهم قبابٌ وعليهم نيم<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : انظر ترجمته في وصف ذئب أطعمه من ٢٠٩

التفسير اللغوي : (١) عفا رثمها . زال أثرها . الأثافي : جمع أنفة ، وهي ثلاثة أحجار توضع فوقها القدر . الخيم : جمع خيمة وهي بيت يبنى من عيدان الشجر ، فإذا كان من صوف أو شعر فهو بيت ، وقيل : تطلق الخيمة على جميع ذلك .

(٢) أسماء : هي معشوقته ، وكانت ابنة عمه عوف بن ضبية . سع : مصبوب . سجم : سائل .

(٣) أمت : صارت ويصح أن يراد بها معناها الحقيقى ؛ إذ كانوا يرحلون ليلاً ؛ ليكون ذلك أطيّب للسفر ، وأيسر على الظمائن . خلاء : خالية . من إرم : من أحد ، أو من إرم من علم يدل عليها .

(٤) المين : جمع عيناء البقر الوحشى ، ولقب بهذا لسمه عيونته . ترعى : ترعى ، والتشديد يزيد الفعل قوة ، فكأنه يقول ترعى كثيراً . الكم : جمع كمة القلائس .

(٥) بمد جميع : بمد حى . قد أراهم بها : قد كنت أراهم بها . قباب : جمع قبة وهي بناء سقفه مستدير مقعر . عليهم النعم والرغد وهناءة العيش .

## تحليل الأبيات :

يتاحى الشاعر قلبه وبساتينه : أهو يعرف الدار التي بحيث آثارها ، ودرست رسومها ، وطست معالمها ، ولم يبق منها إلا الأنقاض ، وما أضال شأنها وأهون أمرها ، وإلا أصل انخيام ؟ وقد أجابه قلبه الجياش بالحب الفياض بالحس ، إنه يرضها ؛ لأنها دار أسماء العززة عليه ، الأثيرة لديه ، فشموه الباطنى يوحى إليه بمكانها ، وإن لم يبق من تلك حتى الأنقاض ، ولذلك فدموعها على خديها منصبة ، وعبراتها من مقلتها منهمة .

وأأسفاه ! لقد أمنت تلك الدار خالية من سكانها ، مقفرة من قطانها ، فليس بها من أحد ، لقد احتملوا ليلا ؛ لأنهن مفعات مرهفات لا يمحتملن سفر النهار ، ولا يستطعن الفطن في حرارة الشمس .

أهترت تلك الدار من الإنس فصرها الوحش ، كانت تسكنها أسماء الحسناء ، فأضحت تسكنها البقرة العيناء ، ترعى عشبا ، وتمرع في مراعيها ، فالبرق لاختيالهن بجملهن ، وليياضهن ، واستدارة قروهن حول رموسهن يشبهن القرس يختالون في قلائسهم .

بعد حى أقنا فيه حيناً ثم تركناه قد أرام يحتمون بهذه الدار مرة أخرى ، لهم قباب مرفوعة ، وخيام منصوبة ، وعليهم نعمة سائنة ، وفيهم هناءة صافية .

## النقر :

مدانى للقرش فيها جدة وطرافة لم ترد في شعر من عرضنا بعض أوصافهم للأطلال ، من ذلك مناجاته قلبه ، وادعاؤه أن قلبه هو الذى عرف دارها ، هو لم يذكر قلبه صراحة ، ولكن السياق يمينه ، ثم هذا التشبيه في البيت الرابع فيه صورة جميلة :

إلا من المين ترعى بها كالتارسيين مشوا فى السكم

فتصوير القرون تتلاقى فوق رموس البقر بالقلانس فوق رموس القرس تصوير لم يقع لشاعر سواه ، وإذا كان لنا ما نأخذه عليه ، فهو الترموض في البيت الأخير ، وقد شرحناه كما هدانا إليه فكرنا ، وشرحه غيرنا غير هذا الشرح ، ولعلنا أن نكون أقرب إلى الصواب .

٦ — وقال بشامة بن الندير من قصيدته التي أولها :

لَيْنَ الدَّيَّارِ عَفْوَنَ الْجَزْعِ      بالدَّوْمِ بَيْنَ مَحَارَ فَالشَّرْعِ<sup>(١)</sup>  
 دَرَسَتْ وَقَدِيقَتْ عَلَى حَجَجٍ —      بَعْدَ الْأَيْسِ عَفْوَنَهَا — سَبْعِ<sup>(٢)</sup>  
 إِلَّا بَقَايَا خَيْمَةٍ دَرَسَتْ      دَارَتْ قَوَاعِدُهَا عَلَى الرَّبْعِ<sup>(٣)</sup>  
 فَوَقَّتْ فِي دَارِ الْجَمِيعِ وَقَدْ      جَالَتْ شُتُونُ الرَّأْسِ بِالدَّمْعِ<sup>(٤)</sup>  
 كَمَرُوضٍ فَيَاضٍ عَلَى فَلَجٍ      تَجَرَّى جَدَاوُهُ عَلَى الزَّرْعِ<sup>(٥)</sup>  
 ٥١٢ : فَوَقَّتْ فِيهَا كِي أَسَاتَلَهَا      غَوَجَ الْبَابِ كَطَرْقِ النَّبْعِ<sup>(٦)</sup>

\* رُحْمَةُ الشَّاهِرِ : انظر ترجمته في وصف الناقة ص ٧٤ .

التفسير اللغوي : (١) عفون : درسن وزلن . الجزع : منعطف الوادى حيث انحنى .  
 الدوم ، ومحار ، والشرع : أسماء أماكن .

(٢) درست : زالت . حجج : جمع حجة سنوات . بعد الأيس : بعد السكان للؤسين .  
 عفونها : محونها . سبع : صفة لحجج ، والفصل بين الوصوف والصفة قبيح .

(٣) تقدم أن قلنا : إن من رجال اللغة من يقول الخيمة بناء من شجر ، فإذا كان من صوف  
 أو شعر مى بيتاً ، وقد يطلق على الجميع . دارت قواعدها : مالت قواعدها وأسمها . الربيع :  
 دار الربيع ، ثم أطلقت على كل دار .

(٤) دار الجميع : الدار التي يجتمع فيها الحى . جالت : دارت واضطربت . شتون : جمع  
 شأن ، وهو العرق الذي يجرى منه الدمع .

(٥) العروض : التواحي . الفياض : الماء الكثير الفيضان . الفلج : النهر العظيم .  
 الجداول : الأنهار الصغيرة مفرداً جدول .

(٦) غوج البابان : البابان الصدر ، وغوج واسع الجلد ، فهو يضرب لسمته . كطرق النبع :  
 كالقضيبي من شجر النبع .



### تحليل الأبيات :

يتساءل الشاعر في لفظة الفزع المجرع عن أصحاب هذه الديار القائمة بمنصف الوادي من اليوم بين بحار والشرع فقد عنون ، وزال أثرهن ، وطست آياتهن ، درست واستمر دروسها سبع سنوات ، ليس بها أنيس تسكن النفس إليه ، وتقر العين به ، ويطمئن القلب له .

لم يبق من هذه الديار شيء حتى البقية الباقية من جذوعها درست وغنت ، ومالت قواعدها ، ودارت قوائمها التي كان يقوم عليها ذلك الربيع ، فوقفت في الدار التي كانت مجتمع الحى ، ومنتدى القوم ، فأخذتني العبرات ، وجالت في شئون الدموع ، فإذا دموعي تجري في مجارى الدمع فياضة غزيرة ، فتتدد وتتفرق كالنهر يفيض بمائه الفزير في نواحيه وعروضه ، فتجري منه جداول ذات اليمين وذات الشمال فوق الزرع .

وقفت في آثار هذه الديار أمتطى فراق قد ضمير جسمه ، واتسع جلد صدره لأساطيلها أحاديثها عن ساكنيها ، ولأباديها النجوى عن كان يحل بها من أولئك الذاهبين .

النتصر :

لا أعلن بشامة بن القدير وهو يسأل عن أصحاب الديار العافية يجهل هؤلاء الأصحاب ، وإنما هو تجاهل العارف به في نفسه أنه لا يرى أولئك الأصحاب الأخلاء ، كما لا أعلن أنه يعنى هؤلاء الأخلاء صاحبة أو خلية ، فقد أعفاه الله من المشق ، ولكنه يعنى الأخلاء والخلصاء ، أولئك الذين كان يجتمع بهم في جيبهم ومنتدياتهم ، أليس قوله ؟

فوقفت في دار الجميع وقد جالت شئون الرأس بالدمع

دليلا على هذا ؟

وليس في الأبيات من اللغنى ما يبهى ، ولا من الصور ما يسحر ، وأحسب أن تشبيهه الدفع بالنهر الكبير يتفرع إلى جداول تسقى الزروع تشبيه ليس فيه دقة الصور ، ومراعاة أجزء الصورة .

٧ - وقال الحارث بن حازم البشكري :

لَيْنَ الثَّيَارُ عَفُونٌ بِالْخَبْسِ ؟ آيَاتُهَا كَهَارِقِ الْقُرْمِ (١)  
 لاشئ، فيها غيرُ أُصُورَةٍ سَفْعِ الْخُدُودِ يَلْعَنُ كَالشَّمْسِ (٢)  
 أَوْغِيرُ آثَارِ الْجِيَادِ بِأَعْرَاضِ الْجَادِ وَأَيُّ الدَّعْسِ (٣)  
 خَبَسْتُ فِيهَا الرِّكْبَ أَحَدِسُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدَسٍ (٤)  
 حَتَّى إِذَا تَفَعَّ الظُّبَا بِأَطْرَافِ الظَّلَالِ وَقَلْنُ فِي السَّكَنِ (٥)  
 وَيَسْتُ مَا قَدْ شُنِفَتْ بِهِ مِنْهَا وَلَا يُسْلِكُ كَالْيَأْسِ (٦)  
 أُنَمِّي إِلَى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ تَهْمُ الْحَصَى بِمَوَاقِعِ خُسَى (٧)

: ٥١٩

\* ترجمه الشاعر : هو الحارث بن حازم بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك البشكري من شعراء العراق ، وهو شاعرٌ خلل يضرب به المثل في الفخر ، فيقال أغر من الحارث بن حازم ، وهو من أصحاب اللغات ، وزعموا أن مملته ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ، وقال الأصمعي إنه ارتجلها وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة وقد توفي حوالي سنة ٥٧٠ م .

التفسير اللغوي : (١) عفون : درسن . الحبس : اسم موضع . آياتها : علاماتها وأعلامها . مهاريق : جمع مهريق بضم الميم وفتح الراء . قال في اللسان وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب ، والجمع الهاريق قال حسان :

كَمْ لِلنَّازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْوَالٍ لَأَلْ أَسْمَاءَ مِثْلَ الْهَرَقِ الْبَالِي  
 وقال الحارث بن حازم : « آياتها كهاريق الحبس » وهو خطأ من ابن بري إذا الروي  
 السنين كما ترى . (٢) الأصورة : جمع صوار بضم الصاد وكسرها قطعان البقر .  
 سفح : جمع أسفع وهو الأسود الثرب بالحجرة . يلعن : يظهرن .  
 (٣) الأعراض : جمع عرض بضم العين التواحي . الجداد : مفردة جدمثل رمح ورماح  
 الارتفاع من الأرض ، واستشهد اللسان بقول امرئ القيس :

كَأَنَّ الصَّوَارِ إِذْ يَجَاهِدُنْ غَدَاةً عَلَى جَدِّ خَيْلٍ تَجُولُ بِأَجْلَالِ  
 الدَّعْسِ : الوطء . وآيته : أثره وعلامته . (٤) أحديس : أظن . (٥) قلن :  
 من القيلولة ، وهي نوم نصف النهار . السكنى : جمع كناس ، وهي بيت الظلي يحفره في أصل  
 الشجرة ليستريح بها . (٦) شفتت به : أغرمت به . لا يسلك : لا يخفف عنك .

(٧) أنمى : أرتفع . الحرف : الناقعة للناحية . الذكرة : التي تشبه الفعل في صلابتها .  
 تهيم الحصى : تدق الحصى فتكسره . اللواقع : للطارق مفردها ميثمة . الحنس : التصار  
 الأنوف ، مفردها خنساء .

### تحليل الأبيات :

لمن هذه الديار التي عفت آثارها ، واعمت أعلامها بالحبس ؟ إن أعلامها البيض ، وآياتها الواضحات كانت تبدو كالصيف البيضاء التي تنسب إلى أبناء القوس ، أضحت وليس فيها إلا قطمان البقر الوحشي السفع الخدود ، البيض الظهور ، التي تبدو كأشعة الشمس سطوعا ، وليس فيها غير آثار الجباد ، تبدو في نواحي تلك الديار ، وفي جحدها ومرتفعاتها ، فخرى آثار وطنها ، ومظاهر ركضها .

لقد وقفت عند تلك الديار أحسن وأخبر ، وأتفرس وأنجم ، أين أولئك الذين عمروها ؟ أين الخفس الجوارى الكفيس اللاني ملأها جمالا وفنفا ؟ أين ملاعبهم وملاعبين التي كنا نقضي فيها أوقات الهوى ، وسويمات المهر ، أين وأين ؟ وماذا ينفع التساؤل ؟ إنه يجمد الحشرات ، ويثبت دقان الموم والأحزان . وحين توسطت الشمس كبد السماء ، وفات الغطاء إلى الظلال ، وقلن في الكناس ، ويشت من بث الذكريات التي شفت بها ، وأيقنت أنها لا ترد ماضيا ، ولا تמיד ذاهبا ، كان ذلك اليأس سلوانتي ، « ولا يسليك كاليأس » وإذن فلأرض رحلى فوق ناقة جمالية ترق الحصى بمناسمها .

### الغمر :

اتفق بشامة بن القدير والحارث بن حلزة في الطلع ، والتساؤل عن أصحاب الديار ، والاستفهام عن كان يقطعها ، معنى تواردت عليه خواطر الشعراء ، فليس هناك بينهم آخذ ومأخوذ منه ، ويظهر فضل الحارث على بشامة في أنه شبه آثار الديار وأعلامها بصحف القوس وهو تشبيه جميل يدل على اتساع ثقافة ، وبعد خيال ، كما تظهر حكته في قوله :

« ولا يسليك كاليأس » . وجميل من الحارث كذلك وصف الصورة بأنهن يلحن كالشس ، فن من الشعراء منحها هذا الجمال ، والجناس قليل في الشعر الجاهلي ؟ وقتته تضيق عليه الحسن . وقد أبدعه الحارث في قوله :

أو غير آثار الجياد بأعراض الجراد وآية الدعس

وكذلك حبسه الركب ليحدث ويخمن ، وتركه إليك لتحديث فيها كان يحدث به ، وتخمن ما كان يخمنه جمال أى جمال ، وبعد فالأبيات جميعها من رائع الشعر .

# ٨ - وقال عميرة بن جبيل \* من قصيدته التي أولها:

أَلَا يَذِيارَ الحَيِّ بِالسَّيِّدَانِ      خَلَّتْ حِجَابُ بَعْدِي لَهْنُ تَمَانٍ<sup>(١)</sup>  
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ نَوْحِي مُهْدَمٍ      وَغَيْرُ أَوَارٍ كَالرَّكِيِّ دِفَانٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَغَيْرُ حَطُوبَاتِ الْوَلَائِدِ ذَعْدَتُ      بِهَا الرِّيحُ وَالْأَمْطَارُ كُلُّ مَكَانٍ<sup>(٣)</sup>  
 قِفَارُ مَرُورَاتٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا      يَطْلُ بِهَا السَّبَّانُ يَمْتَرِكَانِ<sup>(٤)</sup>  
 يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ التَّرَابِ عَلَيْهِمَا      قِصَصِينَ أَسْمَاطًا وَبَرْتِيَانِ<sup>(٥)</sup>  
 وَبِالشَّرَفِ الْأَعْلَى وَحُوشِ كَأَنُهَا      عَلَى جَانِبِ الْأَرْجَاءِ عَوْدُ هَبَانٍ<sup>(٦)</sup>

: ٥٢٥

\* ترجمته الشاهر : هو عميرة بن جبيل بن عمر بن مالك بن الحارث بن حبيب التتلي شاعر جاهلي يد من الشعراء البرزين ، وهو فيا يظهر من الشعراء القليلين كذلك ، توفي حوالي سنة ٥٧٠ م .

التصبر القفوي : (١) الحى : البطن من بطون العرب . البردان : اسم موضع . خلت : مضت .

(٢) النوى : الحاجز من التراب يقام لمنع السبل عن البيت . الأوارى : جمع آرى وهى معالف الدواب وعبابها . الركى : جمع ركية ، وهى البر . دفان : جمع دفين ، متدنفات .

(٣) الحطوبيات : جمع حطوبة ، وهى ما احتطب الإمام وجمعه . الولائد : جمع وليدة الإمام . ذعذعت : فرقت .

(٤) قفار : جمع قفر ، وهى الأرض القاحلة الخالية من الزرع . للرورات : التى لا تنبت شيئاً لعدم الماء فيها . السبان : متى سبع وهو كل ما يفترس من الحيوان : يتركبان : يتمس كل منهما أكل الآخر لما هما فيه من جذب دفع غيرها من الحيوان إلى ترك ذلك . أسباطاً : غير محشوة ، وهو أن يكون القميص طاقاً واحداً .

(٦) الشرف : للرتفع من الأرض . الأرجاء : النواحي مفردها رجا . العوذ : الإبل أو الحيل أو النقاء الحديثة التناج مفردها عائد ، وجمعه عوذ وعوذ وعوذان ، وجمع الجمع عوذات . المهجان : الكرام يستوى فيه الذكر والمؤنث ، والفرد والجمع .

### تحليل الأبيات :

ألا ياديار قومي وخيام أهلى بالبردان ، لقد مضى على تركهم إياك وتزوحهم عنك ثمانى  
حجج ، وهو زمن طويل يغير الأحوال ، ويبدل الأوضاع ، وإذن فليس غريبا ألا يبقى  
منك غير توى مهدم ، وحاجز مثل ، وغير معالف الدواب ومحابسها التى صارت لطول العهد  
وبعد الأمد كالآبار الطمورة ، وغير الخطوبات التى جمعتها الإماء من بقايا الجذور ومتساقط  
الأغصان ! ليحلمن منها وقودهن فى فارس البرد ، لقد فرقتهما الرياح السافيات ، وجرت بها  
الأمطار الفزيرة كل مجرى .

واحر قلباه ! لقد أصبحت تلك الديار التى كانت تليه بأعر الناس ، وأكرم الأجناس  
قفارا لا نبت فيها ولا ماء ، ولا إنس فيها ولا وحش ، فهى تتأفف بضل فيها القطا ، فلو أن  
بها سبعمين لأخذنا يقتتلان حتى يتفانيا فى سبيل الطعام .

وهما فى تقائلهما يثيران التراب فينسج فوق ظهرهما ثوبين رقيقين ، لو هبت عليهما  
الريح لأزالتهما .

ولكن بأهلى هذه الصحراء وحوشا ضارية كأنها لاستيعاشها فى مختلف النواحي  
وجوانب الأرجاء إبل هجان من خلفها سقاها ، أو ظباء خفس من ورائها أطلاؤها .

### النقد :

جرى الشاعر على ما جرى عليه غيره من الوقوف بالديار بعد حجج يمدحها ، ثم غير  
الأشياء التى لا تزال دالة على أنه كان فى السكان ديار ، وكان فى هذه الديار سكان وقطان .  
ولكنه ذكر فيما بقى من الآثار ما لم يذكره سواه ، ذكر الخطوبات ، والحق أن بقاء الخطوبات  
بعد حجج ثمان أمر غير منظور ، فالوحوش التى لا يجد غذاء من حق نفوسها عليها أن تأكل  
كل ما يجد ، ثم إنه وقع فيها يكاد يكون تناقضا : السبعان يتركان فيتفانيان ، لأنهما  
لا يجدان الغذاء ، وبالشرف الأعلى وحوش كأنهما عوذ هجان . أليس هذا تناقضا ؟  
إنه كذلك .

وعلى أى فالأبيات معانيها كماتى أى شعر آخر فى وصف الأطلال .

٩ — وقال ثعلبة بن عمرو البدي \* في مطلع قصيدته :

لَمَنْ دِمْنٌ كَأَنَّهُمْ صَحَافٌ      قِفَارٌ خَلَامُنِهَا الْكُتَيْبُ فَوَاحِفٌ<sup>(١)</sup>  
فَمَا أَحْدَثَتْ فِيهَا الْيَهُودُ كَأَنَّمَا      تَلَقَّبُ بِالسَّيَّانِ فِيهَا الزُّخَارِفُ<sup>(٢)</sup>  
أَكْبَ عَلَيْهِمَا كَانَتْ يَدَوَاتِهِ      يُقِيمُ يَدَيْهِ تَارَةً وَيُخَالِفُ<sup>(٣)</sup>  
رَجَا صُنْعَهُ مَا كَانَ يَصْنَعُ سَاجِيًا      وَيَرْفَعُ عَيْنَهُ عَنِ الشُّنْعِ طَارِفُ<sup>(٤)</sup>



\* **ترجمته الشاهر :** هو ثعلبة بن حزن بن زبد مناة بن الحارث بن ثعلبة البدي ، وهو شاعر قصير النفس فيما يبدو ، مغمور بين الشعراء ، وإن كان له من القصاد قصيدتان اختارهما الفضل الضبي ، كما اختار له البحترى في حماسته ، وشعراء الجاهلية .

**التفسير المفروق :** (١) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الناس وما سودوا بالرماد . صحائف : جمع صحيفة يقصد ما فيها من النقش . قفار : جمع قفر ، الأرض المجردة . الكتيب : وواحف موضعان .

(٢) اليهود : جمع عهد يقصد الأمطار التي يهد بعضها بضاً . السيان : الأصابع التي يزخرف بها في السقوف وغير السقوف ولا واحد لها .

(٣) أكب : أقبل . تارة : مرة .

(٤) ساجياً : ساكناً هادئاً . الطارف : ما يطرف العين .

## تحليل الرؤيات :

يسأل حاتم قلبه ، أتعرف هذه الأطلال الدوارس ، والآثار الطوامس ، والنوى للهدم ، والجذم للثم ؟ إن الأرض تبدو كالأرق ، وهذه الآثار فوقه كأنها كالمزخرف ، والرسم للزركش ، لقد نشرت الأرواح في هذا المكان عواصفها بعد أن غارقه قاطنوه ، وتركه ساكنوه ، تركوه أياما طويلا ، وشهوراً عدة ، هذه الأرواح تنقلت من مكان إلى مكان ، ودرجت من موضع إلى موضع ، فغيرت ظاهر تربه ، وكست ترابها غير تربه التي كان له ، وأزالت الأيام معالمه ، وطست أعلامه .

ليست الرياح غصب هي التي غيرت المعالم والأعلام ، ولكنه طول البلى ، وقدم العهد ، حتى أصبحت لا أعرف الأطلال إلا بالهم والظن ، ولا أنبين الآثار إلا بالحدس والشعور .

## النقد :

للماني التي أوردها حاتم في أبياته تلك معان قليلة ، وليس فيها معنى يمكن أن يقال إنه افرد به ، ولا أحسب أن الحول يفل في الديار هذا الذي صورته حاتم ، فقد استقصرتنا ثماني جيج في قصيدة عميرة بن جبل ، ورأينا أن تأثيرها لا يبلغ تصويره ، فكيف بالعام الواحد ؟ هل قول : إنهم قلدوا زهيراً لم يبيدوا التقليد ؟ وذلك في قوله :

وقفت بها من بعد عشرين حجة      فلأيا عرفت الدار بعد نوم  
وكذلك قال حاتم :

وغيرها طول التقادم والبلى      فأعرف الأطلال إلا توها  
ولكن بمدكم كان ذلك التقادم والبلى ، إنه بعد :

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها      شهوراً وأياماً وحولاً وعمرها  
قد يقال إنه لا يقصد حولاً واحداً ، وقول بل يقصده ، فهو أراد غير ذلك لاستبدل  
بأيام أحواما .

## المعاني المشتركة وغير المشتركة في وصف الأطلال

يكاد الشراء يفتقون في وصف الأطلال ، ولم في هذا عندهم ، فاليئة التي توشى إليهم بأفكارهم واحدة ، والمعين الذي يمتحن منه واحد ، والمصر التي يمشون فيه واحد ، وكل هذه عوامل توجب اتفاق الأفكار .

إذا قال امرؤ القيس محمداً دار محبوبة :

فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل      يسقط الولى بين الدخول فغومل  
قال زهير مراعيًا ذلك التحديد :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم      بحمالة الدراج فالتشلم ؟  
وقال لبيد :

عفت الديار محلها فقامها      ببنى تأبد غولها فرجامها  
وعلى هذا الخط سار أكثر الشراء بعدهم ، لم يحيدوا عنهم إلا قليلا .

ثم إذا قال امرؤ القيس إن هذه الدور بعد أن كانت ملها للأوانس أصبحت مرتعا للآرام . في قوله :

ترى بر الآرام في عرصاتها      وقيانها كأنه حب قلل  
قال زهير :

بها المين والآرام يمشين خلفه      وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم  
وقال لبيد .

والمين ساكنة على أطلالها      عودا تأجل بالقضاء بهامها  
وقال المرقش الأكبر قبلهم :

إلا من المين ترعى بهم      كالعارسين مشوا في الكم

وكلمهم أسكنوا هذه الدور المين والظباء والوحوش ، حتى وإن تكن هذه الدور قد صارت إلى ضاء وإلى ، وأصبحت صحارى جرداء ، كقول عيرة بن جمل :



قمار مرورات يحاربها القطا      ينظر بها السمان يتركان  
 يثيران من نسج الزراب عليهما      قيصين أسماطا ويرتديان  
 وبالشرف الأعلى وحوش كأنها      على جانب الأرجاء عوذ هجان  
 وأكثرم وصف فعل الأمطار بها ، وأثر الودق والساريات فيها ، ولكنهم أوردوه  
 في صور مختلفة ، كلها صور قوية جميلة ، وبخاصة صور لبيد والتائبة ، كما وصفوا فعل الرياح  
 في تلك الآثار فأجادوا التصوير .

ولكن لبعض هؤلاء الشراء معاني سبقوا إليها فاتبعوا فيها ، أو لم يتبعوا لشهرة  
 نسبتها إلى أصحابها ، فمن هذه المعاني قول امرئ القيس :

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول لمخول  
 فكثير من الشراء جرى في غباره ، ولكنهم لم ييلفوا شيئا وإن أجادوا ، ومن سبقه  
 منهم جاء بجزء من المعنى ، لم يسقه مساق امرئ القيس في إحاطته وشموله ، وحسنه وجهاله ،  
 قال بشامة بن الغدير :

فوقفت في دار الجميع وقد      جالت شئون الرأس بالدمع  
 وقال المرقش الأكبر :

أعـرفها دارا لأسماء فاله      مع على الخدين سح سجم  
 ومن المعاني التي انفرد بها الحارث بن حنظلة تشبيه ظهور البقر الوحشي بالشمس في قوله :  
 لا شيء فيها غير أصورة      سفع الخلدود يلحن كالشمس  
 حقا إنه لم يجدد هذا الذي يلوح ، ولكن التأمل يدفع إليه ، فأول ما يلوح الظهور . ومنها  
 حبسه الركب ليحدث ويخمن ، وذلك في قوله :

لخبت فيها الركب أحـدس في      كل الأمور ، وكنت ذا حدس  
 وقد أجاد ثعلبة بن عمرو العبدى في وصف المصور ، ولم يشاركه أحد في مناه وهو قوله :

فما أحدثت فيها اليهود كأنما      تلعب بالسمات فيها الزخارف  
 أكـب عليها كاتب بدوائه      يقسم يديه تارة ويخالف

رجا صنه ما كان يصنع ساجيا ويرفع عينيه عن الصنع طارف  
ومنهم من دلت تشبهاته وصوره على بيئته وثقافته ، ومن هؤلاء النابغة في قوله :  
خلت سبيل أنى كان يحبه ورضته إلى السجين فالتفد  
وقول المرقش الأكبر :

إلا من المين ترعى بها كالفارسين مشوا في الكم  
وقول الحارث بن حلزة :

لمن الديار غفوت بالحبس آياتها كهارق الفرس  
وقول حاتم الطائي :

أترف أطلالا ونؤيا مهديا كخطك في رق كتبا منمنا

وبعد غسب الشراء قدرة وثقوا أنهم حبيوا إلينا الأطلال ، وإن تكن ظاهرة فراق ،  
وشفقونا بالآثار ، وإن تكن رمز جذب وقحط وإفقار ، وهذه عبقرية هي الغاية عند  
المباقرة والنابين .



## (ب) وصف الليل

١ - قال مهلهل بن ربيعة :

أَلَيْتَنَابَنِي حَسَمَ أَنْسِيرِي      إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي <sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَالَ لَيْلِي      قَدْ أَبَيْكَ مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ <sup>(٢)</sup>  
وَأَقْدَنِي بِيَاضُ الشُّبْحِ مِنْهَا      لَقَدْ أَقْدَنْتُ مِنْ شَرِّ كَبِيرِ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْجُوزَاءِ عَوْدُ <sup>(٤)</sup>      مُعْطَفَةٌ عَلَى رَنْجَرِ كَسِيرِ <sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ الْفَرَقْدَانِ يَدَا بَيْضِي      أَلَحَّ عَلَى إِفَاضَتِهِ قَبِيرِي <sup>(٦)</sup>  
أَرَقْتُ وَصَاحِي يَحْتَوِبُ شَيْبِ      لِيَتَزَيَّ فِي نَهَامَةِ مُسْتَعِيرِ <sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو أبو ليلى عدى بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر الضحى شاعر نجدى جيد ، قيل عنه إنه أول من قصد القصائد وهلهل الشعر ، وحسب غلراً أن يكون امرؤ القيس وارث شاعريته ، وقابى عبقريته ، ولقب مهلهلا لقوله : لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثار مالكا أو صنلا وحدثوا عنه أنه كان من أصبح أهل زماء وجها ، وأنصحهم لسانا ، وأشدم بأسا ، وقد لقبه أخوه كليب بزبر النساء لأنه كان صاحب لهو ، كثير المحادثة للنساء ، وفي هذه القصيدة يقول : ولو نشر القابر عن كليب لأخبر بالذناب أى زبر توفي حوالى سنة ٥٠٠ م

التفسير للغوى : (١) حسم : موضع بالبادية ، ويظهر أنه أقام به في أحد أيامه . لا تحورى : لا ترجى . (٢) الذناب : موضع بجند على يسار الطريق إلى مكة . (٣) كواكب الجوزاء : أحد أبراج السماء ، واسم نجم يترى في جوز السماء ، والأول هو اللراد . عود : جمع عائد ، وهى الناقة يموضها ولدها ، وكل أنثى إذا وضعت لمدة سبعة أيام لأن ولدها يموضها . معطفة : منحنية مائلة . الريع : الفصل ينتج في الريع ، وهو أول النتاج ، فإذا نتج في آخره فهو هيج ، يقال : « ما لم ريع ولا هيج » . كبير : مكسور . (٤) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى يمتدى بهما ، وأحدهما أقل تورا من الآخر . بيض : مبض . إفاضته : دفعه إلى اللعب . قبيري : مقامر . (٥) أرقط : سهرت . الشعب : الطريق في الجبل ، أو ميل اللاء ، أو الحى العظيم أو الناحية ، والأول هو اللراد . نهامة : أرض منخفضة ، وبلاد جنوبى الحجاز . مستعير : منتشر .

### تحليل الأبيات :

أيتها الليلة الليلاء التي قدّر علىّ أن أفضيها بذى حسم ، لينحسر ظلامك ، وليذهب سوادك ، ويسفر صبحك ، ولينفلق وضحك ، فإذا ما زلت من الأفق فلا تعودى مرة أخرى .  
لقد طال ليلي بالذنان حيث قتل أخى ؛ إذ جافى النوم ، ولا زمنى السهاد ، وإن يسؤنى هذا فكم من ليل بكيت من قصرها ، وشكوت سرعة كرها ، وأغذنى من بكائى عليها بياض صبحها ، وإشراق شمسها ، لقد أنقذت من شر كبير ، وأنجيت من ألم كثير .  
أما ليلتى تلك فقد وقعت بنجومها ، فكان كواكب الجوزاء متجمعات متلبثات نياق عائلت ، قد كسر ربهم ، فمن لا يرمن دونه ، ولا يتحولن عنه ، أو كأن هذين التجمعين المرفوقين بالفرقدين يدا رجل مكروه ، مبغوض مقامر ، فهو يلح فى إفاضة وبيالغ فى دفغاته ، فيدها لا تفتشان تتحركان فى مكان بيته .

لقد أرتقت وصاحبى الذى يشاطرنى آلامى وأوصابى بجنوب ذلك الشعب ، لبرق لمع من أرض تهامة ، وهو منتشر الضوء ، متباعد اللعان .

### النقد :

كان قتل كليب الممين الذى فاضت منه شاعرية مهلهل ، وللتبع الذى انبثق منه شعراء ، فهو أول من وصف الليل بالطول هذا الوصف الذى جرى عليه الشعراء من بعده ، ومعانيه وإن كانت مكررة إلا أنها بالنسبة إليه مبتكرة ، فهو يقول من قصيدة أخرى ما يشبه أبياته فى هذه القصيدة :

وصار الليل مشتتلا علينا كأن الليل ليس له نهار

وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار

ويقول فى قصيدة أخرى :

بات ليلى بالأنعمين طويلا أرقب النجم ساهراً لن يزولا

وهكذا فتح الطريق لمن جاء بعده من الشعراء ، وعلى رأسهم امرؤ القيس وارث شعره ومعانيه .

٢ — وقال امرؤ القيس • في وصف الليل :

وليلٍ كَنُوجِ البَحْرِ أَرخَى سُدُولَهُ عَلَى بَانُوعِ المَومِ لِيَبْتَلِي<sup>(١)</sup>

قَلْتُ لَهُ لِمَا تَعْلَى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَهْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ<sup>(٢)</sup>

أَلَا أَيُّهَا القَلِيلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَشْتَلٍ<sup>(٣)</sup>

فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَتَهُ بِكُلِّ مُنَارٍ القَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلٍ<sup>(٤)</sup> ! ٥٤٣ :



\* ترجمه اشعار : انظر الترجمة في وصف الفرس من ١٠٩ .

التفسير القوي : (١) ليل : ورب ليل طويل قضيته مسهداً . أرخى : أسبل وأسدل . سدوله : جمع سدل ستوره ، لِيَبْتَلِي : ليخبر ويختن .

(٢) لما : حين . تعلى : تعدد . صلبه : بظهره . وأردف أهجازاً : وأطال مآخيره ، من قولهم أردف الزاكب غيره أركبه وراه على مطبته ، والأهجاز جمع هجز مؤخر الدابة . ناء بكسك : تهاً لينهض بصدرة فيتقل مقدمه .

(٣) ألا : حرف تنبيه . انجل : انكشف . الإصباح : ظهور الصباح . بأمثل : بأفضل وأحسن .

(٤) فيالك : أسلوب تعجب ، فهو يتعجب من طوله وامتداد ساعاته . منار القتل : محكم القتل موثق البرم . شدت : ربطت وربطاً محكماً . يذبل بذلك الجبل الراسخ من جبال نجد .

## تحليل الأبيات :

يشكو امرؤ القيس من ليله القى طال أمده ، فزاد فيه ألمه ، فيقول :  
رب ليل كعوج البحر الثلاثم أسدل على ظفته ، وبسط فوق وحشته ، وأرسل إلى  
ألواناً من المصوم ، وأسدل على أنواعم الأحزان ، ليختبر منقى ، ويمتحن قوتى ، وبشبين  
جلدى وصبرى ، قتلت له وقد رأى منى صبرا وعزما ، وقوة ومنة :

أيها الليل الطويل أمتنى عليك بعد أن عرفت عزيمتى أن ينفلق صبحك ، وينكشف  
ضوءك ، وأن تزول غياهبك ، وتهتك أستارك ، وإن يكن ذلك الصبح المأمول ليس بأوضح  
منك وجها ، ولا بأمثل منك حسنا ، فكللا كما مبث هم ، ومصدر غم وكرب ، ولكنه  
التضيق قد يشعر ببعض الراحة .

ما أعجبك ليلا ثابتا لا يتزعزع ! راسخا لا يتزعزع ، حتى لكان نجومه السائرات شدت  
إلى راس من الجبال بمنار القتل من الأبراس والخيال ، فليس لها مسير وإن طال  
بها الأمد .

## النقد :

امرؤ القيس أقدر من وصف الليل ، وهذه الأبيات أروع ما قاله في وصفه ، ومبث  
روحها تصويره الليل في نكرو وحشته ، وهوله ورهته ، بأعوج البحر تطوى ما يصادفها ،  
وكذلك مناجاته الليل مناجاة تم عن الصبر مع اليأس ، وهذه قدرة لا يؤتاها إلا امرؤ القيس  
« وما الإصباح منك بأمثل » وتصويره الليل بالجل يتعلق بصلبه ، ويردف بأعجازه ،  
وينوء بكل كلفة تصوير جميل لتشبيهه المعنوى بالحسى ، وتصوره التجوم قد ثبتت في السماء  
لا تريم عن مكانها بأنها مشدودة بأمراس تصور مستمد من البيئة ، أخاذ ببراعته  
في التصوير والتصوير .

هذا ومن القدماء من عاب على الشاعر التضمين ، بتعليق معنى البيت الثانى بالبيت  
الثالث ، ولا ترى في ذلك عيبا ، وإنما العيب أن تكلف جمع معنى في بيت لا يتحمله .

٣ - وقال النابغة الذبياني • في وصف الليل أيضا :

كَلْبَنِي لِمَهْرٍ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقْاسِيَهُ بَطْلَى السَّكَاكِبِ (١)

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرْمِي النُّجُومَ بِآتِبٍ (٢)

٥٤٦ : وَصَدْرٍ أَرَا حَ الْبَيْلُ عَازِبَ مَهْمَ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٣)



\* رُجِعَ الشَّاعِرُ : انظر الترجمة في ص ١٥٤ .

التفسير اللغوي : (١) كَلْبَنِي : أتركبن ودعيني . أُمَيْمَةُ : ابنته ، صبح فيها الفتح والضم ، والضم أحسن ، والفتح أشهر ، قال الحليل بن أحمد : من عادة العرب أن ترخم عندما تنادي للثؤنت ، فلما لم يرخم « بسبب الوزن » أجرى الترخيم على لفظها ، فأتى بالفتح . نَاصِبٍ : متعب منصب ، كقوله تعالى : « في عيشة راضية » أي عيشة مرضية ، أولهم ذى نصب . أَقْاسِيَهُ : أكابده . بَطْلَى السَّكَاكِبِ : كناية عن صفة هي الطول والامتداد .

(٢) تَطَاوَلَ : امتد وطال . لَيْسَ بِمُنْقَضٍ : ليس بمته . يَرْمِي النُّجُومَ : قيل أراد النجم الذي يتقدم النجوم ، فهو منها بمنزلة الراعى لها ، ويؤيد هذا المعنى رواية : « وليس الذي يهدي النجوم بآتِب » وإذا غاب الراعى ضل للرعى ، وقيل : أراد يرأى النجوم يقصد نفسه ، وقيل : أراد به الصبح . بَآتِبٍ : تراجع .

(٣) وَصَدْرٍ : وارب صدر ، يقصد صدر نفسه . أَرَا حَ : أعاد ورد من راحته الإبل إلى مناخها عشياً إذا ارتدت . الْعَازِبِ : النائي البعيد . تَضَاعَفَ : تكاثف . مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : من جميع النواحي .

## تحليل الأبيات :

دعيني يا بنيتي لهومي وأوصابي ، دعيني لهم ناصب ، وأتركيني ليل قد طال ، حتى أمل ، وامتد إلى أن أتقل وأسام ، فكوا كبه بطيئة السير ، وبحجومه كأنها لا تحول .  
لقد استطال ذلك الليل لما نزل بي من الموم والأوجاع ، حتى حسبت أنه لن ينتهي ، وظننت أنه مقيم لا يريد أن ينتفضي ، وأن الراعي الذي يرعى النجوم ويهديها سواء السبيل ، ويسوقها إلى غايتها من الأفق البعيد ، قد ذهب إلى غير أوبة ، وتركها دون أن ترجى رجعة ، وإذن فسيتيق تلك النجوم حيرى لانرف لها قراراً .  
دعيني يا أميتي لصدر قد أمتلته الموم ، ورد له الليل ما استطار منها في النهار ، فتضاهف حزنه ، وتكاثف شجنه .

## التغرى

هذه الأبيات من أروع ما نظمه في وصف الليل شاعر ، وهو فيها تابع لامرؤ القيس ، وإن اختلف القدماء في تفضيل أيهما على الآخر ، فبالغ امرؤ القيس على غيره عهد الأدب به ، فسوى بين التهار والليل في المم ، فقال أنصاره : إن المبالغة هنا أجدى وأفضل ، وقصد التابغة على غير عهد الأدب به أيضا في قوله :

وصدر أراح الليل عازب هم  
واقعدى به الشراء إيماناً بجمال مناه ، فقال أحدهم :

أقضى نهاري بالحديث وبالمنى ويجمنى والهم بالليل جامع  
وقال أنصاره في سبب تفضيله : « إنه جعل صدره راحاً للموم ، وجعل الموم كالنم السارحة تسرح نهاراً ، ثم تأتي إلى مكانها ليلاً ، وهو أول من استثار هذا للمنى ، ووصف أن الموم مترادفة بالليل لتقيد الأحاط عما هي مطلقة فيه بالنهار ، واشتغالها بتقيد اللحظ عن استعمال الفكر » .

ومناجاته فتاته من آيات جلاله ، فالبث أشد شعوراً بمصائب أيها ، وأوفر عاطفة نحوه ، يشجبها شجوه ، ويحزنها هم ، فهي منه قلبه وكبد .



## ( ح ) وصف السحاب والبرق والغيث

١ — قال امرؤ القيس • يصف ديمة :

ديمةٌ عطلاءُ فيها وَطَنٌ      طَبَقَ الْأَرْضِ تَحْرُمِي وَتَذُرُ<sup>(١)</sup>  
تُخْرِجُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَشْجَدَتْ      وَتَوَارِيهِ إِذَا مَا تَشْكُرُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفًا مَاهِرًا      ثَانِيًا بَرْنَتَهُ مَا يَنْعَفِرُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَرَى الشَّجَرَاءَ فِي رَقَبِهَا      كَرْمًا وَسِيقَ طَلْعَتِ فِيهَا حُرُ<sup>(٤)</sup>  
سَاعَةً ، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَأَبِلَ<sup>(٥)</sup>      سَاقِطًا لَا كَنَافٍ ، وَاهٍ ، مُنْهَرُ<sup>(٦)</sup>  
رَاحَ تَحْرِيهِ الْعَبَا ، ثُمَّ انْتَحَى      فِيهِ شَوْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرُ<sup>(٧)</sup>  
نُجْ حَسْبِي ضَاقَ عَنْ آذِيهِ      عُرْضُ خَيْمٍ ، فَخُفَافٌ ، فَيُسْرُ<sup>(٨)</sup>

• ترجمه الشاعر : اقرأها في وصف القوس ص ١٠٩

التفسير اللغوي : (١) الديمة : للطر يدوم في سكون دون رعد ولا برق . الوطف : استرخاء السحابة ، وتبدل ذبولها ، ودنوها من الأرض . تحرمي : تتحرى المكان وتبت فيه . تذر : تبتلي\* .

(٢) الود : اسم جبل . أو هو الود في لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا أثناء فأدغموها في الدال ، وكلا المنين ذكره اللسان . أشجدت : أقلت وسكنت . تواريه : تخفيه . تشكر : تهطل بالمطر ، وفي رواية تشكر .

(٣) الضب : حيوان زاحف يشبه الجرذون ذنبه كثير العقد ؛ حتى ضرب به التل ، فقيل : « أعقد من ذنب الضب » . البرق : الخلب . ما ينمفر : لا يصيبه الفجر ، وهو التراب . (٤) الشجراء : الأرض ذات الشجر . رقبها : أولها . خر : جمع خمار ، وهو للمرأة كالصامدة للرجل .

(٥) انتحاهها : قصدتها . وأبل : مطر شديد يصدر عنه السيل . ساقط الأكثاف : ثابت التوالى . واه : ضيف يشتق منه اللاء ، وينخرق عنه للطر . منهمر : شديد الانصباب .

(٦) راح : سار عشياً . تحريه : تستدره . وأصله من مرى الضرع إذا مسحه ليد ، الصبا : ريح باردة تهب من الشمال . شوبوب : دفعة من مطر . الجنوب : ريح تهب من الجنوب .

(٧) نُجْ : سأل وسب . آذيه : موجه . عرض : ناحية أو الساع . خيم وخفاف وسر : أسماء أمكنة قريية من البهائم ، أو في بلاد بني يربوع .

### تحليل الأبيات :

هذه مطرة دأمة التسكاب ، ومزنة ماضية الانصباب ، غايتها ملء أطباق الأرض بدموعها الفزار ، تترى أوتاد الأخبية بادية ظاهرة عند ما تطلع عن السكب ، وخافية متوارية عند ما يحتفل للمطر ، وبشتد النيث ؛ فهي تبدو إذا هدأت ، وتتوارى إذا غضبت ، وتترى الضب ؛ وقد أبرزه المطر من جحره سابحا ماهرآ ، خفيفا نشيطا ، يثنى برثته ويسطه ، كما يثنى الساج ذراعه ويمده ، فلا يتضر بالتقارب ، فقد أذهب طول الانسكاب ، وعمرى الأرض ذات الأشجار ، وقد غطاها المطر أول دفعاته ، فليس يبدو منها إلا رموس أشجارها ، فظهرت وقد علاها الزبد كرموس انفصلت عن أعناقها ، وغطتها خررها ، استمر هذا النيث ساعة ، ثم اعتمدها وابل منهر ، وسيل متحدر ، يعم نواحيها ، وينعم أكنافها ، فالسحاب منشقق بالماء .

راح ذلك السحاب عثيا - وقد استدرته ريح الصبا ، ومراه بردها - راح يتكاثف ويتراكم ، ثم قصدته ريح الجنوب وافدة من بحر الهند متقلة بالقطار ، فأضافت إليه دفعة أخرى ، فإذا هو ينصب انصبابا حتى ضاق عن آذيه للضطرب وموجه المصطخب عرض هذه الجهات مع اتساع آفاقها ، وامتداد أكنافها

### التقر :

في هذه الأبيات جمال تحدث عنه القدماء ، فقالوا : « إن هذا أشعر ما جاء في وصف النيث » وسأل أبو عمرو بن الملاء ذا الرمة : أى الشراء الذين وصفوا النيث أشعر ؟ قال امرؤ القيس وأنشد الأبيات .

ولكنهم تركوا حكمهم دون تحليل شأنهم في جميع تقدم ، ومواطن الجمال التي أجلوها هي تلك الصور المتعاقبة ، فالديعة مسترخية التوائب ، والأوتاد عارية حينا ، ومنطاة حينا ، والضب ساج حائض يثنى برثته ويسطه شأن السباح للمهر ، إذ يسط ذراعيه ويثنيهما ، والأرض الشجراء غطيت ، فليس يبدو منها غير رموس أغصانها ينطفيها الزبد الأبيض ، كأنه المحر ، وهي صور فيها الكثير من مظاهر البادية ، فيها وتد الغلباء ، والضرب ، والبرن والمحرم .

٢ - وقال الأعشى • في مملقته يصف السحاب والمطر :

بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضًا قَدْ بَتَّ أَرْمَقُهُ      كَأَنَّمَا التَّبَرُّقُ فِي حَافَتَيْهِ شَلٌّ<sup>(١)</sup>  
لَهُ رِدَافٌ وَجَسُورٌ مُنْقَامٌ عَمَلٌ      مُنْطَلِقٌ يَسْبِغَالِ الْمَاءَ مُتَّصِلٌ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ يَلْهِنِي الْقَهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقَبُهُ      وَلَا الْهَذَاذَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا شُغْلٌ<sup>(٣)</sup>  
فَقُلْتُ لَشَرْبٍ فِي دَرْنَا وَقَدْ تَحَلَّلُوا:      شِيمُوا، وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الشُّغْلُ؟<sup>(٤)</sup>  
قَالُوا: نَحَارُ فِطْنُ الْغَالِ، جَادَهُمَا      فَالْمَسْجِدِيَّةُ، فَلَا بِلَاءَ، فَالْحَبْلُ<sup>(٥)</sup>  
فَالسَّمْعُ يَجْرِي، غَفِيرٌ، فَبَرَقَتْ      حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرِّبُو، فَالْحَبْلُ<sup>(٦)</sup>  
حَتَّى تَحْمِلَ مِنْهُ الْمَاءُ تَكْلَفَةً      رَوْضُ الْقَطَا، فَكُتِبَ الْقَيْنَةُ السَّيْلُ<sup>(٧)</sup>  
يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا      زُورًا تَجَانَفُ عَنْهَا الْقَوْدُ وَالرَّسْلُ<sup>(٨)</sup>

• ترجمته الشاعر : هو ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل أحد أعلام الشعر في العصر الجاهلي وأقدر الوصفين للخمر ، وكان لشمره جرس جميل فنفى به ولقب بصانعة العرب ، أدرك الرسول الكريم ، وأراد الإسلام تلذذه عنه بليل أبو سفيان فأت على غير دين سنة ٦٢٩ م .

التفسير المفرد : (١) العارض : السحاب يعترض الأفق . أرمقه : أنظر إليه . حالاه : جمع حافة أطرافه . شل : جمع شلة قطع الشرر .  
(٢) رداف : سحاب قد ردفه من خلفه . جوس : جوس كل شيء وسطه . اللأم : العظيم الواسع . عمل : دائم . منطلق : قد أحاط به فصار بمنزلة للمنطقة . سجال : جمع سجل وهو ملء الماء . (٣) لم يلهني : لم يشغلني . أرقبه : ألحظه . الهذازة . الانتهاء . من كأس : يعني من خمر . (٤) الشرب : جماعة الشاربين كالركب والسفر . درنا : أحد منافذ فارس ، وهي دون الحيرة ، وقيل : إنها بالجماعة : غلوا : انتشوا . شيموا : انظروا إلى البرق . (٥) نحار ويطن الحال : موضعان . جادها : أمطرهما . المسجدية ، والأبلاء : موضعان . الرجل : مسایل الماء ، واحدها رجلة . (٦) السفح . منحدر الجبل . البرقة : الأرض المليظة فيها حجارة ورمل وطين . الربو : ما تنثر من الأرض ، وهو هنا اسم موضع . الحبل : موضع بالجماعة . (٧) تحمل : احتمل . تكلفة : مشقة . روض القطا : اسم مكان ، قيل : إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تخطأ السفح ثم الحيرة ، ثم قارات الحبل ، ثم بطن السلي ، ثم عبان ، ثم روض القطا ، ثم الرمة ، وهذه كلها من أرض الجماعة . التينة . الأرض الشجرية ، وهي هنا اسم موضع . (٨) غرضا : هدفًا . زورًا : ميلا . تجانف : تباعد . القود : الحبل . الرسل : الإبل .

### تحليل الوفيات :

أيها الخليل : هل تبصر عينك ذلك العارض الذي يمتد في الأفق ، لقد ملك عيناى ،  
فأتحولان عنه ، وأخذ قلبي فـأ ينصرف دونه ، فكأنه إذ يتألق برقه ، فيلتصع نوره  
ثم ينطفى شعله تومض ثم يذهب وميضها ، وشرارة تلمع وما يلبث أن يختفى لمعاتها .  
لذلك السحاب العارض رداف متتابع ، وركام متكاثف ، غلات بعضها فوق بعض ،  
لا فرق بين أطرافه وأجوازه ، لجميع أجزائه عظيم ، وكل أقسامه مديد ، فهو دائم السح  
والتسكاب ، قد اتخذ من امتلائه بالماء في أطرافه ، واتصاله في أعماقه منطقة ينطلق بها .  
لم يشغلنى عن رقبته هو أقطع به صبحى ومساى ، ولا لذاذة كأس أغثيق بها  
وأصطبح ، ولا أعياء فوادح تصرف من يرزح تحتها عن كل شئ سواها ، فكل ذلك  
دونه عندى منزلة وتقديرا .

لقد دعوت ندماى في درنا بعد أن ملك الشراب عليهم حواسهم ، واستولت الراح  
على ألبابهم ، دعوتهم أن ينظروا إلى ذلك العارض العريض ، وأن يتأملوا هذا السحاب  
للديد ، وأن يشيخوا برقه ، ولكن أنى للتمل أن يشم ؟ وكيف للفتشوان أن يتأمل ؟ وكأنى  
بهم قد أفاقوا من سكرتهم حين رأوا برق ذلك العارض ؛ فقالوا : لقد أجرى السحاب  
غيثه على مواضع ( نمار ، ويطن الخلال ، والمسجدية ، والأبلاء ، والرجل ) وهو ذلك  
يجرى بالسفح وخزير وبرقة ، ولقد تجاوز الحد فتدافع الماء بالربو فالجل ، وبلغ القابة  
في روض القطا وكثيب الغينة السهل .

إن هذا اللطرىسقى دياراً في هذه الأماكن قد أصبحت له هدفاً ، ولمائه غرضا ، إنها  
أرض خشى السير فيها الخليل والإبل ، والقود والرسل .

### التفر

وصف الأعشى السحاب وصف البصير ، وصوره تصوير التقدير ، في بيته الأولين ،  
فرض لنا صورة لا ينقصها تحجير ، ثم انصرف إلى بيان أثره في محلته ، وإبراز فضله على  
قرى اليمامة ، فبالغ في ذكر القرى ، وكأنه عالم جغرافى يرسم لتلاميذه مسير السحاب  
في تلك البلاد ، فأجاد الشرح وأحسن التفصيل . ولولا مبالفته في ذكر البلاد لكان قد  
بلغ غاية الإحسان .

٣ - وقال عبيد بن الأبرص \* يصف السحاب .

إِنِّي أَرَقْتُ ، وَلَمْ تَأْرَقْ مَعِيَ صَاحِرٌ      لُتُكْفِرْ بِمَيْدَ النَّوْمِ لَوَّاحِرٌ<sup>(١)</sup>  
بِأَمْنٍ لِيَرْقِ أَيْتُ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ !      فِي عَارِضٍ كَمُضِيهِ الشُّبْحِ لَمَّاحِرٌ<sup>(٢)</sup>  
دَانٍ مُسِفٌ مُوَيِّقُ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ      يَكَاذُ بِمِسْكِهِ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ رَيْقَهُ لَأَصْلًا شُطْبًا      أَقْرَابُ أَبْلَقَ يَنْبِي الثَّغِيلَ رَمَّاحِرٌ<sup>(٤)</sup>  
٥٦٦ : فَنَ بَحُورَتِهِ ، كَنَ بِقُوَّتِهِ      وَلُتُكْفِرْ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ<sup>(٥)</sup>

\* ترجمه الشاعر : اقرأها في وصف السحاب ص ١٨٩ وهذه الأبيات منسوبة أيضا لأوس بن حجر .

التفسير اللغوي : (١) أرقط : سهرت . صاح : مرخم صاحب . لستكف : لسحاب مستدير كالكمة . جيد : تصغير بعد . لواح : شديد الوميض واللوحان .  
(٢) العارض : السحاب المعرض في الأفق . كفضي : الصباح . كتابة عن الشمس .  
لمح : لماع .

(٣) دان : قريب . مسف : مار على وجه الأرض . هيدبه : خيوطه . بالراح : بالكف .  
(٤) ريقه : أوله . لما علا : حين ارتفع . شطبا : جمع شطبة ، وهي الطريقة أو الخط في مئن السيف ونحوه . الأقرب : جمع قرب وهي الحاصرة . الأبلق : الأبيض فيه سواد . رمح : صاحب رمح ، وينبئ الخيل كناية عن سبقة لإياها ، وتفوقه عليها .

(٥) الحوزة : الناحية ، وحوزة للملكة ما بين تخومها ، وفي رواية بنجونه . والنجوة : المكان المرتفع . العقوة : الساحة ، وما حول النار والحلة ، وكلها تصلح للمنى وجمع العقوة عفاء . السكنن الساكن الخفي في مسكنه . بقرواح : بأرض بارزة للشمس ، قال في اللسان : « والقرواح يكون أرضاً عريضة نحو الدعوة ولا تبت فيه ولا شجر ، بل طين وسباق . والقرواح أيضا : البارز الذي ليس يستره من الساء شيء ، وقيل هي الأرض البارزة للشمس » ثم أورد البيت .

### تحليل الأبيات :

عرف عبيد بن الأبرص بالإجادة في وصف الطبيعة بنوعها : حبها وهامدها ، ومن الأدياء من ينسب القصيدة التي منها هذه الأبيات إلى أوس بن حجر ، ولكنها بشر عبيد أشبه ، إذ أنه أورد معانيها تلك في غير هذه القصيدة ، كقوله :

ودنا يضيء ربابه غابا يضره حريقه  
حتى إذا ما ذرعه بالماء ضاق فسا يطيقه  
هبت له من خلفه ريح يمانية نسوقه

فاستمع إليه يقول : إني أرتقت وصاحبي السهاد ، ولكنك لم تشاركني أيها الصاحب في سهادي ، ولم تقاسمني أرق لتتظر معي ذلك السحاب اللثف ، وتشم ذلك البرق المضيء ، ما أجل هذا البرق الذي يهتك حواشي الظلام ، فأنا فلان أقضى ليل الخلة إذ يقع في سحاب يعترض وجه السماء ، فكأنه الشمس تبدو من الجانب الشرق فتبدد أسداف الظلام . لقد دنا دنوا شديدا ، وأسف إلى الأرض إسفا عظيما ، فكأن مطره خيوط تنساقط على الأرض يوشك الإنسان أن يدمه براحيته ، ويزيحه بكفيه ، كأن أوله حين ارتفع في طرائق وخطط أصول لأخاذ فرس أبلق قد غلب سواده بياضه يتقدم خيولا أخرى ، وينبئ عن طريقه القود الجياد ، من فوق صهوته القارص الرماح .

### الغمر :

قلنا : إن عبيداً من أقدر وصفي الطبيعة ، وشمره على ثلثه يزخر بوصفها ، وهو يعتبر زعيم الوصاف الواقعيين ، فتصوره دقيق صادق ، لا تكلف فيه ولا مبالغة ، وصوره واضحة بارزة « يكاد يلمسها من شاء بالراح » وبيته « دان مسف ... » رائع التصوير صادق التعبير ، وقد كرر معنى قوله : « كأن ريقه لما علا ... » في قصيدة أخرى فقال :

كأنما بين أعلاه وأسفله ريط منشرة أوضوه مصباح

إلا أن هذا البيت أوفر معنى ، وأدق وصفاً ، وأصنى أسلوباً .

وبعد فبيد شاعر معجب بالطبيعة ، فأولته آياتها ، ومنحت شمره محاسنها .

فالناس جميعا في خياله سواء ، لا فرق بين من يقيم في حوزة أو نجوة ، ومن يلزم ساحة أو عقوة ، ومن يستكن في قرار مكين ، ومن يسير في أرض تسطح عليها أشعة الشمس ، فلا يحجبها عنها حجاب .

٤ - وقال حنظلة الطائي \* في وصف القمر :

ومها يكن من ربيب دهر فأتى      أرى قرأ القيل المتدب كالقلى<sup>(١)</sup>  
يهل صغيراً ، ثم ينظم ضوءه      وصورته حتى إذا ما هو استوى<sup>(٢)</sup>  
وقرب يخبئ ضوءه وشعاعه      ويضع حتى يسير فما يرى<sup>(٣)</sup>  
٥٧٠ : كذلك زيد الأمر ، ثم انتقاصه      وتكراره في أثره بعد ماضى

### تحليل الأبيات :

مها ينزل بي من أحداث الزمان ، وصروف الحدثنان ، فأتى صابر له ، راض به ، لأنى  
ألم أن هذه سنة الكون حياة وموت ، وبقاء وفناء ، حتى القمر يذهب كما يذهب القلى ،  
ويهنأ كأيها ، فصبيه النماء والبأساء ، ويلقى الهناء والشقاء ، أراه يهل صغيراً لا يكاد يرى ،  
ثم يعانظم ضوءه ، وتكامل استدارته شيئاً فشيئاً ، حتى يستوى على عرشه بلداً منيراً ،  
ويتألق في سائه نوراً وضاء ، ولكنه ما يلبث أن يعود إلى حاله الأولى ، فيأخذ ضوءه  
في الخبئ ، وشعاعه في الانطفاء ، ونوره في الانعفاء ، حتى يخبئ عن الوجود ليلة أو  
ليلتين ، كما تنيب الحياة عن الإنسان فلا يرى ، ويطويه ما يطوى جميع الكائنات .  
ذلك شأن المرء يرتفع ثم يهوى ، ويكمل ثم ينقص ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد  
لسنة الله تبديلاً .

### القمر :

الأبيات تصوير دقيق لحال انطلائق في هذا الوجود ، فكل كأن يمتوره ما يمتور القمر ،  
وينزل به ما ينزل بالإنسان ، وفي الأبيات فلسفة غريبة عن العصر الجاهلي .

\* ترجمته الشاعر : هو حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان بن حبة بن سبعة الطائي ،  
وروى عنه حديث مع النعمان وأنه كان السبب في تنصر النعمان وقومه ، وقصة طويلة ذكرتها  
كتب الأدب ، وهي إلى الأساطير أقرب منها إلى الحقائق التاريخية ، ولم يبق من شعره إلا  
للقليل الذي لا يبل غليلاً ، وكانت وفاته حوالي سنة ٥٩٠ م .

التفسير اللغوي : (١) ربيب الدهر : صرفة وحده .

(٢) يهل : يظهر . استوى : تكامل . (٣) يخبئ : ينطوي . يصح : ينمحي ، يقال :  
مصحت الهمار أحمى أثرها . استمر القمر : اختفى ليله أو ليلتين ، وهو من السرار بفتح السين .

## (د) وصف الصحراء والبرد والحرق

١ - قال الأعشى \* من مملكته يصف الصحراء .

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة  
للجن بالليل في حافات زجل<sup>(١)</sup>  
لا يبتنى لها في القيط يركبها  
إلا الذين لمسم فيا أتوا مهل<sup>(٢)</sup>  
٥٧٣ : قطعها بطليح جسر سرح في رقيقها إذا استمرضتها قتل<sup>(٣)</sup>  
تحليل الأبيات .

رب صحراء مستوية لمساء تشبه في استوائها وملوحتها ظهر الترس ، موحشة مقفرة لانبات فيها ولا ماء ، ولا إنسان ولا حيوان ، فسا يسكنها إلا الجبان ، يبدون في الليل إذ يشمل السكون السكون ، فيلبون ويصخبون ، ويلهون ويصيحون ، فرحاً بوطنهم الذي لا يشاركون فيه أحد ؛ لا يتمد السرح فيها إلا بان المجير ، ولا يسمو إلى قطعها حين القيط إلا القوم النظاريف ، والسادة الأشراف الذين يقدمون على الهول ، ولا يمشون بالخطر .

قطعت هذه البلدة جريثاً مقداماً بناقة تدأعيها السرح ، وأضناها الرحيل ، وهي مع هذا جسر ماضية ، لا تنه ولا تنه ، سيرها حين لين ، إذا تأملت لها وجدت فيها جمالاً وحسناً ، فهي بريدة ما بين الرقيقين ، منفرجة الجانبين .

الترس :

تشبيه الصحراء بالترس تشبيه جميل ؛ إذ أن الترس فوق استوائه فيه لمعان يشبه لمعان السراب في الصحراء ، واستمارة عزيف الجن بالليل بالزجل معنى رائع .

\* ترجمته الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ٢٦٠ .

التفسير اللغوي : (١) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه ، جمه أتراس ، و تراس ، و تروس ، و ترمة . حافات : جوانبها جمع حافة . زجل : الزجل : الصخب واللعب والضجيج والطرب .

(٢) لا يبتنى : لا يتمد ، ولا يسمو . الهل : بالتحريك التقدم وفلان ذو مهل ذو تقدم إلى ما فيه الخير والتشرف .

(٣) الطليح : النبا الذي أضناه السرح ، ويطلق على الذكر وللؤث . الجسر : الناقة المضمخة الطويلة القوة . سرح : لينة في سيرها . القتل : تباعد ما بين الرقيقين عن الجنين .



٢ - وقال سويد بن أبي كاهل \* في وصف الصحراء :

وفلاةٍ واضح أقرابها      بالياتٌ مثلُ مُرْفَتِ القزع<sup>(١)</sup>  
يسبحُ الآلُ على أعلامها      وعلى البِيدِ إذا اليومُ مَتَّع<sup>(٢)</sup>  
٥٧٦ : فركبناها على تجوُّلها      بجلابِ الأرضِ فيهن شَتَّع<sup>(٣)</sup>

تَحْلِيلُ الأبيات :

رب مومة مقفرة ، وفلاةٍ موحشة ، قد وضحت أقرابها ، وظهرت جوانبها وأطرافها ، فطرقها باليات لكثرة السير فيها ، فعى لبلاها تشبه للرفت المحطم مما يبقى في الجوانب من شعر الرأس ، يجرى الآل على جبالها ، ويسبح السراب فوق أعلامها ، ويلعب في يدياتها ، عند ما ترتفع أشعة الشمس ؛ وتنتشر في الآفاق خيوطها البيض ، فركبنا هذه الصحراء على جهلنا مسالكها دون أن نخشى فيها ضللا ، غسبنا بها علما أقرابها وجوانبها الظاهرة الواضحة ، ركبناها بحيل صلاب الحوافر ، متوفرة النشاط ، متوافرة المراح .

التقر : -

الأبيات الثلاثة فيها حسن وروعة ، وتشبيه المحصى المحطم للكسر بالشر المتجمع في جوانب الرأس فيه عمق فكرة ، وإن لم يستوالتشبيه كل الاستواء ، وملاحظته السراب فوق الأعلام ملاحظة الرجل البدوي الذي تخليه مناظر البادية .

\* ترجمته الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ١٥٩ .

التفسير اللغوي : (١) الفلاة : الصحراء الواسعة ، وتجمع على فلات وفلا ، وفل . أقرابها : خواصرها ، مفردهما قرب بضم القاف وسكون الراء وضها ، وللتعود هنا الجوانب والأطراف . باليات : رئات خلقت . صرفت : محطم . القزع : جمع قزعة بقلما الشعر في الرأس .

(٢) الآل : السراب . الأعلام : الجبال مفردا هم . البِيد : الصحارى المقفرة مفردا يبداء . متع اليوم : ارتضت لحمه .

(٣) صلاب الأرض : كناية عن الحيل ذات الحوافر الصلبة . الشجع : جنون النشاط .

٣ — وقال المرقش الأكبر يصف الصحراء أيضا :

ودويّة غيّراء قد طال عهدُها      تهاكُ فيها الورْدُ والبرقُ ناعسٌ<sup>(١)</sup>  
 قطعتُ إلى معروفها مُسكراتها      يَعيّنها تَنسلُ والليلُ دامسٌ<sup>(٢)</sup>  
 تركتُ بها ليلاً طويلاً ومنزلاً      وموقدَ نارٍ لم تَرْمُه القوابسُ<sup>(٣)</sup>  
 ٥٨٠ : وتسعُ ترّقاء من اليوم حولنا      كما ضربتْ بعد الهدوء النواقيسُ<sup>(٤)</sup>



\* ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته ص ٢٠٩ .

التفسير اللغوي : (١) الدويّة : الصحراء . تهاك في مشيه : تهايل . الورْد : مكان المورود ، وكفى به من الإبل . ناعس : مغالطه الناس .  
 (٢) معروفها : طريقها للمهودة . منكراتها . طرقها المجهولة . السيامية : الناقة القوية . تنسل : تسير في هدوء . دامس : مظلم شديد الظلمة .  
 (٣) تركتُ بها ليلاً طويلاً : قطعتُ بها . منزلاً وموقداً : مكان تولد السفر وإيقاد ناره . لم ترمه : لم تقمده . القوابس : طالِبو القبس ، والقبس شدة من نار .  
 (٤) الترّقاء : الصياح . الهدوء : من الليل متصفه . النواقيس : التواقيس والأجراس .

### تحليل النواحيات :

وصحراء مقفرة قد اسودّ لونها لهدم عهدها بالنبات واللاء تنهاك فيها الإبل ، وتمسايل في مسيرها من الأين ، وتأخذ السنة السائر فيها ، ويخالط الناس عابرها لعموده وخود نفسه ، قطعت مجهولها إلى مروضها ، ومتكراتها النامضة إلى مسالكها الواضحة بنافقة قوية جريئة ، تنسل في جنباتها انسلال الأرقم ، والليل دامس ، والظلام طامس .

تركت بهذه الدوية ليلا طويلا سهرته ، ومنزلا طيبا أفته ، وأثافي نار لم يجرؤ على اقتباس النار منها القابسون ، وكنت تسمع في تسيارك زقاة اليوم وصياحه ، كأنه دق النواقيس بعد أن هذا كل كأن ، وسكن كل متحرك .

### الغفر :

انتق للرقش مع الأعشى وسويد في بعض الماني ، وزاد عليهم معاني أخر ، فوصفه الإبل بالنهاك ، والسفر بالناس معنى استقل به ، ووصفه الليل بالطول ، وللنزل الذي نزل به والوقد الذي أوقد فيه ناره معنى آخر لم يشارك فيه ، ووصفه زقاة اليوم وتشبيهه بإهه بضرب النواقيس معنى ثالث ؛ وإذن فإن للرقش كان أقدر على وصف الصحراء من زميله ، ومما يه أجل من ممانيتها ، وصوره أكل من صورها ، ولا بد أنك مشارك في الرأي .

فوق أن في أسلوبه جالا ملحوظا ، يظهر في ذلك الطباق في قوله :

« قطعت إلى مروضها متكراتها »

٤ - وقال عمرو بن قتيبة • يصف البرد :

ليس طمسي طمّم الأمانل إذ فلّمس دُرّ القنّاح في الصنبر<sup>(١)</sup>  
ورأيت الإماء كالجنّين البيا لي عكوفًا على قرارة قدير<sup>(٢)</sup>  
ورأيت الثخان كالودع الأثمة جن يفتاغ من وراء الثغر<sup>(٣)</sup>  
٥٨٤ : حاضر شرّكم ، وخيركم دُرّ رُخروس من الأرانب يكرّ<sup>(٤)</sup>



\* ترجمته الشاعر : هو عمرو بن قتيبة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة ، هاجر  
جاهلي طاصر امراً القيس وصاحبه ، ودخل معه بلاد الروم ، وفيها هلك ، فلقب بعمرو الضائع ،  
وهو الذي يقول عنه امرؤ القيس .

بكي صاحبي لما رأى الحرب دونه      وأيقن أنا لا حقان بقيصرا  
قتلت له لا تبك عينك إنما      نحاول ملكا او نموت فنمذرا

وقد توفي حوالي سنة ٥٣٠ م .

التفسير اللغوي : (١) الأمانل : هكذا وردت ، ولعلها الأرامل . الطمم : الطعام .  
قلس در القنّاح : ارتفع لبن الناقة الحلوب . الصنبر : البرد الشديد .

(٢) الإماء : جمع أمة الرقيقات . الجنّين : أصل الشجر الواحدة جشنة . البالي : القديم .  
عكوفًا : مستديرات حولها . القرارة : مازق بأسفل القدر من مرق أو حطام تابل محترق ،  
أو من أو غيره .

(٣) الودع : حرز أبيض مشقوق كشق النواة . الأهبج : الأبيض . يفتاغ : يفتق ويتلوى .

(٤) الدر : اللؤلؤ . الخروس : الفضاء ، والبكر أول ولادتها .

### تحليل الوفيات :

ليس طمأى رديئاً دينياً كطعام الأرامل عند ما يقر البرد ، ويشد الصدر ، وتنقلص  
اللقاح ، ويرتفع اللبن من الضروع ، وعند ما تبدو الإمام عظاماً لالحم فيهن ، فكأنهن جذوع  
الأشجار انقطعت من أصولها ، فنضب ماؤها ؛ وجف أصلها ، تبدوا لئلك الإمام مستدبرات  
حول القدور يستخلصن ما لبق بها ، ولصق بقراراتها وحافاتهما من حطام محترق ، أو تأيل  
ملتصق ، وعند ما ترى الدخان أبيض قد زال أثر وقوده فكأنه ودع الأصداف يلتقى  
وراء الأستار .

إنكم قوم شركم حاضر ، وخيركم ذاهب ، مثلكم في نضوب خيركم ، وجفاف مائكم كمثل  
لبن الأرنب النفساء البكر لما يدر لبنها ، ويمتلى ضرعها .

### النقر :

الأميات في الفخر بالكرم ، وهباء أعدائهم ووصفهم بالبخل ، ولكنه انحرف إلى  
وصف البرد وأثره في الكائنات فأحسن الوصف وأجاد التصوير . ولا سباً في وصف  
استدارة الإمام حول القدر ، فهو تصوير واقعي دقيق ، وتصويره الدخان بالودع الأبيض  
يشقى ويتلوى تصوير جميل .



• — وقال النابغة الذبياني • يصف الترات :

قَما التراتُ إذا هبَّ الرِّياحُ له      تَرى أواذيه التَّعْبَرِينَ بِالرَّيْدِ<sup>(١)</sup>  
 مُعْدَهُ كُلُّهُ وَإِذْ مُتَرَعِّجٍ لِحَبِّ      فِيهِ رُكَّامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْعُضْدِ<sup>(٢)</sup>  
 يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ اللَّاحُ مُتَمَصِّياً      بِالْخِيزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ<sup>(٣)</sup>  
 يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ      وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونََ حُدِّ<sup>(٤)</sup>



• ترجمته الشاعر : انظر ترجمته في وصف الأوابد ص ١٥٤

التفسير المفصّل (١) الأواذي . الأمواج للفرد آذى . العبران : الشاطئان .  
 الرّيد : رغاوى الماء .

(٢) يمدّه : يزيد في مائه . التترع : المتلّج . اللحب : ذى الصوت : الركام : الحطام  
 للتكاثف التراكم . الينبوت : شجر الحشخاش واحده ينبوتة . الحضد : ما خضد وتمكسر .  
 (٣) يظل : يستمر طول يومه . اللّاح : صاحب السفينة . متمصاً : بمنعاً . الخيزرانة .  
 السكان ، وهو دقة السفينة ، وروى الحيسفوجة ، وهو الشراع . الأين : الثقب والإعياء .  
 النجد : المرق والكرب .

(٤) بأجود منه : بأكثر منه عطاء . السيب : العطاء . النافلة : الزيادة .  
 لا يحول : لا يتبع .

### تحليل الأبيات :

ليس نهر القرات ، وقد هبت عليه الرياح العواصف ، فثارت أمواجه ، وتراعى أذيته على شاطئه بالزبد ، تمدد الوديان للقرعة ، اللجبة بالماء الفزير ، يتناثر فيه الحطام ، ويتجمع من الينبوت والخلضد الزكام ، فيخشاه لللاح ، ويخافه النوى ، فينتيه بسكان سفينه ، ويصمم منه بدفة مركبه بعد أن بلغ منه الأين والإعياء كل مبلغ ، ونال منه الكرب والشدة كل منال ، ليس القرات وتلك حاله ، وهذا وصفه عند ما يفيض فيروى ، ويعلمو فينى ، بأجود منك يدا ، ولا بأكثر منك مدا ؛ إذ القرات لا يفيض في كل آن ، وفيضك لا يمد بزمان .

### التقير :

جاء وصف القرات عرضا حين أراد الثابئة أن يصف التهان بالكرم والسخاء ، فسور فيضان القرات حينما تهب عليه الريح ، وتتلطم الأمواج ، ويصطخب الآذى ، وصور مده ، وما يحمله معه من حطام وركام ، كل ذلك في أسلوب قوى قوة الماء حين يشور ، والنهر عند ما يفيض ، وقد اصطفى الألفاظ التي لا ينوب عنها غيرها في معانيها . فالآذى ، والمبرين ، والزبد والحب ، والزكام والينبوت كلها ألقاظ تشرك بالروعة والقوة ، وبالغ كما كان ذلك شأنه ، فلم نشر إلا أنه صادق فيما روى ، وهذا خير ما يرجى من شاعر .

## وصف الآثار الإنسانية

### ( ١ ) وصف السفينة

١ — قال طرفه في وصف السفينة من مملته:

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غَدَوَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالتَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ<sup>(١)</sup>  
عَدُولِيَّةٌ أَوْ بَنَ سَفِينِ ابْنِ يَامِينَ      يَجْمُرُ بِهَا اللَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي<sup>(٢)</sup>  
يَشْقُ حَبَابُ الْمَاءِ حَبِزُومَهَا بِهَا      كَمَا قَسَمَ التَّرْبُ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ<sup>(٣)</sup> : ٥٩١

\* ترجمه الشاعر : اقرأ الترجمة في صفحة ٦١ .

التفسير اللغوي : (١) حُدُوج : جمع حُدَج وهو للركب من مراكب النساء . غَدَوَةٌ : صبحا . خلايا : جمع خلية ، وهي قرارة السفينة ، من خلية النحل ، وهي موضع عسلها ، أو هي السفينة المظلمة ، أو السفينة التي تسير بدون ملاح . التواصف : جمع ناصفة : وهي الرحبة الواسعة تكون في الوادي . دد : اسم موضع .

(٢) عدولية : وصف لموصوف محذوف هو سفينة ، وعدولية نسبة إلى عدولى إحدى جزائر البحر الفارسي ، وقيل إنها نسبة إلى قوم كانوا ينزلون بهجر . ابن يامين : ملاح من أهل هجر . يجمُر : يميل . يهتدي : يسعى للتقصّد .

(٣) حباب الماء : طرائقه وأمواجه . الحيزوم : الصدر كالقيديم . الفايِل : الذي يلعب لعبة الفبال ، وهي تراب أو رمل يكومونه ، ثم يخشون فيه خبيثاً ، ثم يشق الفايِل تلك الكومة يده ، فيقسمها قسمين ، ثم يقول : في أي الجانبين خبأت ، فإن أصاب ظفر ، وإن أخطأ قر .



### تحليل الأبيات :

كان مراكب تلك الخليفة الحسية للنسوة إلى بنى مالك - وهي نظمن صباحا في عظمتها  
وضخامتها تقطع ذلك الوادى الواسع من دد - سفان عظيمة ، كأنها سفينة عدولية أو من  
سفن ذلك الللاح الماهر ابن يامن ، فعى في مسيرها تميل إلى الشاطئين حيناً ، وتهتدى  
في مسيرها ، فتستقيم ولا تنحرف بمنة ولا يسرة حيناً .  
هذا الللاح الماهر يشق بصدرها طرائق الماء ، ويقطع أمواجه ، كما يقسم لاعب القيال  
الرمل براحته .

### التفسير :

تشبيه هوداج النساء بالسفن تشبيه دقيق ، فلهو هوداج كما للسفن قرارات و بطون يجلس  
فيها السفر ، والهوداج في استدادها تشبه السفن في تتابعها ، والوادى الواسع تسميه فيه مراكب  
النساء أشبه ما يكون بالبحر ، وانصرف عن حدود المالكية إلى وصف السفينة العدولية ،  
فقال : إن ملاحها يميل بها ويقصد على حسب الريح ، وهو حيناً يقصد في مشيه يشق  
حيزومها للماء يشبه المقابل عند ما يقسم الرمل ، وقد قال القدماء إن هذا التشبيه من أروع  
ما تخيله شاعر .



٢- وقال عنقرة : يصف الروضة من مملته :

أَوْرُوضَةٌ أَثَا تَضَيَّنَ نَبَتُهَا      غَيْثٌ قَلِيلٌ الدَّمْنُ لَيْسَ بِمَعْلَمٍ <sup>(١)</sup>  
جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِصَكْرٍ حُرَّةٍ      فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدَّرَمِ <sup>(٢)</sup>  
سَحَابٌ كَأَبَا فُكْلٍ عَشِيَّةٍ      يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ <sup>(٣)</sup>  
وَحَلَا اللَّهُ بَابُهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ      غَرْدًا كَفَعْلٍ الشَّارِبِ لِلتَّرْنَمِ <sup>(٤)</sup>  
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      قَدْ حَالَ السَّكْبُ عَلَى الزَّيْنَادِ الْأَجْذَمِ <sup>(٥)</sup>



◦ ترجمته الساهر : اقرأ الترجمة في ص ١٢٢ .

**التفسير اللغوي :** (١) الروضة في الأصل : المكان الطمئن يجتمع إليه الماء فيكثر نبتة . الأنف : الثام من كل شيء ، وقيل هو أول كل شيء ، وروضة أنف لم يرعها أحد . الدمن : جمع دمنة السرجين ، وقيل معناه قليل البث لم يدمن عليها . ليس بمعلم : ليس بمعروف . (٢) جادت : سحت . البكر : من السحاب الذي لم يطر . الحرة : الحاصة ، وقيل الكثرة الطر ، وفي رواية عين ثرة ، والثرة : الكثرة للماء . القاررة : الوضع للطمئن من الأرض يجتمع فيه السيل .

(٣) السح : السحب والأنصاب ، والتسكاب : السكب . لم يتصرم : لم يقطع .

(٤) غردا : منفردا . الشارب : السكران : الترنم : للتغنى .

(٥) هزجا : مصوتا تصوتا مسرعا . السكب : القيل على الأمر . الأجم : المتطوع اليد .

### تحليل الأبيات :

وصف عنقرة في بيت يسبق هذه الأبيات رائعة ثمر عجلة بأنه :

٥٩٧: وكان قارة تاجسر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الغم  
أو أن رائحته كرائحة روضة نائمة النبات ، موفورة الأزهار ، تسقى سقيا خفيفا ، فلا يضر  
الماء الدائم نباتها ، ولا ينال من جمالها ، ولا يقطف الزوار الكثيرون أزهارها ، فسيورها  
محبوس عليها ، وزهرها يفوح في جنباتها .

جاءت على هذا الموضع سحب بكر كثيرة النيث ، سخية بالماء ، فتركت تلك السحب  
للطعن من أرض ذلك المكان منعسا بالماء ، فإذا به في استدارته ولمعانه كالدرم ، وكأني  
بالشاعر رجع يصف الروضة قبل أن ينجم نباتها ، فوصف الموضع بأن الماء فاض عليه ؛  
حتى اشتملت أرضه نباتا .

ينصبّ لطرر عليه انصبابا ، وينسكب النيث في جميع نواحيه انسكابا ، ففي كل  
المشايا يقد عليه المزن ، فيجري بين جنباته ، ويغيض على حواشيه وطرقاته ، فيهب لنبته  
النمو والزكاة .

وحينا نضرت أزهاره ، وينمت أثماره خلا الدباب بتلك الروضة ، فهو يفردها  
تفريدا مستمرا ، مثله في تفريده وترنمه كمثل الشارب الثمل قد أفاضت عليه النشوة السرور  
والمرح ، فأخذ في الفناء والتنفيم ، لا يقفه عن الفناء سبب ، ولا يمنعه من الترنم مانع .  
ذلك الدباب يفتى غناء متتابعا ، ويفرد تفريدا مستمرا ؛ فهو يحك ذراعا بذرعا ؛  
ويقدح جناحا بجناح ؛ مثله في قدحه كمثل رجل ناقص اليد يقدح النار من الزندين .

التقر :

هذه الأبيات في وصف الروضة وذبابها من أروع ما نظم شاعر جاهلي فوصفه قرارة  
الماء بالدرام تصوير رائع جميل ؛ ووصفه الدباب في تفريده تصوير رائع جميل كذلك ؛  
ولقد حكم له زعماء الأدب القديم بأنه أجاد في تصويره كل الإجادة . ولولا الفصل بين  
الموصوف والصفة في البيت الأخير لكانت الأبيات آية الجمال

٣- وقال الأعشى \* يصف روضة من مملقته:

ماروضة من رياض الحزن مُشبةً      خضراء جادَ عليها مُسبلٌ هطلٌ<sup>(١)</sup>  
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شَرِقٌ      مؤزَّرٌ بميمٍ الثبتِ مُكْتَلٌ<sup>(٢)</sup>  
٦٠٠: يوما بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ      ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأصلُ<sup>(٣)</sup>

تحليل الأبيات :

ضمن الأعشى غزله وصف الروضة فبهه عبرا كما فعل عنقرة قبله ، فإنه ليصف محبوبته هريرة بطيب النشر ، فيقول :

٦٠١: إذا تقوم يضوع السك أسورة      والزنبق الورد من أردانها شمل  
إذ يرى أن الروضة دونها نشرًا ، وأقل منها عطرا ، فيقول :

ليست روضة مثاف من رياض الحزن والريا قد أعشيت فنضرت ، واخضرت  
فأزهرت ، بما جاد عليها المطر الهطل ، والفيث للنسك ، فزهرها لليقسم ، ونورها الريان  
المتفتح يضاحك الشمس وتضاحكه ، يبدو لها في ثوب ضاف من الثبت ، وإزار سابغ  
من الزرع . ليست روضة هذا شأنها بأطيب من محبوبته نشرًا ، ولا بأحسن منها  
ساعات الأصيل عطرا .

النقد :

الأعشى في وصفه الروضة أكثر دقة من عنقرة ، ويظهر أن حياته أكسبته معارف  
أوسع ، صرف أن رياض الحزن أنضر من رياض الخفض ، وأن الزهر يفوح عبيره ويذكو  
أريجيه في ساعات الأصيل عنه في غيرها من ساعات النهار لتباعد الشمس والفيث عنه ،  
كما أن تصويره الزهر يضاحك الشمس تصور يدل على حضارة ومدينة .

\* ترجمته الشاعر : اقرأ الترجمة في ص ٢٦٠ .

التفسير اللغوي . (١) الحزن : الأرض للرثمة . وضدها الخفض . معشبة : منبتة .  
مسبل : منسكب . هطل : كثير الانسكاب .  
(٢) الكوكب : نور الروضة . الشرقي : الريان : مؤزر : مؤزر بالثبات .  
مكتل : متكامل .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . دنا : قرب . الأصل : جمع أصبل ، وهو من العصر إلى العشاء .

## ( > ) وصف الخمر وسقائها وندمانها

١ - قال الأعشى • يصف للنادمة :

وأبيضٌ مُختلطٌ بالسكرِ      م لا ينطلى لإفادها<sup>(١)</sup>  
أتانى يؤامرنى فى الشمول      ل ليلًا ، قلت له : غادها<sup>(٢)</sup>  
فرُحنا نباكرُ جدَّ الصبوع      ح قبل النفوس وحُسادها<sup>(٣)</sup>  
قَمِنًا ولما يصبحُ ديكنا      إلى جونةٍ عند حدَّادها<sup>(٤)</sup>  
تنخلها من بكارِ القطا      ف أزرقُ آمنُ أكسادها<sup>(٥)</sup>  
فقلنا له : هذه هاتيا      بأدماء فى حبلِ مقتادها<sup>(٦)</sup>  
قام ، فصبَّ لنا قهوةً      تكنتنا بعد إرعادها<sup>(٧)</sup>  
كيتًا تكشفُ عن حمرةٍ      إذا صرحتُ بعد إزبادها<sup>(٨)</sup>

: ٦٠٩

• ترجمه الشاعر : اقرأ ترجمته فى ص ٢٦٠ .

التفسير اللغوى : (١) مختلط بالسكرام : مصادق لهم . لا ينطلى : لا يتسأكر . لإفادها : لإفادتها .

(٢) يؤامرنى : يشاورنى . الشمول : الخمر الباردة . غادها : باكرها .

(٣) الصبوع : الخمر تشرب صباحاً ، وضدها الصبوع .

(٤) لما : لم . ديكنا . أى ديك النجر الذى يؤذن بالصبح . الجونة : الحاية للطلية

توضع فيها الخمر . حدادها : سى الحمار حداداً لئله الخمر وحفظه إياها وإسأكه لها حتى ينل  
له منها الذى يرضيه ، وفى بعض الكتب جدادها بالجيم ، قال الأزهري : هذا حاق التصحيف  
الذى يستحي من مثله من ضمت معرفته ، فكيف بمن يدمى للفرقة الثابتة ، وصوابه بالخاء .

(٥) تنخلها : تغيرها . بكار القطط : مباكرة القطط والجنى . أزرق : تصير أزرق  
وهو صاحبها ، ويكنى به الرومى لأنه أزرق العينين ... أكسادها : بوارها .

(٦) بأدماء : بناقة غائط ياشها سمرة . مقتادها : صاحب قيادها .

(٧) قهوة : خمرة . تكنتنا : تهدثنا . إرعادها : يقصد إزبادها وفوراتها .

(٨) كيتا : خمرة ينطى حمرتها سواد . صرحت : صفت . إزبادها : فوراتها واتشار

الحبيب فوقها .

جَلَّ عَلَيْنَا بِأَرْيَقِهِ      مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرْصَادِهَا<sup>(٩)</sup>  
 فَرُحْنَا تَمَنَّا نَشْوَةً      تَحْوَرُ بِنَا بِسَدِّ قُصَادِهَا<sup>(١٠)</sup>  
 قَالَ: تَزِيلُونَنِي تَسْعَةً      وَلَيْسَتْ بِعَدْلٍ لِأُنْدَادِهَا<sup>(١١)</sup>  
 قُلْتُ لِمُنْصَقِنَا: أَعْطِهِ      فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ شُهَادِهَا<sup>(١٢)</sup>  
 أَضَاءَ مِظْلَتَهُ بِالسَّارِ      جِ، وَاللَّيْلُ غَايِرُ جُدَادِهَا<sup>(١٣)</sup>  
 ذَرَامُنَا كُلُّهَا جِيْدٌ      فَلَا تَحْبِسْنَا بِتَنَقُّادِهَا<sup>(١٤)</sup>  
 فَبَاتَتْ رَكَابٌ بِأَكْوَارِهَا      لَدَيْنَا، وَخَيْلٌ بِأَلْبَادِهَا<sup>(١٥)</sup>

٦١٦:

- 
- (٩) جَلَّ: فطاف . مخضَّب كَفٍّ: مصبوغ الكف بخضاب الحناء . بفِرْصَادِهَا: صبغها الأحمر ، ويطلق على الثوب الأحمر ، وهو شديد التأثير فيها بجمه .  
 (١٠) تَمَنَّا: تيمت فينا الشعور بالنعماء . نشوة: أول السكر . تحور بنا: تذهب بقواتنا .  
 (١١) تسعة: أي تسعة أباريق . يعدل: بمعادلة . لأُنْدَادِهَا: لنظرائها .  
 (١٢) لمنصقنا: لسائقينا وخدامنا .  
 (١٣) المظلة: الخيمة . غامر: منط وشامل . الجداد: الأهداب .  
 (١٤) تحبسنَا: تؤخرنا في انتظار التقاد: التقاد النقد، وتبين الجوهر السليم من البهرج الزيف .  
 (١٥) ركاب: جمع ركب الإبل . الأكوار: جمع كور القطيع منها أو أداتها . الألباد: جمع لبد وهو المجلس تحت السرج .

## تحليل الأدبيات :

كان الأعشى زعيم اللدنيين ، فلا غرو أن يكون للخمر زعيم الوصافين ، ولقد تأثره من جاء بعده من الشعراء في جميع الصور : المعصر الجاهل والأموى والعباسي ، وأبياته هذه قصة شرب كاملة ، فهذا صديقه للشرق الوجه ، النبيل الأصل ، الصادق للكرام الذي لا يتساكر حتى إذا غدت الخمر ، قد أقبل يشاوره في الشراب ، ويؤامره على الراح ، أيعاقرها في المساء أم يعاقرها في الصباح ؟ فيشير عليه بأن يفادها ، وسينشد يذهبان لمباكرة الصبح قبل أن يصحو التيام ، ويستيقظ العذال والحساد . قبل أن يصيح الديك مؤذنا بانفلاق العجر وتنفس الصبح ، يذهبان إلى خاية مرقعة يحفظها من الشرب راع أمين ، وخار حريص ، فهو لا يقدمها إلا لمن يثق من وفائه ، ويطمن إلى سرائه وثرائه ، ومن حقه أن ينزل هذا فقد تخير كرمها ، واصطفى قطنها رجل رومي خير بصناعته ، فهو آمن كسادها ، مطمئن إلى سرعة تقادها .

فقلنا له : هات كنوسك ، وأترع أباريقك ، نمنها تلك الناقة الأدماء يسوقها لك راعيها إذا لم ترض نمنها دراهم جيادا ، فقام إلى جوفته فصب لنا منها قهوة معتقة ، تهدي النفوس الثائرة ، وتسكن الأجسام المرعدة ، صب لنا خمر كيتا تبدو حررتها عند ما تزول رغوتها ، ويتكشف صريحها عن زبدتها ، وأخذ يحول علينا ياريقه ، ويطوف بكنوسه فنى مخضب الكف ، مصبوغ الراحة ، كأنما قد خضبها بالفرصاد ، فصرنا ننعم بالتشوة ، ونهنا بأول السكر ، حتى خارت منا القوى ، وهدمت الأجسام بعد أن كثرت في طلبها القاصدون ، ولكن ذلك الصديق لم تكن قواه قد خارت ، ولا جسمه قد همد ، فقال : تزيدوني تسعة أباريق وليست بمعادلة لثلاثتها ، بل هي أعظم امتلاء ؛ وكأنه يخاطر ويراهن أنه أقدر الشرب على الشراب ، فراهناه على احتسابها . وقلت لسائقنا : أعطه إياها ، وحين رأى حرص الشاهدين على هزيمته أضاع خيمته ، وأشمل سراحه ، فقد أجهل الليل شاملا الكون بظلامه ، منغليا الدنيا بستره ، فقلنا للخمار هاك دراهمك ، وكلها جيد ، فلا تحبسنا حتى تنقدها فساها من زيف ، وما فيها من بهرج ، فباتت ركبنا من فوقها أكوارها ، وأمست خيولنا تملوها أبادها ، قد شغلنا الشراب النهار ووهنا من الليل.

### النفر :

هذه قصة شراب لا يستطيع ترتيب فصولها ، وتنسيق مناظرها إلا رجل عاقر الحمر ، وعشق الشراب ، فهو القدير على تأليف المناظر ، وتنظيم المشاهد ، فصدقه يؤامره في الشمول ، فيشير عليه بأن يشرىها صبوها ، ويرسم لك بمدد يوما كاملا للدمنين ، فيحسن رسمه ، ويبيد الحوار ، ويصور لك أحاديث النشوى ، حينما تتحكم فيهم الراح :

فقال تزيديتنى تسمية وليست بمدل لأندادها

فقلت لمنصفنا : أعطه فلما رأى حرص شهادها

أضاء مظلمته بالسرا ج ، والليل غامر جدادها

لقد ذهبت الكرة ، وجاءت الفكرة ، غسبه ما احتسى ، وكافيه ما استقى ؛ والأبيات مفعمة بالمعاني ، مترعة بالصور ، زاخرة بالجمال ، جمال الأسلوب ، وجمال النظم ، وجمال الثقافة ، فأى صورة يستطيع أن يصورها فنان قدير أصدق من تصوير الأعشى الحمر إذ يحسبها المحتسى ضخور قواه بمد أن يملوها الزبد ، وذلك في قوله :

فقام فصب لنا قهوة تسكننا بمد إرعادها

كيثا تكشف عن خرة إذا صرحت بمد إزبادها

وأى جمال في الطباق أوضح من « تسكننا بمد إرعادها » ؟

وأليس يروق القارى ذلك الوزن الراقص الذى اختاره الشاعر غريبته ؟ .

ولا غرو فتأنلها هو صناجة الرب ، وزعيم للدمنين .



٢ - وقال عمرو بن كلثوم \* في مطلع معلقته:

ألا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا      وَلَا تُبْقِي خَوْزَ الْأَنْدَرِينَا<sup>(١)</sup>  
مُسْتَعْمَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا      إِذَا مَا لَمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا<sup>(٢)</sup>  
تَجْوَرُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ      إِذَا مَا ذَاتُهَا حَتَّى يَلِينَا<sup>(٣)</sup>  
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمْرَتْ      عَلَيْهِ لَمَاءُهَا فِيهَا مُهِنَا<sup>(٤)</sup> ٦٢٠

\* ترجمته الشاعر: هو أبو عباد عمرو بن كلثوم بن عمرو بن مالك بن عتاب التنلي، كان أبوه من سادات قومه، فتزوج ليل بنت مهامل بن ربيعة، فولدت له عمرا، فهو شريف من ناحيته، فشب عمرو مزهواً بنفسه، عتالا بقومه؛ حتى قيل إنه سادهم وستة وخمسة عشرة سنة، ولا يعرف الأدب له من الشعر غير هذه القصيدة إلا آياتاً قليلة ولكنه عد بها من حلول الشعراء توفي حوالي سنة ٥٧٠ م.

التفسير المفرد: (١) هي: استيقظي. بصحنك: بقدحك الكبير. اصبحينا: اسقينا الصبح، وهو شراب الصباح. الأندرين: قرية في جنوبي حلب على مسيرة يوم للراكب. (٢) مستعمدة: ممزوجة، يقال شمع التراب إذا مزجه بالماء. الحص: بنت له زهر أحمرييل إلى الصفرة يشبه الزعفران. سخينا: حال من لئاء أي حارا، وهناك من يرى أن سخينا فعل وفاعل بمعنى جدنا، والأول أولى لوجهين الأول أن أندرين كانت للروم حينئذ ومن عادتهم أن يشربوا الخمر ممزوجة بالماء السخين، والآخر أنها فعلا وفاعلا تيب الشعر بالسناد، وهو اختلاف الحركة قبل الروي.

(٣) تجور: تميل. بذى اللبانة: بصاحب الحاجة. عن هواه: عن حاجته ولبانته. (٤) اللحز: الضيق الصدر السيء الخلق. الشحيح: البخيل. أمرت: أديررت. مهينا: محضرا.

### تحليل الأبيات :

ألا استيقظي أيتها الساقية من غفوتك ، واصحي من سخطك ، فأدبري علينا الراح ،  
وطوفي بالصبوح ، ولا تدخري من خمر أندرين كأسا ، ولا تبقي من قهوتها صحن ، أدبريها  
علينا مشعشة ممزوجة ، فكأنها إذا ما مرجت بالماء السخين قد خلطت بالزعفران ،  
فهي حراء صفراء ، هذه الخمر تنسى صاحب اللبانات لبائته ، وتصرف ذا اللهام عن مهامه ،  
فهو ينصرف عند ما يذوقها إليها ، ولا يفكر فيها سواها .

وهي القديرة على تغيير الثمائل ، وتبديل الطبايع ، فتجعل الرجل الضيق الصدر ،  
السيئ الخلق سمحا وديما ، سهلا لنا ، وتصير من الرجل الكز الشحيح ، الضنين البخل ،  
سخيا كريما ، لا يبق على مال ، فإذا أدبرت عليه كئوسها أسرف في إفاق دراهمه  
ودنانيره ، ولم يقم لها وزنا ، ولا عرف لها صونا .

### الشم :

عمرو بن كثوم هو الشاعر الأوحده الذي انتح مطلقته بوصف الخمر ، وخالف بذلك  
سنة الشعراء في عصره ، ولعله فيما صنع كان متأثرا بها ، مشغوبا بشرابها ، ومن الأدباء من  
يرى أن خلطا أصاب نظم القصيدة ، فقدم متأخرا ، وآخر متقدما ، ويؤمن أن مفتتح  
القصيدة هو :

٦٢١ : قفى قبل التفرق ياظلمينا نخبرك اليقين ونخبرينا

وأيا كان الأمر فقد وصف عمرو الخمر في إيجاز وصفا بارعا في بيته :

مشعشة كأن الخمر فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

ووصف أثرها في النفوس ، وفضلها في الندامى وصفا لانهيا لجأه ، ولا غاية لحسن تصويره :

تجود بنى اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلبينا

ترى اللعز الشحيح إذا أمرت عليه لساها فيها مهينا

وقد كشف لنا عن بعض عادات أهل الروم في معاقرتهم الخمر ، وأنهم لا يشربونها شمولاً ،  
بل يشربونها حارة كما ذكر ذلك أبو الملاء في رسالة التفران .

٣ - وقال علقمة الفحل \* يصف مجلس شراب:

قد أشهدُ الشَّربَ فيهم مَزهْرُ رَيمٍ<sup>(١)</sup> والقومُ تصرَّعُهمُ صبياءُ خرطوم<sup>(٢)</sup>  
 كأسُ عَزيزٍ من الأعْصابِ عَنَّا<sup>(٣)</sup> ليمضِ أحيانها حانيةٌ حوْمُ<sup>(٤)</sup>  
 نَشَى الصَّداعِ ولا يؤذيكِ صالِبُها<sup>(٥)</sup> ولا يخالِطُها في الرأْسِ تدويمُ<sup>(٦)</sup>  
 عاتيةٌ قرَفٌ لم تَطْلُعْ سَنَةً<sup>(٧)</sup> يَجْنُها مُدمِجٌ بالطَّيْنِ مَخْتومُ<sup>(٨)</sup>  
 ظَلَّتْ تَرَقُّقُ في التاجودِ يصفقُها<sup>(٩)</sup> وليدُ أجمٍ بالكِتانِ مَفْدومُ<sup>(١٠)</sup>  
 كانَ إريقمُ ظلي على شَرَفٍ<sup>(١١)</sup> مُقدِّمٌ بسِبا الكِتانِ مرثومُ<sup>(١٢)</sup>  
 أبيضُ أبْرزَه للضحَرِ راقِبُه<sup>(١٣)</sup> مُقلدٌ قَصَبَ الرِّيحانِ مَفْغومُ<sup>(١٤)</sup>

\* ترجمه: الشاعر : انظر الترجمة في ص ٩٨ .

- التفسير اللغوي : (١) الشرب : جماعة الشاربين . للزهر الريم : العود الثمر  
 الصبياء : خمر من عصير العنب الأبيض . الخرطوم : أول ما ينزل منها صافية .  
 (٢) العزير : اللك . عنتها : جعلها قديمة متعة . حانية : قوم خمارون نسبوا إلى الحانة  
 الواحد حاني . الحوم : الطاقون حولها من حام يحوم كدار يدور وزنا ومعنى .  
 (٣) الصداغ . وجع الرأس ، ومثله الصالب . التدويم : الدوران .  
 (٤) العاتية : النسوبة إلى عانة ، وهي إحدى قرى الجزيرة . القرف : الحجر ترعد  
 الشارب . لم تطلع سنة : مكثت في خايتها سنة دون أن يكشف عنها . يسترها . الدمج :  
 المذنب طين بالطين . مختوم . معط عليه .  
 (٥) ترقق : تضطرب وتهتز . التاجود : الباطية العظيمة . يصفقها : ينقلها من ناجود  
 إلى ناجود . مفدوم : مغطى فيه عند السقي . وكان الأعاجم يغطون قم الساق ، ومثلها مفدم .  
 (٦) شرف : مرتفع من الأرض . مفدم : مغطى قم الإريق . بسبا الكتان : بسباب  
 الكتان ، غذف جزأ من الكلمة ، والسباب الشقق . مرثوم : الكسور أنه .  
 (٧) أبرزه : أخرجه لتصبيه الريح . الضح : الشمس . راقبه : مراقبه وحافظه . مقلد :  
 مقلد . مفعوم : مسدود بالريحان .

### تحليل الأبيات :

يفخر علقمة بالخر ويزهو بشربها ، فيقول : إنه قد يشهد جماعة النداء ومجلس الشراب والفناء ؛ إذ تصرع القوم الصبياء ، وتستولى على عقولهم الراح ، فتدار علينا كأس المزيز ، قد عصرت عقارها من الأعتاب ، وعتقتها خارون ماهرون ، فهم يطوفون حولها ، كأنها مبعودهم ، ويدورون على بواطيلها ، كأنهم يقدسونها ، هذه الخمر المقتة تشفى الصداع ، وتزيل الدوار ، وإن يكن شأن الخمر غير ذلك ، فآثارها لنفاسها غير تأثير سواها ، وكيف لا يكون ذلك أثرها ؟ وهي المنسوبة إلى عانة ، وهي إن أرعدت الجسم فإنها تزن الرأس ، فقد بقيت في دنيا سنة كاملة ، لم يفض ختامها ، ولا رفع غطاؤها ، فهي مدججة بالطين ، تضطرب في جوتها ، وتترقق في ناجودها ، ينقلها من باطية إلى أخرى فتى أجمي ، ووليد روى برع في صناعة الخمر ؛ لأنه يسقى الملوك ، فهو يسقيهم منطى القم ، حتى لا يشاركهم في استنشاق عيرها ، وهو أدب تأدب به في قصور الأمراء والملوك ، إبريق أولئك الشرب يشبه في بياضه وصفائه وطوله وامتداده ظليبا مستشرفا من أصل ، منطى بشقق من الكتان ، وقد كسر أنف ذلك الظلي .

أبرز الوليد الإبريق الأبيض ليرى أشعة الشمس ، وتصيبه ريح الشمال ، وهو يراقبه ويحافظ عليه ، فله عنده الإكبار والإعزاز ، فهو كالمنطى بأغصان الريحان ، وذلك لطيب ريحه ، وأرج عيره ، ينعم الأنوف برائحته العيقة .

### النقر :

وصف علقمة الشرب وقد صرعتهم الصبياء فأحسن وصفهم ، كما أنه صور تتيق الخمر فأحسن التصوير ، ونقى عن الخمر أبرز ما تعاب به وهو أنها تصدع الرأس ، وتذهب العقل ، ولكنه لم يوفق إلى دليل يقيمه على ذلك الأثر ، ثم إنه وصفها بأنها قرقف ، وهذه تردد الجسم فوق أن اللفظ قبيح ثقيل ، ويظهر أن عانة كانت مروة بالخر في العصر الجاهلي إلى جانب بابل .

٤ — وقال الأسود بن يفر النهشلي \* يصفها ويصف ساقها وتندمانها :

وقدْ لموتٌ وللشبابِ لَذَاذَةٌ      بسُلافةٍ مُرْجَتْ بِمَاءِ غَوَادِيٍّ <sup>(١)</sup>  
 مِنْ خَيْرِ ذِي نَظْفٍ أَعْنُ مُنْعَلَقٍ      وَاقٍ بِهَا لِدِرَاهِمِ الْإِسْجَادِ <sup>(٢)</sup>  
 يَسَى بِهَا ذُو ثَوَمَتَيْنِ مُشْرِءٌ      قَنَاتٌ أَنَامَلُهُ مِنَ الْقِرْصَادِ <sup>(٣)</sup>  
 وَالْبَيْضُ يُمَشَّى كَالْبُدُورِ وَكَالْأُشْمَى      وَنَوَاعِمُ يَمُشُّونَ بِالْأَرْفَادِ <sup>(٤)</sup>  
 وَالْبَيْضُ يَرْمِيَنَّ الْقُلُوبَ كَأَنهَا      أَدْحَى بَيْنَ صَرِيحَةٍ وَرِجَادِ <sup>(٥)</sup>  
 يَنْطَلِقَنَّ مَرْوُفًا ، وَهَنْ نَوَاعِمُ      بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ <sup>(٦)</sup>

\* تَرْجَمُ الشَّاعِرُ : هُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَفَرَ بْنِ عَبْدِ الْأَسْوَدِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ نَهْشَلٍ ، أَحَدُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ الْقَحُولِ كَانَ مِنْ نَدَمَاءِ التَّمِيمِ بْنِ لُثَيْمٍ ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ سَلَامٍ الْجُمِي : « كَانَ يَكْثُرُ التَّنَقُّلُ فِي الْعَرَبِ يَجَاوِرُهُمْ قَيْدَمٌ وَحَمْدٌ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ ، وَلَهُ وَاحِدَةٌ طَوِيلَةٌ رَائِعَةٌ لَاحِظَةٌ بِأَوَّلِ الشَّمْرِ لَوْ كَانَ شَفَعَهَا بِمَثَلِهَا قَدِمْنَا عَلَى أَهْلِ مَرِيَّتِهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذِهِ الْأَيَّاتُ . تَوَفَّى حَوْلَى سَنَةِ ٦٠٠ م .

التفسير القصوى : (١) اللذازة : اللذة . السلافة : خالص الشراب وأوله . الغوادي : جمع غادية السحب تتشأغدة .

(٢) النظف : الأقراط مفردها نظفة . الأغن : القدي يخرج صوته من خياشيمه . منطلق : لايس النظفة . واقٍ بها : أقبل بها . دراهم الإسجاد : دراهم الأكسرة كانت عليها صور يكفرون لها ويسجدون .

(٣) الثومتان : اللؤلؤتان . قنات أنامله : اشتدت حمرة أنامله فضربت إلى السواد . القرصاد : صيغ أحمر أو هو التوت الأحمر .

(٤) البيض وصف لموصوف محذوف يقصد التانيات . الدحى : جمع دمية التماثيل المصنوعة من الرخام ونحوه . الأرفاد : جمع رقد الأقداح العظيمة .

(٥) الأدحى : السكان تبيض فيه النمامة . الصريحة : القطعة من الرمل . الجداد : ما غلظ من الأرض وارضع .

(٦) مرفوفا : قولنا . رقيقة الأكباد : كناية عن حسن الخلق ولين الجانب .

### تحليل الأبيات :

يصف الشاعر نفسه بأنه من أهل اللهو والمجون ، فكأن قد لها وجن ، واللهو شهوة ، والمجون لذة ، ومن أدوات لهو سلافة ممزوجة بماء النوادى ، وتكمول مشبعة بآبن السحاب يدبرها حتى اتخذ من الحسن كساء ، ومن الجلال لباسا ، فأذناه مشغفتان بالتطف ، وصوته محلى بالنفث ، وخصره مزين بالمنطقة ، فهو يضم إلى جماله الطبيعى جميع أسباب الحسن والزينة ، أقبل هذا الفتى على جماعة أثرياء يدفعون ثمن الراح من دراهم الأكرسة التى نقشت عليها صور آلهتهم ، وزينت برسم معبوداتهم .

يطوف ذلك الساقى على الندامى وقد زين بلؤلؤتين ثميتين ، مشمرا عن ساعدين كأنهما صيفا من العاج أو سويا من البلور ، وكان أنامله وقد صبغتها الخمر مخضبة بالقرصاد . يدع الفتى دمه لتلأ منه الكؤوس قيان روائح يدرن كأنهن البدور جالا ، والدمى قواما ، وفى أيديهن الأقداح المترعة ، والكؤوس القمصة يدرنها على الشرب ، فيرمينهم بمحاجرهن ، ويصبنهم ببيونهن ، فيشقن قلوبهم ، فكأنها وقد نقبت هذه النظرات أداى نعام بين صريم وجاد ، فهن ينطقن كلاما لنا ، ويسقن حديثا عذبا ، فى نعومة ورقة ، إلى أنهن « بيض الوجوه رقيقة الأكباد » .

### الغمر :

أجاد الشاعر وصف الساقى والساقيات ، وأحسن تصوير مجلس الشراب ، وصورة تصويرا كاملا الأجزاء ، تام العناصر ؛ حتى إنه ليحبب إلى أولى الزهد والعبادة أن يشهدوا ذلك المجلس الذى يظهر فيه ذلك الساقى ذو التومتين و :

والبيض تمشى كالبدور وكالدمى ونواعم بمشيين بالأرصاد

والبيض يرمين القلوب كأنها أدعى بين صريمة وجاد

وأسلوب الشاعر رقيق عذب ، وكأنه اقتبس رفته من راحه ، وأخذ عذوبته من رحيقه ، لا بل من بيضه ونواعمه .

٥ — وقال عدى بن زيد • يصفها ويصف الساقية من قصيدة أولها :

بَكَرَ الْمَازِلُونَ فِي وَصَحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ لِي أَمَا تَسْتَفِيقُ ؟<sup>(١)</sup>  
وَدَعَوْا بِالصُّبْحِ يَوْمًا ، فَجَاءَتْ قَبْنَةً فِي يَمِينِهَا لِثَرِيقُ<sup>(٢)</sup>  
فَدَمَتْهُ عَلَى عَقَارِ كَمِينِ الدَّيْبِكِ صَنِ سُلَافِهَا الرَّأْوُوقُ<sup>(٣)</sup>  
مُرَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا ، فَلِذَا مَا مَرَجَتْ لَدَى طَعْمِهَا مَن يَذُوقُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَطَا فَوْقَهَا فَتَاقِيعُ كَالْيَا قُوتِ حَرٍّ ، يَرِينُهَا التَّصْفِيقُ<sup>(٥)</sup>  
ثُمَّ كَانَ الزَّاجُ مَاءً ، سَحَابٍ لَا صَدَى آجِنُ وَلَا مَطْرُوقُ<sup>(٦)</sup> ٦٤٠

• ترجمته المشاهر : هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب « وأيوب هذا أول من صمى بهذا الاسم من العرب » شاعر تميمي فصيح ، عاش أجداده بالحيرة وكان أبوه زيد أحدق العرب في الكتابة فتولاها لكسرى أنوشروان ، وتعلم عدى العربية والفارسية والكتابة بهما ، وبعد أن شب صار مقدما عند النعمان الثالث ، وتديبناه ، ثم صار كاتباً في ديوان كسرى أنوشروان ، ورحل إلى الشام فأقام بدمشق زمناً ، ثم عاد إلى كسرى ، وخرج من عند كسرى إلى الحيرة ، فزوج هند بنت النعمان بن النضر ، فبقيت زوجة له حتى قتل النعمان ، فترهبت في دير عرف باسمها حتى ماتت ، وكان قتل النعمان لعدى حوالي سنة ٥٨٧ م .

- التفسير اللغوي : (١) بكر : قاموا بكرة . المازلون : اللامعون . تستفيق : تنيق من غيبك .  
(٢) الصبح : الحمر تشرب في الصباح . القبنة : الجارية للفتية .  
(٣) فدمته : صفته بالقدم ؛ وهو مصفاة أو نحوها توضع فوق الإناء ليصفي ما فيه . العقار الحمر . السلاف : خالص الشراب وأوله . الراووق : للصفاء .  
(٤) مرجها : خلطها بالماء . لَدَى طَعْمِهَا : التذ بطعمها .  
(٥) مطا فوقها : علا فوقها . التصفيق : نقل التراب من إزاء لآخر ليصفو .  
(٦) صدى : متغير . آجن : راكد فاسد . مطروق : مباح للناس .

## تحليل الأبيات :

بدأ عدى قصيدته بالنزل ، فذكر أن عاذليه بكروا يذلونه على وجده ، ويلومونه على جواه ، ويدعونه إلى أن يستفيق من هواه ، وليس هؤلاء الماذلون من الحساد البهضين ، ولكتهم من الندامى المحبين ، فما إن انتهوا من عذلم إياه في ابنة عبد الله حتى دعوا بأعجر ليصطبحوها ، فأقبلت ساقية فائنة ، وقينة ساحرة في يمينها الإبريق مفرعا بالمدام ، ممتلئابنت الحان ، فوقه فدامه على عقار مصفى ، كمين الديك صفاء ولحانا ، هي قبل أن نمرجها بأبن السحاب مرة ، فلما مرزجناها به راقنا ذوقها ، ولدنا طعمها ، راقنا جيمها ، ولدنا طرا ، لا فرق بين حديث الشراب ومدمنه ، وإذا هي بعد أن مرزجناها تطفو فوقها الفقاعات كاللآلى ، ويعلوها الحب كالدرر ، هذه الفقاعات لها حجرة كحرة الياقوت يزيد حسنها ، ويضاعف جمالها تنقلها بين الأكواب ، وتداولها في الأباريق والكؤوس .

ثم كان مزاجها ماء صافيا مسكوبا من المزن ، ومصبوبا من السحاب ، لا راكنا ولا فاسدا ، فهو غير متغير اللون أو الرائحة أو الطعم ، وليس كذلك مطروقا لكل وارد ، ولا مباحا لكل قاصد ، فيعكرو كثرة الواردين ، ويغيره تعدد القاصدين .

## التنصير :

عدى بن زيد أرق شعراء العصر الجاهلي ؛ لأنه عاش عيشة حضرية ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « من بداجنا » .

وعدى في هذه القصيدة أرق من الشعراء الباسيين ، تبدو رفته في أسلوبه ، وفي ألفاظه ، وتبدو الرقة في كثرة تداول الحرف الذي اختاره قافية لقصيدته وهو القاف ، فانظر إلى هذا البيت :

فدمته على عقار كمين الديك صنى سلافاها الراووق

وقد أخذ بعض معانيه كثير من شعراء العصر كالأخطل وأبي نواس وشوق ، وأخذهم إياها دليل إلهابهم بها .



## نظرة في وصف الخمر ومجالسها

كانت الخمر في العصر الجاهلي من مظاهر السراء والترف ومن دلائل المروءة والنبالة ، ومن أسباب العزة والفتوة ، فأقبل عليها كل من يريد أن يتسارع الناس عنه أنه سري نرى ، كريم نبيل ، ولم ينحرف عن معاقبتها إلا قلة ضئيلة رأت فيها غير ما يراه الآخرون ، ولعل أولئك الذين انحرفوا عنها قد شاركوا الآخرين في وصفها ، وأسهموا معهم في نعتها .

وها قد عرضنا خمسة نماذج لوصفها ، وهي وإن تكن قليلة إلا أنها نشعرنا باحتفالهم لها ، واحتفائهم بها ، وجيهم من ذوى المراكز الخطيرة في الجزيرة العربية سواء كان خطرهم ذاك مؤثلا أو مستعدنا ، وقد تفرعت بينهم أساليب الوصف ، فهذا الأعشى يصور لنا مجلسا تبارى فيه الشرب ، في حوار مجتم ، ونجوى رائحة . وفي تصوير بارع ، وتلوين دقيق ، من مثل قوله :

فقام فصب لنا قهوة تسكننا بعد إرعادها

كيتنا تكشف عن حمرة إذا صرحت بعد إزادها

وهذا عمرو بن كلثوم يتحدث عنها حديث الأشراف النبلاء ، فلا يصف أثرها في الجسم ، أو فعلها في الرأس ، وإنما يصف أثرها في الأخلاق ، وفعلها في الخلخال ، فعلى :

تجور بذى اللبانة عن هواء إذا ماذاقها حتى يلينا

تري الحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

أما علقمة الفحل فيصف مجلس الشراب تدار فيه الزاح على نبات الزهر الرنم ، « والقوم تصرعهم صبياء خرطوم » وينسب الكأس إلى أنها « كأس عزيز من الأعناب عتقا » ويصف الإبريق ويصوره تصويرا غير واضح فهو كالظبي المستشرف ، وقد وضعنا وجه الشبه في التحليل على النحو الذي ارتضيناه ، وعلى أى فالحمر مستقة قد :

ظلت تفرق في التناجود يصفقها وليد أجم بالكتان مفدوم

كان إبريقهم ظلي على شرف مفدم سبا الكتان مرثوم

وإذا كان الناقد ما يأخذ على عظمة فهو صلابة لفظه ، وجزالة كله التي لا تلامح الحُر  
الرقية السلسة ، ونضجها بما لم يعمد فيها ؛ إذ لم يعرف إلا الدمون - إن كانوا - أن الحُر  
نشق الصداق ، « ولا يخالطها في الرأس تدويم » .

أما الأسود بن يفر قد انصرف عن الحديث في الحُر إلى الحديث عن سقاتها ، فأبدع  
في وصفهم ، وأجاد في تصويرهم ، فيقول :

والبيض تمشي كالبدور وكالدى ونواعم يمشون بالأفراد

والبيض يرمين القلوب كأنها أدهى بين صريمة وجاد

ينطقن معروفا وهن نواعم بيض الوجوه رقيقة الأكباد

أى تصوير للجمال أوضح من ذلك التصوير ؟

أما عدى بن زيد قد وصف الحُر بالصفاء ، فالساقية قد صفت الحُر بالقدم فقال :

قدمته على عقار كمين الديك صفى سلافيها الراووق

ولعل قائلا أن يقول : ما العقار وما السلاف ؟ فنقول : إن العقار غير السلاف في المعنى

الدقيق ، فقد سميت الحُر عقارا لأنها عاقرت الدن ، أما السلاف فأحمر لأول عهدا ، وهنا

تبدو دقة عدى في استعمال الألفاظ . وكأنى بشوق بك قد نظر إلى قول عدى :

وطنا فوقها فتاتيح كاليا قوت حمير يزينا التصفيق

فتدرك ما فيه من نقص ؛ إذ قال :

حرف كأسها الحب نعى فضة ذهب

فالتفاهة لا تكون كالياقوت ، وأحسب أن قوله « حر » هذه حشوفالياقوت لا يكون

إلا أحمر ، فأما صدى في قوله : « لا صدى آبن ولا مطروق » : فلم نعلم لها على معنى

صريح يلائم البيت ، فمأني الصدى الصريح لا يؤدي المعنى المراد ، فسرناها بتأنيبه ،

وعلى كل فدى من زعماء وصف الحُر ، وأسلوبه آية الرقة والسلاسة ، ولعل حياته

في فارس والحيرة والشام منحه من المعاني ما لم يمنحه شاعر سواه .

## (د) وصف الأسلحة

١ - قال أوس بن حجر • من قسيده أولها :

صَحَّ قَلْبُهُ عَنْ سَكْرَةٍ وَتَأَمَّلًا      وَكَانَ يَذْكُرِي أُمَّ عَمْرٍو مَوْكَلًا<sup>(١)</sup>

وإني امرؤ أعددت للحرب بئدما      رأيت لها ناهبا من الشر أعصلا<sup>(٢)</sup>  
أصم رُدَيْنِيَا كَانَ كُصُوبَةً      نَوَى الْقَسْبَ عَرَا صَا مَرْجَانُ مَنَصَلًا<sup>(٣)</sup>  
عليه كصباح المزيز يشبه      لِفَضَحٍ وَيَحْشُوهُ الْقَهَالُ الْمُفْتَلًا<sup>(٤)</sup>  
وأملس حوليَا كَنِيغِي ، قَرَارُهُ      أَحْسَنَ بَقَاعٍ نَفَحَ رِيحُ فَا بُجْغَلًا<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ قُرُونَ الشَّمْسِ عِنْدَ ارْتِفَاعِهَا      وَقَدْ صَادَفَتْ طُلُوعًا مِنَ النُّجُومِ أَهْزَلًا<sup>(٦)</sup>

• ترجمه الشاعر : هو أوس بن حجر بن أسيد بن عمرو بن نعيم ، كان شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير ، واستقرت له شاعرية نعيم ، ومن التقاد من يقدم عليه عدى بن زيد ولسنا على رأيهم . توفي سنة ٦١٠ م .

التفسير اللغوي : (١) تأمل : تدبر . يذكري : أذكر . أم عمرو : خليلته . موكلا : مشغولا . (٢) أعددت : جهزت . أعصل : ملتويا معوجا .

(٣) أصم : صلا متينا . ردينيا : منصوبا إلى ردينه المعروفه بتخفيف الزمخ مع زوجها سمير . القسب : الغر اليابس . عراصا : كثير القمان . مزجا : موضوعا له الزج . منصلا : مركبا له التصل . والزج : الحديدية في أسفل الرمح ، والتصل الحديدية في أعلاه .

(٤) المزيز : اللؤلؤ . يشبه : يشبهه . لفضح : بكسر القاء من أعياد التصاري ، وبالفتح الصبح ، والأول هو للراد . القهال : القتل : القتل : القتل فتلا محكما .

(٥) أملس حوليا : درعا ملساء قد مضى على نسجها حول ، والدرع تؤثت وتذكر التي : التدبير . القرار : القمر . بقالع : بأرض سهلة مطمئة . فابجغل : غلاف وفزع .

(٦) قرون الشمس : أشعتها ، وقرن الشمس أول ما يبدو منها عند شروقها . الطلع السكان الشرف . النجم : النبات الصغير . أهزل : منفردا .

تردد فيه شومها وشماها فأحصن وأزرن لأمرى إن تسربلا<sup>(٧)</sup>  
 وأبيض هنديا كأن غرارها تلالو برقي في حبي تكلا<sup>(٨)</sup>  
 إذا سل من غدي تأكل أتره على مثل مصحاة اللجين تأكل<sup>(٩)</sup>  
 كأن مدب النمل يتبع الربا ومدرج ذر خاف بردا فأشكلا<sup>(١٠)</sup>  
 على صفحتيه من متون جلالة كفى بالذي أبلى وأنت متصلا<sup>(١١)</sup>  
 ومبضوعة من رأس فرعر شظية بطود تراه بالسحاب مجلا<sup>(١٢)</sup>  
 على ظهر صفوان كأن متونه علقن يذهن برلق المتزلا<sup>(١٣)</sup>  
 ٦٥٤ : يطيف بها راع يحجم فته ليكلا فيها طرفه متأملا<sup>(١٤)</sup>

(٧) فأحصن : أفل تعجب من حصن ، أى فاأحصنه . تسربل : لبس السربال .

(٨) غرار : حده . حبي . سحاب . تكلا : لبس الإكليل ، وهو شبه عصاة زرين بالجواهر .

(٩) تأكل : توهج واشتد لماعه . أتره : فرنده وجوهره . للصحاة : إناء للشرب ، وفي رواية مصحاة ، وهى أداة تشبه البرد ، ولعلها أنسب . اللجين : القضة .

(١٠) مدب : مصدر ميب ، ديبب . يتبع الربا : يقصد للارتفاعات . مدرج : درج . القدر : صفار النمل أو هو الهباء المنتشر فى الهواء . فأسهل : فزله من الجبل إلى السهل .

(١١) على صفحتيه : على جانبيه . متون : جمع متن ظهور . أنت : حسن . للنمل : السيف .

(١٢) المضوعة : المقطوعة ويبنى بها القوس . الشظية الفلقة من النصن أو نحوه . الطود : الجبل . مجلا : ملثا بالسحاب .

(١٣) الصفوان : الصخر الصلب . علقن : سقين مرة بدمرة ، والصل السقى للمرة الثانية ، وضده التهل . التزول : التازل يطمه وحذر .

(١٤) يطيف بها : يدور حولها . يحجم : يكلف . ليكلا : ليردد . طرفه : عينه متأملا : متدبرا متممنا .

فَلَا قَ اسْمًا مِنْ مَيْدَعَانٍ وَأَصَحَّتْ قُرُونُهُ بِالْيَأْسِ مِنْهَا وَصَحَّ (١٥)  
 قَالَ لَهُ : هَلْ تَذْكُرُنَّ مُحَسِّرًا يَذْكُ حَلَى غُفْمٍ وَيَقْصُرُ مُعْجَلًا (١٦)  
 عَلَى خَيْرٍ مَا أَبْصَرْتَهَا مِنْ بَضَاعَةٍ يَلْتَمِسُ بَيْعًا لَهَا أَوْ تَمَكُّلًا (١٧)  
 فَوَيْقَ جَبِيلٍ شَامِخِ الرَّأْسِ لَمْ تَكُنْ لَتَبْلُغْهُ حَتَّى تَكُلَّ وَتَمَلَّ (١٨)  
 فَأَبْصَرَ أَلْهَابًا مِنَ الطُّودِ دُونَهُ يَرَى بَيْنَ رَأْسَيْ كُلِّ نَيْقِينَ مِهْبَلًا (١٩)  
 فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسَهُ وَهُوَ مُعْجِمٌ وَالنَّقَى بِأَسْبَابِ لَهُ وَتَوَكَّلًا (٢٠)  
 وَقَدْ أَكَلَتْ أَظْفَارُهُ الصَّغْرُ، كُلَّمَا تَمَيَّا عَلَيْهِ طَوْلُ مَرْقَى نَسْهَلًا (٢١)  
 فَازَالَ حَتَّى نَلَمَّا وَهُوَ مُشْفِقٌ عَلَى مَوْطِنٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ تَقْصَلًا (٢٢)  
 ٦٦٣ : فَأَقْبَلَ لَا يَرْجُو الَّذِي صَفَرَتْ بِهِ وَلَا نَفْسَهُ إِلَّا رَجَاءَ مُؤْمَلًا (٢٣)

(١٥) ميدعان : عين . أصحمت : صحمت . قرونته : نفسه ، اليأس : انقطاع الأمل .

(١٦) غفم : ربح . يقصر : يقصر وعيا .

(١٧) يَلْتَمِسُ : لطالب . تَمَكُّلًا : غنمة .

(١٨) جَبِيل : تصغير جَبَل ، والتصغير للتعظيم . تَكُلَّ : تكلب وتعب . تَمَلَّ : تعمل :

تجهد ومتعب .

(١٩) الألهاب : جمع لَهَب وهو الصدع في جانب الجبل . نَيْقِينَ : ثنية نيق ، وهو

الكان المرتفع . مِهْبَلًا : الهوة الداهية في الأرض .

(٢٠) فَأَشْرَطَ : فأعبد وألزم نفسه . مُعْجِمٌ : محكم . أسْبَابِ : وسائل . تَوَكَّلًا :

اعتمد على الله .

(٢١) تَمَيَّا : أهجزه . مَرْقَى : رقى . نَسْهَلٌ : طلب السهل ، وفي رواية توصل .

(٢٢) مُشْفِقٌ : خائف . زَلَّ عَنْهُ : سقط عنه : تفصل : تقطع وتفرق جسمه .

(٢٣) لَا يَرْجُو : لا ينتظر نفسه التي صعدت به . رَجَاءَ مُؤْمَلًا : رجاء متمنى منتظرا .

- فَلَمَّا قَضَىٰ عَمَّا يُرِيدُ قَضَاءَهُ . وحل بها حرصاً عليها فأطولا<sup>(٢٤)</sup>  
أمر عليها ذات حذر ، غرابها رقيق بأخذ المداوس صتيلا<sup>(٢٥)</sup>  
على نخذه من برايق عودها شيه سفا البهي إذا ما فتلا<sup>(٢٦)</sup>  
جفردا صفراء ، لا الطول عابها ولا قصر أزرى بها فتعطل<sup>(٢٧)</sup>  
إذا ما تاملوها سمعت لصوتها إذا أنبضوا عنها ثلثا وأزلا<sup>(٢٨)</sup>  
وإن شد فيها التزع أدبر سهمها إلى متعنى من مجبها ثم أقبلا<sup>(٢٩)</sup>  
وحش جفير من فروع غرائب تنطع فيها صانع وتنبلا<sup>(٣٠)</sup>  
٦٧١ : تحيرون أنشاء ، ورؤكن أنصلا كجمر النضائي يوم ربح تزيلا<sup>(٣١)</sup>

- (٢٤) حل بها : نزل بها . فأطول : فأطال اللقام والحلول .  
(٢٥) ذات حد : كناية عن السكين . غرابها : حدها . المداوس : جمع مدوس كبير آلة الصيقل يقف بها القسي .  
(٢٦) براية : بقايا البرى . السفا : من السبل حكة . البهي : نبات يشبه الشعير .  
فتل : التفت بعضه على بعض .  
(٢٧) جفردا : غلصها من قعرها . أزرى بها : عابها . فتعطل : فلا تعمل .  
(٢٨) تاملوها : تاملوها . أنبضوا عنها : حركوا وترها . ثلثا : صوتا ؛ والثلث صوت القوس والأسد والظبي . أزلا : دينا .  
(٢٩) أدبر : تحول . مجبها : مقبضها ومثله مجبها .  
(٣٠) الجفير : الكنانة توضع فيها السهام . تنطع : تأنق ، ومثلها تنبل .  
(٣١) أنشاء : جمع نضو هزلا ، ويقصد به السهم قبل أن يراش . الأنصل : جمع نصل ، وهو الحد . النضا : شجر من الأثل خشبه من أصلب الحشب ، وجره يبق زمتا طويلا لا ينطق ، تزيل : تفرق وتوزع .

فَلَمَّا قَضَىٰ فِي الْمُنْعِ فِيهِمْ فَهَنَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُرَاشَ وَتُصَلَّاهُ<sup>(٣٢)</sup>

كَاهُنْ مِنْ رِيَشٍ يَمَانٍ غَلَوَاهُ

سُخَامًا ، لَوَاهَا ، لَسَيْنَ الْمَسِّ ، أَطْحَلًا<sup>(٣٣)</sup>

٦٧٤ : فَذَاكَ عَتَادِي فِي الْحَسْرَةِ إِذَا تَلَطَّ

وَأَرْدَفَ بَأْسٌ مِنْ خَطُوبٍ وَأَعْجَلًا<sup>(٣٤)</sup>




---

(٣٢) فهمه : حذقه ، وفي رواية هم . تراش : يركب فيها الريش . تصقل : تحدد .

(٣٣) يمان : منسوب إلى اليمن . سُخَامًا : ريشا ظاهرا . لَوَاهَا : ريشا يلاثم بضعه بضا . أَطْحَل : أغبر يميل إلى السواد .

(٣٤) التلظت : اشتعلت وتلظت . أردف : تبع . بَأْسٌ : شدة .

## تحليل الأبيات :

صحا القلب عن سكرته ، وأفاق الفؤاد من غوايته ، وكان من قبل مشغولاً بمحبوبته ، صحا ومن حقه أن يصحو ، فالمرأة تنسى الإنسان ملاذته ، والمجد يصرف المرء عن هواه ، وهذه الحرب التي هي من أقوى أسباب المرّة والمجد قد تكشفت ، فلنأخذ لها أهيتها ، ولنمد ليومها عتادها .

قد أعددت لها ريحاً صلياً تقفته رديئة فأحسنت ثفانها ، فكسبه كنوى التمر اليابس نعومة وملاسة ، ثم أزجته وأصلته ، فبدأ كأن عليه مصباح ملك يشمله في يوم عيد ، فيحشوه القبال للقتل ، والفتيل المحكم ؛ ليكون ضوءه أسطع ، ونوره ألم .

وأعددت لها درعا ملساء نسجها ناسجها في عام كامل ، فهي في تماوج نسيجها ، وبريق قتيورها كالتدبير تلعب بمائه الريح المادئة ، ويداعبه النسيم الطيل ، فيلمع موجه ، ويظهر فوقه دوائر بيض ، أو كأن لمعانها أشعة الشمس صادفت مستشرفاً من نبت ناعم ، فضوها يتردد عليه ، ونورها ينبسط فوقه ، فكأنه الثوب يتردى به ذلك النجم الأعزل ، فما أعظم حصانته ، وما أجمل زينتته !

وأعددت لها سيفاً مهتداً ، وأبيض مرهفاً كأن حده برق يتلألأ وسط سحب مستدير ؛ إذا سل من غمده توهج فرنده ، وتأكل رونقه ، فصار في توجهه ولمعانه كسحابة من اللجين ، وكأن رونقه في الثماح صفحته ديب نعال تصدق في الربا يقابله درج هباء يسقطه إلى الأرض خشية البرد ، وكفى هذا الذي أبلى غمده ، وأحسن نته منصلاً !

وأعددت لها قوساً قد بضمت من فرع شجرة نبتت في جبل جليل بالسحاب ، فوق ظهر صخر أسم ، كأنه قد نهل وعل من دهن يزل منه الحذر ، ويزلق من مسيره على صخره البلى ، فاكتمسب من ذلك الصخر صلابته وملاسته ، يدور حول هذه الشجرة راع يكلف نفسه مالا يطيق ، ويحشها مالا تستطيع ؛ ليمتج بمرآها طرفه ويردد فيها بصره ، وإذ هو يتأملها ، ويغنم فيها لاقى امرأ من « ميدعان » وقد يئست نفسه من



الوصول إليها ، وهجعت عن بلوغها ، فقال له ذلك « اليدعاني » أتعرف من يخبر بالخير  
ويقصر عنه ؛ ويأسر بالبر ولا يفعله ؟ إنه أنا ذلك الخبير الآسر ، إنها خير ما يبصر به المرء  
الذى لمتمس يما أو يرجو رجما ، إنها فوق جبل شامخ القمة ، مستطيل القنة ، ولن تبلمه  
حتى تنب وتتنصب ، وتعمل فتجهد ، فرأى شقا يستطيع أن ينفذ منه ، وغرما قد يقدر أن  
يصمد فيه ، ولكنه يرى بين مرتعين هوة قد يسقط منها فتودى به ، فأزيم نفسه أن يبلغ  
قته ممسكا بأسباب الحياة ، مستعيا بالتوكل على الله ، لقد ناله في مرعاه الضر ، فأكل  
أظفاره التى يتسلق بها الصخر ، فكلما أعياه للرق ابتنى مرتقى أيسر ، فما زال يبالغ  
أمره ؛ حتى بلمه وهو خائف وجل من موطن لوزلت فيه قدمه لتفرقت أوصاله ، فلما قطع  
مبضوعته ، وقضى لباتته ، وحل بالقمة أطال اللقاه حرصا على نيل بنيته .

وبعدئذ أسر على القراع شفرته ، وأرسل فوقه غراب سكينه ، يصل به ما قد شق  
في الوصول إليه ، وإنك لتجد فوق لحذيه راية غصنها ، ونفاية عودها تشبه شفا البهي  
إذا التفت بعضه على بعض .

فجردها قوسا صفراء لا يبيها طول ، ولا يزرى بها قصر ، فهي معدة لحينها ، مؤدية  
أعظم ما يرجى منها ؛ إذا ما تناولها قواسوها ، وأنبضوا وترها سممت لها صوتا حنوناً ،  
وثيا ورنينا ، وهى لينة صلبة متى شد النازع فيها السهم عاد إلى مقبضها ، ثم ما يلبث أن  
يتركه فيذهب بعيداً لقوة دنها ، وصلابة عودها .

وأعددت كنانة محشوة بالسهم المصقولة من فروع أشجار غرائب فى صلابتها ، قد  
تأنق فيها صانها ، وتمهل فى صقلها صاقلها ، فاخترت ، ثم ركبت فيها اتصال حرراً محددة  
كأنها جمر النضا فى يوم ريح ، ففرق فى اليمين والشمال ، ثم تطاير فى كل مكان .

فلما أتم صنعها ، وأولاهها جميع فيه وحذقه كساحن ريشا يمانيا سخاماً ولؤاماً ، لبنا  
مُعبرا . ذلك عتادى عند تاجع الحرب ، وترادف البأس ، واشتداد الخطب .

### النقر :

بلغ أوس بن حجر في قصيدته تلك من وصف المتاد عند العرب ما لم يبلغه شاعر ، وجاء في تصويرها وتحديد آثارها بما لم يحمي به كفى محارب ، فهو قد استقصى هذه الأسلحة لم يفاد منها سلاحا ، فهي : أسم رديني ، وأمس حولي ، وأبيض هندی ، ومبضوعة من رأس فرع ، وحشو جفير من فروع غرائب .

وقد منح كل سلاح من هذه الأسلحة عنايته ، فوصفه أدق وصف ، وصوره أروع تصوير ، وشبهها بما يلائمها أجل تشبيه ، فكان فارس الحلبة في هذا الميدان ، وأنا معبد جميع آياته لو أردت أن أعرض جميل صوره ، وبديع رسمه ، فأى صورة أروع من تصوير درعه وقد لمع قتيورها ، وتلألأت في أشعة الشمس مساميرها ، فبدت مهترزة مضطربة كأنها غدیر تهز مائه نسائم رفاق ، أو كأنها قرون الشمس ساطعة مرتفعة فصادفها نبت ناجم ، فضوها بسطع فيه ، وأشتها تتردد فوقه ، ما أجل هذا المنظر ! وما أزينه ! وما أقدر من رسمه وما أحسنه ! هل أقول لقد أوفيته حقه إذ عرضت صورته ؟ لا ، ولكني أكاد أوفيه ذلك إذا عرضت الآيات التي تشتعل على الصورة لترى فيها الأجزاء وانحمة القسمات ، بادية المحاسن ، مقسمة الظلال ، متلائمة الأجواء ، وما هي ذى :

وأمس حوليا كنهى ، قراره أحسن بقاع فبح ربح فأجفلا  
كأن قرون الشمس عند ارتفاعها وقد صادفت ظلما من التجم أعزلا  
تردد فيه ضومها وشماعها فأحسن وأزبن لأمري إن تسربلا

ومع أنه وهب لكل سلاح عنايته إلا أنه آثر القوس إيثارا عظيما ، ولعله كان ذا تأثير في حياته أكثر من سائر عتاده ، فقد وصفها في ثمانية عشر بيتا ، ذكر فيها منبتها التي نبتت فيه ، وبضعت منه ، وباضعها الذي عرف أصلها ، فأطاف بها ، وصاحبه الذي شجبه على قطعها . . . وهكذا ما يزال يرسم خطواته ؛ حتى يصل إلى صوتها عند نزحها فيقول :

إذا ما تعاطوها سمعت لصوتها إذا أنبضوا عنها ثنيا وأزملأ  
وإن شد فيها النزع أدبر سهمها إلى منتهى من عجزها ثم أقبلأ

ولست مبالغاً إن قلت إن الشراء السكاة أخذوا جل معانيهم من ذلك الشاعر الذى لم  
يكن فارساً من الطراز الأول ، فقد كان يقع فى الأسر كثيراً ، ويفر من ذلك الأسر ،  
وكأنى به كان يحبس الفرسان والأبطال بوصف المتاد ، وتلك الطريقة إحدى طرق  
النصر ، فلم يكن له من أسبابه إلا وصف عتاده لكان قد أدى واجب قبيلته عليه ،  
فكيف وقد كان مشاركاً فيه ؟

أوس بهذه الأبيات أقدر من وصف القوس ، ومنه اقتبس من وصفها بعده ، وعلى  
رأسهم الشماخ بن ضرار .



٢ - وقال الشيخ بن ضرار • يصف قوساً :

تَحْيَرُهَا الْقَوَاسُ مِنْ قَرَعِ ضَالَةٍ لَهَا شَذَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَزَائِرُ<sup>(١)</sup>  
نَحَتْ فِي مَكَانٍ كُنْهًا فَاسْتَوَتْ بِهِ وَقَادُوتَهَا مِنْ عَقِيلِهَا مُتَلَاخِرُ<sup>(٢)</sup>  
فَإِذَا لَاحَظُوا كُلَّ رَعْلٍ وَيَاسِي وَيَنْفُلُ حَقٌّ نَاقِصًا وَهُوَ بَارِزُ<sup>(٣)</sup>  
فَأَتَمَّى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غَرَابِهَا عَدُوٌّ لَأَوْسَاطِ الْعِصَاهِ مُشَاوِرُ<sup>(٤)</sup>  
فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ فِي يَدَيْهِ رَأَى غَيَّ أَحَاطَ بِهِ ، وَازْدَوَّرَ عَنْ يَحَاوِرُ<sup>(٥)</sup>  
فَأَسْكَمَهَا عَاتِينَ يَطْلُبُ دَرَاهَا وَيَنْظُرُ مِنْهَا مَا أَلَى هُوَ غَايِرُ<sup>(٦)</sup>  
أَقَامَ التَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ مَقْنَهَا كَمَا أَخْرَجَتْ حَيْفَنَ الشَّمْسِ الْهَامِرُ<sup>(٧)</sup>  
٦٨٢ : فَوَاقَى بِهَا أَهْلَ الْوَاوِسِ فَأَنْبَرَى لَهَا يَبْسُحُ يُغْلَى بِهَا السُّومَ رَازِرُ<sup>(٨)</sup>

• ترجمه الشاعر : هو الشيخ بن ضرار التلي من ثلبة بن سعد بن ديان ، والشيخ لقبه واسمه معقل أدرك الإسلام ، وقال عنه الخطيب : إنه أشعر غطفان ، ذكروا عنه أنه أوصف الناس للحمير الوحشية وللقوس ، وأرجز الشعراء على البديهة . توفي سنة ١٨ هـ .

التفسير اللغوي : (١) الضالة : شجرة السدر البرية . الشذب : العيدان الشاذبة المقطوعة .

الجزائر : لم نجد هذا الجمع في القواميس ، وقد فسر في الجمهرة بأنها أصول الشجر العظام ، ولعلها الجزائر . وهي جمع جزة . ومن شأن الصوف التفرق .

(٢) كنها : سترها . التيل : التيل : الشجر للثقف . متلاخز : متضايق .

(٣) ينحو : يقصد . ينفل : يدخل تحت الشجر ليتخير أقواها جذرا . بارز : ظاهر .

(٤) فأتَمَّى عليها : فاعتمد عليها . ذات حد : كناية عن موصوف هو القوس أو السكين . غرابها : حدها . مشاور : محارب .

(٥) اطمأنت : سكنت يعني القوس . ازور : مال وصد . يحاور : يخالط .

(٦) درأها : بسطها . التامز : السكان الطمئنين فيها ، يعني الشق .

(٧) التقاف : خشية تقوم بها الرماح . الطريدة : القصة التي يعرف بها اعتدالها .

الشموس : الفرس الجوح . الهامز : جمع سهم أو سهمان ، وهي حديدة في مؤخر خف الرامض .

(٨) فوآق بها : لجأ بها . أنبرى : اعترض . يبيع : مبتاع . السوم : البيع . رازر : مجرب .

- فقال له : بايع أخاك ولا يكن  
 لك اليوم من ربح من البيع لاهز<sup>(٩)</sup>  
 فظل يناجي نفسه وأميرها  
 أباي الذي يعطى به ألم يجاوز<sup>(١٠)</sup>  
 فلما شراها غاضت العين عبوة<sup>(١١)</sup>  
 فذاق ، فأعطته من اللين جانباً  
 كفى ، ولما أن يفرق السهم حاجز<sup>(١٢)</sup>  
 ترسم شكلي أو جنبها الجناز<sup>(١٣)</sup>  
 هتوف إذا ما خالط الظلي متهماً  
 وإن ريع منها أشدته التواقر<sup>(١٤)</sup>  
 كأن عليها زعفراناً تميره  
 خوازن عطار يمان كواثر<sup>(١٥)</sup>  
 ٦٩٠ : إذا سقط الأنداء صيئت وأشهرت  
 حبراً ، ولم تدرج عليها الماكور<sup>(١٦)</sup>

(٩) بايع أخاك : به . لاهز : الجبل ويقصد لا يكن لك مانع أو صاد .

(١٠) يناجي نفسه : يسارها . يجاوز : يقبل متجاوزاً . أميرها : قلبه .

(١١) شراها : باعها . حزاز : حزن يحز في قلبه . حازر : محض محرق .

(١٢) فذاق : لجربها . يفرق السهم : يضيع ياد ياره .

(١٣) أنبض الرايون : حركوا الأوتار . ترنمت : تننت . شكلي : فاقدة ولدها .

(١٤) هتوف : ذات صوت . ريع : أفرعه الراي . التواقر : قوائم الظلي للوابية .

(١٥) الزعفران : صبح أصفر . تميره : تحركة فتطلي به . خوازن : جمع خاذة ،

وكواثر كذلك جمع كاذة .

(١٦) الأنداء : جمع ندى . صيئت : حفظت . أهرمت : ألبست للشار . حبراً : برداً

موشى . الماكور : الأخلاق .

### محبلى المزيات :

تغير هذه القوس قوأس عليم ببيادها ، بصير بأصوادها ، فأنخذها من فرع ضالة قد شذبت زوائدها ، وقطعت أطرافها ، فطالت وزكت ، ونمت في مكان سترها عن الميون ، فاستوت دون أن تمتد إليها يد ، أو يمتص غذاءها جذر ، إذ تباعدت عنها الأشجار التي يمكن أن تسهم معها في الغذاء ، في حين أن غيرها قد التفت بفضه على بعض ، ففداؤه ضئيل ، وشرابه قليل .

ما زال هذا القواس يحس الأشجار ، ويتحسس نبعها : رطبها ويابسها ، صلبها ولينها ، وكلها لا ترضيه حينما يتبين جذرها ويتعرف أسها ؛ حتى نالها وهو ظاهر ، فقصدها بفأسه للرخصة الحد ، المدوة لكل عضبة ، المحاربة لكل ضالة ، فلما سكنت في يديه توم غنى ، قد نزل به ، فصد عن مخالطة .

وأسكها عامين كاملين يقومها ويسطها ، وينظر أثر الشق فيها ؛ حتى أقام الثقاف ميلها ، وسوت الطريدة منها ؛ مثل الثقاف والطريدة في صقلها وتقويمها كمثل المهاز تخرج ضمن القوس الشمس .

وأقبل القواس على الموسم مزهوا بها ، فغورا بثقافها ، فاعترضه رجل يحسن المساومة ، فأدرك ما فيها من حسن ، فبايعه إياها ، وأغلى له في ثمنها ، وأغراه الربح فهو يناجي نفسه ، ويؤاسر قلبه ، أياي البيع أم يتجاوز عنها وقد ضمن الربح الكثير ؟

فباعها وعينه تفيض بالمبرات ، وقلبه يتقطع حسرات ، فاختبرها شاريها ، فأعطته اللبان دون أن تضع سهمه ، فلما من صلابتها عن إغراقه حاجز ، فإذا حرك الرامون وجرها ترمعت كترنم الشكلى التي أكل قلبها الحزن ، تصوت صوتا حزينا عند ما ينفترق سهمها الظبي ، كأنها تواسيه وتناجيه ، وإن أجفل منها وفزع لحاول البعد عن سهمها لم تطاوعه النواقر .

كان هذه القوس قد خضبت بالزعفران ، تحركه فيصيبها طلاؤه الخزون عند عطار ،

ويلحقها خضابه الكنوز عند يمانى ، إذا سقط الندى صبت منه ، وأبست شعارا من  
الحبير اللوى ولم تنط بالخلق من الثياب .

القمر :

قصد الشياخ إلى وصف القوس قصدا ، فلم يشرك معها سواها في وصفه إياها كما فعل  
أوس بن حجر ، ولكنه مع هذا كان أقصر من سلفه نفا ، وكانت معانيه أقل من معاني  
أوس بداعة وحسنا ، وذلك أنها كليهما وصفا منبت قوسه ، فقال أوس :

ومبضوعة من رأس فرع شظية بطود تراه بالسحاب مجللا  
على ظهر صفوان كأن متونه علقن بدهن يزلق التزللا  
يطيف بها راع يحشم نفسه ليكلأ فيها طرفه متأملا

فقوسه من رأس فرع شظية بطود مجلل بالسحاب على ظهر صفوان ناعم أملس ، فالوصول  
إليها يحشم باغيها ، ويؤلم قاصدها ، وهى معان بالغة الروعة فى إعلاء شأن القوس ؛  
أما الشياخ فقال :

تغيرها القواس من فرع ضالة لها شذب من دونها وحزائر  
نمت فى مكان كنها فاستوت به وما دونها من غيلها متلاحز  
فما زال ينحو كل رطب ويابس وينفل حتى نالها وهو بارز

فأين هذا من ذاك ؟ لقد كان عليه أن يستفيد من سلفه ، ولكنه قصر غنى عليه العتب ،  
وكلاهما وصف قطعا وتثقيفا ، فبالغ أوس فى وصف شقاء قواسها وعلى قدر المشقة يكون  
الأجر ، فكان فضله على خلفه أكثر ، فهاود أبيات كل منهما لتحكم بما يحكم به

٣ — وقال راشد بن شهاب البشكري \* يصف سلاحه :

فَهَلَا أَبَا الْخَنَاءِ لَا تَشْتُمُنِي فَتَقْرَعَ بِمَدِّ يَوْمِ سِنِكَ مِمَّنْ تَدَمُّ (١)  
وَلَا تُوعِدُنِي إِنِّي أَنْ تَلَا قِي مَعِي مَشْرِقِي فِي مَضَارِيهِ قَضَمُّ (٢)  
وَنَبْلُ قِرَانُ كَالثِيُورِ سَلَا جِمُّ وَفَرَعُ هَتُوفٍ، لَا سِقِي وَلَا تَشَمُّ (٣)  
وَمُطَرِدُ الْكَمْبِينَ أَمْرُ عَارِ وَذَاتُ قَبِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا وَرَمُّ (٤)  
مُضَاقِفَةُ جَدَلَاءَ، أَوْ حُطْمِيَّةُ تَفْشَى بَنَانَ اللَّوْءِ وَالْكَفِّ وَالْقَدَمُ (٥)  
٦٩٧: لَعَادِيَةٍ مِنَ السَّلَاحِ اشْتَرَاهَا وَكَانَ بِكُمْ قَهْرٌ إِلَى الْفَدْرِ أَوْ عَدَمُ (٦)

\* ترجمه الشاعر : هو راشد بن شهاب بن عبدة بن عصم بن ربيعة البشكري ، شاعر جاهلي مقل ، لم تقع له على ترجمة واسعة ، وتصيدته هذه يخاطب بها قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد الشيباني .

- التفسير اللغوي : (١) فهلا : فترثا وانتظارا ، وفيها معنى الوعيد والتهديد . أبا الخنساء : يعنى قيس بن مسعود . قرقع سنك : كناية عن صفة هي التدم .  
(٢) توعدي : تتوعدي وتهديني . للشرقي : السيف النسوب إلى مشارف الشام . في مضاريه : في طلبته وحده . قضم : تكسر من كثرة ما أعملته .  
(٣) القران : للتشابه . السلاجم : الطوال ، الواحد سلجم : فرع هتوف : كناية عن القوس للصوت . السقي : ما شرب الماء من الأنهار . التشم : الشجر الحوار الضعيف .  
(٤) الطرد : كناية عن الرمح الملقول الذي اطرده كباء ، وزال أثرها ، وقال الكمبين لأن اطراد كمين دليل اطراد اباقي : العائر : الصلب . ذات قبير : كناية عن الدرع ، والقنبر رهوس مسامير الدرع . مواصلها : ما يتصل بالخلق . الورم : الاستواء .  
(٥) مضاعفة : منسوجة حلقيتين . جدلاء : مجدولة بحكمة الجدل . حطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب ، وكان صانع دروع ، أو حطمية لأنها تحطم السيوف . تفشى : تنطى ، كناية عن أنها ساقطة .  
(٦) العادية : للنسوبة إلى عاد ، كناية عن قدمها .



### تحليل الأبيات :

توعد قيس بن مسعود الشيباني شهابا اليشكري ، فأنشأ القصيدة التي منها هذه الأبيات  
ينفذه حربه ، ويتوعد به بطشه ، ويصف له سلاحه ، ويستوهن روحه المنوية ، فقال :

تريث يا أبا الخفساء ، فلا تشمتني ، ولا تلغ في عرضي ، فإنك إذا دأبت على شمتي ،  
واستمرأت أكل عرضي لم تلبث أن تفرع من الندم سنك ، وحذار أن تهتدي ، فإنك  
حين تلقاني ستري فارسا يقهر الفرسان ، قد استكمل أهبت ، وأتم عتاده وعدته .

إن معنى سيفا مشرفا تلفته كثرة الضراب ، ولكنه قاطع حاسم ، وتبلا يشبه بعضه بعضا ؛  
لأنه معدن لقوس واحدة تنزعها كف واحدة ، وهي طويلة لتنفذ إلى الأكباد ، وتصل إلى  
شغاف القواد ، وقوسا ذات صوت حنون عند ما أنزع عنها سهمها ، صدقة النيع ، صلدة  
الفرج ، لم يربطها أن سقيت من ماء الأنهار ، فنيها لم يسق بغير ماء السماء ، فليس فيها  
ضعف ولا خوار ، وربما قد اطردت كمويه ، واستوت عقد ، واسمر لونه ، لشدة صلابته .  
ولدى درع يلع قتيورها ، وتبرق مساميرها ، قد استوت مواصلها ، وتضاعف نسجها ، وأحكم  
جدلها ، فهي من صناعة حطمة الذي وهب لها فنه ، ومنحها إحكامه ، فهي إذ يلبسها  
المفارس تنطلي جميع أطرافه ، فتضفي عليه السلامة .

هذه أسلحة استعرتها من الزمن عند مارأيتمكم تفقدون إلى الفدر ، وتحتاجون إلى المدم .

### النقد :

مع أن الشاعر أوجز في وصف عتاده ، إلا أنه استطاع أن يصف كل قطعة منه وصفا  
دقيقا ، بجاء قديراً في إيجازه ، قديراً في دقة أوصافه ، فأى وصف أدق وأبلغ من قوله  
في وصف الدرع ؟

مضاعفة جدلاء أو حطمية      تنشى بنان المرء والكف والقدم

لقد وصفها بالتخانة والإحكام ، ونسبها إلى صانها ، وأنها سابتة لانتزك جزءا من صاحبها  
دون أن تغطيه ، وأو في البيت بمعنى الواو ، وهذا سائق شائع .

ثم أي جمال في الوصف لرمح يذ قوله : « ومطرود الكمين أسمر عار » إنه وصفه  
في هذا الشعر بثلاث صفات هي : جودة الثقاف ، والللاسة ، والصلابة .

٤ — وقال ثعلبة بن عمرو المديني \* يصف عتاده :

وَشَوْهَاءٌ لَمْ تُوشَمْ يَدَاها وَلَمْ تَذَلَّ      قَنَاطَتْ وَفِيها بِالْوَلِيدِ تَقَاذُفٌ<sup>(١)</sup>  
وَتُعْطِيكَ قَبْلَ السَّوْطِ مِلءَ عَنَانِها      وَلِإِحْضَارِ طَهي أخطأَتْهُ اللَّجَافُ<sup>(٢)</sup>  
بَلَّتْ بِها يَوْمَ الصَّرَاخِ ، وَبَعْضُهُمْ      يَحُبُّ بِهٍ فِي الْحَيِّ أَوْرُقُ شَاكِرٍ<sup>(٣)</sup>  
بِيضَاءٌ مِثْلُ النَّعْرِ رِيحٌ ، وَمَدَّةٌ      شَايِبٌ فِيهِ نَحْفِشُ الْأَكْمِ صَائِفٌ<sup>(٤)</sup>  
وَمُطَرِدٌ رُضِيصٌ حِنْدٌ ذَوَاقِه      وَبِمَضِي وَلَا يَنَادُ فِيها يُصَادِفُ<sup>(٥)</sup>  
وَصَفَاءٌ مِنْ نَبْعٍ ، سِلَاحٌ أُعِذُّها      وَأَيُّضٌ قَسَالُ الضَّرِيبَةِ جَائِفٌ<sup>(٦)</sup>  
٧٠٤ : عَتَادٌ أَمْرِي فِي الْحَرْبِ لِأَوَّاهِنُ الْقَوَى      وَلَا هُوَ عَنَّا بِقَدْرِ اللَّهِ صَارِفٌ<sup>(٧)</sup>

\* ترجمه الشاعر : النظر ترجمته في ص ٢٤٥ .

التفسير اللغوي : (١) الشَوْهَاءُ : القبيحة والجلية ، فالكمة تجمع في معناها بين الضدين ، والآخر هو المراد . لَمْ تَذَلَّ : لَمْ تَهِنْ . قَنَاطَتْ : فأتى عليها القبط . الوليد : العبد . التَقَاذُفُ : التدافع .

(٢) مِلءَ عَنَانِها : عدوا ملء عنانها . الإِحْضَارُ : العدو . المَجَادِفُ : ما يجذف به ويرى . (٣) بَلَّتْ بِها : ملكتها وكانت في قبض . يَوْمَ الصَّرَاخِ : يوم الاستجداء . يَحُبُّ : يسير به خبياً ، والحب ضرب من الصدو . وَالْأَوْرُقُ : الرمادي ، وَالْوَرَقُ الْأَمُّ الْإِبِلُ . الشارف : الهرم .

(٤) الْبِيضَاءُ : كناية عن الهرم . النَّعْرِ : القدير . رِيحٌ : أصابته ريح . الشَّايِبُ : جمع شؤبوب دفعات الطر : يحفش : يقشر . الْأَكْمُ : جمع أكمة : صائف : في الصيف .

(٥) مُطَرِدٌ : كناية عن الرمح لاطراد كموه بالتثقيب . ذَوَاقِه : اختباره . يَنَادُ : يهوج .

(٦) وَصَفَاءٌ : كناية عن القوس . النَّبْعُ : شجر تتخذ منه القسي والسهم ، وهو ينبت في أعالي الجبال . وَأَيُّضٌ : كناية عن السيف . قَسَالٌ : قطاع . جَائِفٌ : يبلغ الجوف .

(٧) عَتَادٌ أَمْرِي : عدة رجل . وَأَوَّاهِنُ : ضيف . يَقْدَرُ : يقضي . صَارِفٌ : منصرف .

### تحليل الأبيات .

رب فرس حسناء ليس فيها ما يشينها ، فلم تؤثم يداها لءاء أصحابها فيهما ، ولم تضعف لمرض نزل بها ، وهي - إذ يحمل بها القيث - الشبيطة المرحمة شأنها في الشتاء تقذف بسائسها ، وتتلعب بالوليد .

تهب لك كل قوتها ، وتعطيك ما ينفع له عنائها ، فتمدو بك عدو الظلي أخطاء الرامي ، ملكت عنائها يوم الاستعجاء بي ، وبعض الأبطال تسير بهم النياق الورق خبيبا ، وتسعى بهم الأيل المهرمة وثيدا .

ملكنت عنائها في كامل عتادي ، فقد تسربت بدرع محكة يلعب قتيها ؛ كأنه النعي هبت عليه أرواح التسم ، وأمدته دغيات الطر ، فأزالت عن الأكم الرمل والتراب ، وكانت تلك الشائب في يوم صائف .

وفي يدي رمح قد اطردت كمامه ، فهو يرضيك عند ما تجر به في الطمان ؛ إذ يمضي إلى رميته دون انحناء أو انحراف ، ومعى قوس من نبع نبت فوق الربا ، فهو صدق عند النزاع ، صلب لدى الرمي ، وإلى كل هذا العتاد سيف صقيل يقصل الضريبة ، ويبلغ جوف المضروب . ذلك عتاد رجل ليس واهن القوة ، ولا ضيف اللثة ، وهو إلى هذا مؤمن بقدر الله ، عالم أنه لا يصرفه صارف ، ولا يدفعه دافع .

النقر :

أوجز الشاعر في وصفه إيجازاً بليفاً ، وإن كان وصف العتاد ركنا من أركان الفخر ، والفخر يستأهل الإطناب والاحتقال ، إذ النرض منه بث الرهبة في نفوس الأعداء ، والإشادة بالهزة والمجد والكبرياء .

على أن الشاعر مع هذا الإيجاز قد أودع أبياته بعض الصور كاملا رائعا ، وذلك كقوله :  
بيضاء مثل النعي ربح ... ، وكقوله : ومطر د يرضيك ...

وترضينا منه تلك النزعة الحكيمة التي ختم بها أبياته ، وإن لم ترض أئنداده من رجال الحرب والميدان ، « ولا هو عا يقدر الله صارف » إذ أولئك يحسمون أن الآجال في ظلمات سيوفهم ، وأن الحياة على بلائهم وجهادهم ، وما أبدعها دعوى لا يقام لها في خير الشعر ميزان !

## نظرة فاحصة عن معاني الشعراء في وصف السلاح

يكاد الشعراء يتفقون في المعاني التي تناولوها في وصف عتادهم ، ولهم في ذلك عذر ، فتتادم محدود ، وسلاحهم ممدود ، لا يعدو السيف والرمح ، والقوس والدرع ، والسهم والنيل ، وحتى أصول هذا العتاد وأجزاءه متشابهة بل متماثلة ، فهي لا تزيد على الحديد والشجر ، وصياقلها ومتقوها معروفون منسوبون ، وإذن فلا عليهم أن يتفقوا ، وللهدع منهم حينئذ الفضل كل الفضل .

ولعلني لم أتجاوز الحق حين حكمت لأوس بن حجر بالفضل ؛ لأنني حين حكمت له بهذا الحكم استعرضت كثيرا مما قاله الشعراء ممن لم اختر لهم ، تقصر عنهم لحسب ، كما استعرضت ما اخترته وأثبتته للشاح بن ضرار ، ولراشد بن شهاب اليشكري ، ولثعلبة ابن عمرو البدي ، فما تجاوزته تقصر نفس الشاعر قول الجهم بن الطامح ، وكان من القريسان يصف نفسه :

فِي كَفَرٍ لَدُنَّ مُتَقَفَةٍ فِيهَا سِنَانٌ مُّحَرَّبٌ لَحِمٌ

• • •

مُدْرَعًا رِبَاطَةً مُضَاعَفَةً كَالنَّهْيِ وَفِي سَرَارَةِ الرَّهْمِ

ولبشامة بن التدير يحض قومه على الاستعداد للحرب :

وَحُشُّوا الحُرُوبَ إِذَا أُوقِدَتْ رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا نُحُولًا  
وَمِنْ نَسَجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٍ تَرَى لِلْقَوَاضِي فِيهَا صَلِيلًا

ولعبد قيس بن خفاف البرجمي :

فَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلثَّانِيَا تَمِيرُ ضَابِرِيًا وَغَضَبًا صَقِيلًا  
وَوَقَعَ لِسَانُ كَهْدِ الثَّانِيَا وَرُمَحًا طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولًا  
وَسَابِقَةً مِنْ جِيَادِ الثُّرُوعِ عَرَسَمُ السَّيْفِ فِيهَا صَلِيلًا  
٧١٢ : كَاهُ التَّدِيرِ زَقَّتْهُ الدُّبُورُ يَجْرُ الْمَدَجُّجُ مِنْهَا فُضُولًا

ولريمة بن مقروم المضرى :

وبالكف زوراه جرمية  
٧١٤ : وأهف حشر ترى بالرضا  
من القضب تعقب عزفا نثيا  
فريما يحالط منها عصيا

فنحن نرى أن المعاني التي تداولها من عرضنا بعض شعرهم هي المعاني التي تناولها من لم نعرض لهم ، ولا فرق بينهم إلا في اعتياد بعضهم على الصور الشعرية دون بعض ، وفي هذا المجال يتفاضلون ، فأوس بن حجر يصف رعه بقوله :

أصم ردينيا كأن كموه  
عليه كمصباح المزيز يشبه  
نوى القصب عراسا مزجا منصلا  
لقصح ويمشوه الذبال للقتلا  
ويصفه الجليح بن الطماح فلا يزيد على أن يقول :

في كفه لدنة متفنة  
ويصف الشياخ بن ضرار صوت قوسه فيقول :

إذا أنبض الرامون فيها ترنمت  
ترنم ثكلى أوجنتها الجنائر  
في حين يقول ربيعة بن مقروم :

وبالكف زوراه جرمية  
ويصف ثعلبة بن عمرو الدرع ، فيقول :

بيضاء مثل النحى ريج ومده  
ولا يبلغ عبد القيس بن خفاف غايته إذ يقول :

وسابقة من جباد الدرو  
كاه الندير زفته الدبور  
ع تسمع السيف فيها صليلا  
يمجر للدجج منها فضولا  
وهو يشبه إلى حد كبير قول بشامة بن الندير ، وقول بشامة أكثر معنى :

وحشوا الحروب إذا أوقدت  
ومن نسج داود موضونة  
رماحا طوالا ، وخيلا خولا  
ترى للقواضب فيها صليلا

وبعد فلا أحسب إلا أن العرب لم تكن لهم الآثار الإنسانية العنيفة العظيمة ، ودليلنا على هذا قولهم ما قالوه في نمت عتادهم مع أنهم شعب حرب وجلاد ، ولعل تقديرهم لآثار انطالق أصغر في نظرم آثار المخلوق ، وصرهم عنها إلى ممالك أحاسيسهم ، وأسر مشاعرهم .

## نظرة شاملة في معاني الشعراء

### في وصف الطبيعة الساكنة

موضوعات الطبيعة الساكنة أكثر كثيراً من موضوعات الطبيعة المتحركة ، وإن يكن الشعراء قد احتضوا بالطبيعة المتحركة أكثر من احتضانهم بالطبيعة الساكنة ، وهم فيما صنعوا لم يكونوا بدعاً من الناس ، ولكنهم نهجوا التهج الذي نهجه سواهم ، وكأني بهم قد احتضوا أعظم احتفال بما يتصل بالطبيعة المتحركة ، ما أكثروا من وصف الأطلال ، وذكر الديار ؛ لأن الأحباب كانوا يقطنونها فحق عليهم أن يطيلوا الوقوف بها ، ويكثروا من رسمها وتصويرها ، وقل أن نجد شاعراً جاهلياً لم يبك داراً ولم يندب على ملل ، وهم - وإن يكونوا متقاربين في تناول الماني - متباعدون في الدوافع إلى هذه الماني ، فمنهم من يبكيها كما يبكي ابن خدام ، ومنهم من يبكيها عن وجد وحرقة ، وأسى ولمفة ، وأنت تشر كامل الشعور بحال الرجلين حتى وإن تماثلت الماني وتساوت الصور ، تشر به من اصطقاء اللفظ ، وتخير الموقف ، فأين من قول امرئ القيس :

فأنبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فغومل  
قول ثعلبة بن عمرو العبدى ؟

لمن دمن كأنهن صحائف      قدار خلا منها الكتيب فواحف ؟  
ثعلبة يسأل عن أصحاب الدمن التي صارت كالصحائف ، قد خلا منها الكتيب فواحف ، ولو كان واجداً لشر في طريقه إليها بالوعة ، ولهداه لها قلبه بالغفغان والحرقة ، وإن فلا يمكن أن يكون تقارب الماني ، بل تماثلها دليلاً على تقارب الشعر أو تماثله ، بل لابد أن يكون هناك عامل آخر هو الإحساس الباطني بأن هذا الشاعر يتدفق عن شعور .

ويجىء بعد هذا الفرض من وصف الطبيعة الساكنة وصف الليل وطوله ، وقد تناوله الكثير من الشعراء ، وأتوا فيه من الماني بالثريب البديع ؛ حتى لقد صار له في النقد قواعد راسية ، وقد مر بك اختلاف النقاد في المناقشة بين أبيات امرئ القيس ، وأبيات

الثابتة ، وهناك غيرها وغير من اخترنا لهم لا يقلون عنهم في الإجابة والإبداع ، وهذا  
سويد بن أبي كاهل يعيد في وصف طوله ، يقول :

فَأَيْتُ الْإِيْلَ مَا أَرْقَدُهُ وَيَسْتَنِي إِذَا نَجْمٌ طَلَعَ  
وَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلٌ قَدْ مَضَى عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعَ  
يَسْعَبُ الْإِيْلُ نَجْوَمَا ظُلُمًا فَتَوَالَيْهَا بَطْلِيئَاتُ النَّجْمِ  
وَيُرْجِيهَا عَلَى إِبْطَالِهَا مُرَبِّ الْوَنِّ إِذَا الْوَنُّ انْقَشَعَ

وهذا الرقش الأصغر يتصور أن ليلته تكررت ، ويتخيل أنها تعددت ، فيقول :

وَلَيْسَ لَهَا بَنَاتٌ مُشِيرَةٌ قَدْ كَرَّرَتْهَا عَلَى عَيْنِي الْهُمُومُ  
لَمْ أَغْمِضْ طَوْلَهَا حَتَّى انْقَشَتْ أَكْثَرُهَا بَعْدَ مَا نَامَ السَّلِيمُ

فوجدته تركه يقظا في حين أن اللدنيغ قد أوى إلى فراشه ، فإشدد هذا الوجد ا ،  
وما أروع ذلك الوصف ا

ثم هم قد نظروا في السماء نظرة الرجاء ، فهي لهم معين الحياة وأصل البقاء ، فوصفوا  
سحبها وبروقها ، ونعتوا شبهها ونجومها ، ولم ينسوا أن يذكروا رياحها : صباها ودبورها ،  
كما وصفوا آثار الطبيعة من حر لافح ، وبرد قارس ، مما يدل على طول تأمل ، وإن لم  
يطيلوا في آثار هذا التأمل ، وإذا كنا لم نذكر صورا لجميع ما قالوه في الظواهر السابوية  
فلأن هذه الصور لا تعدو أن تكون لفتات عابرة ، أو آياتا سائرة من مثل قول بشر  
ابن أبي خازم يصف كواكب بنات نمش في بيت واحد بأنها تدور وتنطف ، كما تدور  
جماعة البقر الوحشي وتنطف إذا أدركها ما ينجفها :

فَيْتُ مُسَهَّدًا أَرْقَا كَأَنَّ تَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِ الثَّقَارِ  
أَرَأَيْتَ فِي السَّمَاءِ بَنَاتٍ تَنْشِي وَقَدْ دَارَتْ كَأَعْيُفِ الشَّوَارِ

ومن مثل قول علقمة القحل يصف الحر وأثر الجوزاء فيه :

٧٧٣ : وَقَدْ عَلَوْتُ فَتَوَدَّ الرَّحْلُ يَسْتَقْنِي يَوْمٌ نَحْيٍ بِهِ الْجُوزَاءُ مَسْمُومٌ

حَامِرٌ كَانَ أَوَّارَ النَّارِ شَامِلُهُ دُونَ الثِّيَابِ، وَرَأْسُ اللَّزْهِ مَعْنُومٌ  
ومن مثل قول المسيب بن علس يصف أثر البرد وقد ساقه في المدح :

وَإِذَا تَهَيَّجُ الرِّيحُ مِنْ صُرَادِهَا ثَلْبًا يُبَيِّغُ الثِّيْبَ بِالْجَمْعِ  
أَحْلَتْ يَنْتَكَ بِالْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ مُتَفَرِّقٌ لِيَحُلَّ بِالْأَوَّاعِ.

وقد كانوا في تأملهم مبالغين حتى عرفوا جميع صور السماء والكواكب عند ما تنضب الطبيعة أو تتغير ظواهرها ، فانظر إلى الصورة التي صوروا بها الشمس عند الجذب والبرد ، لقد صوروها بالورس خضب بالزعفران ، وذلك في قول متمم بن نويرة مادحا :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ اللَّزْهُ يَطْرُقُ ضَيْفُهُ إِذَا بَانَ مِنْ لَيْلِ النَّامِ هَزِيعُ  
بَذُولٍ لِمَا فِي رَحْلِهِ غَيْرُ زُمْعٍ إِذَا أَبْرَزَ الْخُورَ الرِّوَاعِ جُوعُ  
إِذَا الشَّمْسُ أَضْحَتْ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا مِنْ لَلْجَلِ حُصًى قَدْ غَلَا رُدُوعُ

وانظر إلى تلك الصورة الزائفة التي رسمها سبيع بن الخطيم التيمي للطر يسقط في غدبر ، وقد ساق تلك المطرة ربح الجنوب التي تدير مبطنة متشاقة ، في حين تكف الصبا سحابة ثقيلة :

وَسُبِّبَ خَصِيرٌ قَوِيٌّ يَمُضِلُهُ وَإِذَا تَحَرَّكَ الرِّيحُ يُزِيْفُ  
حَلَّتْ بِهِ بَعْدَ الْهُدُوءِ نِطَاقُهَا مِثْلُ مَسْهَلَةِ النَّتَاجِ زَحُوفُ  
تَزَعُ الصَّبَا رِيْمَانَهُ وَدَنَتْ لَهُ دُلُحٌ يَتَوَلَّنُ عِظَامَهُنَّ ضَعِيفُ  
٧٣٣ : تَنْتَفِي الْخَصَى حَجَرَانَهُ ، وَكَأَنَّهُ بِرِحَالٍ حَقِيرٍ بِالضُّحَى تَخُوفُ

وإذا جاوزنا السماء وأجراسها ، والرياح وأنواءها ، والسحب وأمطارها إلى الأرض ألفيناهم وصفوا الصحراء فأطالوا وصفها ، ورسوموها وما تشتمل عليه فأجادوا رسمها ، في أبيات قليلة ولكنها جامدة ، وفي نظرات قصيرة وإن تكن ممعنة ، وألما في خلال تصويرهم لها بالسراب فأكثرنا من ذكره ، وأطالوا في وصفه ، وقد مر فيها عرضاء بعض رسمه ،



وهذه صور أخرى له ، قال المرقش الأكبر مصوراً الجبال ينطفيها السراب حيناً ، ويبرزها حيناً ، فسكانها تظفون وتفرق في خليج من الماء :

وأعرض أعلامُ كانَ رؤُوسُها  
إِذَا عِلْمُ خَلْفَتُهُ يُهْتَدَى بِهِ  
رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجٍ تَنَاسَرُ  
بَدَأَ عِلْمٌ فِي الْآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ

وهي صورة رائعة لا يتصورها إلا من عبر الصحراء ، وتأمل جريان الآل فيها .  
وقال بشر بن أبي خازم يفخر بقطعه فلاة تعرف فيها الجن ، وتحن بها رياح السهائم ،  
ويصور الآكام متخذة من اللوامع دروعاً :

وَحَرَقَ تَعْرِفُ الْجَنَانُ فِيهِ  
ذَعَرَتْ ظِلَاءُهَا مُتَقَوَّراتِ  
فِيَا فِيهِ نَحْنُ بِهَا السَّهَامُ  
إِذَا ادَّرَحَتْ لَوَامِعُهَا الْإِكَامُ

وقال الثعلب البدي يفخر بقطعه البلاد إبان اشتداد الحر ، والتهاب المجير ، وقد شبه السراب ببيض التياب ، كما أنه في قلبه يشبهها في طيها :

أَجِدُّكَ مَا يُدِيرُكَ أَنْ رُبَّ بَلَدَةٍ  
قَطَطَتْ يَفْتَلَاهُ الْيَدَيْنِ ذَرِبَةِ  
وَصَاحَتْ صَوَادِجُ النَّهَارِ وَأَعْرَضَتْ  
يَقُولُ الْبِلَادَ سَوْمُهَا وَبَرِيدُهَا  
إِذَا الشَّمْسُ فِي الْأَيَّامِ طَالَتْ رُكُودُهَا  
لَوَامِعُ يَطْوِي رَيْطُهَا وَبُرُودُهَا

أما الآثار الإنسانية فكانت عندهم جد قليلة ، فلم تكن لهم قصور عالية ، ولا حصون منيعة ، ولا قلاع حصينة ؛ كما لم يكن لهم أناث ولا رياش يستول على مشاعرهم ، ويستبد بعواطفهم ، فزهر واضح ، إذ كيف أصف شيئاً لا أجده ؟ وأنى لي أن أصور متاعاً لا أعرفه ؛ على أن منهم من دفنته معارفه إلى وصف أشياء رآها في غير محيطه ، من ذلك قول راشد بن شهاب البشكري يفخر :

تَبَيَّنْتُ بِشَاجِرٍ مَحْدَلٍ مِنْ جِبَارَةٍ  
لَأَجْمَلُهُ عِرْءًا عَلَى رَغْمٍ مَنْ رَغِمَ  
أَنْتُمْ طَوَّالٌ يَدْحَسُ الطَّيْرَ دُونَهُ  
لَهُ جَنْدَلٌ يَمَّا أَعْدَتْ لَهُ إِزْمَ  
وَتَأْوِي إِلَى السُّنْجِيرِ مِنَ الرَّدَى  
وَتَأْوِي إِلَى السُّنْجِيرِ مِنَ الْقَدَمِ

والأبيات التي تنسب إلى السمويل بن عاديا بفخر بقصره الأبلق عند ما لجأ إليه امرؤ القيس واستودعه أدرعه ، فضرب به للتل في الوفاء إذ أسلم ابنه للقتل دون أن يموت أمانته ، فيسلم أدرع من لجأ إليه :

وَمَيْتُ بِأَذْرَعِ الْكِفْدِيِّ إِنْ إِذَا مَا ذُمُّ أَقْوَامٍ وَقَيْتُ  
وَأَوْصَى عَادِيَا يَوْمًا بِالْأُتَيْدُمُ مَا سَمِعْتُ مَا بَنَيْتُ  
بَقِيَ لِي عَادِيَا حَصِينًا وَمَاءَ كَلْمًا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

ولكنهم وصفوا من الآثار الإنسانية الخمر ، وأكثروا من القول فيها ؛ لأنها كانت عندهم مظهرًا لكثير من أخلاق القوة كالشجاعة والسخاء والإتلاف ، وقد دفعهم شغفهم بشربها وولمهم بمعارفها إلى الافتنان في الماني ، والابتداع في الصور ، وقد مر بنا الكثير من تلك الماني الفتنة المبتدعة ، وكلها يشهد بأنهم سامو الخيال ، ماهرو التصوير ، وما مر بنا ليس بأفضل ما قيل ، ولكنه من أفضله ، وإلا فأى حسن يفوق هذا الذي نسوقه للقرش الأصغر يصف ريقَ محبوبته ؟ وأن الخمر التي من صفاتها أنها صهباء كالملك ربحا ، المصفاة بالناجود ، أو المسكوبة بالأقداح التي بقيت في دنيا عشرين عاما يظان عليها القرمذ ، وتبرز الريح للبرد ، قد اشترت من قوم يهود لهم بمصرها خبرة ، وبيننا وبينهم شقة ؛ إلا أن حبنا لها قرب منا سوقها ، فسمينا إليها حتى حصلنا عليها ؟ وهامى ذى الأبيات :

وَمَا قَهْوَةُ صَهْبَاءُ كَالْمِسْكِ رِيحُهَا تَمَلُّ عَلَى النَّاجُورِ طَوْرًا وَتُقَدِّحُ  
نَوْتٌ فِي سِبَاةِ اللَّهِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُظَانُ عَلَيْهَا قَرَمْدٌ وَرَوْحُ  
سَبَّاهَا رِجَالٌ مِنْ يَهُودَ تَبَاعَدُوا لِحِيلَانِ يُدْنِيهَا مِنَ الشُّوقِ مُرْجُ  
٧٥٠ : بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثْتُ طَارِقًا مِنَ اللَّيْلِ ، بَلْ فَوْهَا اللَّهُ وَأَنْصَحُ

وهذا عبدة بن الطيب يندو وقرن الشمس منتقى ، وكأنه مجلل بسواد الليل ؛ إذ الهديك يدهو أعضاء أسرته ، يندو إلى التجار فأعداء شاب معجب بنفسه يمر من خلفه إزاره ، كأنه في حسنة صدر السيف ، له شمائل كريمة ، وأقنانين في الخبير ، هو رجل جد عند ما يجحد الأمر ويشدد ، ورجل لمو ومجون عند ما يملو الهوى والمجون ، فأنكأ ما عند

تاجرها على فراش مرقومة ، ونمارق منقوشة ، عليها زخارف وتهاويل ، فيها صور الدجاج والأسود ، بل فيها تماثيل لكل شيء ، في بيت يشبه الكعبة في شكله أو في قداسه ، شادها بان ماهر ، فزين أركانها وجعل مبانيها ، يضيئها ذبال مفتول ، لنا أصيص كأنه أصل الخوض هدمه تراحم الإبل عليه ، لدى ذلك الأصيص الزق منفلول مقيد ، والكوب أبيض ، في جيبه إكليل من الزهر ، قد برد ذلك الكوب بالماء ، فينبه وبين الأصيص جرة ضخمة كأنها في شكلها وسط حمار وحشي قد ثقب جانبه ، والكوب مترع قد علاه الزبد ، وقد أعدت لنا قطعة عظيمة من لحم كبش ، مشكوك في السفود ، يطوف بها علينا خادم مجل ، تنطق بمنطقته ، وبين يدينا صحفة فيها الأبازير ، ثم شربت صباحا خرا حراء ، لها في شاربها رعدة ، وهي خير لم يسبقني إلى معاقرتها إنسان ، شربتها صرفا وإن بدت لرقتها ممزوجة ، وقد يطلنا مننّ بشعر كأنه الأصباغ للذهب للسفوف يتناقله الرواة ، ويحملونه في الآفاق ، ترفع حوائش ذلك الشعر المذهب قينة طويلة الجيد ، تؤنس جلسها ، كأن صوتها للشاربين ترتيل ومزامير ، تمر علينا غدوة تلهينا بنشائها ، فنهب لها البرود والسراويل ، وهذه هي الأبيات :

|   |  |
|---|--|
| وقد غَدَوْتُ وَفَرَنْتُ الشَّمْسَ مُنْفَتِقُ        | وَدُونَهُ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ تَجْلِيلُ       |
| إِذَا شَرَفَ الدَّيْكَ يُدْعَوُ بِنَفْسِ أَسْرَتِهِ | لَقَى الصَّبَاحَ ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعَاذِلُ       |
| إِلَى التَّجَارِ فَأَعْدَانِي بَلَدُهُ              | رِخْوُ الْإِزَارِ كَصَدْرِ السَّيْفِ مَشْمُولُ   |
| خِرْقٌ يُجَدُّ إِذَا مَا الْأَمْرُ جَدَّ بِهِ       | مُحَالِطُ اللَّهِوِ وَاللَّذَاتِ ضَلِيلُ         |
| حَتَّى اتَّكَأْنَا عَلَى فُرْشِ بُرَيْتِهَا         | مِنْ جَيْدِ الرَّعْمِ أَزْوَاجُ تَهَاوِيلُ       |
| فِيهَا الدَّجَاجُ ، وَفِيهَا الْأَسَدُ مُخْدَرَةٌ   | مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُرَى فِيهَا تَمَائِيلُ        |
| فِي كَتَبَةٍ شَادَهَا بَانٍ وَزَيْنُهَا             | فِيهَا ذَبَالٌ يُضِيهِ اللَّيْلُ مَفْتُولُ       |
| لَنَا أَصِصٌ كَيَذُرُ الْخَوْضَ هَدْمُهُ            | وَطَاءُ الْفِرَازِ ، لَقَبُهُ الزَّقُّ مَفْتُولُ |
| ٧٥٩ : وَالْكُوبُ أَزْهَرُ مَمْسُوبٌ يَحْلِيلُهُ     | فَرَقَّ السَّيَّاحُ مِنَ الرِّيحَانِ إِكْلِيلُ   |

مُبَرَّدٌ بِمَزَاجِ اللَّاءِ بَيْنَهُمَا      حُبُّ كَجَوْزِ حِمَارِ الْوَحْشِ مَبْرُودٌ  
وَالْكُوبُ مَلَأَ طَافٍ فَوْقَهُ زَبَدٌ      وَطَائِفُ الْكَبْشِ فِي السُّقُودِ مَحْمُولٌ  
يَسْتَعِي بِهُ مُنْصِفٌ عَجَلَانُ مُنْتَطِقٌ      فَوْقَ الْخِلْوَانِ ، وَفِي الصَّاعِ التَّوَائِلُ  
نَحْمٌ اصْطَبَحَتْ كَيْفًا قَرَقَعًا أُنْعَا      مِنْ طَيْبِ الرِّيحِ ، وَاللَّذَاتُ تَعْمَلُ  
صَرْفًا يَزَاجًا ، وَأَخْيَانًا يُلَنَّا      شِرًّا كَذَهَبَةِ السَّمَانِ مَحْمُولٌ  
تُذَرِي حَوَاشِيَهُ جَيْدَاهُ آنِسَةٌ      فِي صَوْتِهَا لِسَاعِ الشَّرْبِ تَرْتِيلُ  
٧٦٦ : تَعْدُو عَلَيْنَا تُلَهِّيْنَا وَنُصَفِدُهَا      تُلْقَى الْبُرُودُ عَلَيْهَا وَالسَّرَايِلُ

أى مجلس شراب آتق من ذلك المجلس ؟ وأى مجلس أحفل بأسباب الأنا والروح  
من مجلس عبدة بن الطبيب ؟ شراب وطعام وغناء ، لقد عز عليه أن يقترح فيه ما يمكن أن  
يزيده جمالا .

أما النوع الآخر من الآثار الإنسانية التي عتوا بها ، وشغفوا بوصفها فهي عتاد  
القتال ، وأسلحة الحروب ، وقد أوفيناها حقها عرضا وبسطا ، ولا يزال حديثنا عنها جد  
قريب وحسينا ما قدمناه .



## افضل السابع

صور لمظاهر مؤتلفة من الطبيعتين المتحركة والساكنة

( ١ ) وصف الظلمان

١ - قال المثقب العبدى • من قصيدة أولها :

أَغْلِيْمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَعِي وَنَمْتُكَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَبِينِي<sup>(١)</sup>

لِيَنْ طُعْمُنُ تَطَالِيعُ مِنْ ضُبُيبٍ فَأَخْرَجْتَ مِنَ الْوَادِي لَحِينِي<sup>(٢)</sup>

مَرَزَنَ عَلَى شَرَافٍ فذَاتِ رَجُلٍ وَنَكَبْنِ الدَّرَاجِ بِالْهَيْبِ<sup>(٣)</sup>

وَمَنْ كَذَلِكَ حِينَ قَطَعْتَ قَلْبًا كَانَ حُمُولَهُنَّ عَلَى سَمِينِ<sup>(٤)</sup>

يُسْجَنُ السَّيْنِ ، وَهَنْ بَحْتٍ عَرَضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّؤُونِ<sup>(٥)</sup>

٧٧٢ : وَهَنْ عَلَى الرَّجَائِزِ وَآكَنَاتُ قَوَائِلُ كُلِّ أَشْجَمٍ مُسْتَكِينِ<sup>(٦)</sup>

\* ترجمته الشاعر : اقرأ الترجمة في ص ٨٢ .

التفسير اللغوي : (١) متعني : بالوصل . أن تبيني : أن تجمدي .

(٢) الظعن : جمع ظئبة ، وهو المودج فيه النساء . ضبيب : بالصاد موضع لحين : بعد حين وإبطاء .

(٣) شراف ، وذات رجل ، والدراج : أسكنة . نكبن : عدلن .

(٤) القلاج : الطريق أو الوادي . الحمول : جمع حمل الموادج كان فيها النساء أو لم يكن . السفين : جمع سفين .

(٥) البخت : الجمل طوال الأعناق . عراضات : جمع عراضة ، والعراض للقرط في المرض كطوال . الأباهر : جمع أبهر عرق في الظهر . الشؤون : جمع شأن ، وهي شهب قبائل الرأس التي تجري منها السموم إلى العيين .

(٦) الرجائز جمع رجيزة بكسر الراء مراكب النساء . وآكنات : مطمئنات . الأشجع : الطويل . مستكين : خاضع .

كَفَرْلَانِ خُذْلَنْ بَذَاتِ ضَالٍ      تَنْوُشُ الدَّانِيَاتِ مِنَ النُّصُونِ<sup>(٧)</sup>  
 عَظْرَنْ يَكَلِّهِ ، وَتَدَلَنْ رَفَاً      وَتَحْبَنْ الوَصَاوِصَ لِلْعَمِيُونِ<sup>(٨)</sup>  
 وَهَنْ عَلَى الظَّلَامِ مُطْلَبَاتٍ      طَوِيلَاتِ الدَّوَائِبِ وَالْقُرُونِ<sup>(٩)</sup>  
 أَرَيْنَ تَحْسِنًا ، وَكَنْ أُخْرَى      مِنْ الْأَجْيَادِ وَالْبَشَرِ الصُّونِ<sup>(١٠)</sup>  
 وَمَنْ ذَهَبَ يَلُوحُ عَلَى تَرِبٍ      كَلَوْنِ الْمَاجِ لَيْسَ بِذِي غُشُونِ<sup>(١١)</sup>  
 يَتَلَمَّهِ أَرِيشُ بِهَا سَهَامِي      تَبْدُ الْمُرُشَقَاتِ مِنَ الْقَطِينِ<sup>(١٢)</sup>  
 عَظُونِ رِبَاوَةٍ ، وَهَيْطُنِ غَدَبَا      قَلَمٌ يَرْجِعُنَ قَائِلَةٌ لِحِينِ<sup>(١٣)</sup>  
 فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ ، وَشُدَّ رَحْلِي      لِمَاجِرَةٍ نَصَبْتُ لَهَا جَبِينِي<sup>(١٤)</sup>  
 لَعَلَّكَ إِنْ صَرَمْتَ الْحَبْلَ يَتَى      كَذَلِكَ أَوْ كُنْ مُصْحَبَتِي قُرُونِي<sup>(١٥)</sup>

(٧) خذلان : تخلفن . ذات ضال : اسم مكان يكثر فيه شجر الضال . تنوش : تتناول الدانيات : القريات .

(٨) الكلمة : السرا الرقيق . سدلن : أرسلن . الرقم : ضرب مخطط من الوش أو البرود . الوصاوص : البراقع الصغار ، واحدها وصاوص .

(٩) الظلام : بكسر الظاء الظلم . مطلبات : مطاوبات . الدوايب : جمع ذؤابة ضفائر للشعر . القرون : خصل الشعر .

(١٠) كتن : سترن . الأجباد : جمع جيد الأعناق . البشر : ظاهر الجلد . الصون : المستور .

(١١) التريب : جمع تربة ، وهي عظام الصدر موضع القلادة . البضون : ثنى الجلد من الكبر .

(١٢) التلمية : التسلية . أريش بها سهامي : ألقى فيها الريش لتكون أفتك . تبذ : بالبدال والراي تسبق وتغلب . للمرشقات : المنكرات لتنظر . القطين : الخدم والتابع والجيران .  
 (١٣) الرباوة : ما ارتفع من الأرض . القيب : ما اطمأن منها . القائلة : القيلة وهي نصف النهار . لحين : لوقت قصير .

(١٤) لماجرة : عند هاجرة النهار وهو منتصفه نصبت : رفعت . جبيني : أعلى وجهي .

(١٥) صرمت الحبل : قطعت الوصل . مصحبتى : تابعتي . قروني : هسي .

### تحليل الأبيات :

بدأ الشاعر قصيدته بمناجاة حبيبته ، فقال :

متينى قبل الفراق بنظرة تكون لى أسعد الذكريات ، فتنفخ اللوعة ، ويهون الوجد ،  
فإن لم تغلى شمرت عندئذ بألم الفراق ، ووجد البين .

ثم انتقل بعد أبيات إلى وصف الظلم ، فتساءل تساؤل التلهف عن فيها ، فقال :  
لمن هذه الظلمن تظهر من ضييب؟ فإنها لم تخرج من ذلك الوادى من حين ، لكنها كانت  
تستريح من سفر غير قاصد ، ومرحلة ليست بالقصيرة ، وكيف لا ؟ وقد مررن بأمكنة كثر :  
بشراف وذات رجل ، بعد أن انحرفن عن الفرائح إلى الجبين ، وهن إذ قطعن قلبا تشبه  
هوادجهن السفائن ، تشبها في امتدادها ، ونمايلها في سيرها ، واستواء مائجرى فوقه ، وغاساة  
ماتحملة ، تشبها مع أنها إبل طوال الأعناق ، عراض الأباهر وبجارى الدموع .

أولئك النسوة فى هوداجهن ساكنات مطمئنات ، يقتلن بسحر جمالهن العشاق من  
الشجسان ، ما أشبههن بفرلان تخلفن بأرض يكثر فيها الضال ، هن يمددن أجيادهن يلقفن  
أوراق الأشجار ، ظهرن بوجوههن الوضاعة الواضحة من الأستار الرقيقة المرفوعة ،  
وسدلن رقما مطرزا بالديباج ، موشى بالدمقس ، وتقبين البراقع الصغار بالميون الناعسات ، وهن  
مع ظلمهن لنا ، وذهبن علينا ، مطلبات منا ، مرغوبات إلينا ، قد تعددت أسباب حبهن ، أدناها  
أنهن طوال النوائب ، مرسلات التذائر ، أبدبن من محاسنهن ما يصح أن يظهر من عيون  
نواصس ، وخدود نواعم ، وغدائر مرسله ، وسترن أخرى كالجلياد الناعسة ، والبشر المصون ،  
والقرايب حليت بقلائد الذهب التى تشبه العاج فى صفاء لونها ، وملاسة بشرتها ، هن  
شواب ناعمات .

أتلهى بفاتمة تلك حين أريش سهاى استمدادا للحرب ، فذكرها نبث فى النجدة ،  
فهي تفوق القنيت الشاخصات ، وتثير بجمالها التوائى للرشقات من القطعين والجارات .  
علت تلك الظلمات ربا وهبطن وهذا دون أن يسترحن ، هن يصلن صباحهن بأصيلهن

وإن شق ذلك عليهن ، فقلت لإحداهن ، وهي محبوبتي التي أنتبع خطاها بشد رحل معها في الهجرة ، يستقبل أوارها جيني : أخشى إن قطعت وصلي ، وصرمت حبل ودي أن تقطع نفسي وصلك ، وتصرم حبل ودك .

النقر :

بدأ وصف الظلم بالاستفهام التحسري ، فأحسن في البدء ، وبرع في الاستهلال ، ولولا أنه أكثر من ذكر المواضع والأمكنة لكان قد بلغ الغاية ، كما بلغها في تشبيه البخت بالنفن ، فهو تشبيه رائع جميل ، وبيته :

وهن على الرجاثر واكنات قوائل كل أشجع مستكين

بيت فارع الحسن بتصويره وبخير لفظه ، وما أجمل أن يجمع بين الشجاعة والاستكانة ، فهو شجاع عند ملاقاته الأقران ، خاضع لدولة الحسن والجمال ، وليس أقل منه تصورا ذلك البيت الذي استمد لقبه منه ، وهو :

ظهن بكلة وسدن رقما وثقن الوساوص للعيون

فهو بيت فيه من التصوير الحسى والنفسى مالا يمكن النض منه ، هذا إلى ماقى الأسلوب من جمال رائع يبدو في تلك المقابلات التي لا تكلف فيها من مثل قوله :

أرين محاسنا وكنن أخرى من الأجياد والبشر للصون

وقوله :

علون رباوة وهبطن غيبا فلم يرجن قائلة لحسين

وإذا كان هناك ما يمكن أن يؤخذ عليه فهو خشية القطعية إن صرمت حبله ، فالداشق لا يملك زمام قلبه ، ولا يدفع جراح نفسه وكذلك مما يمكن أن يأخذه عليه نقدة الأساليب تكرير القافية في البيتين الثانى والثالث عشر ، وهم يقولون صادقين إن التكرار قد يكون مبعثه نضوب معين القافية .



٢ — وقال زهير بن أبى سلى \* من مملقته يصف الظلمان كذلك :

تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَلْمَانٍ      تَحْمِلُنَ بِالْمَلِكِيَّةِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمٍ؟<sup>(١)</sup>  
عَلَوْنَ بِأَعْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكَلِيلَةٍ      وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مَشَاكِهَةَ الدُّمِ<sup>(٢)</sup>  
وَفِيهِمْ مَلْهُىٌّ لِلْعَلِيفِ وَمَنْظَرٌ      أُنْبِقُ لِمَعِينِ النَّاطِرِ لِلتَّوَسُّمِ<sup>(٣)</sup>  
بَكْرُنَ بَكُورًا، وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ      فَهِنَّ وَوَادِي الرِّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ<sup>(٤)</sup>  
جَمَلُنَ الْقَنَانِ عَنْ يَمِينٍ وَخَزَنَةٍ      وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مَحِلٍّ وَمَحْرَمِ<sup>(٥)</sup>  
ظَهَرْنَ مِنَ الشُّوْبَانِ، ثُمَّ جَزَعَنَّهُ      عَلَى كُلِّ قَيْقٍ قَشِيبٍ مَقَامِ<sup>(٦)</sup>  
وَوَرَّ كُنَّ فِي الشُّوْبَانِ يَعْلُونَ مَقْتَنَةً      عَلَيْهِنَّ ذَلِكَ النَّاعِمِ لَلتَّنْعَمِ<sup>(٧)</sup>  
كُلَّنَّ فَتَاتَ الْمَهْنِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ      نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يَحْطَمِ<sup>(٨)</sup>  
فَلَا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاهُهُ      وَضَعْنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيَّمِ<sup>(٩)</sup>

: ٧٩٠

\* ترجمه الشاعر : أقرأها في ص ٨٨ .

**التفسير اللغوي :** (١) تبصر خليلي : تأمل يا صاحبي . ظلمان : جمع ظليمة ، وهي الإبل فوقها الهودج فيها النساء . العلياء : بلد . جرثوم : ماء من مياه بنى أسد .  
(٢) بأعماط : أعماط جمع عطاء ، وهو ثوب من الصوف يطرح على الهودج . عتاق : كرام . الكلمة ثوب رقيق يكون تحت الأعماط . وراد : تشبه لون الورد . حواشيها : نواحيها . مشاكهة : مشابهة . (٣) ملهى : لهو . اللطيف : الرقيق لا جفاء فيه . أنبق : معجب . للتوسم : للتفحص . (٤) استحرن : خرجن سحرة . وادي الرس : الرس ما دلهى أسد . (٥) القنان : جبل لبنى أسد . الحزن : الوضع اللطيف : محل ومحرم : ذى عهد وغير ذى عهد ، أو عدو وغير عدو . (٦) الشوبان : واد . جزعنه : قطعنه . قينى : صفة لموصوف محذوف ؛ أى على كل غيبط قينى ، وهو النسوب إلى بقين ، وهم حى من اليمن تنسب إليهم الرجال ، وهو قتب طويل يكون تحت الهودج . قشيب : جديد . مقام : موضع .  
(٧) وركن : ملن . متنه : أعلاه ؛ والآن ما ارتفع من الأرض وغلظ . عليهن : على الظلمات . دل الناعم : دلال الرقيق واختيال اللرفة . (٨) فتات المهن : منتشر الصوف ما صبغ منه وعالم يصبغ . منزل : مكان نزول . القنا : شجر ثمره حب أحمر فيه نقطة سوداء . لم يحطم : لم يكسر . (٩) الجمام : ما اجتمع من الماء . وضعن عصى الحاضر : كناية عن الإقامة . للتخيم : للتقيم للخيال .

### تحليل الوحيات :

تأمل أيها الصديق هل ترى ظمائن سائرات ؟ قد تحملن من الغلياء محاذيات في مسيرهن ماء جرم ، وضمن فوق الأمتة الأعماط والكلل ذات اللون الوردى من نواحيها ، للشاكلة لقدم في حواشيها ، في رؤية أولئك الظمائن ملهى الرجل الرقيق الذى لاجفاء فيه ، والنظر الأنيق المعجب للسيد للتأمل الذى يعرف الجمال فيصفه ويطريه .

خرجن إلى رحيلهن بكرة ، وسرن سحرة ، فهن في مسيرهن بوادى الرس ، عالمات بطرقه ، كما تعرف اليد الطريق إلى التم ، لاتبجور عنه ولا تنحرف دونه .

جملن جبل التنان وحزنه في مسيرهن عن يمينهن انقاء لحاطره ، فكم به من أقوام لهم ذمة وعهود ، وأقوام لازمة لهم ولا عهود ، خرجن من وادى السويان ، ثم عرضن له مرة أخرى ، فقطعن على كل غبيط منسوب إلى بلقين ، لا يزال قشيبا جديدا موسعا من جانبيه ، وملن في وادى السويان عاليات ماغلظ منه وارفع ، يبدو على الظمائن دلال للتنم ، ورهاية للترنه ، كأن حنات الصوف في كل مكان ينزلن به حب الفنا قبل أن يحطم ، فحين وردن الماء أزرق لتجمعه ، وضمن عصى التخيم ، ونصبن أخبية المقيم .

### التفر :

بدأ زهير أبياته على نحو مابدا به المثقب أبياته ، فكلاهما يستفهم في حسرة عن الظمائن ، وإن كان المثقب قد تجاهل أن هذه الظمائن هى التى فيها مالكة له تحقيقا من وجده ، وكلاهما رسم طريق سير هذه الظمائن ، وصور الوديان التى سرن فيها إلا أن زهيراً كان أقدر على رسم خط السير ، ولكنه قصر فى الحديث عن جاملن ومجدهن ، وإن يكن كثير عزة حكم له بالتفوق فى التسيب ، إذ سئل أى بيت أنسب ؟ فأشدد :

فلما وردن الماء زرقا جامه      وضمن عصى الحاضر للتخيم  
أما نحن فلا نرى فى هذا البيت ما يراه كثير ، وخير منه عندنا قول المثقب :  
وهن على الزجاجات واكفات      قوائل كل أشجع مستكين  
كفرلان غذلن بذات ضال      تنوش البانيات من الفصون

## ( ب ) في وصف الفرسان وعتادهم عند الحرب

١ — قال ضمرة بن ضمرة \* يصف نفسه في قتال عدوه :

- وَمُسْتَعْلَى كَالطَّيْرِ نَهْنَهْتُ وَرَدَّهَا إِذَا مَا الْجَبَانُ يَدْعِي ، وَهُوَ عَانِدٌ <sup>(١)</sup>  
 عَلَيْهَا السَّكَاةُ وَالْحَدِيدُ ، فَتَهُمُ مَصِيدٌ لِأَطْرَافِ التَّوَالِي وَصَانِدٌ <sup>(٢)</sup>  
 شِمَاطِيطٌ تَهْوِي لِلسَّوَامِ ، كَأَنَّهَا إِذَا هَبَّتْ غُوطًا كِلَابٌ طَوَارِدٌ <sup>(٣)</sup>  
 وَفَرْنٌ رَكَتِ الطَّيْرُ تَحْبَلُ حَوْلَهُ عَلَيْهِ تَجْمَعُ مِنْ دَمِ الْجُوفِ تَجَالِدٌ <sup>(٤)</sup>  
 ٧٩٥ : حَشَاةُ السَّنَانِ ، ثُمَّ خَرَّ لِأَنْفِهِ كَا قَطَرَ السَّكَبُ الْمَوْزَبُ نَاهِدٌ <sup>(٥)</sup>

\* ترجمته الشَّاهِر : هو ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطش بن نهشل النجبي ، كان لساناً فصيحاً ، كان اسمه ( عشا ) فدخل على النعمان بن النضر فغاب دماسته ، فقال له : أيت اللعن إن الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بميزان ، وإنما للرء بأصفره ، بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان ، فقال له النعمان : أنت ضمرة بن ضمرة يريد أنه كأييه ، فصار اسمه ضمرة . توفي حوالي سنة ٩٠٠ م .

التفسير المفروق : (١) للثقل : الكتية تشمل للحرب ، شبهها بالنار الشعلة . نهنت : كفت ، وردها : أورد القطعة من الجيش . يدعي : يتسبب . عانِد : منحرف .  
 (٢) السَّكَاةُ : جمع كسي الفرسان في أتم سلاحهم . التَّوَالِي : العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرماح .  
 (٣) شِمَاطِيط : جمع شِمَاط أو شِمَطوط ، أو الشميطات الفرقة من الجيش . تهوى : تسقط . السَّوَام : الإبل الراعية . القوط : جمع غائط ، وهي الأرض الواسعة الطمثة ، ومنها غوطة دمشق ، وهي أجمل قطعة فيها . طوارد : قوائم .  
 (٤) القرون : النظير في النجدة والقروية . تحبل : تسير على رجل واحدة من القرح . التجميع : الدم الشديد الحمرة .  
 الجاسد : اللازق . (٥) حشاة السنان : دخل في أحشائه . خر : سقط . قطره : رماه على قطريه ، وهما جانبيه . السكَب : عظم يلعب به . التَّوَرِب من السكاب : الحاد الأطراف .  
 التاهد : السبي للرفع .

### تحليل الأبيات :

يصف ضمرة شجاعة قومه في قتال عدوم ، فيقول : رب كتيبة كثيفة منشرة انتشار الطير كفكتت جموعها ، ونهنت جحافلها ؛ حين يدعى الجبان الدعاوى ، وينسب إلى نفسه اليأس والقوّة ، وهو عائد عن الجمع ، منحرف عند ملاقاته الحشد ، خشية أن يصيبه الخطف ، ينزعم هذه الكتيبة الكجاة الأبطال ينطيم الحديد ، ويتسربلون بالبيض والدروع ، ولكن جديدهم لم يبن عن أكرم شيئا ، ويبيضهم ودروعهم لم تدفع عن جموعهم قضاء ، فن هؤلاء الصيد والصائد ، والأسير والأسر .

فرق هذه الكتيبة تنقض على الفنائم اقضاض الكلاب الطوارد ، وتهوى على النقي\* هوى الطيور الجوارح ؛ لأنها لا تنبأى عدوها ، قد ألبته السنان ، وكتته الهزيمة العار . تلك الكتيبة لا تثبت لى فى ضراب ، ولاتنى أن تنهزم أمامى عند تبادل الطعان .

ورب قرن جدلته وتحركته نهش السباع ونهب الطيور ، فهي تجعل حوله تتناش لجه ، وتمتص عظمه ، فوق أجزاء جسمه الدم المتجمد ، وعلى أطرافه النجيع المتجمد ، فقد أوجأت شاة السيف فى أحشائه ، فسقط على وجهه ، كإبرى الفقى الناهدا الكسب المحدد ، فيلصق فيها يسقط عليه ، ويستقر فى أحشاء ما يرى به .

### النقد :

فى هذه الأبيات تصوير للحرب ، فكّم من الناس يقول ويدعى ، حتى إذا دارت رحاها انحرف عنها ، وخاف ميداتها « إذا ما الجبان يدعى وهو عائد » فى هذه الحرب تتصاول الفرسان ، فيها الصائد والصيد ، والأسر والأسير ، « مصيد لأطراف العوالى وصائد » . وفيها تصوير للجند وقدا تهت المركة ، فهم ينصرفون إلى جمع الفنائم واققسام الأسلاب ، وحينئذ تقبل الطيور « عصائب طير تهتدى بعصائب » لتجد طعاما ميسرا موفورا . وفيها وصف للقتلى يحزون على حرأوفهم ، وأهمر وسهم ، إذ سدّدت إليهم الأسنّة تسديد اللاعب بالكسب المؤروب ، وهى صور لامبالغة فيها ولا غلو .

٢ — وقال دريد بن الصمة \* يصف حرباً قتل فيها أخوه عبد الله :

دَعَايَ أَخِي وَالْحِيلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ      فَلَمَّا دَعَايَ لَمْ يَجِدْنِي بِمُقَدَّرٍ<sup>(١)</sup>  
 أَخِي أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ بِلَبَانِهَا      يَشْدُنِي صَفَاهُ يَتَنَا لَمْ يَجِدْ<sup>(٢)</sup>  
 تَنَادَوْا ، قَالُوا : أَرْكَبُ الْحِيلُ فَارِسًا      قُلْتُ : أَبْعِدُ اللَّهَ ذَلِكُمْ الرَّدَى<sup>(٣)</sup>  
 جِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حُ نَبَوشُهُ      كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُدَدِ<sup>(٤)</sup>  
 وَكُنْتُ كَذَابِ الْبُورِيَّتِ فَأَقْبَلْتُ      إِلَى جَلِيدٍ مِنْ مَسَلِكِ سَقَبٍ مُقَدَّرٍ<sup>(٥)</sup>  
 فَارُحْتُ حَتَّى طَرَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ      وَغُودِرْتُ أَكْبُو فِي الْقَنَا التَّقَصُّدِ<sup>(٦)</sup>  
 فطَاعَتُ عَنْهُ الْحِيلُ حَتَّى تَنَفَّسْتُ      وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ الْوَلَوْنِ أَسْوَدِي<sup>(٧)</sup>  
 ٨٠٣ : قِتَالِ امْرِئٍ أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ      وَيَدْلُمُ أَنَّ الرُّءُ غَيْرُ مُخْلَدٍ<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : هو دريد بن الصمة ، واسم الصمة معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر شاعر خلي ، وفارس شجاع ، كان أطول الفرسان الشعراء غزوا ، وأبدم أثرًا ، وأكثرهم ظفرًا ، وأبغهم نقيبة ؛ أدرك الإسلام فلم يسلم ، وقتل يوم حنين ، وهو هنا يبيى أخاه عبد الله الذي قتل في حربه مع قطفان .

التفسير اللغوي : (١) أخى : يبنى عبد الله . الحيل : يقصد الفرسان . بمقعد : يتخلف عن القتال ، وفي رواية بمعد . (٢) اللبان : اللبن . لم يجد : لم يجد لبانه ، وفيه كناية عن دوام الصفاء . (٣) تنادوا : نادى بعضهم بعضاً . أردت : أهلك . (٤) تنوشه : تتناوله . الصياصى : جمع صيصة ، وهي شوكة يمرها الحائك على الثوب حين ينسجه . للمدد : الطول للمدد . (٥) ذات البو : الناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأه . ريمت : فزعت . الجلد : ما جلد من اللوايح وألبس غيره لتشبهه أم اللوايح فتدبر عليه . السك : الجلد لأنه يسك ما وراه من اللحم والعظم . السقب : ولد الناقة الصغيرة . اللقد : للشق . (٦) طرقتني : شققت جسدى وجئت فيه طرفاً . أكبو : أسقط . القنا : الرماح . التقصد : للبيت . (٧) تنفست : تفرقت . حالك اللون : يقصد النبار السكتيف من وقع حوافر الخيول حوله . أسودى : يريد أسودى ، كما قيل في الأحمر أحمرى ، وفي الدوار دوارى ثم خففت ياء التسب بخذف إحداهما ، وهي الأولى ، وجعلت الثانية صلة . (٨) أسى : سوى ، مخلص : خال .

### تحليل الأبيات :

هذه الأبيات من قصيدة في الرثاء من جيباد الشعر الجاهلي ، لافي الرثاء لحشب ، بل في جميع ماتناولته ضون الشعر .

وقد كان دريد بارعا في وصف القتال ، فبعد أن ذكر دعوة أخيه إياه ، وأنه كان سريع التلبية ، إذ لم يكن عند مادعاه إلى الموت بمقعد ، فهو أخوه رضيعا تدين جما على صفاء ، لم يبس لهنما ، فلم يحف عطف أمهما ، وصف القتال فقال :

لقد تنادى الأعداء ، وتجاوت الأصداء ، أرذت الفرسان فارس الميدان ، ومن يكون ذلك الفارس غير عبد الله ، فهو وحده الذي يستحق هذا القاب ؟

أقبلت عليه والرماح تنتاشه من كل جانب ، والموالى تقتاوله من جميع أقطاره ، ففتح على جسمه الطاهر وقوع الشوكه يمرها على الثوب الناسج ، فهو لم يغلب عن ضعف ، وإنما غلبته الكثرة الكثيرة .

حينئذ كنت كالناقة يذبح سقبا فتراع وتفرع ، فثبت فيها الروعة والفرع النظر إلى ذلك البوشمة وتحصسه ، فأنا تأمله تأمل الأم المكتوبة في وليدها ، فما نزلت إلى الميدان حتى خرقت جسمي رماحهم ، وجعلته طرائق وخطوطا ، وتركت أكيو في الرماح الطاعة .

لقد طاعنت عن جثته الفرسان حتى تفرقت جموعها ، وحتى علا النقع رأسى ، نصرت منه حالك اللون ، أسود البشرة ، لقد قاتلت قتلة أخى قتال أخ صادق في أخوته ، فهو يسوى بينه وبين أخيه حتى في طلب البقاء ، ويحب لأخيه الحياة كما يحبها لنفسه ، قاتلت عنه قتال من يعلم أن كل حى إلى فناء ، « وأن المرء غير مخلد » .

### التميم :

الأبيات تميل بصورها المعبرات ، فهو يصور تنادى الفرسان في غبطة بقتل أخيه ، وليس أبلغ في إظهار النبطة من كلمة « تنادوا » ثم إن شعر الرأس ليقف من الهول عند ما يتصور تناوش الرماح لأخيه ، وهى « كوقع الصياصي في القسيح للمدد » ثم أى تصور أجمع لتدهاب العقل من التسوية بينه وبين الناقة تراءم بوها ؟ لقد بلغ دريد بقصيدته آية الوصف الحسى والمادنى .

٣ — وقال عنقرة \* يصف كتيبة هزها :

وكتيبة لبستها بكتيبة شهباء باسلة يخاف رداها<sup>(١)</sup>  
 خرساء ظاهرة الأداة كأنها نارٌ يشب وقودها بلظاها<sup>(٢)</sup>  
 فيها الكفة بنو الكافة كأنهم والغيل تغتر في الوغى بقناها<sup>(٣)</sup>  
 شهب بأيدي القابضين إذا بدت بأكفهم بهر الظلام سناها<sup>(٤)</sup>  
 صبر أعدوا كل أجرد ساجر ونجبية ذبلت وجف حشاها<sup>(٥)</sup>  
 يمدون المستلثمين عوايسا قودا تشكى أينها وزجاها<sup>(٦)</sup>  
 يحملن ضيانا مداعس بالقنا وقرا إذا ما الحرب خف لواها<sup>(٧)</sup>  
 من كل أروع ماجد ذي صولة مرس إذا لحقت خصى بكلاها<sup>(٨)</sup>

\* ترجمه الشاعر : أقرأها في ص ١٢٢ .

- التفسير القوي : (١) الكتيبة : الفرقة من الجيش . لبستها : خلطتها . شهباء : العظيمة الكتيبة السلاح . رداها : هلاكها .
- (٢) خرساء : لا صوت لها . الأداة : العتاد . يشب : يشعل . بلظاها : بلهبها .
- (٣) الكافة : جمع كى ، وهو القارس للدجج بالسلاح . الوغى : الحرب . بقناها : برماحها .
- (٤) شهب : وصف لموصوف محذوف هو أسته . بهر : كشف . سناها : نورها .
- (٥) صبر : صابرون . أجرد : وصف للفارس خف شعره لسمته . ساج : يعدو بأقدامه الأربعة ، كما يعمل الساج بيده ورجليه . نجبية : ناقة كريمة . ذبلت : ضمرت . حشاها : ما انضمت عليه الضلوع .
- (٦) يمدون : يجررون . المستلثمين : اللابسى اللامة ، وهى الدرع . عوايس : غضابا . قودا : جمع أقود القلول للثقاد . أينها : تمها . وجاها : حفاها .
- (٧) مداعس : جمع مدعس ، وهو القارس الطعان . وقرا : جمع وقور الساكنون . خف : اضطرب .
- (٨) الأروع الساجد : الذكى الكريم التسب . مرس : ثابت . خصى : جمع خصبة بالضم والكسر . الكلى : جمع كلية وكلوة .

وَحَاجِبُهُ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِمَشْتَهُمْ      لَيْلًا وَقَدَمَالُ الْكَرَى يَطْلُأَهَا<sup>(٩)</sup>  
 وَسَرِيْتُ فِي وَعَثِ الظَّلَامِ أَفُودُهَا      حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَالَتْ حَاجَهَا<sup>(١٠)</sup>  
 وَلَقِيتُ فِي قُبُلِ الْمَجِيرِ كَثِيبَةً      قَطَعْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ أَوْلَاهَا<sup>(١١)</sup>  
 وَضَرَبْتُ قَرْنِي كَبِشْنَهَا فَتَجَدَّلَا      وَحَمَلْتُ مُهْرِي وَسَطَعَهَا فَنَاضَاهَا<sup>(١٢)</sup>  
 حَتَّى رَأَيْتُ الْخَلِيلَ يَمُدُّ سَوَادِهَا      مُعْرَا الْجُلُودِ خُضْبَنَ مِنْ جَرَّحَاهَا<sup>(١٣)</sup>  
 يَمْتَرْنَ فِي نَقْعِ التَّجْعِ جَوَافِلَا      وَيَطْلُأْنَ مِنْ مُقَى الْوُغَى صَرَاعَهَا<sup>(١٤)</sup>  
 ٨١٨ : فَرَجَمْتُ عُمُودًا بِرَأْسِ عَظِيمِهَا      وَتَرَكْتُهَا جُزْرًا لِيَنْ نَاوَاهَا<sup>(١٥)</sup>

- 
- (٩) شم الأنوف : مرتفع الأنوف ، وهي كناية عن العلا والرفعة . الكرى : النوم .  
 الطل : جمع طلية وطلاة المنق ، أو أصلها .  
 (١٠) وعث الظلام : اختلاط الظلام وشدته . زال : تحرك ، ومصدره زول . ضحاها :  
 وقت ارتفاع الشمس .  
 (١١) قبل المجير : في أول اشتداد الحر . أولاهها : أولى طمناني .  
 (١٢) جدلا : تكسرا . فضاها : ققطعها .  
 (١٤) نع التجيع . التقيع : السنتقع والغبار ، والأول هو للراد . التجيع الدم الأسود  
 للتجمد . حمى الوغى : شدة الحرب . صرعاها . قتلها .  
 (١٥) عموداً : مشكوراً ، جزراً : جمع جزور ، وهي الناقة تجزر . ناواها : محفف  
 ناواها عادها .



### تحليل الأبيات :

رب فرقة كثيفة من الجند دهمتها بفرقة عظيمة العدد ، موفورة المتاد ، يخشى صكها ، ويخاف رداها ، يسير أفرادها في سكون لامن خوف بل عن غضب ، فتأداها ظاهرا ، وسلاحها لاسع ، كأنه نار مشبوبة .

في هذه الفرقة فرسان ورتوا القروسية عن آباءهم ، يشبهون - إذ تتعثر الخيل عند مانعها الوضى في الزماح للتساقطة ، واقتنا للنهاوية - يشبهون في أيديهم سيوفهم ورماحهم شهبأ بأيديهم أقباس من النار ، فيكشفون الظلام ، ويزيحون القتام ، كحاة أجلا ، أعدوا للجلاد الجرد السوامح ، والتجب الدوابل الأخلاف ، الجواف الأحشاء ، الضواصر البطون ، تعدو تلك الخيول عوايس غواضب ذللا ، تشكو ما يلحقها من نصب ، وما يصيبها من أين وتعب .  
فرسان قد استلأوا . إتهن يحملان فتيانا فرسانا يحسنون الطمن ، رزنا عند ما يخف عقل الحليم ، ويضيع رشد الوقور ؛ إذا خف لواء الحرب ، فخل أثناء الرجوع بالقتل ، من كل نذب ماجد ، وأروع ذكى ، ذى جولة وصوله ، وحول وطول ، ثبت عند الزوال إذ تبلغ الخلعى كلى الفرسان .

ورب محب عزيزى النفوس ، شم الأنوف بشت بهم ليلا فى غارة بعد أن لبب الكرى بأعنة الفرسان ، فسريرت فى شدة الظلام أقود تلك السرية ، فلم أنفك فى غارتى حتى تحركت أشعة الشمس ، ولقيت فى أول المهجير فرقة ضخمة ، فجملت أولى طمنائى لأول فرسانها ، وضربت قائدها غرا مجدلين ، ثم حلت مهرى على قلبها ففرقتها كل مفرق ، ومزقتها شر ممزق ، وما زلت كذلك حتى رأيت الخيول الدم قد صارت كتنا ، كأنما خضبت من دماء فرسانها ، وحتى رأيته تتعثر فى مجتمعات من الدماء ومستنقعات من التنجيع ، فذعر مما ترى ، وتجنجل مما تسير عليه ، فى لم تر طرقا كتفك التى تتعثر فيها ، فهن إما سائرات فى مستنقعات ، وإما سائرات عند احتدام الحرب فوق رموس الصرعى ، ثم عدت مظفرا منصورا ، محمودا أحل رأس عظيمها ، وترك الكتيبة كالجوزور ينهشها من عاداتها من السكواصر والجوارح .

### الفهر

لعنقة في شعره شخصية ، فإنك تستطيع أن تحكم دون تمتر في حركك عندما تسمع  
شعر عنقة أنه لعنقة دون سواه ، فهو يهول من قوة عدوه ليكون القلب بعدئذ عظميا قهارا ،  
وهو في هذه الأبيات يسير على نمطه الذي اختاره سمة له ، وقد صور لنا الموقمة تصويراً واقعياً

فكثبته : شبياء بأسلة يخاف رداها

خرساء ظاهرة الأداة كأنها نار يشب وقودها بلفظها

والخليل :

يعدون بالمستلزمين عوابسا قودا تشكى أينها ووجاهها

و يصور الحرب أدق تصوير فيقول :

ولقيت في قبل المجير كتيبة فطمت أول فارس أولاها

وضربت قرنى كبشها فتجدلا وحملت مهرى وسطها فضاها

حتى رأيت الخيل بعدسوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها

أما الأسلوب فهو أسلوب عنقة القوى الواضح لولا غموض يعتور البيت الثاني من البيتين :

فيها الكماة بنو الكماة كأنهم والخليل تمتر في الوغى بقناها

شهب بأيدي القابسين إذا بدت بأ كفهم بهر الظلام سناها

فوجه الشبه لا يستقيم إذا كان المشبه الكماة والمشب به الشهب ، وإنما يستقيم إذا كان المشبه  
السلاح على أن الأبيات فيها قوة الكتيبة الشهباء .



٤ — وقال سلامة بن جندل \* يصف نجدة قومه في حربهم من قصيدة أولها :

أودى الشبابُ حمداً ذُوَ التَّعْجِيبِ      أودى ذلكَ شأؤُ غيرِ مَطْلُوبِ <sup>(١)</sup>

كنا إذا ما أتنا صَارِخَ فَرْعٍ      كان الصَّرَاحُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَّائِبِ <sup>(٢)</sup>

وَشَدُّ كَوْرٍ عَلَى وَجْهائِ نَاجِيَةٍ      وَشَدُّ مَرْجٍ عَلَى جِرداءِ مَرْحُوبِ <sup>(٣)</sup>

وَالْعَادِيَاتُ أَسَابِي الدِّمَاءِ بَهًا      كَأَنَّ أَعْقَابَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيِبِ <sup>(٤)</sup>

مِنْ كُلِّ حَتَرٍ إِذَا مَا ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ      صَافِي الْأَدِيمِ ، أَسِيلُ الْخُدِّ ، يَهْبُوبِ <sup>(٥)</sup>

لَيْسَ بِأَسْفَى ، وَلَا أَفْخَى ، وَلَا سَوَّلِ      يُغْطِي دَوَاءَ قَتْلِ السَّكَنِ مَرْيُوبِ <sup>(٦)</sup>

٨٢٥ : تَظَاهَرَ النَّاسُ فِيهِ فَهُوَ مُحْتَمَلٌ      يُغْطِي أَسَافِيهِ مِنْ جَرَى وَتَقَرِّبِ <sup>(٧)</sup>

\* ترجمته الشاعر : هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث ، من شعراء تميم

الفعول ومن فرسانهم الأبطال ، ومن وصاف الخيل البارعين ، وهذه القصيدة - فيما يقول الزواة - أجود شعراء ، توفي حوالي سنة ٥٢٠ م

التفسير اللغوي : (١) أودى : ذهب . التعجيب : الأعاجيب ، وهو جمع لا واحد له .

الشأؤ : الغاية والسبق . (٢) صارخ مستنجد . فرع : خائف . الصراح : الإغاة الظنائب : جمع ظنوب حرف عظم الساق ، والجملة كناية عن الاستعداد .

(٣) الكور : رحل الناقة بأداته . الوجناء : الناقة الطليظة الوجتين . الناجية : السريعة .

الجرعاء : الفرس القصيرة الشعر . المرحوب : الفرس الطويلة . (٤) العاديات :

الحيل السريعات . الأسابي : الطرائق ، مفردا إسابة . أنصاب : جمع نصب حجارة كانت

تصب حول الكعبة . ترجيب . تعظيم . (٥) الحت : السريع . ملبد : موضع اللبد .

صافي الأديم : صافي الجلد . أسيل الخد : يعبوب : كثير الجرى .

(٦) الأسفى : الخفيف شعر الناصية . الأففى : القذى في أذنه احد يداب . السفلى :

للتضرب الأعضاء . السواء : يقصد اللين . قتل السكن : الضيف الكريم عند السكن ،

وهم الساكنون . المربوب . الذى يغذى فى البيوت ، ولا يترك يرود الطعام عند غير أهله .

(٧) تظاهر الى : تراكم الشحم منه على بعض . المحتمل : الكثير المجتمع . الأساهى :

الضروب والقنون لا واحد له . التعريب نوع من السير دون الجرى .

- رَزَقَ النَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَسِيعٌ      فِي جَوْجُوزٍ كَذَاكَ الطَّيْبِ مَحْضُوبٌ <sup>(٩)</sup>  
 فِي كُلِّ قَائِعَةٍ مِنْهُ إِذَا انْدَفَعَتْ      شَوْبُوبٌ شَدِيدٌ كَفَرُغٍ الدَّلَوِ أَثْمُوبٌ <sup>(١٠)</sup>  
 كَأَنَّهُ يَرْفُئُ نَامَ عَنْ غَسَمٍ      مُسْتَنْفَرٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَذُوبٌ <sup>(١١)</sup>  
 يُحَاضِرُ الْجُلُونَ مُحَضَّرًا جَعَفَلُهَا      وَيَسْبِقُ الْأَلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبٍ <sup>(١٢)</sup>  
 مِمَّا يَبْدَأُ فِي الْمِجْبَاتِ إِذَا كَرِهَتْ      عِنْدَ الْعُلَمَانِ وَيُنَجِّي كُلَّ مَكْرُوبٍ <sup>(١٣)</sup>  
 هَمَّتْ مَعْدٌ بَنَاءً هَمًّا فَتَنَهِهَا      عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْرِيبٍ <sup>(١٤)</sup>  
 بِالْمَشْرِقِ وَمَصْقُولٍ أَسِنَّتُهَا      صُمُّ الْعَوَامِلِ صَدَقَاتِ الْأَتَائِبِ <sup>(١٥)</sup>  
 ٨٣٣ : سَوَى التَّقَافِ قَتَانَا فِي مُحْكَمَةٍ      قَلِيلَةُ الزَّيْنِغِ مِنْ سَنَى وَتَرْكِيبِ <sup>(١٦)</sup>

- (٩) النسيع : مغرز النقي في السكاهل . الهادي : النقي أو مقدمه . البتغ : الطويل .  
 الجؤجؤ : الصدر . للذاك : الصلاة محضوب : مخرج بدماء العدو .  
 (١٠) الأساوى : دفعات الجرى . فرغ الدلو : مخرج الماء منها . أثموب : سائل منتعب .  
 (١١) اليرفئ : راحي الغنم . مستنفر : مستثار . مذهب : هجم عليه ذئب .  
 (١٢) يحاضرها : يطاولها الحضر ، وهو شدة الجرى . الجون : بالضم جمع جون بالفتح  
 يقال للأبيض والأسود ، يريد بها الحر الوحشية . الحجاقل : جمع جفلة ، وهي للخيل والحير  
 بمنزلة الشفة بالإنسان . عفوا : هادئا .  
 (١٣) الميجاء : الحرب . إذا كرهت : إذا خيفت . مكروب : نازل به وشدة .  
 (١٤) همت : عزمت . فتنها : فزجرها . تذريب : تحديد . وفي رواية غير تذيب  
 وهي مبالغة من الذب .  
 (١٥) الثرفى : السيف النسوب إلى مشارف الشام . مصقول : محدد . العوامل :  
 جمع عاملة أعالي الرماح ، كموال . صدقات : صلبات . الأتائب : ما بين عقد الرماح .  
 (١٦) سوى : عدل . التقاف : متقف الرماح ، وهي خشبة فيها ثقب تقوم بها الرماح .  
 الزينغ : الاعوجاج . تركيب : معنى تركيب النصال .

- زُرْنَا أَسْنَتَهَا ، مُحَرًّا مُتَقَفًّا أَطْرَافُهُنَّ مَقِيلٌ لِلْجَعَايِبِ<sup>(١٧)</sup>  
 نَجَلُوا أَسْنَتَهَا يَفْيَانُ عَادِيَةً لَامُتَغْرِفِينَ وَلَيْسُوا بِالْجَعَايِبِ<sup>(١٨)</sup>  
 ٨٣٦: كَانَتْهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا مَوَازِجُ الْبُئْرِ وَأَشْطَانُ مَطْلُوبِ<sup>(١٩)</sup>



- 
- (١٧) زُرْنَا أَسْنَتَهَا: لشدة صفائها . مُحَرًّا: اشتداد الصفاء يمت حرمة . مَقِيلٌ: مكان قضاء القيلولة . الْجَعَايِبِ: جمع يصوب ملوك التحل .  
 (١٨) عَادِيَةً: حرب . الْقَرْف: الذي يكاد يكون هجيناً ، والمهجين من أمه رقيقة .  
 الْجَعَايِبِ: القصار الضماف .  
 (١٩) مَوَازِجُ الْبُئْرِ: الحبال التي ينزح بها للاء من البئر . الْأَشْطَانُ: الحبال الطوال  
 مَطْلُوبٌ: بُرٌ ببينة القرار بين المدينة والقام .

### تحليل الوفيات :

ذهب الشباب محمودة عواقبه ، كثيرة أعاجيبه ، ذهب وتلك غابة ما كنا نطلبها ،  
وشأ ولم نكن نأمله .

بيكاه الشباب والتحسر على أيامه الزاهبات بدأ الشاعر قصيدته ، ثم انتقل إلى القفر  
بالكرم والتجدة والشجاعة ، فقال :

كنا - وما زلنا - إذا استنجد بنا مستنجد ، أو استصرخ بقومنا مستصرخ كان  
الاستعداد للدفع عنه جواب استصراخه ، فنشد الأكوار على الوجناوات التجائب ،  
والسروج على الجرد السراحيب ، تلك الماديات التي ترى فوق أعناقها طرائق الدم من  
طعننا الأعداء ، فكأن هذه الأعناق أنصاب نذبح فوقها الهدى لها ، من كل فرس جواد  
سريع عند ما يتل موضع اللهد منه ، صافي الجلد ، ناعم العلد ، سريع الجرى ، وذلك  
لحسن التيام عليه ، ولكرمه وعفته ، ليس فيه ما يمكن أن يصاب به ، فليس خفيف شعر  
الناسية ، وليس محدودب الأنف ، وليس مضطرب الأعضاء ، بل هو كامل الحسن ، بالغ  
الجمال ، فنحن لذلك نكرمه غاية الإكرام ، فنسقيه مما نسق منه أكرم الضيوف ، وننذيه  
ما ننذى به أعز الأرباب ، فهو سمين مكتنز ، ضخم محتفل ، له أفانين في المدو والجري ،  
وأساهى في الحضر والتفريب ، يعتلى كاهله عنق يتع طويل ، فوق صدر ناعم أملس ، كأنه  
لنموته وملاسته وكنته مذاك الطيب ، في كل قائمة من قوائمه الأريج عند ما يندفع عاديا  
دفعت من الجرى ، كأنها في شدة وقعها انصباب الماء من الدلو .

كان ذلك القرس راعي غنم نام عنها ، فشت فيها الذئاب ، فنهض من سباته فزعا  
مضطربا يحاول بأسرع عدوه ، وأشد جريه إنقاذها من مخالب مفترسها ، وهو يبارى الحر  
الوحشية حضرها ، وقد اخضرت شفاها ؛ لما هي فيه من رعى كثير ، ويسبق الألف من  
الخليل دون أن يضرب بسوط ، أو يركل بقدم .

ذلك القرس من الجياد التي تختار لاقترحام الهيجاء إذا خيف اقترحامها ؛ لاشتداد  
الضرب والطنن فيها ، فينجى فارسه بكره وفره ، فيسبق مطورا ويدرك طالبا .

هت ممدًا بتألفها ، وقصدت حر بنا قصدا ، فكفها عن المم بنا ماترنا عنا من طعن

مسدد ، وذب عن حرماننا قوى شديد بالسيوف المشرفية ، وبالرماح المصقولة الأسنة ، الصم  
الموامل ، الصلبة الأنابيب ، تدسوى الثقاف قناتها ، فعى بحكمة ، عديعة الاعوجاج ،  
شديدة التحديد ، صافية الحديد ، فأستنها زرق يتألفها حرة لشدة صفاتها ، مقومة أتم  
تقويم ، فأستنها تقيل فيها رموس قواد الجيش ويعاسيب الجند .

تصقل أسنتها وتجلو أطرافها فتیان حرب ، كلهم نسيب كريم ، ليس فيهم هين  
ولا ضعيف ، كأن هذه الرماح بأ كف المحاربين إذ لحقوا أعداءهم الفارين حبال يتمتع بها  
ماء البئر ، أو أشطان بئر بعيدة النور ، فعى لا بد مدركة رؤوس أولئك الفارين .

الفخر .

الأصل في هذه الأبيات أنها للفخر ، ولكن الشاعر وصف فيها الاستعداد للقتال  
وصفا بارعا في قوله :

وشد كور على وجناء ناجية      وشد سرج على جرداء مرحوب  
ثم سار يصف الخيل في حضرها وتقريبها ، وأجزاء جسمها ، وما تقدمه لفارسها من  
جهد محمود في قتاله فأجاد الوصف ، ثم وصف الرماح فوفق في وصفه إياها ، وإن يكن كرر  
بعض المعاني ، ولعل هذا التكرير مما يلازم الفخر الذي هو الأصل في قصيدته ، وذلك  
من مثل قوله :

سوى الثقاف قناتها ، فعى بحكمة      قليلة الزينغ من سن وتركيب  
زرقا أستنها حمرا مثقفة      أطرافهن مقيل لليعاسيب  
تجلو أسنتها فتیان عادية      لا مقرفين ، وليسوا بالجمعاييب  
ويعجبنا ذلك المعنى في قوله : « أطرافهن مقيل لليعاسيب » فهو قد صور لنا الرموس  
تقيل في أطراف الرماح ، وهو معنى لم يسبق إليه فيما نعلم .

٥ - وقال بشر بن أبي خازم • يصف نجدة قومه من قصيدة أولها :

عَفْتُ مِنْ سُلَيْمَى رَامَةً فَكَتَبْتُهَا      وَشَطَّتْ بِهَا عَنْكَ النَّوَى وَشَعُوبُهَا <sup>(١)</sup>  
وَكُنَّا إِذَا قُلْنَا : هَوَازُنُ : أَقْبَلِي      إِلَى الرَّشْدِ لَمْ يَأْتِ السَّدَادَ خَطِيئُهَا <sup>(٢)</sup>  
عَقَلْنَا لَهُمْ عَقْلَ الضَّرُوسِ مِنَ اللَّأ      بِشَهْبَاءَ لَا يَمُتِي الضَّرَاءَ رَقِيبُهَا <sup>(٣)</sup>  
فَلَا رَأُونَا بِالنَّسَارِ كَأَنَّا      نَشَاصُ الثَّرْيَا هَيَّجَتْهَا جَنُوبُهَا <sup>(٤)</sup>  
فَكَانُوا كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَدْرِ إِذْ غَلَّتْ      أَنْزَلْنَا مَذْمُومَةً أَمْ تَذِيبُهَا ؟ <sup>(٥)</sup>  
قَطَعْنَاهُمْ ، فَبَالِيَمَةِ رِفْقَةٍ      وَأُخْرَى بِأَوْطَاسٍ نَهَرُ كَلِيئِهَا <sup>(٦)</sup>  
قَتَلْنَاهُمْ نَقَلَ الْكَلَابِ جِرَافَهَا      عَلَى كُلِّ مَقْلُوبٍ يَنْوَرُ عَكُوبُهَا <sup>(٧)</sup>  
٨٤٤ : لَحُونَاهُمْ لَحَوَ الْعِصَى ، فَأَصْبَحُوا      عَلَى آكَةِ يَشْكُو الْمَوَانَ حَرِيْبَهَا <sup>(٨)</sup>

• ترجمته الشاعر : اقرأ ترجمته في ص ١١٦ .

التفسير اللغوي : (١) عفت : درست . رامة : بهد . الكتبت : الرمل . شطت :  
نأت وجدت . النوى : نية السفر . شعوبها : جمع شعب يقصد أهلها .  
(٢) هوازن : قبيلة وهي منادى . الرشد : الحلم والسداد . السداد : الإصابة .  
(٣) عقلنا لهم : ملنا عليهم . الضروس : صفة لموصوف محذوف هو الحرب ، وإنما  
نوصف بالضروس لأنها تضرس للقاتلين كما تعض الناقة السيئة الخلق حالها . اللا : الصحراء .  
الشهباء : الكتبية علاها الحديد فقع . الضراء : ما يورى الإنسان من الشجر . الرقيب : الناظر .  
(٤) النسار : اسم مكان . نشاص الثريا : ما ارتفع من السحاب بنورها ، وفيه كناية عن  
السكرتة . جنوبها : ريح شديدة تهب من الجنوب . (٥) ذات القدر : صاحبة القدر  
فيها السمن . مذمومة : أي من الضيف . تذيبها : تذيب منها .  
(٦) قطنناهم : مزقناهم في حربنا أيام . الياماة وأوطاس : موضعان كانا ميدان قتال .  
نهر : تصيح من خوف . كليها : كلابها (٧) قتلناهم : حملناهم على الانتقال من  
بدهم . الجراء : جمع جرو . مغلوب : وصف لموصوف محذوف أي طريق مغلوب ، وهو  
الهمد . عكوبها : غبارها ، والهاء تعود على الطريق ، وهو يذكر ويؤنث .  
(٨) لحوناهم : أخذنا جميع عتادهم ، وهو من لحا الشجرة إذا قسر عودها . الآلة :  
الحال . الموان : القل . حريبا : الحرب السابو للال .



لَدُنْ غُدُوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ وَأَدْرَكَ جَزَى اللَّيْقِيَاتِ لِقْوُهَا<sup>(٩)</sup>  
 جَعَلَنَ قَشِيرًا غَايَةً يُهْتَدَى بِهَا كَمَا مَدَّ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ قَلْبُهَا<sup>(١٠)</sup>  
 إِذَا مَا لَحِقْنَا مِنْهُمْ بِكَتَيْبَةٍ تَذَكَّرُ مِنْهَا دَحْلَهَا وَذُنُوبُهَا<sup>(١١)</sup>  
 بَنَى عَامِرٌ : إِنَّا تَرَكْنَا نِسَاءَ كُمُ مِنَ الشَّلِّ وَالْإِيحَافِ تَدْمَى عَجُوبُهَا<sup>(١٢)</sup>  
 غَضَارِيطُنَا مُسْتَبِطُونَ الْبَيْضِ كَالْدُمَى مُضَرَّجَةٌ بِالزُّعْفَرَانِ جُبُوبُهَا<sup>(١٣)</sup>  
 تَبَيَّتْ النَّسَاءُ الْمُرْضِعَاتُ بَرَهَوَةَ تَفْزَعُ مِنْ خَوْفِ الْجَنَانِ قَلْبُهَا<sup>(١٤)</sup>  
 ٨٥٩: دَعَا مُنِيتَ السَّيْفَيْنِ إِنْهُمَا لَنَا إِذَا مُضَرَ الْحِرَاءِ شَبَّتْ حُرُوبُهَا<sup>(١٥)</sup>

- (٩) لَدُنْ : عند ، وهو ظرف يصلح للزمان والمكان ، وهو المكان أقرب وأخص .  
 الغُدوة : أول الصباح . اللَّيْقَاتِ : الحيل تدخر بعض جريها . القلوب : الإعياء .  
 (١٠) قَشِيرًا : يمين قبيلة بني قشير ، وللقصود أن خيل بني أسد جلت همها بني قشير .  
 الأشطان : الحبال الطويلة . القلب : البئر . الدلاء : جمع دلو .  
 (١١) الكتيبة : الفرقة من الجيش . الدحل : التآر .  
 (١٢) بنى عامر : منادى حذف حرف نداءه . الشل : الطرد . الإيحاف : السير الشديد  
 تدمى : يسيل دمه . العجوب : جمع عجب يسكون الجيم ، وهو نهاية العصب .  
 (١٣) غضاريطنا : خدمتنا وأتباعنا مفردة مضرب . مستبطنون : داخلون في بطونهم  
 كناية عن أنهم في أحضانهم . الدمى : جمع دمية التماثيل من الرخام أو الشمع أو غيرها  
 مضرجة : مخطبة . الزعفران : نبت أصفر طيب الرائحة .  
 (١٤) برهوة : بأرض منخفضة أو مرتفعة . الجنان : القلب .  
 (١٥) دعوا : أتركوا . السيفين : الشاطئين . مضر الحراء : لقب بالحرارة لبقية من  
 جهة أحمر وجهها تزار لحضر .

## تحليل الآيات :

درست لفرق سليمى بلدتها وإن تكن مازال عامرة ، وأوحشت كسباتها التى كانت  
تُسجِر فيها ، وإن كانت ماتتفك آتية ، و بعدت بمحبوبتك عنك نية سفرها مع قبيلها .  
بهذا المعنى الحزين بدأ الشاعر قصيدته ، ثم سار فيها متفجعاً من القراق ، موجعاً من  
النوى ؛ حتى انتقل إلى وصف ناقته ، ومنها غفر بنجدة قومه فقال :

٨٥٢ : أجبنا بنى سعد بن ضبة إذ دعوا      ولله مولى دعـــــوة لا يجيبها

وكنا إذا قلنا : هوازن أقبل      إلى الرشد لم يأت السداد خطيبها

ثم أخذ يصف عاقبة هوازن بعد أن حاد عن السداد خطيبها ، ومال عن الجادة حاديا ،  
فقال : إننا ملنا عليهم ميل الحرب الشديدة تقبل عليهم من الصحارى بكتيبة كثيفة القدد ،  
كثيرة العدد ، لا يمتحنى رقيها فى الأشجار ، ولكنه يبدولعيان والأنظار ، فلما رأنا هوازن  
فى النار كأننا السحاب الركام كثرة وهولا هيجهته الجنوب صاروا فى حيرة واضطراب ،  
فشلهم كشل المرأة تسلاً سمناً ، وقد نزل بها ضيف ، ففى فى حيرة أتم سلاً ، فيسأم الضيف  
ويظن بها البخل ، أم تنزله وكما ينضج فيذم طعاسها ؟ ففى فى الحالين مذمومة ، وذلك حال  
هوازن إن حاربوا هزموا وضموا ، وإن أهرضوا لحقهم المار .

مرزقاهم فرقا ، وقطناهم قطما ، فرقة باليامة ، وأخرى بأوطاس تهر كلابها هرير الخوف ،  
وتنبح نباح النزع ، وحلناهم على أن يتنقلوا فى الأحياء كما تنقل الكلاب جراءها خشية  
الاعتداء ، فذهبوا فى طرق مطروقة يشور الثبار فى وجوههم ، سلبناهم أموالهم كما يسلب العود  
لحامه ، فأصبحوا فى حال تشكو ذلها وهوانها شكوى الضيف السليب .

حاربناهم من الندوة إلى المشى ، فلم نترك فيهم رمقا ، ولم يدخروا فى الدفاع عن أنفسهم  
جهداً ، فنلهم كشل الفرس تبقى بعض جريها ، ثم تضطر فلا تخر شيئا ، حتى يدركها الأين  
و يصيبها الكلال .

جملنا نحن - بنى أسد - بنى قشير غابتنا التى نبشها ، وهدايتنا التى نهتدى بها ، فلم نجد من حربهم يمنة ولا يسرة ، كما تمد حبال الدلاء نحو التليب ، فتى أدركنا منهم فرقة تذكروا ما يفتنا من ذحول وذنوب ، فاشتد القتال ، واحتدم الضراب .

بنى عامر : اذكروا لنا شجاعتنا ، قد تركنا نساءكم تدى هويهن ؛ إذ حلن على خير وطاء ، وأسرع بهن فى السير حتى لا يقن فى الإسار ، واذكروا إذ تركتم بعض نساءكم ، فاستبطنها خدمنا ، وهن فى جاملن كالذى اللطيفة بالزعران ، أما الرضعات منهن فانهن يستصمن بالتجاد أو يستترن فى الوهاد ، وهن فى فزع تطير له القلوب .  
فدعوا لنا شاطئ البحر فانهما ملكنا إذا مضى الجراء شبت حروبها .

النمر :

قال بشر هذه القصيدة يشيد بانتصار قومه بنى أسد وحلفائهم على بنى عامر ، فنضبت تميم لقتل بنى عامر ، فحجموا وقاتلوا طيئا وحلفاءها ، فهزمت تميم ، فقال بشر قصيدة أخرى منها :

٨٥٣ : غضبت تميم أن تقتل عامر يوم التمار فأهتبوا بالصييم  
والقطعة قوية للمعانى ، زاخرة بالصور ، ولا تأخذ عليه إلا إسرائه فى دعاواه ، وطرحه الخلق الربى الكريم فى معاملة السباء من الحرائر ، فزاعه لا يقره الخلق الربى النبيل .  
ويعجبنا منه تشبيه تنقل أعدائه هروبا من قومه بنقل الكلاب جراءها ، كما يعجبنا ذلك التشبيه الذى جعلهم فيه مذمومين على أى حال .  
فكانوا كذات القدر لم تدر إذ غلت أنزلنا مذمومة أم تذيها ؟

## (ح) وصف سوءات الحرب

١ - وقال زهير بن أبي سلمى • يصف سوءات الحرب من مطلقة :

وما الحربُ إلا ما عُلِمَتْ وَذُقَتْ وما هوَ عنها بالحديثِ للرجم<sup>(١)</sup>  
 متى تبعوها تبعوها ذميمةً وتضرَّ إذا ضرَّ يتموها فضرَّهم<sup>(٢)</sup>  
 فتمرَّكم عرك الرحي يثقالها وتلقح كشافاً تم تحمِل فتقتسم<sup>(٣)</sup>  
 فتنتج لكم غطان ، أشام كلهم كأحر عاد ، ثم ترُضِع فتقطيم<sup>(٤)</sup>  
 ٨٥٨ : فضليل لكم مالا تنقل لأهلها قرى بالعراق من قبيز ودرهم<sup>(٥)</sup>

\* ترجمته الشاعر : اقرأها في ص ٨٨ .

التصير اللغوي : (١) يخاطب الشاعر بأبياته هذه حي عيسى وذيان ، ويذكرهم بالأحداث الجسام التي زلت بهم أثناء حروبهم . للرجم : اللظنون من الرجم بمعنى الرمي بالرجل وهي المجارة ، فاللحن مجازي ، قال الزحسري : رجمه قذفه وشتمه ، ورجم بالظن ، ورجم به رمي به . (٢) تضرى : تمود وتدرب . فضرهم : فتشتعل .

(٣) تمرَّكم : تدلكم كناية عن الطحن . يثقالها : الثقال خرقاً أو جلد تيسط تحت الرحي ليسقط عليها الطحين ، والباء في يثقالها بمعنى مع . تلقح : تحمل . كشافاً : متتابعاً . تنتج : تلد . فتقتسم : فتجىء بتوأمين . (٤) الشؤم : ضد البين ، ورجل مشؤم ، ورجل مشائم كرجل ميمون ورجل ميامين والاشأم أفضل تفضيل من الشؤم ، وجمعه الأشام وأراد بأحر عاد أحر عمود ، وهو عاقر الناقة ، واسمه قدار ، وقد تجوز ، إذ تعود يقال لها عاد الأخيرة ، والدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » يعنى قوم هود .

(٥) تنقل : تخرج الأرض التلة . القفيز : مكيال . درهم : ميزان ، وخص العراق شهرتها بالنلات .

### تحليل الأبيات :

صور الشاعر ويلات الحرب ونكباتها في صور متعددة متجددة ، كل صورة منها كفيطة يدفع الناس عن ركوبها ، وحلهم على الابتعاد عن امتطاء أسبابها ، فقال :  
ليست الحرب أيها للتحاربون شيئا تجهلون فاعرفكم به ، فقد خبرتموها وخبركم ،  
وذقم ويلها ، وأذاقكم صابها ، وليس حديثي عنها بالحديث الذي يظن فيه الرمي بالنيب ،  
أو الرجم بالظن ، وإنما هو حديث الحق المشاهد .

إنكم إن تثيروها تثيروها دمية ذمية ، كريمة قبيحة ، فهي كالوحش للدرب على القتلك ، الغرى على النهش والقتل ، أو هي كالنار المشتعلة لا تبق ولا تذر ، لائحة للبشر ،  
أو هي كالرحى لا تغتأ تطن كل ما يقع بين شقيها ، أو كالنافقة الشوهاء الولود تلد أشأم مولود ، أو هي أرض ذات غلة مرة المذاق ، لا تقب الثنى وإنما تقب الإملاق ، وتثر رزايا تفوق في كثرتها ما تثره أرض العراق ، مما يكال أو يوزن ، فبئس هي من عدو للحياة والأحياء .

### الفرد :

هذه الأبيات في وصف الحرب من أروع ما قال زهير ، وليس لشاعر جاهلي أو غير جاهلي في وصف سوءاتها ما زهير ، فقد جاء فيها بصور هي آية الروعة ورمز الإبداع ، ولعل ذلك لأن زهيراً كان يقول عن إيمان ، ويتحدث عن عقيدة ويقين ، فيبلغ ما بلغ من الإجابة والافتنان ، ذلك النى لا يحتاج إلى الإيماء إليه ، والتدليل عليه ، ففى كل بيت صورة أو صورتان ، متكاملة الظلال والألوان كقوله :

ضركم هرك الرحى بثغاطها وتلقح كشافاً ثم تحمل فتثم

٢ - وقال امرؤ القيس \* يصف الحرب وسوء عواقبها .

الحربُ أولُ ما تكونُ فتيةٌ تبدؤُ بزيتها لكلِّ جهولٍ  
حتى إذا جيتُ وشبَّ ضرامها عادتُ مجوزاً غيرَ ذاتِ خليلٍ  
٨٩١ : شمعاءُ جزتُ شعرها وتنكرتُ مكروهةٌ لثَمِّ والتفصيلِ

تحليل الأبيات :

الحرب في أول أمرها شابة فتية، فيها حسن وطلاقة وفتنة ؛ لأنها توحى بالنظر والنصر وطيب الأحداث ؛ حتى إذا وقع الناس في لهايبها ، وحى وطيسها ، واشتمل ضرامها ظهرت على حقيقتها مجوزاً تنكراً لا تبقى على خليل ، ولا تحفظ بخليل ، وكيف ذلك ؟ وهي تتخذ منهم غذاءها ، فدماءهم شرابها ، ولحمهم طعامها ، إنها تبدو شمعاء شوهاء ، قبيحة للنظر ، دمية للرأى ، قد جزت شعرها فزادها ذلك تنكراً ، وتنكرت لمن كانت تزعمهم أصدقاءها ، فادت مكروهة لثَمِّ والتفصيل .

الشرح :

مارس امرؤ القيس الحرب أعواماً ، فرفضها على حقيقتها ، فهي تفرى وتغوى ؛ تفرى بالنصر ، وتغوى بالنظر والفنمية ، تبدو في زينة فائنة ، وصورة ساحرة ، ولكنها مانليث أن تظهر على حقيقتها ؛ تنال من القلب والفلوب ، وتأخذ من الطالب والطلوب ، فهي كالدهاية المجوز توقع في الشباك بعد أن تنصب الأشراك .

والجليل في هذه الأبيات أن امرأ القيس استمد صوره من المرأة شابة ومجوزاً ، والمرأة هي أول من أثار الشرور ، وحل الأوزار ، وما أشبه قول امرئ القيس بقول سيدنا سليمان عليه السلام : الشر حلواؤه ، سر آخره .

ترجمته الشاعر : انظر ترجمته في ص ١٠٩

التفسير اللغوي : (١) فتية : شابة . (٢) شب ضرامها : اشتعل لهايبها . خليل : صديق . (٣) شمعاء : اختلط يابض شعرها بأسوده . تنكرت : تغيرت .

## خاتمة عن خصائص الوصف في العصر الجاهلي

الآن وقد عرضنا الوصف في العصر الجاهلي بجميع صوره عرضا مبسوطا ، سواء من ناحية فنه ، أم من ناحية أخيلته وأفكاره ، أم من ناحية نظمه وتنسيقه نستطيع أن نحكم عليه بما يأتي :

١ — الوصف هو أقدم فنون الشعر على الإطلاق ، لا نستثنى منها فنا ؛ وذلك لأن الرعي شديد الحساسية بالجمال ، قوى الشعور بالحسن ، فهو مدفوع إلى التعبير عن حسه بالوصف ، مضطر إلى تصوير شعوره بالشعر ، وليس من اللازم اللإزب أن يكون الشعر مستقيما في أوزانه ، فهذا عبيد بن الأبرص ، وهو من أبرز شعراء ذلك العصر يبدو الاضطراب في شعره أحيانا .

٢ — يلتزمون الصدق في أوصافهم ، والحقيقة في أوضح صورهم ، وليس معنى هذا أن الوصف يتجافى مع الخيال ؛ فهو يعتمد على الخيال إلى حد بعيد ، إذ الصدق لا يتنافى الخيال ؛ فنقرة حين يقول مثلا :

يَدْعُونَ عَنقَرَ ، وَالرَّامِحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بَثْرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ  
مَازَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِفَرْقٍ وَجْهِهِ وَلَبَانُهُ حَقٌّ تَسْرِيْلٌ بِالْأَذْهَمِ  
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بَلْبَانُهُ وَشَكَ إِلَى بَسْبَرَةٍ وَتَحْمَنُحُمِ  
٨٦٥ : لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْحَاوِرَةُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عِلِمَ الْكَلَامَ مُكَلَّمِي

صادق كل الصدق في تصويره ، فإن الرامح تبدو مصوبة مستطيلة ؛ كأنها في استطاعتها أشطان البئر ، والدم قد يتطاير فينطى وجه الجواد ، فكأنه متخذ منه سر بالا ، والفرس الجواد يشارك فارسه في حربه ، فليس بدعا أن يقول أرميهم بفرقة وجهه ، وقد يتغير القوس مما يلقي ، ويشعر فارسه بازوراره وتثيرة ، وقد يشكو بالحمة والمبرة فيثير في نفس فارسه الأسى والأسف لشكواه ، ولو استطاع الحاويرة والجاجة لاشتكى وحاور وجادل .

كل هذا صدق خالص ، وهو مع ذلك خيال سامق .  
إنهم صادقون في وصفهم ؛ لأن وصفهم لا تكلف فيه ، وإنما هو صادر من عاطفة  
وشعور ، وهذان هما ميث الصدق ، يرى امرؤ القيس البرق يومض ويهتز بين الجبال  
والوديان ، فيشبهه بحركة اليدين في سحاب مستدير كأنه الإكليل ، أو هو في وميضه  
ولمائه كصايح الراهب السخى على معبده ، فهو يهين سليطه ويضاعف زينة ، ويرفع  
ذباله القتل ، والبيتان هما :

أصاح : ترى رَفَقاً أريكَ وميضَهُ كَلِمَ اليَدَيْنِ في حَيٍّ مُكَلَّلٍ  
يُضِيءُ سَنَاهُ أو مصايحُ راهبٍ أَهَانَ السَّليطَ بالذُّبَالِ للقتلِ

٣ - جميع شعراء هذا المصراع في الوصف الفكرة الواضحة ، والمنى القوي الناصع ،  
ولا يمنع ذلك أنهم يتفاضلون في وضوح فكرهم ، ويتمايزون في قوة معانيهم ، ونساعة  
أخيبتهم ، إذ كيف لا نحكم بفضل عبيد بن الأبرص على الأعشى مثلاً ، وقد جاء في بيت  
واحد بمعنى فصله الأعشى في بيتين ، فقال عبيد يصف المرأة بحرارة جسمها شتاء ،  
وخصره صيفا :

تُدْفِي الضَّجِيعَ إِذَا يَشْتَوُ وَتَحْضِرُهُ في الصَّيْفِ حِينَ يَغْلِيهِ الْبُرْدُ لِلصَّاحِي  
وقال الأعشى ، وقد يكون آخذاً للمنى من عبيد :

وتبرُدُ برْدَ رِداءِ القَرَوِ سِ رَفَرَفَتْ بالصَّيْفِ فيه التَّيْبِرُ  
٨٧٠ : ونَحْنُ لَيْلَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ نُبَاحُهَا الكَلْبُ إِلَّا هَرِيرًا

وقد مر بنا بعض الصور الغامضة التي عاجلناها على نحو قد لا تحتلها ألفاظ البيت  
كقول عنترة :

فيها الكَلَاءُ بنو الكَلَاءِ كَأَنَّهُمْ وَالْخَلِيلُ تَمَثَّرُ في الرِّغَى بِقَنَاحِ  
شَهَبٌ بِأَيْدِي الْقَابِضِينَ إِذَا بَدَتْ بِأَكْفُومِهِمْ بَهَرِ الظَّلَامِ سَنَاحِ

ولكن التامض من صورهم قليل لا يستدعى .



٤ — على الرغم من أن صورهم بسيطة غير مركبة ، فإنها رائقة الحسن رائدة الجمال ، فإن التركيب قد يكون صادرا عن تكلف وتصنع ، وليس شيء يفسد الشرح كهذين ، وقد مر بنا من الصور الجميلة في بساطتها ، الرائعة في سهولة مأخذها ما فيه غنية عن الأمثلة .

٥ — يشتهم معين وصفهم ، والعين الثرة لصورهم ، منها يستمدون تشبيهاتهم ، ويمتحنون استعاراتهم ، وعليها يعتمدون في كنايةاتهم ، لا فرق في كل ذلك بين السيد الشريف ، والبدد الوضع ، فكل مظاهر البيئة ملكهم جميعا ، وقد مر بك الكثير من المعاني للنشابة التي اعتمدوا فيها على البيئة .

٦ — أكثر صورهم حسية ، إن لم نقل إنها جميعها حسية ، أخذوها مما يقع تحت سمعهم وبصرهم من أحداث الطبيعة ، وتقلبات الكون ، وتطورات الأيام ، ومن صور الإنسان والحيوان والجماد والنبات ، وهم شديدو التأمل لما يرون ، يبدو التدبر لما يسمعون ، وأى تأمل وتدبر أكثر من قول عنقرة يصف ذباب الروض ؟

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ      غَرَدًا كَفَعْلُ الشَّارِبِ التَّرْتَمِ  
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      قَدَحَ لِلْكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

وأى تأمل وتدبر أكثر من قول امرئ القيس يصف عيون الوحش وهو ينظر إليه حذرا ؛ لأنه يدرك أنه يسعى لصيده ؟

٨٧١ : كَانَ عُيُونُ الْوَحْشِ حَوْلَ حَيَاتِنَا      وَأَرْحَلُنَا الْجَزْعُ الْقَدِي لَمْ يُتَقَبَّرِ

٧ — كان الوصف سجلا لكثير من عاداتهم وأخلاقهم وسياساتهم ، وقد مر بنا الكثير من الصور الدالة على هذه العناصر الثلاثة ، فليس هناك ما يدعو إلى التكرار أو الإفاضة فيما هو في متناول أيدي الجميع .

٨ — يميلون في الوصف — بالذات — إلى الإطناب ، فقد يبدوون ويميدون ، وقد علنا ذلك بأن المعنى أطربهم ، فأرادوا إرادته في أكثر من صورة واحدة ، وهم بذلك مخالفون لما كانوا يلزمونه في غير الوصف من الإيجاز البليغ .

فن الإطناب قول النابغة يصف سيف آل جفنة :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِوَقَهُمْ      بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
تُحْيِيْنَ مِنْ أَرْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ      إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبَتْ كُلُّ التَّجَارِبِ  
تَقْدُّ السُّلُوقِ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ      وَتُوْقِدُ بِالْعُشْفَانِ نَارَ الْخِلَابِ

٩ - صورهم في وصف الطبيعة المتحركة والسكونة تجمع بين الحركة والسكون ،  
والجلبة والهدوء ، وكأني بهم يلاشون بين الصور وأسبابها ، وبين الحقيقة وخيالها ، وقد  
صرت بنا صور متنوعة ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نمرض صوراً أخرى فيها حركة  
وجلبة ، وسكون وهدوء ، وملاءمة بين الصور ومصورتها ، ومناسبة بين الأوصاف  
وموصوفاتها ، ألسنت نحس الصخب والضجيج ، والجلبة والاضطراب في قول الحارث  
ابن حلزة البشكري ؟

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءَ ظُلَا      أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضُرُؤَا  
مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيبٍ ، وَمِنْ      تَهْهَالٍ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رُغَا  
تشر بهذا الصخب من المعنى ومن اللفظ ، ومن الأسلوب ، وهذه أبيات لعمر بن كلثوم  
نحس فيها الصلابة والقوة لأن الموقف يقتضيهما :

بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ      تَطْلُعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا ؟  
بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ      نَكُونُ رَقِيئِينَ كُمْ فِيهَا قَطِينَا ؟  
تَهْدِدُونَا وَتُعِدُّنَا . رُوَيْدَا !!      مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكَ مُقْتُونَا ؟  
فَإِنَّ قَنَانَنَا بِاعْمُرُو أَعْيَتْ      عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا  
إِذَا عَصَى الثَّنَافُ بِهَا اسْتَمَازَتْ      وَوَلَّتْهُ عَشْوَزَنَةٌ زَبُونَا  
٨٨٢ : عَشْوَزَنَةٌ إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنْتَ      تَشْجُ قَفَا الثَّقَفِ وَالْجَبِينَا

أليس خيالك سيصور لك ذلك الموقف وقد وقف عمرو متفكراً قومه ، متقلداً سيفه ،  
مربد الوجه ، مختلج النفس ، يتخير الألفاظ تحييراً ، ويقذف بها عمرو بن هند كأنها قطع الصخر ؟  
إن خيالك لابد ساجح بك فريك هذا النظر .

وانظر إلى الأمشى يصف كرم آكل الحلق ، فيتخير أوسع الألفاظ معاني ، وأضخمها حروفا ، فيقول :

تَمَى النَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفَنَةً      كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَعَوَّى  
يَرْوَحُ فَنِي صِدْقٍ وَيَنْدُو عَلَيْهِمْ      بِمَلْءِ جِفَانٍ مِنْ سَدَبٍ يُدَقُّ  
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدَوَسَهُمْ      مِنَ الْقَوْمِ وَلَدَانُ مِنَ النَّسْلِ دَرَدَقُ

فإذا ذكر الحرق وعذب ، وأسمنا لفظا كأنه مقتبس من رقها ، وعرض علينا صوراً نوحى بمجلس أنس لجماعة من فتيان هذا العصر ، كقولهم :

نَازَعْنَهُمْ قُصَبَ الرِّيحَانِ مُشَكَّاتَا      وَقَهْوَةَ مَرَّةٍ رَاوَوْهَا خَصِلُ  
لَا يَسْتَقِيمُونَ مِنْهَا وَفِي دَائِرَةِ      الْإِبْهَاتِ ، وَإِنْ عَلَّوْا وَإِنْ حَلَّوْا

وهذا حقيرة الرجل التليظ القلب ، يسيل رقة عند ما يناجي عبلة فيقول :

أَهْبِلَةٌ قَدْ زَادَ شَوْقِي وَمَا      أَرَى الدَّهْرَ يُدْبِي إِلَيَّ الْأَحْبَبَةَ  
وَكَمْ جَهْدِنَايَةَ قَدْ لَقَيْتُ لِأَحْبَبِكَ      بَابَتُ عَمِي وَتَكَبُّتُ

٨٩٠ : فَلَوْ أَنَّ عَيْنَكَ يَوْمَ اللَّقَاءِ      تَرَى مَوْفِقِي زِدْتُ لِي فِي اللَّحَبَةِ

١٠ - لم يكونوا في أوصافهم للطبيعة الساكنة يطيلون ، وقد علنا ذلك قبل ، وإذا كان منهم من أطال فإن إطالتهم في موضوعات خاصة كوصف الحر ومجالسها في شعر الأمشى وأضرابه ، ووصف الحرب وأسلحتها في وصف الشراء القربان ، ونحن إذا ضمنا هذه الخصائص إلى ماستقاء عن الطبيعة المتحركة والساكنة بدت لنا خصائص الوصف كاملة تامة . وبعد فأرجو أن أكون قد بلغت الغاية التي رمت إليها من عرض صورة واضحة للوصف في العصر الجاهل لتتيح للدارس الحكم السليم على منزلة الشعر العربي وبخاصة الوصف بين آداب الأمم عامة .

وأرجو أن يهب لي الله القوة لإظهار بقية أجزاء هذا الكتاب لنتم بإظهارها حلقة لامة في سلسلة الأدب العربي .  
وعلى الله قصد السبيل .

## أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب

- ديوان طرفة .  
 » عقيقة .  
 » الجلسة : لأبي تمام .  
 ساعات بين الكتب : للأستاذ العقاد .  
 شعراء النصرانية : للآباء اليسوعيين .  
 طبقات الشعراء : لابن سلام الجعفي .  
 في الأدب الجاهلي : للدكتور طه حسين بك .  
 مجمع الأمثال : للبيداني .  
 مختار الشعر الجاهلي : للأخفش الشنفرى .  
 مختارات البارودي .  
 مذهب الأغاني .  
 نقد الشعر : لقدامة بن جعفر .  
 نقد النثر : » » » .  
 نهاية الأرب : للتورى .  
 (ب) كتب تاريخية وجغرافية :  
 تاريخ الأمم والملوك : للطبرى .  
 سيرة ابن هشام .  
 مروج الذهب : للمسعودى .  
 جزيرة بلاد العرب : لحافظ وهبه .  
 الرحلة الحجازية : للبتاتوق .  
 (ج) كتب لغوية :  
 أساس البلاغة : للزمخشري .  
 القاموس المحيط : للفيروزآبادى .  
 الصباح للنير : للفيومى .  
 لسان العرب : لابن منظور .  
 اللنج : للأب لويس ملاف اليسوى .  
 مختار الصحاح : للرازى .  
 نهاية ابن الأثير .

- (١) كتب أدبية :  
 الأغاني : لأبي القزح الأسفهانى .  
 الأمالي : لأبي على القالى .  
 البيان والتبيين : للجياض .  
 الجلسة : للبحرى .  
 الحيوان : للجياض .  
 الروائع : لقزاد البستانى .  
 الشعر والشعراء : لابن قتيبة .  
 الصناعتين : لأبي هلال العسكري .  
 المقدم الفريد : لابن عبد ربه .  
 القعدة : لابن رشيقي .  
 النثر السائر : لابن الأثير .  
 للفضليات : للضي .  
 الملقات السبع : للزوزنى .  
 الملقات الشعر : للزوزنى .  
 الملقات الشعر : للشنيطى .  
 النثر الفنى : للدكتور زكى مبارك .  
 الوسيط : للأستاذين السكندري وعنانى .  
 تاريخ آداب اللغة العربية : للأستاذ السامى يوسى .  
 » » » : جورجى زيدان .  
 » » » : محمد هاشم عطية .  
 جبهة أشعار العرب : لأبي زيد القرشى .  
 دواوين الشعراء :  
 ديوان امرئ القيس .  
 » الأعشى .  
 » النابغة .  
 » زهير .

## فهرس تراجم الشعراء حسب الحروف الأبجدية

| الرقم | الاسم                    | الرقم | الاسم                    |
|-------|--------------------------|-------|--------------------------|
| ١٩٨   | ترجمة أبي ذؤيب المنفى .  | ٣٢٦   | ترجمة دريد بن الصمة .    |
| ٣٦٠   | » أعشى قيس .             | ٣٠٥   | » راشد بن شهاب البشكري . |
| ٣٨٦   | » الأسود بن يعفر .       | ٨٨    | » زهير بن أبي سلمى .     |
| ٢٤١   | » الحارث بن حذرة .       | ٣٣٢   | » سلامة بن جندل .        |
| ٢٠٥   | » الشنفرى .              | ١٢٨   | » سلمة بن الحرشب .       |
| ٨٢    | » اللقب العبدى .         | ١٥٩   | » سويد بن أبي كاهل .     |
| ١٣٦   | » للرقش الأصغر .         | ٣٢٤   | » ضمرة بن ضمرة .         |
| ٢٠٩   | » للرقش الأكبر .         | ٦١    | » طرفة بن العبد .        |
| ٩٤    | » للسيب بن عيسى .        | ١٨٩   | » عبيد بن الأبرص .       |
| ١٥٤   | » النابغة الذبياني .     | ٢٨٨   | » عدى بن زيد .           |
| ١٠٩   | » امرئ القيس .           | ٢١٤   | » عروة بن الورد العبسى . |
| ٢٩٢   | » أوس بن حجر .           | ٩٨    | » علقمة بن عبدة القحل .  |
| ٧٤    | » بشامة بن الصدير .      | ٢٦٩   | » عمرو بن قيس .          |
| ٢١٦   | » بشر بن أبي خازم .      | ٢٨٢   | » عمرو بن كلثوم .        |
| ٢٠٢   | » تأبط شرا .             | ٢٤٣   | » عميرة بن جمل .         |
| ٢٤٥   | » ثعلبة بن عمرو العبدى . | ١٢٢   | » عنرة بن شداد العبسى .  |
| ٢٤٧   | » حاتم الطائي .          | ١٣٣   | » عوف بن عطية .          |
| ٢٦٤   | » حنظلة الطائي .         | ١٤٦   | » ليبد بن ربيعة .        |
|       |                          | ٢٥٢   | » مهلهل بن ربيعة .       |

## فهرس القوافي

| صدر البيت | لأقته    | بحره        | صفحة | صدر البيت | لأقته    | بحره     | صفحة      |
|-----------|----------|-------------|------|-----------|----------|----------|-----------|
| ٥ :       |          |             |      | الحاء :   |          |          |           |
| أجمعوا    | ضوضاء    | الحنيف      | ٣٤٧  | أعبله     | الأحبة   | المتقارب | ٣٤٨       |
| الألف :   |          |             |      | دان       | بالراح   | البيسط   | ٤٩        |
| ومهما     | كالقنى   | الطويل      | ٢٦٤  | أمن       | وتروحو   | الطويل   | ١٣٦       |
| الباء :   |          |             |      | إنى       | لواح     | البيسط   | ٢٦٢       |
| وقفت      | صالب     | الطويل      | ٣    | وما       | وتقدح    | الطويل   | ٣١٥       |
| فن        | لا تعجوب | »           | ٣٨   | تدنى      | للصاحى   | البيسط   | ٣٤٥       |
| إذا       | مراكبه   | »           | ٣٩   | البدال :  |          |          |           |
| وأركب     | الزغب    | البيسط      | ٤٠   | ألا       | وجد      | الطويل   | ٦         |
| وإنى      | مشربا    | الطويل      | ٥٢   | »         | سعيد     | »        | ١٨        |
| أرب       | التمالب  | »           | ٥٢   | سرنا      | الرشد    | البيسط   | ٣٩        |
| فإن       | طبيب     | »           | ٥٨   | يشق       | باليد    | الطويل   | ٥٧        |
| وكل       | والإيابا | الوافر      | ١٥١  | لخوة      | اليد     | »        | ٦١        |
| كانها     | الذيب    | البيسط      | ١٨٤  | هل        | غدر      | السريع   | ٨٢        |
| كانها     | القلوب   | مخلع البيسط | ١٨٩  | غشيت      | معيد     | الطويل   | ٨٨        |
| كافى      | الكواكب  | الطويل      | ٢٥٦  | يادار     | الأمد    | البيسط   | ٢٣٥ ، ١٥٤ |
| أودى      | مطلوب    | البيسط      | ٣٣٢  | أترجو     | أسودا    | الطويل   | ٢١١       |
| عفت       | وشعوبها  | الطويل      | ٣٣٧  | بانت      | للواعيدا | البيسط   | ٢٢٢       |
| ولا هيب   | الكتائب  | »           | ٣٤٧  | فا        | بالزبد   | »        | ٢٧١       |
| التاء :   |          |             |      | كان       | دد       | الطويل   | ٢٧٣       |
| وفيت      | وفيت     | الوافر      | ٣١٥  | وابيض     | لأغادها  | المتقارب | ٢٧٨       |

| صفحة | بحره         | لافيه    | صدرالبيت | صفحة | بحره         | لافيه    | صدرالبيت |
|------|--------------|----------|----------|------|--------------|----------|----------|
|      |              |          | الزاي :  | ٢٨٦  | الكامل       | غواذي    | ولقد     |
| ٣٠١  | الطويل       | وحزائزُ  | تخيرها   | ٣٢٤  | الطويل       | عائِدُ   | ومشعلهُ  |
|      |              |          | السين :  | ٣٢٦  | »            | بمقعدِ   | دعاني    |
| ٥٢   | الطويل       | فقسُ     | لمرك     |      |              |          | الراء :  |
| ١٦٤  | »            | موجسِ    | كأني     |      |              |          |          |
| ٢٠٩  | »            | يايسُ    | ولما     | ٦    | للتقارب      | دبوراً   | لها      |
| ٢٤١  | السريع       | القرسِ   | لمن      | »    | الوافر       | عرارِ    | تتمع     |
| ٢٦٧  | الطويل       | ناصرُ    | ودوية    | ٨    | الطويل       | أطيرُ    | عوى      |
| ٣١٤  | »            | تفامسُ   | وأعرض    | ٩    | مجزوء الكامل | مطيرُ    | ولقد     |
|      |              |          | الضاد :  | ٣٢   | الخفيف       | مكروراً  | ماأرانا  |
| ٣٧   | الطويل       | أرضِ     | أرقت     | ٣٣   | الوافر       | استعاراً | أصاح     |
|      |              |          | العين :  | ٤٩   | الكامل       | شعاراً   | إن       |
| ٦    | »            | أن يودعا | قفا      | ٥٦   | الطويل       | النواضرِ | رأين     |
| ٢٠   | مجزوء الوافر | ومصنوعُ  | رأيت     | ٥٧   | الرمل        | الأشُرُ  | بدلته    |
| ٤٦   | الرمل        | ارتفعُ   | تمتع     | ١١٦  | الوافر       | مستعارُ  | ألا      |
| ٥٧   | الطويل       | رائعُ    | وكلفني   | ١٣٣  | للتقارب      | قفاراً   | أمن      |
| ٩٤   | الكامل       | بوادعِ   | أرحلت    | ٢١٤  | الطويل       | مصدراً   | تهفاني   |
| ١٥٩  | الرمل        | اتسعُ    | بسطت     | ٢١٦  | الرجز        | خفرُ     | صل       |
| ١٩٨  | الكامل       | لايتلغُ  | فوردن    | ٢٥٢  | الوافر       | فلاتحوري | أليتنا   |
| ٢١٠  | الطويل       | ناقعُ    | فبت      | ٢٥٨  | الرمل        | وتندُرُ  | ديمة     |
| ٢١٧  | »            | ومصرعا   | وما      | ٢٦٩  | الخفيف       | الصنيرِ  | ليس      |
| ٢١٨  | الكامل       | تجمعُ    | يالف     | ٣١٢  | الوافر       | المقارُ  | فبت      |
|      |              |          |          | ٣٤٥  | للتقارب      | المعيرا  | وتبرد    |

| صفحة      | بحره    | قافيه   | صدرا البيت | صفحة | بحره         | قافيه   | صدرا البيت |
|-----------|---------|---------|------------|------|--------------|---------|------------|
| ٧٤        | للتقارب | ثقيلا   | هجرت       | ٢٣٩  | الكامل       | فالشرع  | لمن        |
| ١٠٩       | الطويل  | هيكلا   | وقد        | ٢٦٦  | الرمل        | الفرغ   | وفلاة      |
| ١٢٢       | الكامل  | كالنصل  | عجبت       | ٢١٢  | »            | طلع     | فأيت       |
| ١٧٧       | الطويل  | ورواحه  | صحا        | ٢١٣  | الكامل       | بالججاج | وإذا       |
| ٢٠٥       | »       | لأميل   | أقيموا     | ٢١٣  | الطويلا      | هزيع    | لمعري      |
| ٢١١ ، ٢٢٧ | »       | لخوميل  | تفا        |      |              |         | القفاء :   |
| ٢٥٤       | »       | ليبتلي  | وليل       | ٢    | مجزوء الكامل | بالعائف | تشتو       |
| ٢٦٠       | البسيط  | شمل     | بل         | »    | الوافر       | ثقيف    | منمنا      |
| ٢٦٥       | »       | زجل     | و بلدة     | ٢٤٥  | الطويل       | فواحف   | لمن        |
| ٢٧٧       | »       | عطل     | ما         | ٣٠٧  | »            | تقاذف   | وشوها      |
| ٢٩٢       | الطويل  | موكلا   | صحا        | ٢١٣  | الكامل       | يزيف    | ومسيب      |
| ٣٠٩       | التقارب | خولا    | وحشا       |      |              |         | القفاف :   |
| ٣١٦       | البسيط  | تجابل   | وقد        | ٢٨٨  | الخفيف       | تستيق   | بكر        |
| ٣٠٩       | التقارب | صقلا    | فأصبحت     | ٣٤٨  | الطويل       | تتهق    | نفي        |
| ٣٤٣       | الكامل  | جهول    | لحرب       |      |              |         | الكاف :    |
| ٣٤٥       | الطويل  | مكليل   | أساح       | ١٩٤  | البسيط       | الشبك   | كأنها      |
|           |         |         | الليم :    |      |              |         | اللام :    |
| ١٨        | الكامل  | الأعاب  | أني        | ٩    | الطويل       | كالجنجل | مفهقة      |
| ١٩        | الطويل  | والمآثم | خلقنا      | ٣٨   | »            | وتنهل   | غذونك      |
| ٢٢        | »       | والدم   | لسان       | ٤٤   | »            | للمل    | فقلت       |
| ٢٧        | الرجز   | السم    | أبصرت      | ٤٥   | »            | المخلخل | عصرت       |
| ٣٢        | الكامل  | خذا م   | عوجا       | »    | »            | للميل   | وواد       |
| ٣٣        | »       | نوم     | هل         | ٥٨   | الوافر       | الويل   | أكلت       |



| صفحة | بحره   | فأيته     | صدر البيت | صفحة    | بحره         | فأيته   | صدر البيت |
|------|--------|-----------|-----------|---------|--------------|---------|-----------|
| ٣٢٢  | الطويل | جرثم      | تبصر      | ٢٢٩، ٥٧ | الطويل       | فالمثل  | أمن       |
| ٣٤١  | »      | للرجم     | وما الحرب | ١٦٩، ٩٨ | البيسط       | معصوم   | هل        |
| ٣٤٤  | الكامل | الأدهم    | يدعون     | ١٢٨     | الوافر       | الفرج   | تأوبه     |
|      |        |           | النون :   | ١٤٦     | الكامل       | قوامها  | أضلك      |
|      |        |           |           | ٢١٨     | السريع       | الأعصم  | لو كان    |
| ٦    | البيسط | رياحينا   | ليسق      | ٢٣١     | الكامل       | فرجامها | عفت       |
| »    | »      | لينا      | سقياً     | ٢٣٧     | السريع       | الخيم   | هل        |
| ٤٠   | »      | تؤاسينا   | وتركب     | ٢٤٧     | الطويل       | منمنما  | أتعرف     |
| ٥٨   | الوافر | للعيون    | ظهن       | ٢٧٥     | الكامل       | بجمل    | أو        |
| ١٥٢  | الخفيف | جباننا    | وإذا      | ٢٨٤     | البيسط       | خرطوم   | قد        |
| ٢٠٢  | الوافر | بطان      | ألا       | ٣٠٥     | الطويل       | ندم     | فهل       |
| ٢٤٣  | الطويل | نمان      | ألا       | ٣٠٩     | النسرح       | لحم     | في كفه    |
| ٢٨٢  | الوافر | الأندرينا | ألا       | ٣١٢     | مجزوء البيسط | الموم   | وليلة     |
| ٣١٨  | »      | تبني      | أفاطم     | ٣١٠     | المتقارب     | ثيا     | وبالكف    |
|      |        |           | الهاء :   | ٣١٢     | البيسط       | مسموم   | وقد       |
| ٣٢٨  | الكامل | رداها     | وكتيبة    | ٣١٤     | الوافر       | السهم   | وخرق      |
|      |        |           | الياء :   | ٣١٤     | الطويل       | رغم     | بنيت      |
| ٢١٧  | الوافر | المعنى    | إذا       |         |              |         |           |

## فهرس الموضوعات

| الرقم | الموضوع                                | الرقم | الموضوع                                |
|-------|--|-------|--|
| ١     | القدمة .                               | ٣٠    | الشعر المحوراني والنجني .              |
|       | الفصل الأول                            | ٣٣    | الشعر العربي للفقود .                  |
|       | بلاد العرب :                           | ٣٥    | الشعر الفنائي . انبعائه .              |
| ١     | أقسامها التاريخية .                    | ٣٦    | تقسيم الشعر الفنائي .                  |
| ٨     | جو بلاد العرب وأثره في شعرهم .         |       | الفصل الرابع                           |
| ٧     | تقسيم القبائل العربية على بلاد العرب . |       | الوصف :                                |
| ٨     | أثر البيئة في الشعر العربي .           | ٤٢    | الوصف وتقسيمه .                        |
|       | الفصل الثاني                           | ٤٨    | أثر البيئة العربية في أهلها .          |
|       | صفائى أدبية :                          | ٥٢    | أثر البيئة في الوصف .                  |
| ١٠    | شاعرية الأم واختلاف مداه .             | ٥٤    | الطبيعة في الشعر العربي .              |
| ١٣    | الشعر بذرة النثر الجاهلي .             | ٥٦    | نهجنا في التأليف .                     |
| ١٥    | سبق الشعر للنثر .                      | ٥٧    | قيمة الوصف في العصر الجاهلي .          |
| ١٦    | حال النثر الأولى .                     |       | الفصل الخامس                           |
| ٥     | فضل الشعر على النثر .                  | ٥٩    | الطبيعة المتحركة :                     |
| ١٧    | فضل القرآن على الشعر .                 |       | (١) وصف الناقة :                       |
| ١٩    | موازنة بين شعر وتر .                   | ٦١    | لطفرة . التحليل والتقد .               |
|       | الفصل الثالث                           | ٧٤    | لبشامة بن القدير . التحليل والتقد .    |
|       | تقسيم الشعر :                          | ٨٢    | للقصب المبدى . التحليل والتقد .        |
| ٢٣    | أقسام الشعر الإفرنجي .                 | ٨٨    | لرهم بن أبي سلمى . التحليل والتقد .    |
| ٢٤    | الشعر الفنائي وأقسامه .                | ٩٤    | للسيب بن عيسى . التحليل والتقد .       |
| ٢٦    | لماذا لم يكن للعرب شعر قصصى ؟          | ٩٨    | لطقمة بن عبدة الفحل . التحليل والتقد . |
| ٢٩    | الشعر القصصى والتحليل .                | ١٠٢   | نظرة فاحصة عن العاني في وصف الناقة .   |

(تابع) فهرس الموضوعات

| الرقم | الموضوع  | الرقم | الموضوع  |
|-------|--|-------|--|
|       | (ب) وصف القرس :  | ١٨٩   | لعبد بن الأبرص وصف العقاب تصيد ثعلبا . التحليل والنقد .    |
| ١٠٩   | لامرئ القيس . التحليل والنقد .                                 | ١٩٤   | لزهير بن أبي سلمى وصف صقرا يطارد قطاة . التحليل والنقد .   |
| ١١٦   | لبشر بن أبي خازم . التحليل والنقد .                            | ١٩٨   | للأبي ذؤيب الهذلي وصف صيد الحمر الوحشية . التحليل والنقد . |
| ١٢٢   | لعنزة العبسي . التحليل والنقد .                                | ٢٠٢   | لثابت بن كبريت وصف الفول وقد تقاملا . التحليل والنقد .     |
| ١٢٨   | لسلف بن الحرشب . التحليل والنقد .                              | ٢٠٥   | لشنفرى وصف الدثاب . التحليل والنقد .                       |
| ١٣٣   | لعوف بن عطية . التحليل والنقد .                                | ٢٠٩   | لدرقش الأكبر وصف ذئبا أطمعه . التحليل والنقد .             |
| ١٣٦   | لدرقش الأصغر . التحليل والنقد .                                | ٢١٠   | للأبنة وصف الحية . التحليل والنقد .                        |
| ١٤٠   | نظرة فاحصة عن الماني في وصف القرس .                            | ١١١   | لعنزة وصف الثعبان . التحليل والنقد .                       |
|       | (ج) وصف الأوباد :  | ٢١٤   | لمروة بن الورد العبسي وصف الأسد . التحليل والنقد .         |
| ١٤٦   | للبيد بن ربيعة في وصف البقرة الوحشية . التحليل والنقد .        | ٢١٦   | للأبنة وصف الحية أيضا . التحليل والنقد .                   |
| ١٥٤   | للأبنة الديلمي في وصف الثور الوحشي . التحليل والنقد .          | ٢١٧   | نظرة في شعر الطيعة الحية عند العرب .                       |
| ١٥٩   | لسويد بن أبي كاهل وصف الثور الوحشي . التحليل والنقد .          |       | الفصل السادس   |
| ١٦٤   | لامرئ القيس وصف الحمار الوحشي . التحليل والنقد .               | ٢٢٤   | الطيعة الساكنة :   |
| ١٦٩   | لعقمة بن عبدة القحل وصف الظلم . التحليل والنقد .               | ٢٢٧   | صور الطيعة الساكنة .                                       |
| ١٧٤   | نظرة فاحصة عن الماني في وصف الأوباد . التحليل والنقد .         |       | (١) وصف الأطلال .  |
|       | (د) صور متنوعة لظاهر الطيعة الحية                              | ٢٢٧   | لامرئ القيس . التحليل والنقد .                             |
| ١٧٧   | لزهير بن أبي سلمى وصف معركة مع الحر الوحشية . التحليل والنقد . | ٢٢٩   | لزهير بن أبي سلمى . التحليل والنقد .                       |
| ١٨٤   | لامرئ القيس وصف حربا بين عقاب وذئب . التحليل والنقد .          | ٢٣١   | للبيد بن ربيعة العامري . التحليل والنقد .                  |
|       |  | ٢٣٥   | للأبنة الديلمي . التحليل والنقد .                          |
|       |  | ٢٣٧   | لدرقش الأكبر . التحليل والنقد .                            |

(تابع) فهرس الموضوعات

| الرقم | الموضوع                                      | الرقم | الموضوع  |
|-------|--|-------|--|
| ٢٣٩   | لبشامة بن القدير . التحليل والنقد .          | ٢٨٤   | لعلمة الفحل . التحليل والنقد .                       |
| ٢٤١   | لبحارث بن حنلة . التحليل والنقد .            | ٢٨٦   | للأسود بن يعفر . التحليل والنقد .                    |
| ٢٤٣   | لميرة بن جمل . التحليل والنقد .              | ٢٨٨   | لعدي بن زيد . التحليل والنقد .                       |
| ٢٤٥   | لعلبة بن عمرو العبدى . التحليل والنقد .      | ٢٩٠   | لنظرة في وصف الحجر ومجالسها .                        |
| ٢٤٧   | لحاتم الطائي . التحليل والنقد .              |       | ( ح ) وصف الأسلحة :                                  |
| ٢٤٩   | للعاني المشتركة وغير المشتركة في وصف الأطلال | ٢٩٢   | لأوس بن حجر . التحليل والنقد .                       |
|       | ( ب ) وصف الليل :                            | ٣٠١   | للشماخ بن ضرار . التحليل والنقد .                    |
| ٢٥٢   | لمهل بن ربيعة . التحليل والنقد .             | ٣٠٥   | لراشد البشكري . التحليل والنقد .                     |
| ٢٥٤   | لامرئ القيس . التحليل والنقد .               | ٣٠٧   | لعلبة العبدى . التحليل والنقد .                      |
| ٢٥٦   | لنابغة الذبياني . التحليل والنقد .           | ٣٠٩   | لنظرة فاحصة عن معاني الشعراء في السلاح .             |
|       | ( حـ ) وصف السحاب والبرق والغيث :            |       | نظرة شاملة في معاني الشعراء في وصف الطبيعة الساكنة . |
| ٢٥٨   | لامرئ القيس . التحليل والنقد .               | ٣١١   |  |
| ٢٦٠   | للأعشى . التحليل والنقد .                    |       | الفصل السابع   |
| ٢٦٢   | لميد بن الأبرص . التحليل والنقد .            |       | صور لمظاهر مؤتلفة من الطبيعتين :                     |
| ٢٦٤   | لنظرة الطائي في وصف القمر . التحليل والنقد . |       | الشمرة والساكنة .                                    |
|       | ( د ) وصف الصحراء والبرد والحرب :            |       | ( أ ) وصف الغنائن .                                  |
| ٢٦٥   | للأعشى . التحليل والنقد .                    | ٣١٨   | لديق العبدى . التحليل والنقد .                       |
| ٢٦٦   | لمويد . التحليل والنقد .                     | ٣٢٢   | لزهر بن أبي سلى . التحليل والنقد .                   |
| ٢٦٧   | للقمى الأكبر . التحليل والنقد .              |       | ( ب ) وصف الفرسان وعتادهم عند الحرب                  |
| ٢٦٩   | لمعرو بن قيس . التحليل والنقد .              | ٣٢٤   | لضمرة بن ضمرة . التحليل والنقد .                     |
| ٢٧١   | لنابغة الذبياني . التحليل والنقد .           | ٣٢٦   | لمريد بن الصمة . التحليل والنقد .                    |
|       | ( أ ) وصف الآثار الإنسانية :                 | ٣٢٨   | لعنترة . التحليل والنقد .                            |
| ٢٧٣   | لطرفه في وصف السفينة . التحليل والنقد .      | ٣٣٢   | لسلامة بن جندل . التحليل والنقد .                    |
| ٢٧٥   | لعنترة العبسي . وصف روضة التحليل والنقد .    | ٣٣٧   | لبشر بن أبي خازم . التحليل والنقد .                  |
| ٢٧٧   | للأعشى . وصف روضة . التحليل والنقد .         |       | ( حـ ) وصف سوءات الحرب .                             |
|       | ( ب ) وصف الحجر وسقاتها :                    | ٣٤١   | لزهر بن أبي سلى .                                    |
| ٢٧٨   | للأعشى . التحليل والنقد .                    | ٣٤٣   | لامرئ القيس . التحليل والنقد .                       |
| ٢٨٢   | لمعرو بن كثوم . التحليل والنقد .             | ٣٤٤   | خاتمة عن خصائص الوصف في العصر الجاهلي                |

ندت أخطاء هيئة على القارىء أن يتفضل بتصحيحها قبل القراءة

| صفحة | سطر | الخطأ    | الصواب  | صفحة | سطر | الخطأ          | الصواب        |
|------|-----|----------|---------|------|-----|----------------|---------------|
| ٥    | ١٢  | أكبر     | أكثر    | ٢٠٨  | ١   | ممكننا         | ممكن          |
| ٦    | ٦   | الحصا    | الحصاد  | ٢١٧  | ١٨  | روائهم         | روائهم        |
| ٦    | ١٧  | عهدهم    | عهدكم   | ٢٣١  | ٦   | إرزامها        | إرزامها       |
| ٣٨   | ١٥  | مقاة     | مقامه   | ٢٤٠  | ٢١  | الدمع          | الدمع         |
| ٨٨   | ٧   | ترده     | ترده    | ٢٤٦  | ١٧  | ثعلبة ابن عمرو | ثعلبة بن عمرو |
| ١٣١  | ١٠  | ذو       | ذات     | ٢٤٩  | ٢٠  | بها            | بها           |
| ١٥٩  | ٦   | الشرع    | الشرع   | ٢٥٨  | ٥   | برئته          | برئته         |
| ١٧٠  | ٣   | حسكل     | حسكل    | ٢٧٥  | ٦   | يحك            | يحك           |
| ١٩٦  | ٦   | التقل    | التقل   | ٢٧٩  | ٤   | شهادها         | شهادها        |
| ٢٠٧  | ٢٠  | وانصرفنا | وانصرفن | ٢٩١  | ٢٠  | فعمى           | فعمى          |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نُمِ طَبِعَ

الجزء الأول من

الوصف في الشعر العربي

(العصر الجاهلي)

الطبعة في { ٢٧ سؤال سنة ١٣٦٨ هـ  
٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ م }

مدير الطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ الطبعة

محمد أمين عمران







